

جَهْرُ خَطِّ الْعَرَبِ

فِي عِصُورِ الْعَرَبِ فِي الزَّاهِرَةِ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ

الْعَصْرُ الْعَبَّاسِيُّ الْأَوَّلُ

وَلِسَانُ الْجَهْرَةِ

بِالْيَقِينِ

أَخَذَ زَكِيَّ صَفْوَتُ

أَسْتَاذُ اللُّغَةِ الْعَرَبِيَّةِ بَدَارُ الْعُلُو

الطبعة الأولى

حقوق الطبع والنقل محفوظة

تصدير

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أحمدك اللهم وفقتني إلى إتمام ما بدأت ، فلك الشكر والمنة في البدء
والنهاية ، وأصلي وأسلم على خاتم رسلك ، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم .
وبعد : فهذا ثالث الأجزاء من « جمهرة خطب العرب » في خطب
المصر العباسي الأول ، وهو على نسق سابقه ضبطا وتحريرا ، وشرحا وتعليقا ،
ويليه ذيل الجمهرة ، في خمسة أبواب من الخطب :

الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربة .

« الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها .

« الثالث : في ثر الأعراب .

« الرابع : في خطب النكاح .

« الخامس : في خطب من أرتج عليهم ، ونوادير طريفة لبعض الخطباء .

وبذا تم ما قصدت إلى جمعه في هذا المؤلف ، وإني أبتهل إلى المولى القدير

أن يحقق ما رجوته من استفادة قارئيه به ، وأن يسدد خطانا جميعا إلى سبيل

أحمد زكي صفوت

الرشاد ، إنه الكبير المتعال

فهرس مآخذ الخطب فى هذا الجزء

- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهانى : » التاسع
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول - التاسع
- نهاية الأرب : لشهاب الدين النويرى : » السادس
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
- شرح نهج البلاغة : لابن أبى الحديد : المجلد الأول - الثانى
- أمالى السيد المرتضى : » الأول - الرابع
- مجمع الأمثال : لأبى الفضل الميدانى : » الأول
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : » التاسع - العاشر
- تاريخ الكامل : لابن الأثير : » السادس
- مروج الذهب : للمسعودى : » الثانى

مواسم الأدب: للسيد جعفر البيهقي العلوي : الجزء الثاني

الصناعتين : لأبي هلال العسكري

مقدمة ابن خلدون

المنية والأمل : لأحمد بن يحيى المرتضى



الباب الرابع

الخطبة والبوصايا

في

العصر العباسي الأول

١ - خطبة أبي العباس السفاح وقد بوع بالخلافة

(توفي سنة ١٣٦ هـ)

صعد أبو العباس^(١) السفاح المنبر حين بوع له بالخلافة، فقام في أعلاه، وصعد عمه داود بن علي فقام دونه، وتكلم أبو العباس، فقال :

« الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تَكْرِمَةً ، وَشَرَفَهُ وَعَظَّمَهُ ، واختاره لنا وأيده بنا ، وجعلنا أهله وَكَهْفَهُ^(٢) وحِصْنَهُ ، والقوام به ، والذائبين عنه ، والناصرين له ، وألزمنا كلمة التقوى ، وجعلنا أحق بها وأهلها ، وخصنا

[١] هو أبو العباس عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أول الخلفاء العباسيين ، بوع بالخلافة سنة ١٣٢ هـ . [٢] الكهف : الوزر والملجأ .

بِرَحِمِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَرَابَتِهِ ، وَأَنْشَأْنَا مِنْ آيَاتِهِ ، وَأَنْبَتْنَا مِنْ شَجَرَتِهِ ، وَاشْتَقْنَا مِنْ تَبَعَتِهِ ^(١) ، جَعَلَهُ مِنْ أَنْفُسِنَا عَزِيزًا عَلَيْهِ مَا عَنِتْنَا ^(٢) ، حَرِيصًا عَلَيْنَا ، بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفًا رَحِيمًا ، وَوَضَعْنَا مِنَ الْإِسْلَامِ وَأَهْلَهُ بِالْمَوْضِعِ الرَّفِيعِ ، وَأَنْزَلَ بِذَلِكَ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ كِتَابًا يُتْلَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ عَزَّ مِنْ قَائِلٍ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ مُحْكَمِ الْقُرْآنِ : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ^(٣) أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا » ، وَقَالَ : « قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى » ، وَقَالَ : « وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ » ، وَقَالَ : « مَا أَفَاءَ ^(٤) اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » ، وَقَالَ : « وَأَعْمَلُوا إِنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِلَّذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى » فَأَعْلَمَهُمْ جَلَّ ثَنَاؤُهُ فَضْلَنَا ، وَأَوْجَبَ عَلَيْهِمْ حَقَّنَا وَمَوَدَّتَنَا ، وَأَجْزَلَ مِنَ الْفَى ^(٥) وَالْغَنِيمَةَ نَصِيبَنَا ، تَكْرِمَةً لَنَا ، وَفَضْلًا عَلَيْنَا ، وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ .

وَزَعَمَتِ السَّبْيَةُ الضَّلَالُ أَنْ غَيْرَنَا ^(٦) أَحَقُّ بِالرِّيَاسَةِ وَالْخِلَافَةِ مِنَّا ، فَشَاهَتِ ^(٧) وَجُوهُهُمْ ! يَمَّ وَلِمَ أَيُّهَا النَّاسُ ؟ وَبَنَّا هَدَى اللَّهُ النَّاسَ بَعْدَ ضَلَالَتِهِمْ ، وَبَصَّرَهُمْ بَعْدَ جَهْلَاتِهِمْ ، وَأَتَقَدَّمُ بَعْدَ هَلَكَاتِهِمْ ، وَأُظْهِرُ بِنَا الْحَقَّ ، وَأُدْحِضُ بِنَا الْبَاطِلَ ، وَأُصْلِحُ بِنَا مِنْهُمْ مَا كَانَ فَاسِدًا ، وَرَفَعُ بِنَا الْخَسِيسَةَ ، وَأَتَمَّ بِنَا النَّقِيبَةَ ، وَجَمَعَ الْفُرْقَةَ ، حَتَّى عَادَ النَّاسُ بَعْدَ الْعِدَاوَةِ أَهْلَ تَعَاطُفٍ وَبِرٍّ ، وَمَوَاسَاةٍ فِي دِينِهِمْ وَدُنْيَاهُمْ ، وَإِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ فِي آخِرَتِهِمْ ، فَتَحَ اللَّهُ ذَلِكَ مَنَّةً وَمَنْحَةً لِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَلَمَّا قَبَضَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ قَامَ بِذَلِكَ الْأَمْرِ مِنْ بَعْدِهِ أَصْحَابُهُ ، وَأَتَرَهُمْ شُورَى

[١] النعم في الأصل : شجر القبي والسهم . [٢] العنت بالتحريك : دخول المشقة على الإنسان .

[٣] القدر ، وكل ما استغفر من العمل . [٤] ما أعاده عليه أي صيره له .

[٥] الغنيمة . [٦] يريد العلويين . [٧] شاه وحده شوها بالفتح : قبح .

بينهم ، فحَوُوا مَوَارِيثَ الْأُمِّ ، فَعَدَلُوا فِيهَا ، وَوَضَعُوها مَوَاضِعَهَا ، وَأَعْطَوْها أَهْلَهَا ،
وَخَرَجُوا خِصَاصًا^(١) مِنْهَا ، ثُمَّ وَثَبَ بَنُو حَرْبٍ وَمَرْزَوَانٌ فَابْتَزَوْها وَتَدَاوَلَوْها بَيْنَهُمْ ،
فَجَارَوْا فِيهَا ، وَاسْتَأْثَرُوا بِهَا ، وَظَلَمُوا أَهْلَهَا ، فَأَمَلَى^(٢) اللَّهُ لَهُمْ حِينًا حَتَّى آسَفُوهُ^(٣) ،
فَلَمَّا آسَفُوهُ انْتَقَمَ مِنْهُمْ بِأَيْدِينَا ، وَرَدَّ عَلَيْنَا حَقَّنَا ، وَتَدَارَكَ بَنَا أَمْتَنَا ، وَوَلَّى نَصْرَنَا
وَالْقِيَامَ بِأَمْرِنَا ، لِيَمُنَّ بَنَا عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُوا فِي الْأَرْضِ ، وَخَتَمَ بَنَا كَمَا افْتَحَ بَنَا ،
وَإِنِّي لِأَرْجُو أَلَّا يَأْتِيَكُمُ الْجَوْرُ مِنْ حَيْثُ أَتَانَا كَمُ الْخَيْرِ ، وَلَا الْفَسَادُ مِنْ حَيْثُ جَاءَكُمْ
الصَّلَاحُ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ إِلَّا بِاللَّهِ .

بِأَهْلِ الْكَوْفَةِ ، أَنْتُمْ مَحَلَّ مَحَبَّتِنَا ، وَمَنْزِلُ مَوْدَّتِنَا ، أَنْتُمْ الَّذِينَ لَمْ تَنْزَيُّوا عَنْ
ذَلِكَ ، وَلَمْ يَنْفِكْ عَنْ ذَلِكَ تَحَامُلُ أَهْلِ الْجَوْرِ عَلَيْكُمْ ، حَتَّى أَدْرَكْتُمْ زَمَانَنَا ، وَأَتَانَا كَمُ
اللَّهِ بِدَوْلَتِنَا ، فَأَنْتُمْ أَسْعَدَ النَّاسِ بَنَا ، وَأَكْرَمَهُمْ عَلَيْنَا ، وَقَدْ زِدْتُمْ فِي أُعْطِيَاتِكُمْ
مِائَةَ دَرَاهِمٍ ، فَاسْتَعْدُوا ، فَأَنَا السَّفَاحُ الْمُبِيحُ ، وَالنَّارُ الْمُبِيرُ^(٤) .

وَكَانَ مَوْعُوكَا فَاشْتَدَّ بِهِ الْوَعَكُ^(٥) ، فَجَلَسَ عَلَى الْمَنْبَرِ ، وَصَعِدَ دَاوُدُ بْنُ عَلِيٍّ ،
فَقَامَ دُونَهُ عَلَى مَرَاتِقِي^(٦) الْمَنْبَرِ ، فَقَالَ :

(تَارِخُ الطَّبَرِيِّ ٩ : ١٢٥ ، وَضَرَحُ ابْنِ أَبِي الْحَدِيدِ ٢٠ : ص ٢١٣)

٣٠ — خُطْبَةُ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، شُكْرًا شُكْرًا شُكْرًا ، الَّذِي أَهْلَكَ عَدُوَّنَا . وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِيرَاثَنَا
مِنْ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، أَيُّهَا النَّاسُ : الْآنَ أَقْشَعْتُ^(٧) حَدَّاسُ الدُّنْيَا ،

[١] حَيَاةُ جَمِيعِ حَمِيمٍ مِنْ جَمِيعِ الْبَطْنِ مِثْلَةً لِمَنْ أَيْ خَلَا ، وَاحْتِمَاةٌ : الْحَاكِمَةُ ، وَهُوَ حَمْدَانُ بِالْعَمِّ ،
وَحَمِيمُ الْمَشَاظِمِ الْبَطْنِ . [٢] أَمَلَهُمْ . [٣] أَعْصَوْهُ . [٤] أَرَاهُ : أَهْلَكَ .
[٥] الْوَعَكُ : أَذَى الْحُمَى وَوَجْعُهَا ، وَالْمُ مِنْ شِدَّةِ التَّعَبِ . [٦] جَمْعُ مَرَقَةٍ بَعَثَ إِلَيْهِ وَكَرَّمَهَا .
[٧] قَشَعَتْ الرِّيحُ السَّحَابَ : كَشَفَتْهُ كَمَا أَنْتَعَتْهُ فَأَقْشَعَتْ وَاقْشَعَتْ وَتَقَشَعَتْ ، وَالْخَنَادُاسُ جَمْعُ حَدَسٍ بِكَسْرِ الْخَاءِ
وَالدَّالِ ، وَهُوَ الظَّلْمَةُ .

وانكشف غطاؤها ، وأشرقت أرضها وسماؤها ، وطلعت الشمس من مظلماها ،
 وبزغ القمر من مبرزه ، وأخذ القوس باريها ، وعاد السهم إلى النزعة^(١) . ورجع
 الحق إلى نصابه^(٢) ، في أهل بيت نبكم ، أهل الرأفة والرحمة بكم والمطف عليكم .
 أيها الناس : إنا والله ما خرجنا في طلب هذا الأمر لنكثر لُجَيْنًا ، ولا
 عِقْيَانًا^(٣) ، ولا نحفر نهرا ، ولا نبني قصرا ، وإنما أخرجنا الأنفة من ابتزازهم
 حقنا ، والفضب لبني عمننا ، وما كرتنا^(٤) من أموركم ، وبهظنا من شئونكم ،
 ولقد كانت أموركم ترمضنا^(٥) ونحن على فرشنا ، ويشد علينا سوء سيرة بني أمية
 فيكم ، وخرقهم بكم ، واستذلأهم لكم ، واستنثارهم بفيكم وصدقاتكم ومغائركم
 عليكم ، لكم ذمة الله تبارك وتعالى وذمة رسوله صلى الله عليه وسلم وذمة العباس
 رحمة الله أن نحكم فيكم بما أنزل الله ، ونعمل فيكم بكتاب الله ، ونسير في العائمة منكم
 والخاصة بسيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، تبا تبا لبني حرب بن أمية وبني
 مروان ، آثروا في مدتهم وعصرهم العاجلة على الآجلة ، والدار الفانية على الدار
 الباقية ، فركبوا الآثام ، وظلموا الأنام ، وانتهكوا المحارم ، وغشوا الجرائم ،
 وجاروا في سيرتهم في العباد ، وسنتهم في البلاد ، التي بها استلذوا تسربل الأوزار ،
 وتجلبب الأصار^(٦) ، ومزحوا في أعنة المعاصي ، وركضوا في ميادين الفتى ،
 جهلا باستدراج الله ، وأمثا لكر الله ، فآثم بأس الله يثاكا وهم ناعمون ، فأصبحوا
 أحاديث ، ومزقوا كل ممزق ، فبعدا للقوم الظالمين ، وأدالنا^(٧) الله من مروان ،

[١] جمع نازع وهو الرمي يشد الوتر إليه ليضع فيه السهم ، وصار الأمر إلى النزعة أي قام بإصلاحه
 أهل الأئمة ، وعاد السهم إلى النزعة : رجع الحق إلى أهله . [٢] أصله . [٣] ذهباً .
 [٤] كثره العلم كغرب وصير : اشتد عليه كأكثره . [٥] أرميه : أوجعه وأحرقه ،
 أرومض الحر القوم : اشتد عليهم فأقام . [٦] جمع لاصر كحمل وهو الدنب . [٧] نصرنا عليه .

وقد غرّه بالله النُرُور ، أرسل لعدو الله في عِنايه ، حتى عَثَرَ في فَضْل خِطامه ،
فظن عدو الله أن لن تَقْدِر عليه ، فنادى حِزبه ، وجمع مكابده ، ورمى بكتائبه ،
فوجد أُمَامَةً ووراءه ، وعن يمينه وشماله ، من مكر الله وبأسه وتقمته ، ما أُمَات
باطله ، وَتَحَقَّ ضلاله ، وجعل دائرة السوء به ، وأحيا شرفنا وعزنا ، وردَّ إلينا
حقنا وإرثنا .

أيها الناس ، إن أمير المؤمنين - نصره الله نصراً عزيزاً - إنما عاد إلى المنبر
بعد الصلاة ، أنه كره ^(١) أن يَخْلُط بكلام الجمعة غيره ، وإنما قطعهُ عن استتمام
الكلام ، بعد أن أُسْحَقَ فيه شدة الوجع ، وادعوا الله لأُمير المؤمنين بالعافية ،
فقد أبدلكم الله بمرؤس عدو الرحمن ، وخليفة الشيطان ، المتبع للسفلة الذين
أفسدوا في الأرض بعد إصلاحها ، بإبدال الدين ، وانتهاك حريم المسلمين ،
الشاب ^(٢) المتكهل المنمهل ، المتتدى بسلفه الأبرار الأخيار ، الذين أصلحوا
الأرض بعد فسادها بعالم الهدى ، ومناهج التقوى « - فجع الناس له بالدعاء -
ثم قال :

« يا أهل الكوفة : إنا والله ما زلنا مظلومين مقهورين على حقنا ، حتى أتاه
الله لنا شيعتنا أهل خراسان ، فأحيا بهم حقنا ، وأفليح ^(٣) بهم حجتنا ، وأظهر
بهم دولتنا ، وأراكم الله ما كنتم به تنتظرون ، وإليه تتشوّفون ، فأظهر فيكم
الخليفة من هاشم ويض به وجوهكم ، وأدالكم على أهل الشام ، وتقل إليكم
السلطان وعز الإسلام ، ومنّ عليكم بإمام منحه العدالة ، وأعطاهم حسن الإيالة ^(٤) ،

[١] أي لأنه كره . [٢] اسحق الحطّيب : اتسع في كلامه . [٣] كانت سنة حين ولى
الحلّفة ٢٨ سنة إذ ولد سنة ١٠٤ هـ . [٤] نصر . [٥] آل الملك رعيته إيلا : سامهم ،
وآل على القوم إيلا وإيالة : ولى .

تخذوا ما آتاكم الله بشكر، والزموا طاعتنا، ولا تُخذعوا عن أنفسكم، فإن الأمر أمركم، فإن لكل أهل بيت مصراً، وإنكم مصرنا، ألا وإنه ماصِد متبركم هذا خليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين عبد الله بن محمد - وأشار يده إلى أبي العباس - فاعلموا أن هذا الأمر فينا ليس بخارج منا، حتى نسلمه إلى عيسى بن مريم صلى الله عليه، والحمد لله رب العالمين على ما أبلانا وأولانا .

(تاريخ الطبري ٩ : ١٢٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣)

٣ - خطبة داود بن عليّ وقد ارتج على السفاح

وروى أنه لما قام أبو العباس في أول خلافته على المنبر، قام بوجه كورقة المصحف، فاستحيا فلم يتكلم، فنهض داود بن عليّ حتى صعد المنبر، فقال المنصور: فقات في نفسي: شيخنا وكبيرنا ويدعو إلى نفسه. فلا يختلف عليه اثنان، فانتضيت سفي، وغطيته بثوبي^(١)، وقلت: إن فعل ناجزته، فلما رقي عتبا استقبال الناس بوجهه دون أبي العباس، ثم قال: «أيها الناس، إن أمير المؤمنين يكره أن يتقدم قوله فعله، ولأثر الفعل أجدي عليكم من تشقيق^(٢) المقال، وحسبكم بكتاب الله ممثلاً^(٣) فيكم، وابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم خليفة عليكم، والله - قسماً بآل أريد به إلا الله - ما قام هذا المقام أحد بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أحق به من علي بن أبي طالب، وأمير المؤمنين هذا. فيظن ظانكم، وليهمس هامسكم» قال أبو جعفر: ثم نزل، وشتمت^(٤) سفي.

(عيون الأخبار ٢ : ٢٥٢ ، وشرح ابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣ ، ومواهب الأدب ٢ : ١١٤)

[١] في عيون الأخبار: «وغطيته بثوبي» وهو تحريف. [٢] شقق الكلام: أخرجه أحسن عرج. [٣] امتثل طريقته: تبعها فلم يدها. [٤] شام سيفه يشبهه: عمده (واستله أيضاً: ضد).

٤ - خطبة أخرى له

وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

أراد أبو العباس السفاح يوماً أن يتكلم بأمر من الأمور بعد ما أقضت الخلافة إليه - وكان فيه حياة مفترط - فأزجج عليه ، فقال داود بن عليّ بعد أن حمد الله وأثنى عليه :

« أيها الناس ، إن أمير المؤمنين الذي قلّده الله سياسة رعيته ، عُقِلَ من لسانه ، عند ما يُعْتَد من بيّانه ، ولكل مرتقي بهر^(١) ، حتى تنقسه العادات ، فأبشروا بنعمة الله في صلاح دينكم ، ورغد عيشكم » . (أمالي السيد المرتضى : ١٩)

٥ - خطبة أخرى للسفاح بالكوفة

وخطب السفاح في الجمعة الثانية بالكوفة ، فقال :

« يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ » والله لا أعدكم شيئاً إلا وفيت بالوعد والوعد ، ولأعملنّ اللين حتى لا تنفع إلا الشدة ، ولأعمدنّ السيف إلا في إقامة حد ، أو بلوغ حق ، ولأعطينكم حتى أرى العطية ضياعاً ، إن أهل بيت اللعنة والشجرة^(٢) الملعونة في القرآن ، كانوا لكم أعداء ، لا يرجعون معكم من حالة إلا إلى ما هو أشد منها ، ولا يلي عليكم منهم والٍ إلا تمنّيتم من كان قبله ، وإن كان لا خير في جميعهم ، منعوكم الصلاة في أوقاتها ، وطالبوكم بأدائها في غير وقتها ، وأخذوا المقبل بالمذير^(٣) ، والجار بالجار ، وسلطوا شراركم على خياركم ، فقد حقّ الله جورهم ، وأزهق باطلهم ، بأهل بيت نبّيكم ، فما تؤخّر لكم عطاء ، ولا

[١] البهر : انقطاع النفس من الإعياء . [٢] هي شجرة الزقوم التي تنبت في أصل الجحيم ، جعلها الله قنّة للمشركين إذ قالوا : إن النار تحرق الشجر فكيف تنبت .
[٣] انظر قول زياد بن أبيه في خطبته البقاء الجزء الثاني ص ٢٥٧ .

نضيع لأحد منكم حقاً ، ولا تُجسّمكم في بَعث ، ولا نخاطر بكم في قتال ، ولا نبذلكم دون أنفسنا ، وألله على ما نقول وكيلٌ بالوفاء والاجتهاد ، وعليكم بالسمع والطاعة»

ثم نزل . (شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٣)

٦ - خطبة السفاح بالشام حين قتل مروان

ولما قُتل مروان بن محمد - آخر خلفاء بني أمية - خطب السفاح ، فقال :
« أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا ، وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ،
جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَيَبْسُ الْقَرَارُ » نكصَ بكم ي أهل الشام آلُ حرب وآل مروان ،
ينسكُمون^(١) بكم الظلم ، ويتهورون بكم مَذَاحِصَ^(٢) الزَّلَقِ ، يَطَّوُّونَ بكم حَرَمَ
الله^(٣) وَحَرَمَ رسوله^(٤) ، ماذا يقول زعماءكم غداً ؟ يقولون : « رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا
فَأَتَيْنَاهُمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ » إذن يقول الله عز وجل : « لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ
لَا تَعْلَمُونَ » أما أمير المؤمنين فقد ائْتَنَفَ^(٥) بكم التوبة ، واغترف لكم الزَّالَةَ ،
وَبَسَطَ لِكُمُ الْإِقَالَةَ^(٦) ، وعاد بفضلِهِ على تقصُّمِكم ، وبجله على جهلِكُم ، فليُفْرِخْ
رُوعُكُمْ^(٧) ، ولتطمئن به داركم ، وليُقْطَعَ مَصَارِعُ أَوَائِلِكُم ، « فَتِلْكَ يُؤْوِسُهُمْ
خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا » . (المعتمد الفريد ٢ : ١٤٥)

٧ - خطبة عيسى بن علي حين قتل مروان

وخطب عيسى بن علي - عم السفاح - لما قتل مروان ، فقال :

[١] تُكَم : متى مشياً متصفاً - [٢] جمع مدحضة : وهي الزلّة - [٣] يشير إلى ما كان من
مقاتلة الحجاج عبد الله بن الزبير بمكة ، ورميه الكعبة بالمنجنيق في عهد عبد الملك بن مروان .
[٤] يشير إلى وقعة الحرة وما أحدثه جيش مسلم بن عقبة المري بالمدينة على عهد يزيد بن معاوية .
[٥] استأنف وابتدأ . [٦] أقال عثرته : رجمه من سقوطه - [٧] الروع بالضم القلب ، أو
موضع الفرع منه ، والروع بالفتح : الفرع ، وأفرخت البيضة : خرج الفرخ منها ، أي ليخرج الروع
عن روعكم ولهدوا وتطشوا .

« الحمد لله الذي لا يفوته من طلب ، ولا يعجزه من هرب ، خدعت والله الأشقر نفسه ، إذ ظن أن الله ثمهله ، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، فحتى متى ، وإلى متى ؟ أما والله لقد كرهتهم العبدان ^(١) التي افترعوها ، وأمسكت السماء ذرها ^(٢) ، والأرض ريعها ^(٣) ، وقجل الصرع ^(٤) ، وجفز الفتيق ^(٥) ، وأتمل ^(٦) جلباب الدين ، وأبطلت الحدود ، وأهدرت الدماء ، وكان ربك بالمرصاد ، قدمدم ^(٧) عليهم ربهم بذنبيهم فسواها ، ولا يخاف عقباها ، وملكنا الله أمركم عباد الله ، لينظر كيف تعملون ، فالشكر الشكر ، فإنه من دواعي المزيد ، أعاذنا الله وإياكم من مضلات الأهواء ، وبقات الفتن ، فإنما نحن به وله » . (شرح ابن أبي الحديد ٢ : ص ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٥)

٨ - خطبة داود بن علي بمكة ^(٨)

وخطب داود بن علي الناس بمكة في أول موسم ملكه بنو العباس ، فقال : « شكراً شكراً ، إنا والله ما خرجنا لنخفر فيكم نهراً ، ولا لبنى فيكم قصراً ، أظن عدو الله أن لن تقدر عليه ، أن روحي ^(٩) له من خطامه ، حتى عثر في فضل زمامه ؟ فالآن حيث أخذ القوس ياربها ، وعادت النبل إلى النزعة ، ورجع الملك في نصابه من أهل بيت النبوة والرحمة - والله لقد كنا نتوَجّع لكم ونحن

[١] أي أعواد التناير ، وافترعوها : أي طوها . [٢] مطرها . [٣] الريح : الغناء والزيادة . [٤] قيل : يمس جلده على عظمه . [٥] الفتيق : المحل المسكرم لا يؤذى لكراته على أهله ولا يركب ، والجفر : كشمس السرعة في المشي ، ولم تذكر كتب اللغة ضبط قله ، وجاء في اللسان : « الجفر : سرعة المشي يمانيه ، حكاه ابن حريز ، قال : ولا أدري ما محتها » ، وفي رواية مواسم الأدب : « وجفل فتيق الشرك » . [٦] أمهل للتوب ومهل ، كدخل وكرم : أخلق . [٧] ددم القوم ، ودمدم عليهم : طعنهم فأهلكهم ، صواها : أي الدفعة ، أي مهم بها فلم يفلت منهم أحد . [٨] ولله أبو العباس السكوني وسوادها ، ثم ولله المدينة ومكة والبن واليامة سنة ١٣٢ وولاه إمارة الحاج في هذه السنة ، ومات بالمدينة في ربيع الأول سنة ١٣٣ هـ (الطبري ج ٩ ص ١٤٧) . [٩] أي لأن روحي له ، ظن أن لن تقدر عليه .

في قُرُونِنَا - أَمِنْ الْأَسْوَدِ وَالْأَحْمَرِ^(١)، لَكُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ، لَكُمْ ذِمَّةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَكُمْ ذِمَّةُ الْعِبَاسِ، لَا وَرَبَّ هَذِهِ الْبَنِيَّةِ - وَأَوْمَأَ يَدَهُ إِلَى الْكَعْبَةِ - لَا تَهَيِّجْ مِنْكُمْ أَحَدًا. (تهذيب الكمال ١ : ١٨ ، والعقد الفريد ٢ : ١٤٦ ، والبيان والبيان ١ : ١٨٠ ، وابن أبي الحديد ٢ : ٢١٣ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤)

٩ - خطبته بالمدينة

قال : « أَيُّهَا النَّاسُ : حَتَّامٌ يَنْتَفِ بِكُمْ صَرِيحُكُمْ^(٢) ؟ أَمَا أَنَّ لِرَأْسِكُمْ أَنْ يَهْبُ مِنْ نَوْمِهِ ؟ كَلَّا بَلْ رَأَى^(٣) عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ، أَعْرَضَ كَمِ الْإِهْمَالِ حَتَّى حَسِبْتُمُوهُ الْإِهْمَالُ ؟ هِيَاتُ مِنْكُمْ وَكَيْفَ بِكُمْ ، وَالسُّوْطُ كُنْفٌ ، وَالسَّيْفُ مُشَهَّرٌ^(٤) ! حَتَّى يُبِيدَ قَبِيلَةً فَفَبَيْلَةً^(٥) وَيَمْعَنَ كُلُّ مُنْقَفٍ بِالْهَامِ^(٦) وَيُقَنَّ رَبَاتِ الْخُدُورِ حَرَاسِرًا^(٧) يَمْسَحْنَ غُرُضَ ذَوَائِبِ الْأَيْتَامِ^(٨) (العقد الفريد ٢ : ١٤٦)

١٠ - خطبة أخرى له^(٩)

وخطب فقال : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، ائْمَظَ أَمْرُؤُ بَغِيرِهِ ، اعْتَبَرَ عَاقِلٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَأَمْسَكَ الْفَضْلَ مِنْ قَوْلِهِ ، وَقَدَّمَ الْفَضْلَ مِنْ عَمَلِهِ » ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمٍ

[١] الخراء : المحم لأن المال على ألوانهم البيضاء والحمراء .
[٢] الصريح : المستقيم (ولعبت أيضا) [٣] علب . [٤] شهر سببه كعب ، وشهره بالتشديد : أضواء مرمية على الناس . [٥] تنقيب الرماح : تسويتها . [٦] قوله ويمن : أي الرماح ، والصير يمد على (كل منقف) . [٧] هذه الحطبة أوردتها ابن قتيبة ، وجرأها إلى داود بن علي ، وسماها صاحب العقد إلى الصور ، وأنه قالها لما قتل الأمويين (راجع العقد ٢ : ص ١٤٥) .

وبصها كما أوردتها : « أَحْرَزَ لِسَانُ رَأْسِهِ ، ائْتَبَهُ أَمْرُؤُ لِحْطَهُ ، نَظَرَ أَمْرُؤُ فِي يَوْمِهِ لَمَنْدِهِ ، فَشَى الْقَضْدَ ، وَقَالَ الْقَضْلُ ، وَجَابَ الْهَجْرَ » ، ثُمَّ أَخَذَ بِقَائِمٍ سَيْفِهِ ، فَقَالَ :
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ بِكُمْ دَاءٌ هَذَا دَوَائُهُ ، وَأَنَا زَعِيمٌ لَكُمْ بِشِفَائِهِ ، فَلْيَمْتَرِ عَبْدٌ قَبْلَ أَنْ يُعْتَبَرَ بِهِ ، فَإِنَّمَا مَدُّ الْوَعِيدِ الْإِقْطَاعُ ، وَإِنَّمَا يَفْتَرِي الْكَذِبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ »
والهجر : التفرج من الكلام .

سيفه ، فقال : « إن بكم داء هذا دواؤه ، وأنا زعيم لكم بشفاؤه ، وما بعد رسيه إلا الإيقاع » . (صيون الأبحار ٢ : ص ٢٥٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١١٤)

١١ - خطبته وقد بلغه أن قوما أظهروا شكاة بنى العباس

وبلغته أن قوماً أظهروا شكاة بنى العباس ، فافتزع المنبر ، وحمد الله وأثنى

عليه ، ثم قال :

« عَدُّرَا يَا هَلْ اخْتَرْتُمْ^(١) والتبديل ؟ أَلَمْ يَزِدْكُمْ الْفَتْحُ الْمُبِينُ^(٢) ، عَنْ الْخَوْضِ فِي ذَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ كَلَّا وَاللَّهِ حَتَّى تَحْمِلُوا أَوْ زَارَكُمْ وَأُوزَارَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِكُمْ ، كَيْفَ قَامَتْ شِفَاهُكُمْ بِالشُّكْوَى لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ؟ مَعْدَانُ حَانَتْ آجَالُكُمْ فَأَرْجَاهَا ، وَانْبَعَثَ دِمَاؤُكُمْ خَفَّتْهَا ، الْآنَ بَا مَنَابِتِ الدِّمَنِ ، مَشَيْتُمْ الضَّرَاءَ^(٣) ، وَذَيْبْتُمْ الْخَمَرَ^(٤) ، أَمَّا وَمُحَمَّدٍ وَالْعَبَّاسِ إِنْ عُدْتُمْ لِمِثْلِ مَا بَدَأْتُمْ ، لَأَحْصِدُنْكُمْ بِظَبَاتِ السُّيُوفِ ، ثُمَّ يُفْنِي رَبَّنَا عَنْكُمْ ، وَنُسْتَبْدِلُ عَيْدَكُمْ ، ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْنًا لَكُمْ .

مهلا بازوايا^(٥) الإرجاف ، وأبناء النفاق ، عَنْ الْخَوْضِ فِيمَا كَفَيْتُمْ ، وَالتَّخْطِى إِلَى مَا حُدِّرْتُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَتَلَفَ نَفُوسٌ ، وَيَقْلَّ عَدَدٌ ، وَيَذُلَّ عِزٌّ ، وَمَا أَنْتُمْ وَتِلْكَ ؟ أَلَمْ تَجِدُوا مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا مِنْ إِبْرَاتِ الْمُسْتَضْعَفِينَ مُسَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا ؟ بَلَى وَالْحَجَرِ وَالْحَجَرِ^(٦) ، وَلَكِنَّهُ حَسَدٌ مُضْمَرٌ ، وَحَسَكٌ^(٧) فِي الصُّدُورِ ، قَرْنَمًا لِلْمَعَاطِسِ^(٨) ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ^(٩) » . (مواسم الأدب ٢ : ١١٤)

[١] المختار : المندر ، أَرَأَيْتَهُ . [٢] فِي الْأَصْلِ « أَلَمْ يَرِمْ لَمْ الْفَتْحُ الَّذِينَ عَنْ الْخَوْضِ فِي ذَمِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ . [٣] الضَّرَاءُ : الشَّجَرُ الْمُنْتَبِذُ فِي الْوَادِي ، يُقَالُ : تَوَارَى الْعَبِيدُ مِنْهُ فِي حَرَاءٍ ، وَهَلَاكٌ يَمِثُّ الضَّرَاءَ . إِذَا مَضَى مُسْتَحْيَا فِيمَا يُوَارَى مِنَ الشَّجَرِ . [٤] فِي الْأَصْلِ « وَذَيْبْتُمْ الْخَمَرَ » وَهُوَ تَحْرِيفٌ ، وَصَوَابُهُ مَا ذَكَرْتَا ، وَالْجَرَّ الْتَحْرِيكُ : كُلُّ مَا وَارِدٌ مِنْ شَجَرٍ أَوْ مَاءٍ أَوْ عَيْرِهِ ، وَحَرَكُهُمْ : تَوَارَى ، وَمِنْ أَشْأَلَهُمْ : « يَذُبُّ لَهُ الضَّرَاءُ » وَيَعْنِي لَهُ الْجَرُّ » وَهُوَ مِثْلُ يَصْرِبُ الرَّحْلُ يَحِلُّ صَاحَهُ . [٥] الرُّوَايَا جَمْعُ رَاوِيَةٍ : وَهِيَ الزَّادَةُ فِيهَا الدَّاءُ . [٦] الْحَجَرُ : حَجَرُ الْكُفَّةِ ، وَهُوَ مَا حَوَاهُ الْحَطِيطُ لِلدَّارِ الْكُفَّةِ مِنْ حَاثِ الْقَيْمَالِ . [٧] الْحَسَكُ : الْحَقْدُ وَالْبَدَاوَةُ . [٨] الْمَعَاطِسُ جَمْعُ مَعَطَسٍ كَحَلَسٍ وَمَقْمَدٍ وَهُوَ الْأَبْ ، وَالرَّعْمُ : النَّالُ . [٩] وَرَوَى صَاحِبُ الْمَقْدِ

١٢ - خطبته وقد أرتج عليه

وخطب داود بن علي ، فحمد الله جل وعز ، وأثنى عليه ، وصلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، فلما قال : أما بعد ، امتنع عليه الكلام ، ثم قال :
 « أما بعد ، فقد يجحدُ المعسر ، ويُعسرُ الموسر ، ويُغلُ الحديد ، ويقطع الكليل ، وإنما الكلام بعد الإخام ، كالإشراق بعد الإظلام ، وقد يعزب البيان ، ويُعقَم الصواب ، وإنما اللسان ، مُضْمَنٌ من الإنسان ، يَفْتَرُ بَقُورَهُ إِذَا نَكَلَ ، وَيُثَوِّبُ بَانِدِسَاطِهِ إِذَا ارْتَجَلَ ، أَلَا وَإِنَّا لَا نَنْطِقُ بَطَرًا ، وَلَا نَسْكُتُ حَصْرًا ، بَلْ نَسْكُتُ مُعْتَبِرِينَ ، وَنَنْطِقُ ثُرَشِدِينَ ، وَنَحْنُ بَعْدُ أَمْرَاءُ الْقَوْلِ ، فَبِنَا وَشَجَبَتْ^(١) أَعْرَاقُهُ ، وَعَلَيْنَا عَطَفَتْ أَغْصَانُهُ ، وَلَنَا تَهَدَّلَتْ ثَمَرَتُهُ ، فَتَنَخَّرَ مِنْهُ مَا أَحْلَوَى وَعَذَّبَ ، وَنَطَرَحَ مِنْهُ مَا أَمْلَوَحَ وَحَبَّتْ ، وَمِنْ بَعْدِ مَقَامِنَا هَذَا مَقَامٌ ، وَبَعْدَ أَمَانِنَا أَيَّامٌ ، يُعْرَفُ فِيهَا فَضْلُ الْبَيَانِ ، وَفَصْلُ الْخُطَابِ ، وَاللَّهُ أَفْضَلُ مُسْتَعَانَ »^(٢) ثُمَّ تَزَلُ^(٣)

(كتاب الصواعق ص ٢١ ، وأمال السيد المرتضى ٤ : ١٩ ، وهر الآداب ٢ : ٢٨٥)

نفس هذه الخطبة وهراما إلى أبي حمزة المصور ، فقال : « خطب المصور حين حروجه إلى الشام فقال :

سَيَشْنِئُهُ أَعْرِفَهَا مِنْ أَحْزَمٍ مَنْ يَلْقَى أَنْطَالَ الرَّجَالِ يُكَلِّمُ

مهايل روايا الإرجاف ، وكهوف النفاق . . . إلى آخر الخطبة » ، راجع النقد الفريد ٢ : ١٤٥ - والشنعة : الطيرة والدادة ، وهو مثل لأبي أحزم الطائي ، وكان له ابن يقال له أحزم ، وكان طافا ، مات وترك سبى ، فزبوا يوما على حدم أنى أحزم فأدموه فقال :

إِنْ بَى صَرْحُونِ نَالِمِ شَنْعَةَ أَعْرِفَهَا مِنْ أَحْزَمِ

أى إن هؤلاء أشبهوا أبائهم في الفوق : يصرب في قرب الشبه ، ويكلم : يجرح .

[١] وشحب المروق والأعصا كوعد وشعا ووشيعا : اشتكت ، والواشعة : الزحم للشككة .

[٢] وروى المصطفى في رهر الآداب نفس هذا القول وعراه إلى عبد الملك بن صالح ، وروى السيد المرتضى في أماليه قال :

« صعد أبو العباس السقاخ المنبر ، فأرتج عليه فقال : « أيها الناس ، إن اللسان ، نعمة

١٣ - خطبة صالح بن علي

وخطب صالح بن علي ^(١) عم السفاح ، فقال :

يا أعضَادَ النفاق ، وعُبدَ الضلالة ، أغرَّكم لين أسامى ، وطولُ إينامى ؟
حتى ظن جاهلُكم أن ذلك لقولِ حدّ ، وفنورِ جدّ ، وخورِ قنّاق ^(٢) ، كذّبتِ
الظنونُ ، إنها العِترَةُ بمضُها من بعض ، فإذا قد استوليتم العافية ، فعندى فِطام
وفيكاك ، وسيف يُقدُّ الهام ، وإني أقول :

أغرَّكم أنى بأكرمِ شيمةٍ رقيقٌ ، وأنى بالفواحشِ أخرقٌ ؟
ومثلي إذا لم يُجْزَ أحسنَ سعيه تكلمُ نَعْماءٍ فيها فننطقُ
أعمرى لقد فاحشتنى فنبئتني هنيئاً مريئاً أنت بالفحشِ أرفقُ

(اللد العريد ٢ : ١٤٦)

١٤ - خطبة سديف بن ميمون

وروى صاحب المقدال :

لما قدّم الغمّ بن يزيد بن عبد الملك على أبي العباس السفّاح في ثمانين

من الإنسان ، يكلّ إذا كلّ ، وينفيسح بانفساحه إذا فسّح ، ويمن أمراء الكلام ، منا
تفرغت فروعه ، وعلينا تهذلت عصويه ، ألا وإنا لا نتكلم هذرا ، ولا نسكت إلا
معتبرين » ثم نزل ، فبلغ ذلك أبا جعفر ، فقال : « الله هو ! لو خطب بثل ما اعتذر ،
لكان من أحطب الناس » ، وهذا الكلام يروى لداود بن طلي « اه .

والبيعة بفتح الياء وقد تكسر : القطعة من اللحم ، والهدر بالتحريك : سقط الكلام ، وسكون الدال
مصدر هدر في منطقه كصرب وصر .

[١] هو صالح بن علي بن عبد الله بن عباس عم السفاح ، وقد ولاء السفاح مصر سنة ١٣٢ ثم فلسطين ،
ثم ولاء مصر ثمانية سنة ١٣٦ ، حتى قدم المهر يموت السفاح في ذي الحجة سنة ١٣٦ ، فأقره النصور على
عمل مصر ثم حرج إلى فلسطين ، ومات وهو طامل حمى بقسرين . [٢] صعب .

رجالاً من بنى أمية ، وضعت لهم الكراسى ، وضعت لهم تمارق^(١) ، وأجلسوا عليها ، وأجلس الغمر مع نفسه في المصلى ، ثم أذن لشيعته فدخلوا ودخل فيهم سديف بن ميمون^(٢) ، وكان متوشحاً سيفاً ، متنكباً قوساً ، وكان طويلاً آدم^(٣) ، فقام خطيباً .

خمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيزعم الضلال بما حبّطت^(٤) أعمالهم أن غير آل محمد أولى بالخلافة ؟ فلم وبم أيها الناس ؟ لكم الفضل بالصحابة ، دون حقّ ذوى القرابة ، الشركاء في النسب ، الأكفأ في الحسب ، الحاصّة في الحياة ، الوفاة^(٥) عند الوفاة ، مع ضربهم على الدين جاهلكم ، وإطعامهم في الأولى جائعكم ، فكم قصم الله بهم من جبار باغ ، وفاسق ظالم ، لم يُسمع عيّل العباس ، لم تخضع له أمة بواجب حق ، أبورسول الله صلى الله عليه وسلم ببدأيه ، وجلده ما بين عينيه^(٦) ، أمينته ليلة العقبة^(٧) ، ورسوله إلى أهل مكة ، وحاميه يوم حنين^(٨) ، لا يزد له رأياً ، ولا يخالف له قسماً ، إنكم والله معاشر قرش ما اخترتم لأنفسكم من حيب ما اختاره الله لكم ، تيمّني^(٩) مرة ، وعدوى^(١٠) مرة ، وكنتم بين ظهراني قوم دد آثروا العاجل على الآجل ، والفاني على الباقي ،

[١] تمارق جمع غرة كقعدة وهي الوسادة الصغيرة . [٢] مولى أبي العباس السفاح .
[٣] وصف من الأئمة ، وهو كالمرة وزناً وصبي . [٤] فطنت . [٥] الوفاة جمع واف .
[٦] حطب الوليد بن عبد الملك قال : « إن أمير المؤمنين عبد الملك كان يقول : « إن الحجاج حلة ما بين حبي » ألا وإنه حلة وجهي كله » - البيان والنبير ١ : ١٦٠ : ٣ : ٢١ - .
[٧] يوم مائة الأصار لرسول الله صلى الله عليه وسلم مكة ، وكانوا ثلاثة وسبعين رجلاً معهم امرأتان وليس مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا عمه العباس - وهو على دين قومه - ولكنه رأى أن يحصر أمر ابن أخيه لينتق له . [٨] كان العباس ممن نعت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في غزوة حنين ، حين أهرم المسلمون أول الموقعة ، وكان أحدًا بلعام سلته . [٩] يريد أيا بكر الصديق رضى الله عنه ، وهو من تيم بن مرثد بن كعب بن لؤي . [١٠] يريد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وهو من عدى بن كعب بن لؤي .

وَجَعَلُوا الصَّدَقَاتِ، فِي الشَّهَوَاتِ، وَالْقِيَمَ، فِي اللِّذَاتِ وَالْفَنَاءِ، وَالْمَنَافِعِ، فِي الْحَارَمِ،
إِذَا ذُكِّرُوا بِاللَّهِ لَمْ يَذْكُرُوا، وَإِذَا قُدِّمُوا بِالْحَقِّ أَذْبَرُوا، فَذَلِكَ زَمَانُهُمْ، وَبِذَلِكَ
كَانَ يَعْمَلُ شَيْطَانُهُمْ^(١) . (القدِّيريد ٢ : ٣٠١)

١٥ - خطبة أبي مسلم الخراساني

وروى ابن أبي الحديد قال :

وخطب أبو مسلم بالمدينة في السنة التي حج فيها في خلافة السفاح^(٢)، فقال :
« الحمد لله الذي محمد نفسه ، واختار الإسلام ديناً لعباده ، ثم أوحى إلى محمد
رسول الله صلى الله عليه وآله من ذلك ما أوحى : واختاره من خلقه ، نفسه من
أنفسهم ، وبيته من بيوتهم ، ثم أنزل عليه في كتابه الناطق الذي حفظه بعلمه ،
وأشهد ملائكته على حقّه ، قوله : « إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ
الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً » ، ثم جعل الحق بمد محمد صلى الله عليه وآله في أهل
بيته ، فصبر من صبر منهم بمد وفاه رسول الله صلى الله عليه وآله على اللأواء^(٣)
والشدّة ، وأعطى على الاستبداد والأثرة ، ثم إن قوماً من أهل بيت الرسول
صلى الله عليه وآله ، جاهدوا على ملة نبيه وسنته بمد عصر من الزمان ، من
عمل بطاعة الشيطان ، وعداؤه الرحمن ، بين ظهرائي قوم آثروا العاجل على
الآجل ، والفاين على الباقي ، إن رُتِقَ جَوْرُ فُتِقَوْهُ ، أُوْفِقَ حَقُّ رَتَقَوْهُ ، أهلُ مُجُورٍ
وَمُلُخُورٍ ، وَطَنَائِيرٍ^(٤) وَمَزَامِيرَ ، إِنْ ذُكِّرُوا لَمْ يَذْكُرُوا ، أَوْ قُدِّمُوا إِلَى الْحَقِّ
أَذْبَرُوا ، وَجَعَلُوا الصَّدَقَاتِ ، فِي الشَّبْهَاتِ ، وَالْمَنَافِعِ ، فِي الْحَارَمِ ، وَالْقِيَمَ ، فِي

[١] مقر هذه الخطبة مروية في حطة أنى مسلم الخراساني الآتية بعدها ، ولكي آثرت إبراز الروايتين
جميعاً كما وردتا . [٢] ودعا في سنة ١٣٦ هـ . [٣] الشدة .

[٤] الطنائير : جمع طنبور كصعور ، وهو الذي تلعب به .

النبي، هكذا كان زمانهم، وبه كان يعمل سلطانهم، وزعموا أن غير آل محمد أولى بالأمر منهم، فلم يَمِ أيها الناس؟ ألكم الفضل بالصَّحابة، دون ذوى القرابة، الشركاء في النسب، والورثة في السَّلب^(١)، مع ضربهم على الدين جاهلكم، وإطعامهم في الجذب جائعكم، والله ما اخترتم من حيث اختار الله لنفسه ساعة فط، وما زلتم بعد نبيه تخارون تيمياً مرة، وعدوياً مرة، وأموياً مرة، وأسدياً^(٢) مرة، وسُفياً مرة، ومروانياً مرة، حتى جاءكم من لا تعرفون اسمه ولا بيته^(٣)، يضربكم بسيفه، فأعطيتوها عتوة، وأنتم صاغرون، ألا إن

[١] ما يسلط، والمراد وراثته في الخلافة. [٢] هو عبد الله بن الزبير بن العوام بن حويلد بن أسد. [٣] قال ابن أبي الحديد: «إني نفسه لأنه لم يكن معلوم النسب، وقد اختلف فيه أهو مولى أم عربي». وقال ابن حنبل في (وفيات الأعيان ١: ٢٨٠) في ترجمته: «أبو مسلم عبد الرحمن بن مسلم وقيل عثمان الحراساني القائم بالدعوة العاسية، وقيل هو إبراهيم بن عثمان بن يسار بن سدوس بن حودون من ولد ررحم بن الحنكل العاسي، وقد اختلف الناس في نسبه، فقيل إنه من العرب، وقيل إنه من الصم، وقيل من الأكراد، وفي ذلك يقول أبو دلالة:

أنا محرم ما هجر الله نعمة على عبده حتى يتبرها الصد
أبي دولة للنصور حاولت صبرة ألا إن أهل الدبر آثوك الكرد

وقال ابن طاطا في البحري ١٢٣: «أما نسبه فيه اختلاف كثير، فقيل: هو حر من ولد ررحم، وأنه ولد بأندلس، ونشأ بالكوفة، فحصل ما رامه الإمام بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس بعد اسمه وكناه بأبي مسلم، وثقفه وهجه، حتى كان منه ما كان.

وقيل هو عبد تنقل في الرق، حتى وصل إلى إرمهم الإمام، فلما رآه أعجبه سبته وعقله، فأتاهه من مولاه وثقفه وفهمه، وصار يرسله إلى شيعته وأصحاب دعوته بخراسان، وما زال على ذلك حتى كان من الأمر ما كان.

وأما هو فإنه لما قويت شوكته ادعى أنه ابن سليل بن عبد الله بن عباس، وكان لمد الله بن عباس حارية فوقع عليها مرة، ثم أغارها مدة، فاستنكحها هذا فوطئها، فولدت منه علماً سبته سليطاً، ثم ألصقته عبد الله بن عباس، وأمره عبد الله ولم يترقب به، ونشأ سليل، وهو أكره الخلق إلى عبد الله بن عباس، فلما مات عبد الله مارع سليل وراثته في ميراثه، وأضح ذلك بي أمرة ليعصوا من علي بن عبد الله ابن عباس، فأغاثوه وأوصوا قاضي دمشق في النامل، فقال إليه في الحكم وحكم له بالميراث، فادعى أبو مسلم حين قويت شوكته أنه من ولد سليل هذا.

ودكر أن خلكت آل النصور قال له قل قتله، وقد عدله مساوئ وقعت منه: «ترعب أنك إن سليل بن عبد الله بن الصلي! لقد ارتقيت لأمر فك مرتقي صما!».

آل محمد أئمة الهدى ، ومنازل سبيل النقي ، القادة الذادة السادة ، بنو عم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومُنَزَّل جبريل بالتنزيل ، كم قصم الله بهم من جبار طاغ ، وفاسق باغ ، شيد الله بهم الهدى ، وجلى بهم العمى ، لم يُسمع بمثل العباس ، وكيف لا تخضع له الأمم لواجب حق الحُرمة ؟ أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد أبيه ، وإحدى يديه ، وجِلْدَة بين عينيه ، أَمِينُهُ يَوْمَ الْقَبَةِ ، وَنَاصِرُهُ بِمَكَّةَ^(١) ، ورسوله إلى أهلها ، وَحَامِيهِ يَوْمَ حُتَيْنَ ، عند ملتقى الفَتَيْنِ ، لا يخالف له رُحْمَا ، ولا يعصى له حُكْمَا ، الشافع يوم نيقِ الثَّقَابِ^(٢) ، إلى رسول الله صلى الله عليه وآله في الأحزاب ، ها إن في هذا أيها الناس لَمِيزَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ .

(شرح ابن أبي الحديد م ٢ : ص ٢١٥)

١٦ - خالد بن صفوان وأخوال السفاح

روى الجاحظ قال :

كَانَ خَالِدُ بْنُ صَفْوَانَ الْأَهْمَمِيُّ مِنْ سُفَّارِ أَبِي الْعَبَّاسِ السَّفَّاحِ ، وَأَهْلُ الْمَنْزِلَةِ عِنْدَهُ ، فَفَخِرَ عَلَيْهِ نَاسٌ مِنْ بَلْخَارِثَ^(٣) ، وَأَكْثَرُوا فِي الْقَوْلِ ، فَقَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : لَمْ لَا تَتَكَلَّمُوا يَا خَالِدُ ؟ فَقَالَ : « أَخْوَالُ^(٤) أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ : « فَأَنْتُمْ أَعْمَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَعَصَبَتُهُ » قَالَ خَالِدٌ : « وَمَا عَسَى أَنْ أَقُولَ لِقَوْمٍ ، كَانُوا يَنْ نَاسِجٌ بُزْدٌ ، وَدَابِغٌ جِلْدٌ ، وَسَائِسٌ قِرْدٌ ، وَرَاكِبٌ عَرْدٌ » ، ذَلَّ عَلَيْهِمْ

[١] يشير إلى ما كان من جيش العباس وعروة أحد ، وذلك أن جيش المشركين خرج من مكة لمحاربة الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نزلوا ، قال اللديني ، وبلغ الخبر الرسول من كتاب يمت به إليه عمه العباس الذي لم يرحب بهم في هذه الحرب عتصما عما أصابه يوم بدر ، وكان مكة يكت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبار للمشركين (وقيل إنه كان قد أسلم قبل الهجرة ، وكان يمت لإسلامه) .

[٢] موضع بين مكة واللدنية . وذلك أن الناس شجع فيه يوم فتح مكة في أبي سفيان ، وفي أهل مكة مما إلى صلى الله عليه وسلم عنهم .

[٣] أطار الحرم الثاني ص ٣١٩ . [٤] كانت أم السفاح من بني الحارث ، وهي ربيعة بنت حبيد الله ابن صدقة بن عبد اللذان بن الديان الحارثي ، ولها كان يقال له ابن الحارثية » . [٥] الرد : الحار .

هَٰذِهِ^(١)، وَغَرَّقَهُمْ فَأَرَاهُ^(٢)، وَمَلَكَتْهُمْ امْرَأَةٌ^(٣) ۖ (اليان واليبين ١ : ١٨٤).

* *

وروى الحصري في زهر الآداب قال :

« دخل خالد بن صفوان على أبي المباس السفاح ، وعنده أخواله من بني الحارث ابن كعب ، فقال : ما تقول في أخوالي ؟ فقال : « هم هامة^(١) الشرف ، وعزيرين^(٢) الكرم ، وغرس الجود ، إن فيهم خصالا ما اجتمعت في غيرهم من قومهم ، لأنهم أطولهم إمّا^(٣) ، وأكرم شيئا ، وأطيبهم طعما^(٤) ، وأوفاهم ذمما ، وأبعدهم همما ، الجثرة في الحرب ، والرفد^(٥) في الجذب ، والرأس في كل خطب ، وعيرهم بمنزلة العجب^(٦) » .

فقال : وصفت أبا صفوان فأحسننت ، فزاد أخواله في الفخر ، فغضب

[١] يشير إلى حديث المدمد مع سليمان عليه السلام في قوله تعالى : « وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْفَائِضِينَ ، لَأُعَذِّبَهُ عَذَابًا تَسِيدًا أَوْ لَأَذْبَحُهُ أَوْ لَيْسَ أَتَيْتِي سُلْطَانًا مُبِينًا ، فَكَتَّ عَيْنَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ نَحِيطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ، إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ ، وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ، وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، وَزَيْنُ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . . . الآيات » .

[٢] يشير إلى ما يزعمه للزخون من أن سيل المرم الذي حرب اليمن كان منه قرص الجرد لحد ما رب - اطر الجزء الأول من ٣٤٣ . [٣] هي بلفظ (بالكسر) ملكة ساء .

[٤] الهامة : رأس كل شيء . [٥] الرعين : الألف ، أو ما صل من عطيه ، ومن كل شيء أوله .

[٦] في الأصل « أمما » وأراه عرما ، وصوابه « لمما » والهم جمع لة بالكسر ، وهي الشمر الخادر

شجرة الأذن . [٧] الطعم : الطعام . [٨] الرد : العطاء والصلة . [٩] اللعب : أصل

الدب ، ومؤخر كل شيء .

أبو العباس لأعمامه ، فقال : افخر يا خالد على أحوال أمير المؤمنين ، قال : وأنت من أعمامه ، قال :

« كيف أفاخر قوماً بين ناسج بُرْد ، وسائس قِرْد ، ودابغ جِلْد ، وراكب عَرْد ، دلّ عليهم هُدهد ، وغرقهم جُرْد ، وملكتهم امرأة ؟ » ، فأشرق وجه أبي العباس . (زهر الآداب ٣ : ١٣٠ ، ٣٤٦)

١٧ - خالد بن صفوان ورجل من بني عبد الدار

وفاخر خالد بن صفوان رجلاً من بني عبد الدار الذين يسكنون البصرة ، فقال له العبدري : من أنت ؟ قال : أنا خالد بن صفوان بن الأهمم ، فقال له العبدري : أنت خالد « كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ »^(١) ، وأنت ابن صفوان ، وقال الله تعالى : « كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ »^(٢) ، وأنت ابن الأهمم ، والصحيح خير من الأهمم^(٣) ، فقال له خالد بن صفوان : يا أخا بني عبد الدار ، أتتكلم ؟ وقد هَشَمَتَكَ هاشم ، وأمتك^(٤) بنو أمية ، وخزمتك بنو مخزوم ، وجهجتك بنو جحج^(٥) ؟ فأنت عبد دارهم^(٦) فتفتح إذا دخلوا ، وتُغْلِقُ إذا خرجوا ، فقام العبدري محمواً . (أمال السبد للرتضى ١ : ٢١٥ ، والبيان والنتيب ١ : ١٨٢)

[١] وتعلم الآية الكرعة : « وَسُقُوا مَاءً حَمِيماً قَطَطَ أَمْعَاءَهُمْ » .

[٢] صفوان جمع صواعة : وهي الحمر الصلد المصنم كالصواء والصعاة ، والآية الكرعة : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَطْلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ، فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ ، فَأَصَابُهُ وَابِلٌ ، فَفَرَكُهُ صَلْدًا ، لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ عَمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ » .

[٣] هم كعرج : اسكرت نباه من أصولها فهو أهمم . [٤] فذلك . [٥] انظر الجزء الثاني ص ٩٠ . [٦] وكانت الحجابة في بني عبد الدار ، انظر الجزء الثاني ص ٩٠ أصلاً .

١٨ - خالد بن صفوان يرثى صديقه له

وقال الجاحظ : قيل لرجل - أراه خالد بن صفوان ^(١) - مات صديق لك ، فقال :
« رحمة الله عليه ، لقد كان يملأ العين جمالا ، والأذن بيانا ، ولقد كان يُرَجَى
فلا يُخَشَى ، ويُعْشَى فلا يُغَشَى ، ويُعطَى فلا يُمطَى ، فليلاً لَدَى الشرِّ حضورُهُ ،
سليماً للصديق ضميرُهُ » . (البيان والتبيين ٣ : ٢٣١ ، والأمال ٢ : ١٧٤)

١٩ - خالد بن صفوان يمدح رجلا

وذكر خالد رجلا ، فقال :
« كان والله بديع المنطق ، ذَلِقَ ^(٢) الجرأة ، جَزَلَ الألفاظ ، عربى اللسان ،
ثابت المقدّة ، رقيق الحواشي ، خفيف الشفتين ، بليل الريق ، رَحِبَ الشرف ،
قليل الحركات ، خفيّ الإشارات ، حُلُوَ الشمال ، حَسَنَ الطلاوة ^(٣) ، حَيِّياً جَرِيئاً ،
قَتُولاً صَمُوتاً ، يَفْلُ الحَزَّ ^(٤) ، وَيُصِيبُ المفاصل ، لم يكن بالمعذر ^(٥) في منطقة ،
ولا بالزمن ^(٦) في مُرُوءته ، ولا بالخرق ^(٧) في خليقته ، متبوعاً غير تابع ،
: كأنه عَلم في رأسه نار : » . (رمر الآداب ٣ : ١٦٧)

٢٠ - كلمات بليغة لخالد بن صفوان

وقال خالد بن صفوان لبعض الولّاء : « قَدِمْتَ فَأَعْطَيْتَ كُلَّاهُ بِقِسْطِهِ

[١] ورواية القائل : من الأصمعي قال خالد بن صفوان لعتق بن يدي : رحم الله أمك . . . الخ .
[٢] مأخوذ من « سيف ذلق » أى سهل الخروح من عنده ، ويقال : اندلق السيل أى اندفع ،
واندلق السيف : أى شق حمة خروح منه . [٣] الطلاوة مثناة : الضول . [٤] الحر : القطع .
[٥] عذر في الأمر تمديداً ، إذا قصر ولم يجتهد . [٦] أى اللبيب ، والرماء كسحابة : الداهية ،
ومن كعرج فهو رمس وزمير . [٨] الحرق الذي لا يحبس السبل والتصرف في الأمور .

من وَجْهك وكرامتك ^(١) ، حتى كأنك من كلِّ أحد ، وحتى كأنك لست من أحد . (الأمال : ١ : ٢١٦ ، وزهر الآداب : ٣ : ٣٤٧ ، ١٦٧)

وقال شبيب بن شيبَةَ لخالد بن صفوان : « مَنْ أَحَبَّ إِخْوَانَكَ إِلَيْكَ ؟ »
قال : « مَنْ سَدَّ خَلْطِي ، وَغَفَرَ زَلَّتِي ، وَقِيلَ عَلَيَّ » . (الأمال : ١ : ١٩٨)
وذكر شبيب عنده مرة ، فقال : « ليس له صديق في السر ، ولا عدوٌّ في العلانية » . قال الجاحظ : « وهذا كلام ليس يعرف قدره إلا الراسخون في هذه الصناعة » . (البيان والبيان : ١ : ١٨٤ ، وزهر الآداب : ٣ : ٢٠٩)

وقال خالد : « ما الإنسان ، لولا اللسان ، إلا صورةٌ ممثلةٌ ، أو بهيمةٌ ممهمةٌ » ،
وقال : « اتَّقُوا مَجَانِيْقَ ^(٢) الضُّعْفَاءِ » يريد الدعاء (البيان والبيان : ١ : ١٩٠)
وذكر المزاح بحضرة خالد بن صفوان ، فقال : « يُنْشِقُّ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ مِثْلَ الْحَرْدَلِ ، وَيَقْرِغُ عَلَيْهِ مِثْلَ الْمَرْجَلِ ، وَيَرْمِيهِ بِمِثْلِ الْجَنْدَلِ ، ثُمَّ يَقُولُ : إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ ! » . (زهر الآداب : ٢ : ٨٥)

٢١ - عمارة بن حمزة والسفاح

وقال عمارة بن حمزة لأبي العباس السفاح - وقد أمر له بجوازٍ نفيسة وكسوة وصيلة ، وأذن مجلسه :
« وَصَلَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَبَرَّكَ ، فَوَاللَّهِ لَأَنْ أَرَدْنَا شُكْرَكَ عَلَى كُنْهِ ^(٣) صِلَتِكَ ، إِنْ الشُّكْرُ لَيَقْصُرُ عَنْ نِعْمَتِكَ ، كَمَا قَصُرْنَا عَنْ مِزَانَتِكَ ، ثُمَّ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى جَعَلَ لَكَ فَضْلاً عَلَيْنَا ، بِالثَّقِيرِ مِنَّا ، وَلَمْ تَحْرِمْنا الزِّيَادَةَ مِنْكَ لِنَقْصِ ^(٤) شُكْرَنَا » .
(زهر الآداب : ٣ : ٣٤٦)

[١] وفي رواية زهر الآداب : « من طرك ومجلىك في صورك وعدلك » .

[٢] جمع مستحق بفتح اللام وكسرهما : آلة ترمى بها المحاربة . [٣] كه الشيء : حقيقه .

[٤] في الأصل : « احسن » وأراه محرفاً .

خطب أبي جعفر المنصور (توفي سنة ١٥٨ هـ)

٢٢ - خطبته بمكة

خطب أبو جعفر المنصور بمكة ، فقال :

« أيها الناس : إنما أنا سلطان الله في أرضه ، أسوسكم بتوفيقه ، وتسديده وتأيده ، وحارثه على ماله ، أعمل فيه بمشيئته وإرادته ، وأعطيه بإذنه ، فقد جعلني الله عليه قفلاً ، إن شاء أن يفتحني فتحنى لأعطائكم ، وقسم أرزاقكم ، فإن شاء أن يقفلني عليها أقفلني ، فارعبوا إلى الله وسأله في هذا اليوم الشريف الذي وهب لكم من فضله ما أعامكم به إذ يقول : «الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ، وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي ، وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا» أن يوفقني للرشاد والصواب ، وأن يلهمني الرأفة بكم والإحسان إليكم ، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم . »

(العقد الجديد ٢ : ١٤٥ ، وعيون الأحبار ٢ : ص ٢٥١ ، تاريخ الطبري ٩ : ٣١٠)

٢٣ - خطبته بمكة بعد بناء بغداد

وحج بعد بناء بغداد ، فقام خطيباً بمكة ، فكان مما حفظ من كلامه ^(١) :

« وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ ^(٢) مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ، أمرٌ مبَرَمٌ ، وَقَوْلٌ عَدْلٌ ، وَقَضَاءٌ فَصْلٌ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفْلَحَ ^(٣) حُجَّتُهُ ، وَبُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ، الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكَعْبَةَ غَرَضًا ، وَالْفِءَ إِرْثًا ، وَجَعَلُوا

[١] عرا صاحب العقد هذه الخطة إلى سليمان بن علي (اطر ح ٢ ص ١٤٥) ، وكذا صاحب مواسم الأدب (اطر ح ٢ ص ١١٥) . [٢] قيل للراد نال نور حسن الكتب الملة ، والله أكبر اللوح المخطوط . [٣] صر .

الْقُرْآنَ عِضِينَ^(١) ، لَقَدْ حَقَّ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ، فكم ترى من بُرٍّ مُعْطَلَةٍ^(٢) ، وَقَصْرِ مَشِيدٍ ، أمهلهم الله حتى بدلوا السنَّةَ ، واضطهدوا العِترَةَ^(٣) ، وَعَتَدُوا^(٤) وَاَعْتَدُوا وَاسْتَكْبَرُوا ، وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ، ثم أخذهم فهل تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا؟^(٥) .

(تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢)

٢٤ - خطبته بمدينة السلام

وخطب بمدينة السلام « بغداد » ، فقال :

« يا عباد الله ، لا تظالموا ، فإنها مظالم يوم القيامة ، والله لولا يدُ خاطئة ، وظلم ظالم ، لمَشَيْتُ بين أظهركم في أسواقكم ، ولوعِلْتُ مكانَ من هو أحقُّ بهذا الأمر مني لأُتَيْتُهُ حتى أدفعهُ إِلَيْهِ » . (تاريخ الطبري ٩ : ٢١٠)

٢٥ - خطبته وقد أخذ عبد الله بن حسن وأهل بيته

ولما أخذ عبد الله بن حسن^(١) وإخوته ، والنفر الذين كانوا معه من أهل بيته ، صعد المنبر ، حمد الله ، وأثنى عليه ، ثم صلى على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

[١] النص : المرقطة والجمع عصون ، وحمل للفركون القرآن عصي أي فرقا : فرقوا فيه القول ، فخلوه كلها وسجرا وكهانة وشعرا ، هم قد (عصوه) بالنشيد أعضاء ، أي حرّوه أجزاء ، وهو يريد هنا الأمويين يشير إلى أنهم عطلوا سنن أوصاء القرآن بما أتوه من الأعمال ، من روى الكسبة ، واضطهاد أهل البيت الخ . [٢] متروكة لا يستقي منها هلاك أهلها ، ومشيد : مروع ، أو مطلي بالقيد (بالكر) وهو ما طلى به الحائط من حص ونحوه ، أي معطل خال من ساكنيه أيضا .

[٣] العرة : نمل الرجل ورملته وعشيرة الأذنون . [٤] عبد (مثل اللون) عن الطريق : مال . [٥] الصوت الخبي . [٦] هو عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وقد حله المصور هو وأهل بيته ، من المدينة إلى الرقاق سنة ١٤٤ هـ ، وأقام في عيايات السجون حتى ماتوا بسجن الكوفة ، وكان يتجوز أن يماله على الخلافة محمد بن عبد الله هذا (وهو محمد اللقب بالسن الركية) وقد خرج على المدينة فوجه المصور جيشا لقتاله فقتل سنة ١٤٥ هـ ، وحرّح أخوه إبراهيم على المصور بالصرة فقتل أيضا في هذه السنة .

« يا أهل خُرَّاسان : أنتم شِيعتنا وأنصارنا ، وأهل دولتنا ، ولوا بایعتم غیرنا لم تبايعوا مِن هو خير مِننا ، وإن أهل بيتی هؤلاء من ولد علی بن أبی طالب ، ترکناهم وألَّهَ الذی لا إله إلا هو والخلافة ، فلم نعرِضْ لهم فيها بقليل ولا كثير ، فقام فيها علی بن أبی طالب ، فتلطَّح ، وحکمَ علیہ الحکیمین ، فافترقت عنه الأمة ، واختلقت علیہ الكلمة ، ثم وثبت علیہ شِيعته وأنصاره وأصحابه ، وبطاته وثقاته وقتلوه ، ثم قام من بعده الحسن بن علی ، فوالله ما كان فيها برجل ، قد عرضت علیہ الأموال فقبِلها ، فدرسَ إلیه معاوية : إني أجمع لك ولیَّ عهدي من بعدی ، فخدعه فانسَلخ له مما كان فيه ، وسلمه إلیه ، فأقبل علی النساء یتزوج فی كل يوم واحدة فیطْلَقُها غداً ، فلم یزل علی ذلك حتی مات علی فراشه ، ثم قام من بعده الحسين بن علی ، فخدعه أهل العراق وأهل الکوفة ، أهل الشقاق والنفاق ، والإِعراف فی الفتن ، أهل هذه المدرة السوداء - وأشار إلی الکوفة - فوالله ما هی بحَرْبٍ فأحارَ بها ولا سِلمَ فأساءَ لَها ، فرَّقَ اللهُ بَینَی وبينها ، فخذَلوه وأسلموه حتی قتل ، ثم قام من بعده زید بن علی ، فخدعه أهل الکوفة وغرَّوه ، فلما أخرجوه ^(١) وأظهروه أساءوه ، وقد كان أنى محمد بن علی ^(٢) ، فناشده فی الخروج ، وسأله ألاَّ یقبل أقاویل أهل الکوفة ، وقال له : إنا نجد فی بعض علمنا أن بعض أهل بیتنا یُصلَب بالکوفة ، وأنا أخاف أن تكون ذلك المصلوب ، وناشده حمی داود بن علی ، وحذَّره عَدَرَ أهل الکوفة ، فلم یقبل وتمَّ ^(٣) علی خروجه ، ففُتِل وصلب بالکناسة ^(٤) ، ثم وثب علینا بنو أمیة ، فأماواتوا شرفنا ،

[١] وقد خرج فی خلافة هشام بن عبد الملك ، فقاتله یوسف بن عمر النخعی والی العراق ، وقُتل وصلب

سنة ١٢١ هـ . [٢] یرید أباه محمد بن علی بن عبد الله بن علی .

[٣] تم علی الأمر : استمر علیہ . [٤] موضع بقرت الکوفة .

وأذهبوا عزنا ، والله ما كانت لهم عندنا تِرة^(١) يطلبونها ، وما كَانَ ذلك كله إلا فيهم ، وبسبب خروجهم عليهم ، فتَقَوْنَا من البلاد ، فصِرْنَا مرة بالطائف . ومرة بالشَّام ، ومرة بالشَّرة^(٢) ، حتى ابْتِغَمَكُمُ اللهُ لَنَا شِيعَةً وَأَنْصَارًا ، فَأَحْيَا شَرْفَنَا وَعِزَّنَا بِكُمْ أَهْلَ خِرَاسَانَ ، وَدَمَعَ بِحُكْمِ أَهْلِ الْبَاطِلِ ، وَأَظْهَرَ حَقَّنَا ، وَأَصَارَ إِلَيْنَا مِيرَاتِنَا عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ ، فَقَرَأَ الْحَقُّ مَقَرَّهُ ، وَأَظْهَرَ مَنَارَهُ ، وَأَعَزَّ أَنْصَارَهُ ، وَقُطِّعَ دَابِرُ الْقَوْمِ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، فَمَا اسْتَقَرَّتْ الْأُمُورُ فِينَا عَلَى قَرَارِهَا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ فِيهَا ، وَحُكْمِهِ الْعَادِلِ لَنَا ، وَثَبُّوا عَلَيْنَا ظُلْمًا وَحَسَدًا مِنْهُمْ لَنَا ، وَبَنِيَا لِمَا فَضَّلَنَا اللهُ بِهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَكْرَمَنَا بِهِ مِنْ خِلَافَتِهِ ، وَمِيرَاتِنِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

جَهْلًا عَلَى وَجْهِنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَ اخِلَتَانِ الْجَهْلُ وَالْخُبْنُ

فإني والله يا أهل خراسان ما أتيتُ من هذا الأمر ما أتيتُ بجهالة ، بلغني عنهم بعض السَّقَمِ والتَّعَرُّمِ^(٣) ، وقد دَسَسْتُ لَهُمْ رَجَالًا ، فَقُلْتُ : قم يا فلان ، قم يا فلان ، نخذ معك من المال كذا ، وحدِّثْ لَهُمْ مِثَالًا يَمْلِكُونَ عَلَيْهِ ، فخرجوا حتى أتوهم بالمدينة ، فدَسَّوْا إِلَيْهِمْ تِلْكَ الْأَمْوَالُ ، فوالله ما بقي منهم شيخ ولا شاب ، ولا صغير ولا كبير ، إلا بايهم بيعة استحلت بها دماءهم وأموالهم ، وحلَّتْ لِي عِنْدَ ذَلِكَ بِنَقْضِهِمْ بَيْعَتِي ، وَطَلَبِهِمُ الْفِتْنَةَ ، وَالتَّمَارِهِمُ الْخُرُوجَ عَلَيَّ ، فَلَا يَرَوْنَ أَنِّي أَتَيْتُ ذَلِكَ عَلَى غَيْرِ يَقِينٍ » ثُمَّ نَزَلَ وَهُوَ يَتَلَوُّ عَلَى دَرَجِ الْمَنَبْرِ هَذِهِ الْآيَةَ

[١] تَار . [٢] موضع بين دمشق والمدينة (الكرك الآن) .

[٣] الْأَصْلُ بِهِ : تَعَرُّمُهُ : تَمَرُّقُهُ وَنَزْعُهُ مَا عَلَيْهِ مِنَ الْقَهْمِ .

« وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِنْ قَبْلُ ، إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ » . (تاريخ الطبري ٩ : ٣١٢ ، ومروج الذهب ٢ : ٢٤١)

٢٦ - خطبته حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن ولما خرج محمد وإبراهيم ابنا عبد الله ، شنَّ^(١) المنصور عليه درعه ، وتقلد سيفه ، وصعد المنبر ، فحمد الله ، وأثنى عليه ثم قال :

« مَا لِي أَكْفِكَ عَنْ سَعْدٍ وَتَشْتُمِي ؟ وَلَوْ شِئْتُ بَنِي سَعْدٍ لَقَدْ سَكَنُوا جَهْلًا عَلَيْنَا وَجَبْنَا عَنْ عَدُوِّهِمْ لَبِئْسَتْ ائْتِلَافُ الْجَهْلِ وَالْجُبْنِ أَمَّا وَاللَّهِ لَقَدْ عَجَزُوا عَمَّا قَنَّا بِهِ ، فَا عَصَدُوا الْكَافِي ، وَمَا شَكَرُوا الْمُنْعِمَ ، فَإِذَا حَاولُوا أَشْرَبَ رَنْقًا عَلَى غَصَصٍ ، وَأَيَّبْتُ مِنْهُمْ عَلَى مَضَضٍ ، كَلَّا وَاللَّهِ لَا أَصِلُ ذَا رَحِمٍ حَاولَ قَطِيعَتِهَا ، وَلَئِنْ لَمْ يَرْضَ بِالْعَفْوِ لِيُطَلِّبَنَّ مَا لَمْ يَوْجِدْ عِنْدِي ، فَلْيُثْبِتْ ذُو نَفْسٍ عَلَى نَفْسِهِ ، فَبَلْ أَنْ تَغْضَى ، فَلَا يُبْكِي عَلَيْهِ » . (مواسم الأدب ٢ : ١١٦)

٢٧ - خطبته وقد قتل أبا مسلم الخراساني

وخطب بالمدائن عند قتل أبي مسلم الخراساني^(٢) ، فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ ! لَا تَخْرُجُوا مِنْ أُنْسِ الطَّاعَةِ إِلَى وَخْشَةِ الْمَعْصِيَةِ ، وَلَا تُثْمِرُوا غَشَّ الْأَثَمَةِ ، فَإِنَّهُ لَمْ يُسِرَّ أَحَدٌ قَطُّ مَنَكْرَةً إِلَّا ظَهَرَتْ فِي آثَارِيدهِ ، وَفَلَّتَاتِ لِسَانِهِ ، وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَأَبْدَاهَا اللَّهُ لِإِمَامِهِ ، بِإِعْزَازِ دِينِهِ ، وَإِعْلَافِ حَقِّهِ ، إِنْ

[١] شنَّ عليه درعه : صعد بها . [٢] قل أبو مسلم سنة ١٣٧ هـ ، وذلك أن المنصور كان قد أرسله لحرب معه مريد الله بن عليّ - وكان ود حرج عليه بالشأم كما سيأتي - فلما طهر أبو مسلم ، وعزم جميع ما كان في عسكر عدو الله ، وانزعم عداقه إلى الصرة ، أرسل المنصور بعض خدمه للمعاط على ما في العسكر من الأموال ، نصب أبو مسلم ، وقال : أبين على السماء ، حاشي في الأموال ! وشم المنصور ، وعزم على الخلاف ، وأن يوحه إلى خراسان ، فعمل للمنصور يطلب به حتى استقدمه إليه وقتله .

لَنْ نَبْخَسَكُمْ حَقَّوَكُمْ ، وَلَنْ نَبْخَسَ الدِّينَ حَقَّهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّهُ مِنْ نَارَ عَنَّا عُرْوَةً
هَذَا الْقَمِيسِ أَجْزَرَنَا حَيَّ هَذَا الْغَيْدُ ، وَإِنْ أَبَا سَلَّمَ بَايَعْنَا وَبَايَعَ النَّاسَ لَنَا ، عَلَى
أَنَّهُ مِنْ نَكْتٍ بِنَا فَقَدْ أَبَا حِمْيَرٌ ، ثُمَّ نَكْتُ بِنَا ، فَحَكَمْنَا عَلَيْهِ لِأَنفُسِنَا حُكْمَهُ
عَلَى غَيْرِهِ لَنَا ، وَلَمْ تَعْنُنَا رِعَايَةُ الْحَقِّ لَهُ ، مِنْ إِقَامَةِ الْحَقِّ عَلَيْهِ .

(تاريخ الطبري ٩ : ٣١٣ ، ومعجم الأمتل ١ : ٣١٨ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠)

٢٨ - خطبة أخرى

وخطب فقال :

« أَيُّهَا النَّاسُ ، لَا تَنْفَرُوا أَطْرَافَ النِّعَةِ بِقَلَّةِ الشُّكْرِ ، فَتَحُلَّ بِكُمْ النُّقْمَةُ ،
وَلَا تَسْتُرُوا غِشَّ الْأَعْنَةِ ، فَإِنْ أَحَدًا لَا يَسْتَرُ مُنْكَرًا إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ ،
وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ ، وَطَوَالِ نَظَرِهِ ، وَإِنَّا لَا نَجْهَلُ حَقَّوَكُمْ مَاعَرَفْتُمْ حَقًّا ، وَلَا تَنْسَى
الْإِحْسَانَ إِلَيْكُمْ مَا ذَكَرْتُمْ فَضْلَنَا ، وَمِنْ نَارَ عَنَّا هَذَا الْقَمِيسُ أَوْطَانًا أَمْ رَأْسِهِ
خَبْءٌ ^(١) هَذَا الْغَيْدُ ، وَالسَّلَامُ » . (مواسم الأدب ٢ : ١٢٠)

٢٩ - قوله وقد قوطع في خطبته

وخطب يوم جمعة ، فقال :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ أَحْمَدُهُ ، وَأُسْتَمِينَتُهُ ، وَأَوْمَنَ بِهِ ، وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ
إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ : أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ ، فَقَالَ :
أَذْكُرُكَ مِنْ ذَكَرْتَنِي بِهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَطَعَ الْخُطْبَةَ ، ثُمَّ قَالَ : « مِمَّا سَمِعْنَا
لِمَنْ فَهِمَ عَنِ اللَّهِ ، وَذَكَرْ بِهِ ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ جَبَّارًا عَنِيدًا ، وَأَنْ تَأْخُذَنِي
الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ ، لَقَدْ صَلَّيْتُ إِذْنًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ، وَأَتَى أَيُّهَا الْقَاتِلُ ، فَوَإِلَّهِ

ما أردت بها وجه الله، ولكنك حاولت أن يقال : قام فقال ، فمُؤَبَّ فصبَّر ،
وأهَوْنُ بها ! وإيَّاكَ لو همتُ ^(١) ! فاهْتَبِلْهَا ^(٢) ! إذ غفرتُ ، وإيَّاكَ وإيَّاكم معشَرَ
الناس أختبأ ، فإن الحكمة علينا نزلت ، ومن عندنا فصلت ، فردوا الأمر إلى
أهله ، تُوردوه موارِدَه ، وتُصدِّروه مصادِرَه » ثم عاد في خطبته ، فكانه
يقرؤها من كفه ، فقال ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله

(تاريخ الطبري ٩ : ٣١١ ، والقد الفريد ٢ : ١٤٥ ، وحيون الأخبار ٢ : ص ٢٣٦ ،
والكامل لابن الأثير ٦ : ١٢ ، وصبح الأعشى ١ : ٢٦٢)

٣٠ - المنصور يصف خلفاء بني أمية

واجتمع عند المنصور أيام خلافته جماعة من ولد أبيه ، منهم عيسى بن موسى
والعباس بن محمد وغيرهما ، فذاكروا خلفاء بني أمية ، والسبب الذي به سلبوا
عزهم ، فقال المنصور :

« كَانَ عبد الملك جَبَّارًا لَا يُبَالِي مَا صَنَعَ ، وَكَانَ الوليد لَحْنًا مَجْنُونًا ، وَكَانَ
سليمان هِمَّتُهُ بَطْنُهُ وَقَرْجُهُ ، وَكَانَ عمر أَعْوَرَ يَنْ عُمَيَّانَ ، وَكَانَ هشام رَجُلَ
القوم ، وَلَمْ يَزَلْ بنو أمية ضَابِطِينَ لِمَا مُهَّدَ لَهُمْ مِنَ السُّلْطَانِ ، يَحُوطُونَهُ وَيَصُونُونَهُ
وَيَحْفَظُونَهُ ، وَيَحْرُسُونَ مَا وَهَبَ اللَّهُ لَهُمْ مِنْهُ ، مَعَ تَسْنِئِهِمْ مَعَالِيَ الْأُمُورِ ،
وَرَفْضِهِمْ أَدَانِيَّهَا ، حَتَّى أَقْضَى أَمْرُهُمْ إِلَى أَحْدَاثٍ مُتَرَفِّينَ مِنْ أَبْنَائِهِمْ ، فَنَعِيطُوا ^(٣)
النِّعْمَةَ ، وَلَمْ يَتَسَكَّرُوا الْعَافِيَةَ ، وَأَسَاءُوا الرَّعَايَةَ ، فَابْتَدَأَتِ النِّعْمَةُ مِنْهُمْ ، بِاسْتِدْرَاجِ
اللَّهِ إِيَّاهُمْ ، آمَنِينَ مَكْرَهُ ، مُطَّرِحِينَ صِيَانَةَ الْخِلَافَةِ ، مُسْتَخَفِّينَ بِحَقِّ الرِّيَاسَةِ ،
ضَعِيفِينَ عَنِ رُسُومِ السِّيَاسَةِ ، فَسَلَبَهُمُ اللَّهُ الْعِزَّةَ ، وَأَلْبَسَهُمُ الذُّلَّ ، وَأَزَالَ عَنْهُمْ النِّعْمَةَ .
(شرح ابن أبي الحديد ١ : ص ٢١٥)

[١] أي لو همت بمقاتلتها . [٢] عطف النعمة : نظرها وحقها .

٣١ - المنصور يصف عبد الرحمن الداخل

وقال المنصور يوماً لأصحابه : أخبروني عن صقر قريش ، مَنْ هو ؟ قالوا :
أمير المؤمنين ، الذي راض^(١) الملك ، وسكن الزلازل ، وحسم الأدواء ، وأباد
الأعداء ، قال : ما صنعتُم شيئاً ، قالوا : فعاوية ، قال : ولا هذا ، قالوا : فعبد الملك
ابن مروان ، قال : ولا هذا ، قالوا : فن يا أمير المؤمنين ؟ قال : عبد الرحمن بن
معاوية^(٢) ، الذي عَبَرَ البحر ، وقطع القفر ، ودخل بلدًا أعجميًا مُفْرَدًا ، فصَرَّ
الأمصار ، وَجَنَّدَ الأجناد ، ودوّن الدواوين ، وأقام مُلكًا بعد انقطاعه ، بحسن
تدييره ، وشدة شكيبته ، إن معاوية نهض بِمَرْكَبٍ سَمَلَهُ عَلَيْهِ عُمَرُ وَعُثْمَانُ ،
وذللًا لَهُ صَبَبَهُ ، وعبد الملك بِبَيْعَةٍ تَقْدِّمُ لَهُ عَقْدُهَا ، وأمير المؤمنين يَطْلُبُ غيره
واجتماع شيعته ، وعبد الرحمن منفرد بنفسه ، مُؤَيَّدٌ بِرَأْيِهِ ، مستصحب لعزمه .
(القند الفريد ٢ : ٣٠٢)

وصايا المنصور لابنه المهدي

٣٢ - وصية له

قال المنصور لابنه المهدي : « يَا بُنَيَّ لَا تُبْرِمَ أَمْرًا حَتَّى تَتَكَّرَفِيهِ ، فَإِنْ
فَكَرَهُ الْعَاقِلُ مِرَاتَهُ ، تُرِيهِ حَسَنَاتِهِ وَسَيِّئَاتِهِ ، واعلم أَنَّ الْخَلِيقَةَ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا
التَّقْوَى ، وَالسُّلْطَانُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الطَّاعَةُ ، وَالرَّعِيَّةُ لَا يُصْلِحُهَا إِلَّا الْعَدْلُ ، وَأَوَّلَى
النَّاسِ بِالْمَقْوَدِ أَعْدَرُهُمْ عَلَى الْعَقُوبَةِ ، وَأَقْصَى النَّاسِ عَقْلًا مَنْ ظَلَمَ مِنْ هُوَ دُونَهُ .
(نهاية الأرب ٦ : ٤١ ، والقند المرید ١ : ١٤)

[١] دال . [٢] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المعروف بالداخل

مؤسس دولة بني أمية بالأندلس وسبأني .

٣٣ - وصية أخرى له

وصاه فقال له : «إني لم أدع شيئاً إلا قد تقدمت إليك فيه ، وسأوصيك
 بخصال والله ما أظنك تفعل واحدة منها - وكان له سَفَطٌ فيه دَفَاتِرُ علمه ، وعليه
 قُلٌّ لا يأمن على فتحه ومفتاحه أحداً ، يَصُرُّ مفتاحه في كُمِّ قَبِيصِهِ - فقال
 للمهدي : انظر هذا السفط فاحفظْ به ، فإن فيه علم آباءك ما كان وما هو كائن
 إلى يوم القيامة ، فإن أحرزتك أمرٌ فانظر في الدِّقْرِ الأكبر ، فإن أصبت فيه ما تريد ،
 وإلا فالثاني والثالث حتى يبلغ سبعة ، فإن ثقل عليك فالكرُاسة الصغيرة ، فإنك
 واجدٌ فيها ما تريد ، وما أظنك تفعل ، وانظر هذه المدينة فإنك أن تستبدل بها ،
 فإنها بينك وعزك ، قد جمعتُ لك فيها من الأموال ، ما إن كُسر عليك الخراج
 عشرين سنين ، كان عندك كفايةٌ لأرزاق الجنود والنفقات ، وعطاء الذرية ، ومصلحة
 الثمور ، فاحفظْ بها فإنك لا تزال عزيزاً ما دام بيت مالك حامراً ، وما أظنك
 تفعل ، وأوصيك بأهل بيتك ، أن تُظهر كرامتهم وتُقدمهم ، وتُكثر الإحسان
 إليهم ، وتعظم أمرهم ، وتُوطي الناس أعقابهم ، وتوليهم المنابر ، فإن عزك عزهم ،
 وذكرم لك ، وما أظنك تفعل ، وانظر مَوَالِيكَ فأحسن إليهم ، وقربهم ،
 واستكثر منهم ، فإنهم مادتك لشدة إن نزلت بك ، وما أظنك تفعل ،
 وأوصيك بأهل خراسان خيراً ، فإنهم أنصارك وشيعتك الذين يذَلُّوا أموالهم في
 دولتك ، وديارهم دونك ، ومن لا تُخرج محبتك من لوهمهم ، أن تُحسن إليهم ،
 وتجاوز عن مُسيئتهم ، وتكافئهم على ما كان منهم ، وتخلف من مات منهم في
 أهله وولده ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تبني مدينة الشرقية ، فإنك لا تُثم
 بناءها ، وما أظنك تفعل ، وإياك أن تستعين برجل من بني سليم ، وأظنك

ستفعل ، وإياك أن تُدْخِلَ النساءَ في مَشُورَتِكَ في أمرك ، وأُظْهِرَكَ ستفعل .
(تأويل الطبري ٩ : ٣١٩)

٣٤ - وصية أخرى له

ووصى المهدي أيضاً ، فقال : « اتق الله فيما أعهد إليك من أمور المسلمين
بعدي ، يجعل لك فيما كَرَبَكَ وَحَرَنَكَ مَخْرَجاً ، وَيَرْزُقَكَ السَّلامَةَ وحسن
العاقبة من حيث لا تحسب ، احفظ يا بنى محمداً صلى الله عليه وسلم في أمته ،
يحفظ الله عليك أمورك ، وإياك والدم الحرام ، فإنه حُوب ^(١) عند الله عظيم ،
وعار في الدنيا لازم مقيم ، والزم الحلال ، فإن فيه ثوابك في الآجل ، وصلاحك
في العاجل ، وأقم الحدود ، ولا تَعْتَدِ فيها قُبُورَ ^(٢) ، فإن الله لو علم أن شيئاً
أصلح لدينه ، وأزجرَ عَنْ معاصيه من الحدود ، لأمرَ به في كتابه ، واعلم أنه من
شدة غضب الله لسلطانه أمر في كتابه بتضخيف العذاب والعقاب على من سعى
في الأرض فساداً ، مع ما دَحَرَ له عنده من العذاب العظيم ، فقال : « إِنَّمَا
جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ
يُصَلَّبُوا ، أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ ، أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ،
ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا ، وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ » ، فالسلطان
يا بنى حَبْلِ اللَّهِ المتين ، وعزَّوْته الوثيق ، ودين الله القيم ، فاحفظه وحُطَّه ، وحصَّنه
وذُبْ عنه ، وأوقع بالمُجِدِّين فيه ، واقمع المارقين منه ، واقتل الخارجين عنه
بالعقاب لهم ، والمَثَلَاتِ ^(٣) بهم ، ولا تجاوز ما أمر الله به في مُحْكَم القرآن ،
واحكم بالعدل ولا تُشْطِطْ ، فإن ذلك أقطع للشغب ، وأحسم للعدو ، وأنجع في

الدواء ، وَعَفَّ عَنْ الْقِيءِ ، فليس بك إليه حاجة مع ما أخلفه لك ، وافتتح عمك بصلة الرِّحِمِ وبرِّ القرابة ، وإياك وَالْأَثَرَةَ ، والتبذير لأموال الرعية ، وَاشْحَنَ ^(١) الثنور ، وَاضْبَطَ الأطراف ، وَأَمَّنَ السُّبُلَ ، وَخَصَّ الواسطة ^(٢) ، وَوَسَّعَ المعاش ، وَسَكَنَ العامة ، وَأَدْخَلَ المرافق عليهم ، وَأَصْرَفَ المكاره عنهم ، وَأَعَدَّ الأموال واخزنها ، وإياك والتبذير ، فَإِنَّ النَوَائِبَ عِير مَأْمُونَةٌ ، والحوادث غير مضمونة ، وهى من شَيْمِ الزمان ، وَأَعَدَّ الرجال والكُرَاعَ ^(٣) والجند ما استطعت ، وإياك وتأخيرَ عمل اليوم إلى غد ، فَتَتَذَكَّرُ عَلَيْكَ الْأُمُورُ وَتَضَيِّعُ ، جُدَّ فِي إِحْكَامِ الْأُمُورِ النازلات لأوقاتها أَوْ لَا فَأَوْلا ، وَاجْتَهِدْ وَشَمِّرْ فِيهَا ، وَأَعْدِدْ رَجَالًا بِاللَّيْلِ لمعرفة ما يكون بالنهار ، وَرَجَالًا بِالنَّهَارِ لمعرفة ما يكون بالليل ، وَابْشُرِ الْأُمُورَ بِنَفْسِكَ وَلَا تَضَجَّرْ ، وَلَا تَكْسَلْ ، وَلَا تَفْسَلْ ، وَاسْتَعْمِلْ حَسْنَ الظنِّ بِرَبِّكَ ، وَأَسِئْ الظنِّ بِعَمَّاكَ وَكِتَابِكَ ، وَخُذْ نَفْسَكَ بِالتَّيَقُّظِ ، وَتَفَقَّدْ مِنْ يَبِيتَ عَلَى بَابِكَ ، وَسَهِّلْ لِمَذْنَكِ لِلنَّاسِ ، وَانْظُرْ فِي أَمْرِ النَّزَاعِ إِلَيْكَ ، وَكُلِّمْ بِهِمْ عَيْنًا غَيْرَ نَائِمَةٍ ، وَنَفْسًا غَيْرَ لَاهِيَةٍ ، وَلَا تَتَمَّ فَإِنَّ أَبَاكَ لَمْ يَتَمَّ مِنْذُ وَلِيَ الْخِلَافَةَ ، وَلَا دَخَلَ عَيْنُهُ غَمُضٌ إِلَّا وَقَلْبُهُ مُسْتَبْقِظٌ ، هَذِهِ وَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ

(تاريخ الطبرى ٩ : ٣٢٠)

٣٥ — خُطْبَةُ النَّفْسِ الزَّكِيَةِ حِينَ خَرَجَ عَلَى الْمَنْصُورِ

لما خرج محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الملقب بالنفس الزكية ^(٤) على المنصور ، قام على منبر المدينة ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، ثم قال :

[١] أى إملأها بالنفاضة . [٢] للتوسطة . [٣] الكراع : اسم يجمع الحيل .
[٤] كان أبو هاشم — الطالبون والعباسيون — قد احتموا أخريات العصر الأموى ، وتذاكروا حالهم

« أيها الناس : إنه قد كان من أمر هذا الطاغية أبي جعفر من بناءه القبة الخضراء ، التي بناها مماندة لله في ملكه ، وتصغيره الكعبة الحرام ، وإنما أخذ الله فرعون حين قال : « أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى » . وإن أحق الناس بالقيام في هذا الدين أبناء المهاجرين الأولين ، والأنصار الموالين ، اللهم إنهم قد أحلوا حرامك ، وحرّموا حلالك ، وعملوا بشير كتابك ، وغيرُوا عهد نبيك صلى الله عليه وسلم ، وآمنوا من أخفت ، وأخافوا من آمنت ، فأخصهم عدداً ، وأقتلهم بدءاً ^(١) ، ولا تبق على الأرض منهم أحداً » . (قبل الأمل ص ١٢١)

٣٦ - وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لابنه محمد (أو إبراهيم)

وصى عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ابنه محمد النفس الزكية (أو إبراهيم) ، فقال :

« أَيْ مَبْنِي ، إِنِّي مُؤَدِّحٌ اللَّهَ فِي تَأْدِيكَ ، فَأَدِّ إِلَى حَقِّ اللَّهِ فِي الْإِسْتِمَاعِ مِنِّي ،

وما م عليه من الاسطهاد ، وما قد آل إليه أمر بني أبيه من الاضطراب ، وانفقوا على أن يدعو الناس إليهم سرا ، ثم قالوا لا بد لنا من رئيس ، أبيه ، فانفقوا على مبايعة النفس الزكية ، وكان من سادات بني هاشم ورجالهم فصلا وشرافا وعلما ، موشاه القدر أن يعمر الداسيون بالحلافة ، فوليا السراح ثم المنصور ، ولم يكن المنصور م مسد ثورا عرشها سوى طلب النفس الزكية ليقظه ، وأعرافه بذلك أن الناس كانوا شديدي الميل إليه ، وكانوا يمتدحون فيه الفصل والرف والرياسة ، فطلبه المنصور هو وأباه إبراهيم من أيها عبد الله بن الحسن ، قال : لا علم لي بها - وكانا قد تقييا خوفا منه - لما أطال عليه ، قال : كم تطول ؟ والله لو كانا تحت قديم ، لما رصتها علينا ، سبحان الله ! آتاك بولدي لتقتلنا ! فقص عليه ، وعلى أهله من بني الحسن وحدهم في سجن السكوة حتى ماتوا فيه كما تقدم ، ولم يرل النفس الزكية مترا من يد أصبت الدولة إلى بني العباس خوفا منهم على صه ، إنما علم بما جرى لوالده وبقومه ظهر للمدينة وأطهر أمره ، ومنه أعيان الهدية ، ثم علف عليها ، وعزل عنها أبيها ، ورت عليها طامارا قاصيا ، فوجه المنصور لرفاله جيشا بقيادة ابن أخيه عيسى بن موسى ، فكانت القلة لصكر المنصور ، وقتل النفس الزكية ، وحمل رأسه إلى المنصور سنة ١٤٥ هـ . [١] متبدين : متفرقين .

أى بنى كُفَّ الأذى ، وارْقُصْ البذا^(١) ، واستعين على الكلام بطول الفكر ، فى المواطن التى تدعوك فيها نفسك إلى الكلام ، فإن للقول ساعاتٍ يضربها الخطأ ، ولا ينفع فيها الصواب ، واحذر مشورة الجاهل وإن كان ناصحاً ، كما تحذر مشورة العاقل إذا كان غاشياً ، لأنه يُرَدِّدك بمشورته ، واعلم يا بنى أن رأيك إذا احتجبت إليه وجدته نائماً ، ووجدت هواك يقظاناً ، فإياك أن تستبدَّ برأيك ، فإنه حينئذ هواك ، ولا تفعل فِعْلاً إلا وأنت على يقين أن عاقبته لا تُرَدِّدك ، وأن نتيجة لا تجنى عليك » . (زهر الآداب ١ : ٩٢ ، والبيان والنبير ١ : ١٨٠ ، ٢ : ٨٨)

٣٧ - قول عبد الله بن الحسن وقد قتل ابنه محمد

ولما قتل المنصور ابنه محمداً - وكان عبد الله فى السجن - بَعَثَ برأسه إليه مع الربيع حاجبه ، فوضع بين يديه ، فقال :
رَحِمَكَ اللهُ أَبَا الْقَاسِمِ ، فَقَدْ كُنْتُ مِنْ « الَّذِينَ يُؤْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ ، وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ ، وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ، وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ » ، ثم تمل :

فَقَدْ كَانَ يَحْمِيهِ عَنِ النَّارِ سَيِّمُهُ وَيَكْفِيهِ سَوَاءُ الْأُمُورِ اجْتِنَابُهَا

ثم الفت إلى الربيع ، فقال له : « قل لصاحبك قد مضى من يؤسنا مدة ، ومن نعيمك منلها ، والموعِدُ اللهُ تعالى » قال الربيع : فإِذَا رَأَيْتُ الْمَنْصُورَ قَطُّ أَكْثَرَ انْكِسَاراً مِنْهُ حِينَ أَبْلَغْتَهُ الرِّسَالَةَ . (زهر الآداب ١ : ٩٥)

٣٨ - امرأة محمد بن عبد الله والمنصور

ولما قتل المنصور محمد بن عبد الله ، اعترضته امرأة معها صبيان ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، أنا امرأة محمد بن عبد الله ، وهذان ابناهُ ، أَيْتَهُمَا سَيْفُكَ ، وَأَضَرَّعَهُمَا ^(١) خَوْفُكَ ، فَتَشَدُّتُكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْ تَصْعَرَ لَهُمَا خَدُّكَ ، فَيَنْتَأَى عَنْهُمَا رِفْدُكَ ، أَوْ لَتَعِطِفَكَ عَلَيْهِمَا شَوَابِكُ النَّسَبِ ، وَأَوَاصِرُ ^(٢) الرَّحِمِ » .

فالتفت إلى الربيع ، فقال : أَرُدُّ عَلَيْهِمَا ضِيَاعَ أَبِيهِمَا ، ثُمَّ قَالَ : كَذَا وَاللَّهِ أَحِبُّ أَنْ تَكُونَ نِسَاءَ بَنِي هَاشِمٍ . (زمر الآداب ١ : ٩٦)

٣٩ - جعفر الصادق والمنصور

وكان أهل المدينة لما ظهر محمد بن عبد الله ، أجمعوا على حرب المنصور ونصر محمد ، فلما طفر المنصور أحضر جعفرًا الصادق ^(٣) بن محمد الباقر ، فقال له : قد رأيت إطباق أهل المدينة على حربى ، وقد رأيت أن أبعث إليهم من يَمُور ^(٤) عيونهم ، ويحمر ^(٥) نخلهم ، فقال له جعفر : « يا أمير المؤمنين ، إن سليمان أُعْطِيَ فَشَكَرَ ، وَإِنْ أَيُّوبُ ابْتَلِيَ فَصَبَرَ ، وَإِنْ يُوسُفُ قَدِرَ ففَقَرَ ، فَاقْتَدِرْ بِأَيْتِهِمْ شَيْئًا ، وَقَدْ جَعَلَكَ اللَّهُ مِنْ نَسْلِ الدِّينِ يَعْقُونَ وَيَصْفَحُونَ » ، فقال أبو جعفر : « إِنَّ أَحَدًا لَا يَعْلَمُنَا الْحَلِمَ ، وَلَا يَمُرُّنَا الْعِلْمَ ، وَإِنَّمَا قُلْتُ هَمَمْتُ ، وَلَمْ تَرَنِ فَعَلْتُ ، وَإِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّ قَدَرْتِي عَلَيْهِمْ تَمْنَعُنِي مِنَ الْإِسَاءَةِ إِلَيْهِمْ » . (زمر الآداب ١ : ٩٦)

*
* *

وروى صاحب العقد قال :

[١] أدلها . [٢] أو اصر جمع آصرة ، والآصرة : حل صغير يتد به أسفل الحاء (وهو أيضاً الرحم والقرابة) . [٣] هو أبو عبد الله جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين عليه السلام وتوفى سنة ١٤٨ هـ . [٤] في الأصل « ينور » وأراه محرفاً ، وقد أصلته « يَمُور » يقال : عور المرء أى طمها ، وسد عيونها التى يسد بها الماء . [٥] حمر الحبل : قطع جواره .

لما حج المنصور مرًا بالمدينة ، فقال للربيع الحاجب : عليّ بجعفر بن محمد ، قتلني الله إن لم أقتله ، قُطِلَ به ، ثم أُلحَّ عليه ، فحضر ، فلما كُشِفَ الستريته وبينته ، ومثل بين يديه ، همس جعفر يشفتيه ، ثم تقرب وسلم ، فقال : « لا مَلَمَ الله عليك يا عدو الله ، تعمل على الفوائل في ملكي ؟ قتلني الله إن لم أقتلك » . قال : « يا أمير المؤمنين ، إن سليمان صلى الله على محمد وعليه أُعطيَ فشكر ، وإن أيوبَ ابْتُلِيَ فصَبَرَ ، وإن يوسف ظُلِمَ ففَقَرَ ، وأنت على إزتي منهم ، وأحقُّ مَنْ تأمى بهم » ، فنكس أبو جعفر رأسه مَلِيًّا ، وجعفر واقف ، ثم رفع رأسه ، وقال : « إني أبا عبد الله فأنت القريب القرابة ، وذو الرحم الواشجة ^(١) ، السليم الناحية ، القليل الغائلة » ، ثم صالحه يمينه ، وعانقه بشماله ، وأجلسه معه على فراشه ، وانحرف له عن بعضه ، وأقبل عليه بوجهه يحادثه ويسأله ، ثم قال : يا ربيع ، عجل لأبي عبد الله كُسوته وجأثرته وإذنه . (القدر الريد ١ : ١٤٥)

٤ . — صفح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب ولما داهن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب في شأن إبراهيم بن عبد الله ^(٢) ، وصار إلى المنصور ، أمر الربيع بخلع سواده ، والوقوف به على رءوس اليمانية في المقصورة يوم الجمعة ، ثم قال : قل لهم :

« يقول لكم أمير المؤمنين قد عرَفتُم ما كان من إحساني إليهِ ، وحُسنِ بلائي ، وقَدِيمِ نِعْمتي عليه ، والذي حاول من الفتنة ، ورام من البغي ، وأراد من شقِّ العصا ، ومعاونة الأعداء ، وإرافة الدماء ، وإنه قد استحق بهذا من

[١] القرية : المشككة . [٢] هو إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، أحد النمس الزكية ، وقد خرج على المنصور بالعصرة ، فوجه إليه المنصور ابن أخيه عيسى بن موسى مدد رجوعه من قال النمس الزكية طاعة وقتل إبراهيم في المعركة سنة ١٤٥ هـ .

فعله ، أليم العقاب ، وعظيم العذاب ، وقد رأى أمير المؤمنين إتمام بلائه الجميل لديه ، وَرَبَّ^(١) نِعْمَ لَهُ السَّابِقَةُ عنده ، لما يتعرفه أمير المؤمنين من حسن عائدة الله عليه ، وما يومئله من الخير العاجل والآجل ، عند العفو عمن ظلم ، والصفح عمن أساء ، وقد وهب أمير المؤمنين مُسَيِّئَهُمْ لِحُسْنِهِمْ ، وفادَهِمْ لَوْفِيهِمْ .

(البیان والتبيين ٣ : ١٨٠)

٤١ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور

ولما انهزم عبد الله بن علي^(٢) من الشام ، قدم على المنصور وقد منهم ، فقام عِدَّة منهم ، فتكلموا ، ثم قام الحارث بن عبد الرحمن الفِقَارِيُّ ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، إنا لسنا وقد مباهاة ، وإنما نحن وقد تَوْبَةٌ ، وإنا ابتلينا بفتنة استنطقت كرىنا ، واستفزت حليتنا ، ونحن بما قدّمنا مُفْتَرِفُونَ ، وبما سَلَفَ منّا مُتَعَذِرُونَ ، فإن نُعَاقِبْنَا بما أَجْرَمْنَا ، وإن تَعَفُّ عَنَّا فَيُفْضَلْكَ عَلَيْنَا ، فاصْصَحْ عَنَّا إِذْ مَلَكَتْ ، وَاْمُنْ إِذْ قَدَرْتَ ، وَأَحْسِنْ إِذْ ظَفَرْتَ ، فطالما أَحْسَنْتَ إِلَى مَنْ أَسَاءَ مِنَّا » ، فقال المنصور : قد فعلت ، ثم قال للحَرَسِيِّ : هذا خطيبهم ، وأمر برد ضياعه عليه بالْقَوْلَةِ^(٣) .

(القد الحريد ١ : ١٤٤ ، وتاريخ الطبري ٩ - ٣٠٧ ، ودرر الآداب ٣ : ٩٨)

[١] رب القوى : جمه ورائه ، ورب القوى : رواه حق أدرك .

[٢] هو عبد الله بن علي بن عبد الله بن هاشم من المنصور ، وكان قد خرج عليه بالشام ، وقال : إن السيف قال لي إن طهرت علي مروان الجسدي - وكان السيف أرسله لقتال مروان بالشام - فأنت ولي النهدي هدي ، وتهد له جماعة بذلك . فأرسل المنصور أبا مسلم الخراساني لمحاربه فجزه ، وهرب عبد الله إلى الحيرة ، ونزل على أخيه سليمان بن علي ، فسمع به سليمان إلى المنصور فأمره ، فلما جاء إليه حسه ومات في حسه ، وقيل أنه من له بيتا ، وحمل في أسامة ملحا ، ثم أخرى للقاء فيه ، فسقط البيت عليه فمات .

[٣] كورة دمشق .

٤٢ - استعطاف أهل الشام أبا جعفر المنصور أيضا

وقال عثمان بن خُزَيم للمنصور ، حين عفا عن أهل الشام في إجلائهم ^(١) مع عبد الله بن عليّ عمه : « يا أمير المؤمنين ، لقد أُعْطيتَ فشكرت ، وإبْطِيتَ فصَبَرْتَ ، وقَدَرْتَ فمَقُوت » .

وقال آخر : « يا أمير المؤمنين ، الانتقامُ عدْلٌ ، والتجاوزُ فضل ، والمتفضلُ قد جاوزَ حدَّ المُنْصِف ، فنحن نُعِيدُ أمير المؤمنين بالله أن يَرْضَى لنفسه بأوكس ^(٢) النصيبين ، دون أن يبلغ أرفع الدرجتين » .

وقال آخر : « من انتقم فمَدَشَنِي غِيظَ نفسه ، وأخذ أَقْصَى حقّه ، وإذا انتقمت فقد انْتَقَصَتْ ^(٣) ، وإذا عفوت تطوَّلت ^(٤) ، ومن أخذ حقه ، وشَقِيَ غِيظَه ، لم يجب شكره ، ولم يذكُر في العالمين فضله ، وَكَظَمَ النِيْظَ حِلْمٌ ، وَالْحِلْمُ صَبْرٌ ، وَالتَّشَقُّ طَرَفٌ مِنَ الْعَجْزِ ^(٥) ، ومن رَضِيَ أَلَّا يَكُونَ بين حاله وبين حال الظالم إلا مِثْرَ رقيق ، وحجابٌ ضئيف ، لم يُجْزَم في تفضيل الحلم ، وفي الاستيثاق من ترك دواعي الظلم ، ولم تر أهل النُهي ، والمنسويين إلى الحِجَا والتَّقِي ، مَدَحُوا الْحِكْمَ بِشِدَّةِ الْعِقَاب ، وقد ذكروهم بحسن الصَّفْح ، وبكثرة الاعتفَار ، وشَدَّةِ التَّنَافُل ، وبعدُ فالمعائبُ مستعدّة ^(٦) لعداوة أولياء المَذْئِب ، والمانعُ مستندعٍ لشكرهم ، آمِنٌ من مكافأَتهم ^(٧) أيام قُدْرَتهم ، وَلَآنَ يُبْنَى عليك باتساع الصدر ، خير من أن يُبْنَى عليك بضيق الصدر ^(٨) ، على أن إقائتك عثرة عباد الله ،

[١] في الأصل « إجلائهم » وهو تحريف ، والصواب « إجلائهم » أي في منتهى وحياتهم من الحلة بالحريك وهي العياح . [٢] من الرُكْس كوتد : وهو القصاص .

[٣] أي انقمس حَقُّك مجروحاً عليك ، حتى لك الانتقام من أحد حَقِّك .

[٤] تطوَّلَ عليه : امتدَّ وتمهل . [٥] وفي رهر الآداب : « من الحرع » .

[٦] وفي رهر الآداب : « مستودع » . [٧] عمارتهم .

[٨] وفي رهر الآداب : « حير من أن توصف بصفه » .

مُوجِبٌ لِإِقَالَتِكَ عَثْرَتِكَ مِنْ رَبِّ عِبَادِ اللَّهِ ، وَعَفْوِكَ عَنْهُمْ مَوْصُولٌ بِعَفْوِ اللَّهِ عَنْكَ ، وَعِقَابُكَ لَهُمْ مَوْصُولٌ بِعِقَابِ اللَّهِ لَكَ . قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » .

(البيان والتبيين ٢ : ٥٥ ، وزهر الآداب ٣ : ٨٨)

٤٣ - أبو جعفر المنصور والربيع

وقال سعيد بن مسلم بن قُتَيْبَةَ : دعا المنصور بالربيع ^(١) ، فقال : سَلْنِي مَا تَرِيدُ ، فَقَدْ سَكْتُ حَتَّى نَطَقْتُ ، وَخَفَفْتُ حَتَّى ثَقُلْتُ ، وَفَلَّتْ حَتَّى أَكْثَرْتُ ، فَقَالَ : « وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا أَزْهَبُ بِحُكْمِكَ ، وَلَا أَسْتَقْصِرُ عُمْرَكَ ، وَلَا أَسْتَصْغِرُ فَضْلَكَ ، وَلَا أَغْنِمُ مَالَكَ ، وَإِنْ يَوْمِي بِفَضْلِكَ عَلَى أَحْسَنِ مِنْ أَمْسِي ، وَغَدُكَ فِي تَأْمِيلِي أَحْسَنُ مِنْ يَوْمِي ، وَلَوْ جَازَأَنِّي شُكْرُكَ مِثْلِي بغيرِ أُنْدُمَةٍ وَالْمَنَاصِحَةِ لَمَّا سَبَقَنِي لَدَيْكَ أَحَدٌ » قَالَ : صَدَقْتَ ، عَلِمِي بِهَذَا مِنْكَ أَحْلَكَ هَذَا الْحُلَّ ، فَسَلْنِي مَا شِئْتَ ، قَالَ : أَسْأَلُكَ أَنْ تَقَرَّبَ عَبْدُكَ « الْفَضْلُ » ^(٢) وَتَوَثِّرَهُ وَتَحِبَّهُ ، قَالَ : يَا رَبِّيعُ ، إِنْ الْحُبَّ لَيْسَ بِمَالٍ يُوْهَبُ ، وَلَا رِثَةً تُبَدَّلُ ، وَإِنَّمَا تَوْكِّدُهُ الْأَسْبَابُ ، قَالَ : فَاجْعَلِي لِي طَرِيقًا إِلَيْهِ ، بِالْفَضْلِ عَلَيْهِ ، قَالَ : صَدَقْتَ ، وَقَدْ وَصَلْتَهُ بِأَلْفِ دِرْهَمٍ ، وَلَمْ أَصِلْ بِهَا أَحَدًا غَيْرَ مُعْجَمَتِي ، لَتَعْلَمَ مَالَهُ عِنْدِي ، فَيَكُونُ مِنْهُ مَا يَسْتَدْعِي بِهِ مَحَبَّتِي ، قَالَ : فَكَيْفَ سَأَلْتِ لَهُ الْمَحَبَّةَ يَا رَبِّيعُ ؟ قَالَ : لِأَنَّهَا مِفْتَاحُ كُلِّ خَيْرٍ ، وَمِفْلَاقُ كُلِّ شَرٍّ ، تُسْتَرَّبُهَا عِنْدَكَ عِيُوبُهُ ، وَتَصِيرُ حَسَنَاتٍ ذُنُوبُهُ ، قَالَ : صَدَقْتَ .

(زهر الآداب ٢ : ١٦٣)

[١] هو أبو الفضل الربيع بن يونس ، وورد المنصور ، وكان مبيعاً صليحاً كاتباً حارماً طعناً ، ولم يزل ووريرا للمنصور إلى أن مات للمنصور . وقام الربيع بأخذ البيعة للعهدى ، ثم سعى به أعداؤه إلى الهادي ، فقتله سنة ١٧٠ هـ . [٢] هو أخته الفضل بن الربيع ، وقد وُرد للرشيد سعد الرامكة ، ولأنه الأمير كما سيأتي .

٤٤ — مقام عمرو بن عبيد بين يدي المنصور

دخل عمرو^(١) بن عُبيد على المنصور بعد ما بايع للمهدي ، فقال له : يا أبا عثمان ، هذا ابن أمير المؤمنين ، وولى عهد المسلمين ، فقال له عمرو : يا أمير المؤمنين ، أراك قد وطّدت له الأمور ، وهى تصير إليه ، وأنت عنه مستول ، فاستعبر المنصور ، وقال له : عِظْنِي يا عمرو ، قال : « يا أمير المؤمنين : إن الله أعطاك الدنيا بأسرها ، فاشتر نفسك منها ببعضها ، وإن هذا الذى فى يدك ، لوفى فى يد غيرك ، لم يصل إليك ، فأحذر ليلةً تَخْضُ عن يوم لا ليلةً بعده » ، فوجم أبو جعفر من قوله ، فقال له الربيع : يا عمرو غممت أمير المؤمنين ، فقال عمرو : إن هذا صحبك عشرين سنة ، لم ير لك عليه أن ينصحك يوماً واحداً ، وما تمل وراءك بشئ من كتاب الله ولا سنة نبيه ، قال أبو جعفر : فما أصنع ؟ قد قلت لك ، خاتمي فى يدك ، فتعال وأصحابك فاكفنى ، قال عمرو : « أدعنا بمذلك ، نَسْخُ أنفسنا بموتك ، يبابك ألف مظلمة ، أردد منها شيئاً نعلم أنك صادق » . (مروج الذهب ٢٤٣: ٢ ، وعيون الأخبار ٢ م ٣٣٧ ، ووفيات الأعيان ٣٨٤ : ١ ، والقصد المراد ١ : ٣٠٦ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ١٤٨)

٤٥ — مقام رجل من الزهاد بين يدي المنصور

بينما المنصور يطوف ليلاً إذ سمع قائلاً يقول : اللهم إني أشكو إليك ظهور البنى والفساد فى الأرض ، وما يحول بين الحق وأهلهم الطمع ، فخرج المنصور ، فجلس ناحية من المسجد ، وأرسل إلى الرجل يدعوه ، فصلّى الرجل ركعتين ، واستلم الركن ، وأقبل مع الرسول ، فسلم عليه بالخلافة ، فقال المنصور : ما الذى سمعتك تذكر من ظهور البنى والفساد فى الأرض ؟ وما الذى يحول بين الحق

[١] من كبار أئمة الشيعة توفى سنة ١٤٤ هـ .

وأهله من الطمع ؟ فوالله لقد حَشَوْتُ مسامعي ما أَرْمَضَنِي ^(١) ، قال : يا أمير المؤمنين إن أُمْنَنِي على نفسي ، أنبأتك بالأمر من أصولها ، وإلا احتجرت منك ، واقصرت على نفسي ، فبيها لي شاعِلٌ ، فقال : أنت آمنٌ على نفسك قتل ، فقال : يا أمير المؤمنين إن الذي دخله الطمع ، حتى حال بينه وبين ما ظهر من البغي والفساد لَأَنْتَ ، قال : ويحك ، وكيف يدخلني الطمع ، والصِّفَاءُ والبَيْضَاءُ ^(٢) في فَبْضَتِي ، والحُلُوُّ والحَامِضُ عندي ؟ قال : وهل دخل أحدًا من الطمع ما ذَخَلَكَ ؟ إن الله تبارك وتعالى استرعاكَ المسلمين وأموالهم ، فأَعْفَلْتَ أمورهم ، واهْتَمَمْتَ بجمع أموالهم ، وجمِلْتَ بينك وبينهم حِجَابًا من الجِصِّ والآجُرِّ ، وأبوابًا من الحديد ، وَحَجَبَةً معهم السلاحُ ، ثم سَجَنْتَ نفسك فيها عنهم ، وبشِثَ عُمَّالَكَ في حِجَابَةِ الأموال وجمعها ، وقوَّيْتَهُم بالرجال والسلاح والكَرَاعِ ، وأمرت بالألَّ يدخل عليك من الناس إلا فلان وفلان ، نَفَرٌ مِمَّيْتَهُمْ ، ولم تأمر بإبصال المظلوم ولا الملهوف ، ولا الجائع العاري ، ولا الضعيف الفقير ، ولا أحدٌ إلا وله في هذا المال حق ، فلما رَأَيْتَ هؤلاء النفر الذين استخلصتهم لنفسك ، وآثَرْتَهُمْ على رِعِيَّتِكَ ، وأمرت ألا يُحْجَبُوا عنك ، تَحْجِي الأموال وتجمعها ولا تقسمها ، قالوا : هذا قد خان الله ، فما بالنا لَنُخَوِّنَهُ وقد سَجَنَ لنا نفسه ؟ فَأُتِمُّوا بِاللَّيْلِ يصل إليك من علم أخبار الناس شيءٌ إلا ما أَرَادُوا ، ولا يخرج لك عامل ، فيخالف أَمْرَهُمْ إلا قَصَبُهُ ^(٣) عندك ونَقْوُهُ ، حتى تَسْقُطَ مِنْ لُئْلِهِ ، ويصغر قدره ، فلما انتشر ذلك عنك وعندهم ، أعظمَهم الناس وهاجهم ، فكان أول من صانَهم عُمَّالَكَ بالهدايا والأموال ، ليقوُّوا بها على ظلم رِعِيَّتِكَ ، ثم فعل ذلك ذوو القدرة والثروة من

[١] أوحى وآلى . [٢] المعراء والبهاء : الدابير والدرهم .

[٣] طابوه وشبهوه ، وفي القيد الفريد : « حوتوه » .

رعيتك ، لينالوا به ظلم من دونهم ، فامتلات بلاد الله بالطمع بنيا وفساداً ، وصار هؤلاء القوم شركاءك في سلطانك ، وأنت غافل ، فإن جاء متظلم حيل بينه وبين دخول مدينتك ، فإن أراد رفع قصته إليك عند ظهورك ، وجَدَكَ قد نهيت عن ذلك ، وأوقفت للناس رجال ينظر في مظالمهم ، فإن جاءك ذلك الرجل ، فبلغ بطانتك خبره ، سألوا صاحب المظالم ألا يرفع مظلمته إليك ، فإن المتظلم منه له بهم حرمة ، فأجابهم خوفاً منهم ، فلا يزال المظلوم يختلف إليه ، ويلوذ به ، ويشكو ويستغيث ، وهو يدفعه ويمتل عليه ، فإذا أجهد وأخرج وظهرت ، صرّخ بين يديك ، فضرب ضرباً مبرحاً ليكون نكالا لغيره ، وأنت تنظر فلا تنكر ، فما بقاء الإسلام على هذا ؟ وقد كنت يا أمير المؤمنين أسافر إلى الصين فقدمتها مرة ، وقد أصيب ملكها بسمنه ، فبكي يوماً بكاء شديداً ، فنهت جلسائه على الصبر ، فقال : أما إني لست أبكي للبلية النازلة بي ، ولكنني أبكي لظلم الباب يصرّخ ، ولا أسمع صوته ، ثم قال : أما إذ ذهب سمي ، فإن بصرى لم يذهب ، ناذوا في الناس ألا يلبس ثوباً أحمر إلا متظلم ، ثم كان يركب الفيل طرقي نهاره ، وينظر هل يرى مظلوماً ؟ فهذا يا أمير المؤمنين مشرك بالله ، غلبت رأفته بالشركين شح نفسه ، وأنت مؤمن بالله ، ثم من أهل بيت نبيه ، لا تغلب رأفتك بالمساكين على شح نفسك ؟ فإن كنت إنما تجمع المال لولدك ، فقد أراك الله غيراً في الطفل ، يسقط من بطن أمه ، وماله على الأرض مال ، وما من مال إلا ودونه يد شجيحة تحويه ، فما يزال الله يكتطف بذلك الطفل ، حتى تعظم رغبة الناس إليه ، ولست بالذي تعطى ، بل الله يعطى من يشاء ما شاء ، وإن قلت إنما أجمع المال لتشديد

السلطان ، فقد أراك الله عِبراً في بني أمية ، ما أغنى عنهم ما جمعوا من الذهب والفضة ، وأعدوا من الرجال والسلاح والكرُاع ، حتى أراد الله بهم ما أراد ، وإن قلتَ إنما أجمع لطلب غاية هي أجسم من الغاية اتى أنا فيها ، فوالله ما فوق ما أنت فيه إلا منزلةٌ ، لا تُذكرُ إلا بخلاف ما أنت عليه يا أمير المؤمنين ، هل تعاقب من عصاك بأشد من القتل ؟ قال المنصور : لا ، قال : فكيف تصنع بالملك الذي خولك مُلك الدنيا ، وهو لا يعاقب من عصاه بالقتل ؟ ولكن بالخلود في المذاب الأليم ، قدر رأى ما قد عُقدَ عليه قلبك ، وعملتَ جوارحك ، ونظر إليه بصرك ، واجترحتَه ^(١) يدك ، ومشتَ إليه رجلاك ، هل يُفنى عنك ما شححت عليه من مُلك الدنيا إذا انتزعه من يدك ، ودعاك إلى الحساب ؟ فبكى المنصور وقال : يا ليتني لم أخلق ، ويحك ! فكيف أحتال لنفسي ؟ قال : يا أمير المؤمنين ، إن للناس أعلاماً يَفَرَّعون إليهم في دينهم ، ويرضون بهم ، فاجعلهم بطانتك يرشدوك ، وشاورهم في أمرك بسدوك ، قال : قد بعثت إليهم فهربوا مني ، قال : خافوا أن تحملهم على طريقتك ، ولكن افتح بابك ، وسهل حججك ، وانصر المظلوم ، واقمع الظالم ، وخذ النِّيء والصدقات ماحل وطاب ، وافسمة بالحق والعدل على أهله ، وأما الضامن عنهم أن يأتوك ويُسعدوك على صلاح الأمة » ، وجاء المؤذنون ، فسلموا عليه ، فصلى وعاد إلى مجلسه ، وطلب الرجل فلم يوجد .

(عيون الأحرار م ٢ : ص ٣٣٣ ، والقدر الفرد ١ : ٣٠٤)

٤٦ - مقام الأوزاعي بين يدي المنصور

قال الأوزاعي ^(٢) : دخلت على المنصور ، فقال لي : ما الذي بآبك عني ؟

[١] اكتسته . [٢] هو عبد الرحمن بن عمرو الأوزاعي ، إمام أهل الشام ، ولم يكن بها أعلم منه وله سلك سنة ٨٨ هـ ، وتوفي سنة ١٥٧ م بدمشق ، والأوزاعي : نسبة إلى أوزاع ، وهي بطن من ذى

قلت : يا أمير المؤمنين ، وما الذي تريد مني ؟ فقال : الاقتباس منك ، قلت : أنظر ما تقول ، فإن « مكحولاً »^(١) حدثني عن عطية بن بشير أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « من بلغه عن الله نصيحة في دينه ، فهي رحمة من الله سيقت إليه ، فإن قبلها من الله بشكر ، وإلا كانت حجة من الله عليه ، ليزداد إنمًا ، ويزداد الله عليه غضبًا ، وإن بلغه شيء من الحق فرضى ، فله الرضا ، وإن سخط فله السخط ، ومن كرهه فقد كره الله ، لأن الله هو الحق المبين » فلا تجهلن ، قال : وكيف أجهل ؟ قال : تسمع ولا تعمل بما تسمع ، قال الأوزاعي : فسل على الربيع السيف ، وقال : تقول لأمر المؤمنين هذا ؟ فاتهره المنصو وقال : أمسيك ، ثم كلمه الأوزاعي ، وكان في كلامه أن قال :

« إنك قد أصبحت من هذه الخلافة بالذي أصبحت به ، والله سائرُك عن صغيرها وكبيرها ، وقتيلها وتقيرها »^(٢) ، ولقد حدثني عروة بن رُويم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « مامن راجع يبيتُ غاشًا لرعيته إلا حرم الله عليه رائحة الحنة » فحقيق على الوالي أن يكون لرعيته ناظرًا ، ولما استطاع من عوزهم سائرًا ، وبالقسط فيما بينهم قائمًا ، لا يتخوف مُحسِنهم منه رهقًا^(٣) ، ولا مُسِيئهم عُدوانًا ، فقد كانت بيد رسول الله صلى الله عليه وسلم جريدة يستاك بها ، ويردع عنه المنافقين ، فأتاه جبريل فقال : « يا محمد ، ماهذه الجريدة بيدك !

الكلاب من اللبن ، وقيل : نمل من همدان ، وقيل الأوراع : قرية دمشق ، ولم يكن عند الرحمن منهم ، وإنما نزل فيهم ، فمسب إليهم ، وهو من سبي اليمن .

[١] هو مكحول بن عبد الله النخعي ، مسلم الأوزاعي ، وكان من سبي كابل ، وقع إلى سعيد بن العاص ، فوجهه لامرأة من هذيل فأعتقه ، قال الزهري : العلماء أربعة : سعيد بن المسيب المدينة ، والشعي بالكوفة ، والحسن البصري بالمرّة ، ومكحول بالسّام ، ولم يكن في رده أصغر منه بالغيا ، وسمح أنس ابن مالك وغيره ، وكان مقامه بدمشق ، وتوفي سنة ١١٨ هـ .

[٢] الغتيل : السحابة التي في شق الدواة ، والتقيير : القرعة التي في ظهر النواة . [٣] طلما .

افذقها لا تملأ فلوبهم رُعباً ، فكيف من سفك دماءهم ، وشقق أبشارهم ، وأنهب^(١) أموالهم ؟ يا أمير المؤمنين : إن المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، دعا إلى القصاص من نفسه بخدش خدشه أعرابيا لم يتعمده ، فهبط جبريل ، فقال : « يا محمد ، إن الله لم يبعثك جبّاراً تكسر قرون أمتك » واعلم أن كل ما في يدك لا يعدل شربة من شراب الجنة ، ولا ثمرة من ثمارها ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « لقاب^(٢) قوس أحدكم من الجنة ، أو قذة^(٣) خير له من الدنيا بأسرها » إن الدنيا تنقطع ويزول نعيمها ، ولو بقي الملك لمن قبلك لم يصل إليك يا أمير المؤمنين ، ولو أن ثوبا من ثياب أهل النار علّق بين السماء والأرض لآذاهم ، فكيف من يتقمّصه ؟ ولو أن ذنوبا^(٤) من صديد أهل النار صبّ على ماء الأرض لآجنه^(٥) ، فكيف بمن يتجرّعه ؟ ولو أن حلقة من سلاسل جهنم وُضعت على جبل لذاب ، فكيف من سلّك^(٦) فيها ، ويُرذّ فضلها على عاتقه ؟ وقد قال عمر ابن الخطاب : « لا يقوم أمر الناس إلا حصيف^(٧) المقدّة ، بعيد الغرّة^(٨) لا يطلع الناس منه على عوره ، ولا يُخنق في الحق على جِرّه^(٩) ، ولا تأخذه في الله لومة لأثم » .

واعلم أن السلطان أربعة : أمير يظلف^(١٠) نفسه وعمّاله ، فذلك له أجرُ المجاهد في سبيل الله ، وصلاته سبعون ألف صلاة ، ويُدّ الله بالرحمة على رأسه تُرفرف ، وأمير رتّع ورتع عمّاله ، فذلك يحمل أقاله وأثقالا مع أقاله ، وأمير

[١] حطها نها يمار عليه . [٢] القاب : ما بين القم والنية (وسبة القوس كدّة : ما عطف من طرفها) . [٣] ريش السهم . [٤] الذنوب : اللو . [٥] جله آحا أي متبر الطعم واللو . [٦] قيد . [٧] حصف الرجل ككرم : استحكم عقله فهو حصيف ، وأحصف الحبل : أحكم تته . [٨] المقدّة . [٩] أحق : حقد قحدا لا يتحلّ ، وأحق الصل : لرق بالبط ، والجرّة ما يمس به البعير فيأكله ثابة ، والراد أنه لا يصبر المقد ولحق . [١٠] يكب .

يُظْلَفُ نَفْسُهُ، وَيَرْتَعُ عَمَّالُهُ، فَذَلِكَ الَّذِي بَاعَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ ، وَأَمِيرُ يَرْتَعُ وَيُظْلَفُ
عُمَّالُهُ ، فَذَلِكَ شَرُّ الْأَكْيَاسِ .

واعلم يا أمير المؤمنين أنك قد ابتليت بأمر عظيم ، عُرض على السموات
والأرض والجبال ، قَابِلِينَ أَنْ يَحْمِلْنَهُ ، وَأَشْفَقْنَ مِنْهُ ، وَقَدْ جَاءَ عَنْ جَدِّكَ فِي
تَفْسِيرِ قَوْلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « لَا يُمَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا » أَنَّ
الصَّغِيرَةَ التَّبَسُّمَ ، وَالْكَبِيرَةَ الضَّحْكَ ، وَقَالَ : فَمَا ظَنُّكُمْ بِالْكَلَامِ وَمَا حَمَلَتْهُ الْأَيْدَى ؟
فَأُعِذْكَ بِاللَّهِ أَنْ يُخَيَّلَ إِلَيْكَ أَنَّ قَرَابَتَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَنْفَعُ مَعَ
الْمُخَالَفَةِ لِأَمْرِهِ ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « يَا صَفِيَّةُ عَمَّةَ مُحَمَّدٍ ،
وَيَا فَاطِمَةُ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ، اسْتَوْهَبَا أَنْفُسَكُمَا مِنَ اللَّهِ ، إِنِّي لَا أَغْنِي عَنْكُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا ،
وَكَانَ جَدُّكَ الْأَكْبَرُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِمَارَةً ، فَقَالَ : « أَيْ
عَمٍّ ، نَفْسُ تَخْيِيشِهَا ، خَيْرٌ لَكَ مِنْ إِمَارَةٍ لَا تُحْصِيهَا » نَظَرًا لِعَمَّةٍ ، وَشَفَقَةً
عَلَيْهِ أَنْ يَلِيَ فَيَجُورَ عَنْ سُنَّتِهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ ، فَلَا يَسْتَطِيعُ لَهُ نَفْعًا ، وَلَا عَنْهُ
دَفْعًا ، هَدَاهُ نَفْسِي حَتَّى إِنْ قَبِلْتَهَا فَلَنَفْسِكَ حَمَلَتْ ، وَإِنْ رَدَدْتَهَا فَنَفْسِكَ
بَحَسَتْ ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ لِلْخَيْرِ وَالْمَعِينُ عَلَيْهِ ، قَالَ : يَلِي ، نَقَبَلَهَا وَنَشْكُرُ عَلَيْهَا ،
وَبِاللَّهِ نَسْتَعِينُ . (القصد المريد ١ : ٣٠٥ ، وميرون الأحبار ٢ : ص ٣٣٨)

٤٧ - نصيحة يزيد بن عمر بن هبيرة للمنصور

وَدَخَلَ يَزِيدُ بْنُ مُعَرِّ بْنِ هُبَيْرَةَ ^(١) عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمَنْصُورِ ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ
الْمُؤْمِنِينَ : تَوَسَّعَ تَوْشَعًا قُرْشِيًّا ، وَلَا تَضِيقْ ضِيقًا حِجَازِيًّا .

[١] ولي قيس بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك ، وجمع له مروان بن محمد ولاية الصرة والكوفة ، وكان
آخر من جمع له العرافان من الولاة ، ولما استطهرت عليه جيوش حراسان ، وهرمت عسكره لحق بمدينة

ويروى أنه دخل يوماً ، فقال له المنصور حدثنا ، فقال : « يا أمير المؤمنين : إن سلطانكم حديث ، وإمارتكم جديدة ، فأذيقوا الناس حلاوة عدلها ، وجنبوهم مرارة جورها ، فوالله يا أمير المؤمنين ، لقد محضت^(١) لك النصيحة » ثم نهض فنهض معه سبعمائة من قيس ، فأنار^(٢) المنصور بصره ، ثم قال : لا يميز ملك^(٣) يكون فيه مثل هذا ! . (تهذيب الكمال ١ : ٢٨)

٤٨ - معن بن زائدة والمنصور

ودخل معن^(١) بن زائدة الشيباني على أبي جعفر المنصور وقد أسن ، فقارب في خطوه ، فقال له المنصور : لقد كبرت سنك يا معن ، قال : في طاعتك يا أمير المؤمنين ، قال : ولأنك جلد ، قال : على أعدائك يا أمير المؤمنين ، قال : وإن فيك لبقية ، قال : هي لك يا أمير المؤمنين ، قال : فأبى الدولتين أحب إليك ، هذه أم دولة بني أمية ؟ قال : ذلك إليك يا أمير المؤمنين ، إن زاد برك على برهم كانت دولتك أحب إلي .

(البيان والنبير ٢٢٩ : ٣ ووفيات الأعيان ٣ : ١٠٩ ، ورواه الآداب ٣ : ١٦١)

واسط ، فتحص بها ، ولما بوج السراح بالخلافة وحه أماء أبا جعفر المنصور لقتله ، حصره بواسط شهراً ، ثم أمه وانتص البلد صلحا ، ثم قتله .

[١] أخلصت . [٢] أنار^(٢) بصره : أنعم^(٢) إليه ، وحدد إليه الطريق .

[٣] كان جوادا شجاعا جليل الطاء كثير المعروف ، وكان في أيام بني أمية متغلبا في الولايات ، مقطعا إلى يزيد بن عمر بن هبيرة الرازي أمير المراقين ، فلما انتقلت الدولة إلى بني العباس ، وحاصر المنصور يزيد بمدينة واسط كما قدنا ، أبقى يومئذ معن مع يزيد بلاد حسا ، فلما قتل يزيد خلف من من أبي جعفر للمنصور ، فاستقر معه مدة ، ولم يزل مستترا حتى كان يوم الهاشمية ، وذلك أن جماعة من أهل حراسان ثاروا على المنصور ، وحرقت مقبلة عطية بينهم وبين أصحاب المنصور الهاشمية - وهي مدينة باها السراح بالقرب من الكوفة - وكان من متواريا بالقرب منهم ، فخرج متكررا معن متلثا ، وتقدم إلى القوم ، وقايل قدام المنصور قتالا أبان فيه عن عفة وشجاعة ورفقهم ، فلما أخرج عن المنصور ، قال له : من أنت ، وعملك ؟ فقال : أما ظنك يا أمير المؤمنين معن بن زائدة ، فأمنه المنصور وأكرمه ، وصار من خواصه ، وولى سجستان في أواخر أمره ، فلما كانت سنة ١٥١ اندس قوم من الخوارج بين صاع كانوا يعملون في داره بمدينة نسط ، فقتلوه وهو يحتجم ، وطمعهم أن أحبه يزيد بن مزيد بن زائدة ، فقتلهم بأمرهم .

٤٩ - معن بن زائدة وأحد زواره

ودخل رجل على معن بن زائدة ، فقال : ما هذه الغيبة ؟ فقال : « أيها الأمير ، ما غابَ عن العين مَنْ يذكُرُه القلبُ ، وما زال شوقِي إلى الأمير شديداً ، وهو دونَ ما يجبُ له ، وذكُرِي له كثيراً وهو دون قدره ، ولكن جَفَوَة الحُجَاب ، وَرَقَلَة بِشْر النِّعْمَان ، منعاني من الإكثار » ، فأمر بتسهيل حجابِه ، وأُجزل صلته .
(زهر الآداب ٣ : ١٦١)

٥٠ - المنصور وأحد الأعراب

ودخل أعرابي على المنصور فتكلم ، فأَنْجَب بكلامه ، فقال له : سل حاجتك ، فقال : يُبْقِيكَ اللهُ ، وَيَزِيد في سلطانك ، فقال : سل حاجتك ، فليس في كل وقت تَوْمَرٌ بِذاك ، قال : « ولم يا أمير المؤمنين ، فوالله ما أَسْتَقْصِرُ صرْك ، ولا أخاف بُخْلَكَ ، ولا أغنم مالك ، وإن سؤألك لشرف ، وإن عطاءك لَزَيْن ، وما بامرئٍ بِذَل وجهه إليك نقص ولا شَيْن » . فأحسن جائزته وأكرمه .
(الصباغين ص ٤٠ ، المقادير ص ١ : ١٣٩)

٥١ - أعرابية تعزى المنصور وتهته

وروى القمقشندي قال : تعرّضت أعرابية للمنصور في طريق مكة بعد وفاة أبي العباس السَّفَّاح ، فقالت :

« يا أمير المؤمنين ، احْتَسِب الصبر ، وقَدِّم الشكر ، فقد أُجْزِلَ اللهُ لك النواب ، في الحالين ، وأعْظَمَ عليك المنة في الحادثين ، سَلَبَكَ اللهُ ، وأفادك خلافة الله ، فسلم فيما سَلَبَكَ ، واشكُر فيما مَنَحَكَ ، وتجاوزَ اللهُ عن أمير المؤمنين ، وخارَ لك فيما تَمْلِكُك من أمر الدنيا والدين » .

وروى الجاحظ قال : عَزَّتْ امرأةُ المنصور عن أبي العباس مُقدِّمه من مكة ، قالت : « أعظم الله أجرك ، فلا مصيبة أجلُّ من مصيبتك ، ولا عوض أعظم من خلافتك » . (صح الاعنى ٩ : ٢٧٨ ، والبيان والتبيين ٢ : ٥٥)

٥٢ - خطبة محمد بن سليمان ^(١) يوم الجمعة

(وكان لا ينيئها)

الحمد لله ، أحمده وأستعينه وأستغفره ، وأومن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ، يُظهِرَه على الدين كله ولو كره المشركون ، من يعتم به بالله ورسوله ، فقد اعتصم بالمرزوق الوُتقى ، وسعد في الأولى والآخرة ، وَمَنْ يَعَصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلالاً بعيداً ، وَخَسِرَ خُسْراناً مُبيناً ، أسأل الله أن يجعلنا وإياكم ممن يُطِيعُهُ وَيُطِيعَ رَسُولَهُ ، وَيَتَّبِعَ رِضوانَهُ ، وَيَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ ، فَإِنَّا نَحْنُ لَهُ وَبِهِ ، أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَأَحْثَمِكُمْ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَأَرْضَى لَكُمْ مَا عِنْدَ اللَّهِ ، فَإِنْ تَقَوَّى اللَّهُ أَفْضَلَ مَا تَحَاتَّى النَّاسُ عَلَيْهِ ، وَتَدَاعَوْا إِلَيْهِ ، وَتَوَاصَوْا بِهِ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ ، وَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » . (البيان والتبيين ٢ : ٦٥)

٥٣ - وصية مسلم بن قتيبة

وقال مُسلم بن قُتيبة ^(٢) : « لَا تَطْلُبَنَّ حَاجَتَكَ إِلَى وَاحِدٍ مِنْ ثَلَاثَةٍ : لَا تَطْلُبْهَا

[١] هو محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس ، وكان عامل البصرة في خلافة أبي جعفر المنصور وتوفي سنة ١٧٣ في خلافة الرشيد .

[٢] استغفاره المنصور في قتل أبي مسلم ، فقال : ما ترى في أمره ؟ قال : « لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا » فقال : حسبك يا قتيبة ، لقد أودعها أدنا واعية (وفيات الأعيان ١ : ٢٨٢) .

إلى الكَذَّاب ، فإنه يُقَرَّبُهَا وهي بعيدة ، ويبَعِدُهَا وهي قريبة ؛ ولا تطلبها إلى الأحمق ، فإنه يريد أن ينفعك ، وهو يضرُّك ؛ ولا تطلبها إلى رجل له عند قوم ما كَلَّةٌ ، فإنه يحمل حاجتك وقلة حاجته » . (الأمالي ٢ : ١٩٠)

٥٤ - خطبة المهدي (توفي سنة ١٦٩ هـ)

الحمد لله الذي ارتضى الحمد لنفسه ، ورضى به من خلقه ، أحمده على آلائه ^(١) ، وأعبده لبلائه ^(٢) ، وأستمعني ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه توكل راض بقضائه ، وصابر لبلائه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمداً عبده المصطفى ، ونبيه المجتبي ^(٣) ، ورسوله إلى خلقه ، وأمينه على وحيه ، أرسله بعد انقطاع الرجاء ، وطُمُوس ^(٤) العلم ، واقتراب من الساعة ، إلى أمة جاهلية ، مختلفة أُمِّيَّة ، أهل عداوة وتضاعن ، وفرقة وتباين ، قد استهوئتهم شياطينهم ، وعلب عليهم قُرَنائهم ^(٥) ، فاستشعروا الرذى ، وسلكوا العمى ، يبشر من أطاعه بالجنة وكريم ثوابها ، وينذر من عصاه بالنار وأليم عقابها ، « لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَإِنَّ اللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ » .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن الاقتصار عليها سلامة ، والترك لها ندامة ، وأحتسكم على إجلال عظمته ، وتوقير كبريائه وقدرته ، والانهاء إلى ما يقرب من رحمته ، وينجى من سخطه ، ويُنَال به مآلديه ، من كريم الثواب ، وجزيل المآب ، فاجتنبوا ما خوّفكم الله من شديد العقاب ، وأليم العذاب ، ووعيد الحساب ، يوم توفقون بين يدي الجبار ، وتعرضون فيه على النار « يَوْمَ لَا تَسْكُمُ

[١] نعمه ، والمرد إلى كمال وشمس ، وإلى كمالها وإلى كرامتها .

[٢] البلاء . يكون سعة ، ويكون محنة . [٣] المحار . [٤] الدروس والاعاء .

[٥] القرى : المصاحب ، والحيطان : القرون بالإنسان لا يفارقه .

نَفْسٌ إِلَّا لِإِذْنِهِ ، فَمَنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ ؛ يَوْمَ يَقْرَأُ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ
وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ، لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُعْنِيهِ ؛ يَوْمَ لَا يُخْزِي نَفْسٌ
عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ، وَلَا يَقْبُلُ مِنْهَا عَدْلٌ ، وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ؛
يَوْمَ لَا يُخْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ ، وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا ، إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ
حَقٌّ ، فَلَا تَغْرُبَنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَغْرِبْكُمْ بِاللَّهِ الْغُرُورُ ، فَإِنَّ الدُّنْيَا
دَارُ غُرُورٍ ، وَبَلَاءٍ وَشُرُورٍ ، وَأَضْمَحَلَلٍ وَزَوَالٍ ، وَتَقَلُّبٍ وَاتِّقَالٍ ، قَدْ أَفْنَتَ
مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَهِيَ عَائِدَةٌ عَلَيْكُمْ وَعَلَى مَنْ بَعْدَكُمْ ، مَنْ رَكَنَ إِلَيْهَا صَرَغَتْ ،
وَمَنْ وَثِقَ بِهَا خَانَتْ ، وَمَنْ أَمَلَهَا ^(١) كَذَبَتْ ، وَمَنْ رَجَاها خَدَلَتْ ، عِزُّهَا ذُلٌّ ،
وَعِظَامُهَا فَقْرٌ ، وَالسَّعِيدُ مِنْ تَرْكِهَا ، وَالنَّاسِقُ فِيهَا مِنْ آثَرِهَا ، وَالْمُتَجَبُّونَ فِيهَا مِنْ بَاعِ
حِطَّةٍ مِنْ دَارِ آخِرَتِهَا ، فَاللَّهُ اللَّهُ عِبَادَ اللَّهِ ، وَالتَّوْبَةُ مَقْبُولَةٌ ، وَالرَّحْمَةُ مَبْسُوطَةٌ ،
وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ الزَّكِيَّةِ ^(٢) ، فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ، قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ بِالْكَفْظِ ^(٣) ،
وَتَتَدَمَّوْا فَلَا تَتَالَوْنَ النَّدَمَ ، فِي يَوْمٍ حَسْرَةٍ وَتَأْسُفٍ ، وَكَتَابَةٍ وَتَلَهْفٍ ، يَوْمَ لَيْسَ
كَأَلْيَامٍ ، وَمَوْقِفُ صُنْكَ الْمَقَامِ ، إِنْ أَحْسَنَ الْحَدِيثَ وَأَبْلَغَ الْمَوْعِظَةَ كَتَابَ اللَّهِ ،
يَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ
تُذَكَّرُونَ » أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ، بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ، أَلْهَاكُمْ
التَّسَكُّرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ - أَوْصِيَكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِمَا أَوْصَاكُمْ اللَّهُ
بِهِ ، وَأَنَّهُمْ كَمَ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَرْضَى لَكُمْ طَاعَةَ اللَّهِ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلِكُمْ .

(المقفد الفريد ٢ : ١٤٦)

[١] أمله وأمله بالتحفيف والشديد . [٢] ذكركو : مما وصلح .

[٣] الكلام : الخلق أو العلم ، أو مخرج النفس ، أى قبل الموت .

مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان

روى ابن عبدربه قال :

« هذا ما تراجع فيه المهدي ووزرائه ، وما دار بينهم من تدبير الرأي في حرب خراسان ، أيام تحامكت عليهم العمال وأغنت ، فحملتهم الدالة وما تقدم لهم من المكاة ، على أن نكتوا بيعتهم ، وتقضوا موثقتهم ، وطرودوا العمال ، والتوتوا بما عليهم من الخراج ، وحمل المهدي ما يجب من مصلحتهم ، ويكره من عنتهم ، على أن أقال عثرتهم ، واغفر زلتهم ، واحتمل دألتهم ، تطوئاً بالفضل ، واتساعاً بالمعروف ، وأخذاً بالحجة ، ورفقاً بالسياسة ، ولذلك لم يزل مذكراً لله أعباء الخلافة ، وفأده أمور الرعية ، رفيقاً بمدارسلطانه ، بصيراً بأهل زمانه ، باسطاً للمدلة في رعيته ، تسكناً إلى كنفه ، وتأنساً بمفوه ، وتنقاً بحلمه ، فإذا وقعت الأفضية اللازمة ، والحقوق الواجبة ، فليس عنده هوارده ، ولا إغضاء ، ولا مدهانة ، أثره للحق ، وقياماً بالعدل ، وأخذاً بالحزم ، فدعا أهل خراسان الاغترار بحلمه ، والنقاة بمفوه ، أن كسروا الخراج ، وطرودوا العمال ، وسألوا ما ليس لهم من الحق ، ثم خطلوا احتجاجاً باعتذار ، وخصومة بإفراز ، وتنصلاً باعتلال ، فلما انتهى ذلك إلى المهدي ، خرج إلى مجلس خلأته ، وبعث إلى نفر من لحمة^(١) ووزرائه ، فأعلمهم الحال ، واستنصحهم للرعية ، ثم أمر الموالى^(٢) بالابتداء ، وقال للعباس^(٣) بن محمد : أي عم تعقب قولنا ، وكن حكماً بيننا ، وأرسل إلى

[١] اللعة : الفراعة . [٢] جمع مولى ، وهو ها العريب كآبن الم ونحوه .

[٣] هو الساس بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس أحو المصور .

ولديه موسى وهرون ، فأحضرهما الأمر ، وشاركهما في الرأي ، وأمر محمد بن الليث بحفظ مراجعتهم ، وإثبات مقالاتهم في كتاب .

٥٥ - مقال سلام صاحب المظالم

فقال سلام صاحب المظالم :

« أيها المهدي : إن في كل أمر غاية ، ولكل قوم صناعة ، استفرغت رأيهم ، واستفرقت أشغالهم ، واستنفدت أعمارهم ، وذهبوا بها ، وذهبت بهم ، وعرفوا بها ، وعرفت بهم ، وهذه الأمور التي جعلنا فيها غاية ، وطلبت معونتنا عليها أقوام من أبناء الحرب وساسة الأمور ، وقادة الجنود ، وفُرسان الهزائم^(١) ، وإخوان التجارب ، وأبطال الوقائع ، الذين رشحتهم سبجاً لها^(٢) ، وفئاتهم ظلالها ، وعصيتهم شدائدُها ، وفَرمتهم^(٣) نواجذُها ، فلو عجمت ما قبلهم ، وكشفت ما عندهم ، لو جدت نظائرَ تؤيدُ أمرَك ، وتجاربَ توافقَ نظرك ، وأحاديثَ تقوى قلبك ، فأما نحن معاشرَ عمالك ، وأصحاب دواوينك ، حَسَنُ بنا ، وكثير منا أن نقوم بتقل ما حملتنا من عملك ، واستودعتنا من أمانتك ، وشغلنا به من إمضاء عدلك ، وإنفاذ حُكْمك ، وإظهار حَقك » .

فأجابه المهدي : « إن في كل قوم حكمة ، ولكل زمان سياسة ، وفي كل حال تدبير ، يُبطل الآخر الأول ، ونحن أعلم بزماننا ، وتدبير سلطاننا » .

قال نعم : أيها المهدي : أنت متسع الرأي ، وثيق العقدة ، قويُّ المنة^(٤) ، بليغ الفطنة ، معصوم النية ، محضور الروية ، مؤيد البديهة ، موفق المزيمة ،

[١] الهررة والهرامر : تحريك اللهايا والحروب الناس . [٢] جمع سبيل كشمس ، وهو النلو العظيمة حمولة . [٣] حرم للطعام : أكله ، والواحد : أقصى الأصراس . [٤] القوة .

مُحَانُ بِالظَّفَرِ ، مَهْدِيٌّ إِلَى الْخَيْرِ ، إِنْ مَحَمَّتْ فِي عَزَمِكَ مَوَاقِعُ الظَّنِّ ، وَإِنْ اجْتَمَعَتْ صَدَعٌ فَعَلْتُكَ مَلْتَبِسُ الشَّكِّ ، فاعزِمِ يَهْدِيَّ اللَّهُ إِلَى الصَّوَابِ قَلْبَكَ ، وَقُلْ يُنْطِقُ اللَّهُ بِالْحَقِّ لِسَانُكَ ، فَإِنْ جَنُودُكَ حَجَّةٌ ، وَخَزَائِنُكَ عَامِرَةٌ ، وَنَفْسُكَ سَخِيَّةٌ ، وَأَمْرُكَ نَافِذٌ .

فأجابه المهدي : « المشاورة والمناظرة بابا رحمة ، ومفتاحا بركة ، لا يَهْلِكُ عليهما رَأْيٌ ، وَلَا يَنْفَيْلُ ^(١) مِمَّا حَزَمَ ، فَأَشِيرُوا بِرَأْيِكُمْ ، وَقُولُوا بِمَا يَحْضُرُكُمْ ، فَلِنِي مِنْ وَرَائِكُمْ ، وَتَوْفِيقُ اللَّهِ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ » .

٥٦ - مقال الربيع بن يونس ^(٢)

وقال الربيع :

أيها المهدي : إِنْ تَصَارَيْفَ وَجْهِ الرَّأْيِ كَبِيرَةٌ ، وَإِنْ الْإِشَارَةُ بَعْضُ مَعَارِيضِ الْقَوْلِ يَسِيرَةٌ ، وَلَكِنْ خِرَاسَانُ أَرْضٍ بَمِيدَةٍ الْمَسَافَةِ ، مُتَرَاخِيَةِ الشُّقَّةِ ^(٣) ، مُتَفَارِقَةِ السَّبُلِ ، فَإِذَا ارْتَأَيْتَ مِنْ مُحْكَمِ التَّدْيِيرِ ، وَمُبْتَرَمِ التَّقْدِيرِ ، وَأَبَابِ الصَّوَابِ ، رَأْيًا قَدْ أَحْكَمَهُ نَظْرُكَ ، وَقَلْبُهُ تَدْيِيرُكَ ، فَلَيْسَ وَرَاءَهُ مَذْهَبٌ طَاعِنٌ ، وَلَا دُونَهُ مَعْلُوقٌ لَخُصُومَةٍ عَائِبٍ ، ثُمَّ خَبَّتِ الْبُرْدُ ^(٤) بِهِ ، وَإِنْطَوَّتِ الرُّسُلُ عَلَيْهِ ، كَانَ بِالْحَرَى أَنْ لَا يَصِلَ إِلَيْهِمْ مُحْكَمُهُ ، إِلَّا وَقَدْ حَدَثَ مِنْهُمْ مَا يَنْقُضُهُ ، فَمَا أَيْسَرُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْكَ الرُّسُلَ ، وَتَرِدَ عَلَيْكَ الْكُتُبُ ، بِمُحَقَّقَاتِ أَخْبَارِهِمْ ، وَشَوَارِدِ آثَارِهِمْ ، وَمَصَادِرِ أُمُورِهِمْ ، فَتُخَدِّثَ رَأْيًا غَيْرَهُ ، وَتُبْتَدِعَ تَدْيِيرًا سِوَاهُ ، وَفَدَانُفِرْجَتِ الْحَلْقُ ، وَتَحَلَّلَتِ الْقَعْدُ ، وَاسْتَرْخَى الْحِقَابُ ^(٥) ، وَامْتَدَّ الزَّمَانُ ، ثُمَّ لَعَلَّ مَوْقِعَ الْآخِرَةِ

[١] قال رأيته وتبيل : أخطأ وصعب . [٢] ودر لاني حصر المصور وقته الهادي سنة ١٧٠ هـ

[٣] البعد والسر البعد . [٤] جمع بريد : وهو الرسول ، وحت : أمرت .

[٥] الحقاب : ما تعدّه المرأة في وسطها .

كصدر الأولى، ولكن رأى أيها المهدي وفقك الله، أن تصرف إجابة النظر، وتقلب الفكر فيما جعته له، واستشرتنا فيه من التدبير لحربهم، والحيل في أمرهم، إلى الطلب لرجل ذي دين فاضل، وعقل كامل، وورع واسع، ليس موصوفاً بهوى في سواك، ولا متهماً في أثره عليك، ولا ظليناً^(١) على دخلة^(٢) مكروهة، ولا منسوباً إلى بدعة محدورة، فيقدح في ملكك، ويريض^(٣) الأمور لنفرك، ثم تسند إليه أمورهم، وتقوض إليه حربهم، وتأمره في عهدك، ووصيتك إياهم، بلزوم أمرك ما زمة الحزم، وخلاف نهيك إذا خالفة الرأي، عند استعالة الأمور، واشتداد الأحوال التي ينقض أمر الغائب عنها، ويثبت رأى الشاهد لها، فإنه إذا فعل ذلك، فوائب أمرهم من قريب، وسقط عنه ما يأتي من بعيد، تمت الحيلة، وقويت المكيدة، ونفذ العمل، وأحيد النظر إن شاء الله.

٥٧ - مقال الفضل بن العباس

قال الفضل بن العباس :

« أيها المهدي، إن ولي الأمور، وسائس الحروب، ربما نحى جنوده، وفرق أمواله في غير ماصيق أمر حربه^(١)، ولا ضغطة حال اضطرت به، فيقعده عند الحاجة إليها، وبعد التفرقة لها، عديماً منها، فاقداً لها، لا يثق بقوة، ولا يصول بعدة، ولا يفرغ إلى ثقته، فالرأى لك أيها المهدي وفقك الله، أن تُعفي خرائتك من الاتفاق للأموال، وجنودك من مكابدة الأسفار، ومقارعة

[١] منها . [٢] دخلة الرجل مثانة، ودحيته : نجه ومدهبه .

[٣] في كتب اللغة : راضه وروحه : دله، وأراس الأرمس - ماها رياسا . [٤] اشتد عليه .

الأخطار، وتغريز القتال ، ولا تُسرِّعُ للقوم في الإجابة إلى ما يطلبون ، والعطاء لما يسألون ، فيفسد عليك أدبهم ، وتجري من رعينتك غيرهم ، ولكن اغرم بالحيلة ، وقائلهم بالمكيدة ، وصارعهم باللين ، وخاتلمهم ^(١) بالرفق ، وأبرق ^(٢) لهم بالقول ، وأرعد نحومهم بالفعل ، وابمت البعوث ، وجند الجنود ، وكتب الكتاب ، واعقد الألوية ، وانصب الرايات ، وأظهر أنك موجه إليهم الجيوش مع أختق قوادك عليهم ، وأسوهم أثرأ فيهم ، ثم ادس الرسل ، واثبت الكتب ، وضع بعضهم على طمع من وعدك ، وبعضا على خوف من وعيدك ، وأوقد بذلك وأشباهه نيران التحاسد فيهم ، واغرس أشجار التنافس بينهم ، حتى تملأ القلوب من الوحشة ، وتنطوى الصدور على البغضة ، ويدخل كلا من كل الحذر والهيبة ، فإن مرآم الظفر بالنيلة ، والقتال بالحيلة ، والمناسبة ^(٣) بالكتب ، والمكيدة بالرسل ، والمقارعة بالكلام اللطيف المدخل في القلوب ، القوي الموزع من النفوس ، المعقود بالحجج ، الموصول بالحيل ، المبني على اللين الذي يستميل القلوب ، ويسترق العقول والآراء ، ويستميل الأهواء ، ويستدعي المواتاة ^(٤) ، أنفذ من القتال بطبات السيوف ، وأسنة الرماح كما أن الوالي الذي يستنزل طاعة وعيته بالحيل ، ويفرق كلمة عدوه بالمكيدة ، أحكم عملا ، وأطف منظرأ ، وأحسن سياسة من الذي لا ينال ذلك إلا بالقتال ، والاتلاف للأموال ، والتغريز والخطار ^(٥) ، وليعلم المهدي أنه إن وجه لقتالهم رجلا لم يسر لقتالهم إلا بجنود كثيفة ، تخرج عن حال شديدة ، وتقدم

[١] حاصمهم . [٢] رعد ويرق ، وأرعد وأبرق : تهدد ويوعد .

[٣] ناصبه الحرب والمناوة : ألقها . [٤] الموافقة . [٥] المحاطرة .

على أسفار ضيقة ، وأموال متفرقة ، وقواد غَشَشَة ، إن أئمتهم استنفدوا ماله ، وإن استنصَحهم كانوا عليه لاله .

قال المهدي : « هذا رأى قد أسفر نُورَه ، وأُبرق ضوؤه ، وتمثل صوابه للعيون ، وتجسّد حقه في القلوب ، ولكن فوق كلّ ذى علم عليم » . ثم نظر إلى ابنه علي ، فقال : ما تقول ؟

٥٨ — مقال علي بن المهدي

قال علي بن المهدي :

« أيها المهدي : إن أهل خراسان لم يَحْلَمُوا عن طاعتك ، ولم يَنْصِبُوا من دونك أحداً ، يَقْدَح في تغيير ملكك ، وَيُريِضُ الأمور لفساد دولتك ، ولو فعلوا لكان الخطب أيسرَ ، والشأن أصغرَ ، والحال أذلّ ، لأن الله مع حقه الذي لا يَحْذُلُه ، وعند موّعه الذي لا يُخْلِفُه ، ولكنهم قوم من رعيتك ، وطائفة من شيعتك ، الذين جعلك الله عليهم والياً ، وجعل العدل بينك وبينهم حاكماً ، طلبوا حقاً ، وسألوا إنصافاً ، فإن أجبتَ إلى دعوتهم ، ونفّستَ عنهم قبل أن يتلاحم منهم حال ، ويحدّث من عندهم فتق ، أطلعتَ أمر الرب ، وأطفأتَ نائرة الحرب ، ووفّرتَ خزان المال ، وطرحتَ تبرير القتال ، ومَحَلَّ الناسُ تحمّل ذلك على طبيعة جُودك ، وسجّية حلمك ، وإسجاح^(١) خليقتك ، ومعدّلة نظرك ، فأبنت أن تُنسَب إلى ضعف ، وأن يكون ذلك فيما بقي دُرْبَه ، وإن منعهم ما طلبوا ، ولم تُجِبهم إلى ما سألوا ، اعتدلتَ بك وبهم الحال ، وساويتهم في ميّدان الحِطَاب ، فما أَرَبُ المهدي أن يعمد إلى طائفة من رعيتِه ،

مقرّين بملكته ، مُذعّنين بطاعته ، لا يُخْرِجون أنفسهم عن قدرته ، ولا يُمَيّرُونها من عبوديته ، فيملكهم أنفسهم ، ويخلع نفسه عنهم ، ويقف على الحيل معهم ، ثم يجازيهم السوء في حدّ المقارعة ، وميضمار المخاطرة ، أريد المهدي - وفقه الله - الأموال ؟ فلمرى لا يتألم ولا يظفر بها إلا بإتفاق أكثر منها مما يطلب منهم ، وأضعاف ما يدعى قبلهم ، ولو نالها ، فحُمِلت إليه ، ووُضِعَتْ بخرائطها ^(١) بين يديه ، ثم تجافى لهم عنها ، وطال عليهم بها ، لكان مما إليه يُنسَب ، وبه يُعرَف ، من الجود الذي طبعه الله عليه ، وجعل قُرّة عينه ، ونَهْمَةً ^(٢) نفسه فيه ، فإن قال المهدي : هذا رأى مستقيم سديد ، في أهل الخراج الذين شكّوا ظلم عمالنا ، وتحاملّ ولاتنا ؛ فأما الجنود الذين نَقَضُوا موافق العهود ، وأنفقوا لسان الإرجاف ، وفتحوا باب المعصية ، وكسروا قيد الفتنة ، فقد ينبغى لهم أن أجعلهم نسكالا لنيرهم ، وعِظَةً لسواهم ، فيعلم المهدي أنه لو أتى بهم مغاولين في الحديد ، مُقرّنين ^(٣) في الأصناد ^(٤) ، ثم اتسع لِحَقْنِ دماهم عَفْوُهُ ، ولإقالة عثرتهم صَفْحُهُ ، واستبقاهم لما هم فيه من حربته ، أولم يلازمهم من عدوه ، لمّا كان يذعاً من رأيه ، ولا مستنكراً من نظره ، لقد علمت العربُ أنه أعظم الخلفاء والملاوك عفواً ، وأشدّها وقماً ، وأصدقها صولة ، وأنه لا يتعاضله ^(٥) عفوٌ ، ولا يتكاهدُهُ ^(٦) صفحٌ ، وإن عَظُمَ الذنبُ ، وجَلَّ الخطبُ ، فالرأى للمهدي وفقه الله تعالى أن يَحُلَّ عُقْدَةَ الغيظ ، بالرجاء لحسن ثواب الله في المفوع عنهم ، وأن يذكر أولى حالهم ، وَصِيْعَةً عِيالهم ، رَأَاهُمْ ، وتوسّعاً لهم ، فإنهم إخوان دولته ،

[١] جمع حربطة وهي وطاء من آدم وغيره يشرح على ما فيه . [٢] النهمة : الحاحه ولوع الشهوة في الشيء . [٣] مقيدين . [٤] الأصناد : القيود : جمع صند كسب . [٥] تعاضله الأمر : عظم عليه . [٦] تكاهده الأمر : شقّ عليه .

وأركان دعوته ، وأساس حقه الذين بعزتهم يصول ، وبُحْجَتهم يقول ، وإنما مثْلهم فيما دخلوا فيه من مَسَاخِطه ، وتَمَرُّضوا له من معاصيه ، وانطَروا فيه عن إجابته ، ومَثَله في قلة ما عيَّر ذلك من رأيه فيهم ، أو نُقِل من حاله لهم ، أو تغيَّر من نعمته بهم ، كمثل رجلين أخوين متناصِرين متوازيين ، أصاب أحدهما خَبَلٌ عارض ، ولَهُوَ حادث ، فنهض إلى أخيه بالأذى ، وتحامل عليه بالمكرهه ، فلم يزد أخوه إلا رَقَّةً له ، ولطفًا به ، واحتيالًا لمداواة مرضه ، ومراجعة حاله ، عطفًا عليه ، وبرًّا به ، ومَرَحمةً له .

فقال المهدي : أما على فقد نوى سَمْت اللِّيان ^(١) ، وَفَضَّ القلوب في أهل خراسان ، ولكل نَبَأٍ مُسْتَقَرٍّ ، فقال : ماترى بأبا محمد يعنى موسى ابنه (المهادي) .

٥٩ - مقال موسى بن المهدي

فقال موسى :

« أيها المهدي : لَا تَسْكُنْ إلى حلاوة ما يجري من القول على ألسنتهم ، وأنت ترى الدماء تسيل من خَلَلِ فمهم ، الحال من القوم ينادى بِمَضْرَةِ شر ، وخَفِيَّةِ حَقْد ، قد جعلوا العاذِرَ عليها سِتْرًا ، واتخذوا العِلَل من دونها حجابًا ، رجاء أن يدافعوا الأيام بالتأخير ، والأمر بالتطويل ، فيكسِرُوا حِيلَ المهدي فيهم ، ويُفْنُوا جنودَه عنهم ، حتى يتلاحم أمرهم ، وتلاحق مآذيتهم ، وتسفحل حربهم ، وتستمر الأمور بهم ، والمهدي من قوطم في حال غِرَّة ، ولباس أَمَنَةٍ ، قد قَتَرَ لها ، وأَئِس بها ، وسكن إليها ، ولولا ما اجتمعت به قلوبهم ، وَبَرَدَتْ عليه جلودهم من المناصِبَة بالقتال ، والإصمار للقراع ، عن داعية ضلال ، أو شيطان

[١] اللِّيان : اللالينة . مصبر لآين ، والست : الطريق .

فساد، لَزِهِيُوا عواقب أخبار الوُلاة ، وَغِيبْ سكون الأمور ، فليَشْدُدْ المهدي وَفْقَهُ الله أزرَهُ ^(١) لهم ، وَيَكْتَبْ كِتَابَهُ نَحْوَم ، وَلِيَضَعْ الأَمْرَ على أَشَدِّ مَا يَحْضُرُهُ فيهم ، وَلِيُوقِنَ أَنَّهُ لَا يَعْطِيهِمْ خُطَّةً يَرِيدُ بِهَا صَلَاحَهُمْ ، إِلَّا كَانَتْ دُرْبَةً إِلَى فسادهم ، وَفَوْةً على معصيتهم ، وَدَاعِيَةً إِلَى عودتهم ، وَسَبَبًا لفساد مَنْ يَحْضُرُهُ مِنَ الْجُنُودِ ، وَمَنْ يِيَّابُهُ مِنَ الْوُفُودِ الَّذِينَ إِنْ أَمَرَهُمْ ، وَتَلَكِ الْمَادَّةُ ، وَأَجْرَاهُمْ عَلَى ذَلِكَ الْأَرْبَ ، لَمْ يَرِحْ فِي قَتْقِ حَادِثٍ ، وَخِلَافِ حَاضِرٍ ، لَا يَصْلُحُ عَلَيْهِ دِينٌ ، وَلَا تَسْتَقِيمُ بِهِ دُنْيَا ، وَإِنْ طَلِبَ تَغْيِيرَهُ بَعْدَ اسْتِحْكَامِ الْمَادَّةِ ، وَاسْتِمْرَارِ الدُّرْبَةِ ، لَمْ يَصِلْ إِلَى ذَلِكَ إِلَّا بِالْعُقُوبَةِ الْمُفْرِطَةِ ، وَالْمَثُونَةِ الشَّدِيدَةِ ، وَالرَّأْيُ لِلْمَهْدِيِّ وَفْقَهُ اللهُ أَنْ لَا يَقْبَلَ عَثَرَتَهُمْ ، وَلَا يَقْبَلَ مَعْذِرَتَهُمْ ، حَتَّى تَطْلُمَ الْجِيُوشُ ، وَتَأْخُذَهُمُ السِّيفُ ، وَيَسْتَجِيرَ ^(٢) . مِ الْقَتْلِ ، وَيُحْدِقَ بِهِمُ الْمَوْتَ ، وَيَحِيطَ بِهِمُ الْبَلَاءُ ، وَيُطَبِّقَ عَلَيْهِمُ الدَّلَّ ، فَإِنْ فَعَلَ الْمَهْدِيُّ بِهِمْ ذَلِكَ ، كَانَ مُقْطَعَةً لِكُلِّ عَادَةٍ سَوَاءٍ فِيهِمْ ، وَهَزِيعَةً لِكُلِّ بَادِرَةٍ سَرٍّ مِنْهُمْ ، وَاحْتِمَالًا لِلْمَهْدِيِّ فِي مَثُونَةِ غَزْوَتِهِمْ هَذِهِ ، تَضَعُ عَنْهُ غَزَوَاتٍ كَثِيرَةً ، وَفَقَاتٍ عَظِيمَةً .

فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : « قَدْ قَالَ الْقَوْمُ ، فَاحْكُمْ يَا أَبَا الْفَضْلِ » .

٦٠ - مَقَالُ الْعَبَّاسِ بْنِ مُحَمَّدٍ

فَقَالَ الْعَبَّاسُ بْنُ مُحَمَّدٍ :

« أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ : أَمَا الْمَوَالِي فَأَخَذُوا بِضُرُوعِ الرَّأْيِ ، وَسَلَكُوا جَنَابَاتِ الصَّوَابِ ، وَتَمَدُّوا أُمُورًا مَصْرُومَةً بِظُهُرِهَا ، أَنَّهُ لَمْ تَأْتِ تِجَارَتُهُمْ عَلَيْهَا ، وَأَمَّا الْفَضْلُ فَأَشَارَ بِالْأَمْوَالِ أَنْ لَا تُتَفَقَّ ، وَالْجُنُودُ الْأَتَقَرَّقُ ، وَبِأَنْ لَا يُعْطَى الْقَوْمُ مَا طَلَبُوا ، وَلَا

يُنْذَلْ لَهُمْ مَسْأَلُوا ، وجاء بأمرَيْنِ ذَلِكَ استصغاراً لأمرهم ، واستهانةً بحريهم ، وإنما يبيحُ جَسِيَّاتِ الْأُمُورِ صِغَارُهَا .

وأما على ، فأشار باللين وإفراط الرِّفْق ، وإذا جرَّد الوالى لمن غَمِطَ أمره ، وسَفِهَ حقّه ، الذين يَحْتَكُوا ، والخير مخضاً ، لم يخلطهما بشدةٍ تمطِفُ القلوب عن لينه ، ولا بشرٍ يَحْمِلُهُمْ إلى خيره ، فقد ملكهم الخلعَ لعذرهم ، ووسَّعَ لهم الفُرْجَةَ لِنَتْنِي أَعْنَاقِهِمْ ، فإن أجابوا دعوته ، وقبِلوا لينه من غير خوف اضطهرهم ولا شدة ، فَتَرَوْهُ^(١) في رءوسهم ، يستدعون بها البلاء إلى أنفسهم ، ويستصرخون بها رأى المهدي فيهم ، وإن لم يقبلوا دعوته ، ويسرعوا لإجابته باللين المَخْض ، والخير الصُّرَاح ، فذلك ما عليه الظن بهم ، والرأى فيهم ، وما قد يشبه أن يكون من مثلهم ، لأن الله تعالى خلق الجنة ، وجعل فيها من النعيم المقيم ، والملك الكبير ، ما لا يَخْطُرُ على قلب بشر ، ولا تُدْرِكُهُ الْفِكْرُ ، ولا تعلمه نفسٌ ، ثم دعا الناس إليها ، ورغبهم فيها ، فلولا أنه خلق ناراً جعلها لهم رحمةً يسوفهم بها إلى الجنة ، لما أجابوا ولا قبلوا

وأما موسى ، فأشار بأن يُعْصَبُوا بسدّه لالين فيها ، وأن يُزْمَوْا بشراً لاخير معه ، وإذا أضمر الوالى لمن فارق طاعته ، وخالف جماعته ، الخوف مُقَرِّداً ، والشر مجرّداً ، ليس معهما طمع ، ولا لين يثنيهم ، اشتدت الأمور بهم ، وانتطعت الحال منهم إلى أحد أمرين ، إما أن تدخلهم الحِمِيَّةُ من الشدة ، والأثمة من الدلة ، والامتعاض من القهر ، فيدعوم ذلك إلى التّنادى في الخلاف ، والاستبسال في القتال ، والاستسلام للموت ، وإما أن ينقادوا بالكُرْه ، ويُذعنوا بالقهر على

بِنِصْفَةٍ لازمة ، وعداوة باقية ، تُورث النفاق ، وتُعقِبُ الشقاق ، فإذا أمكتهم فرصة ، أو ثابَّتْ^(١) لهم قدرة ، أو قويت لهم حال ، عاد أمرهم إلى أصمب وأغلظ وأشدَّ مما كان .

وقال في قول أبي الفضل : أيها المهدي ، أكنفي دليل ، وأوضح برهان ، وأبين خبر بأن قد أجمع رأيه ، وحزَمَ نظره على الإرشاد ببعثة الجيوش إليهم ، وتوجيه البعوث نحوهم ، مع إعطائهم ماسألوا من الحق ، وإجابتهم إلى ماسألوه من العدل . قال المهدي : ذلك رأى .

٦١ - مقال هرون بن المهدي

قال هرون :

« خلطت الشدة أيها المهدي باللين ، فصارت الشدة أمرًا فطام لما تَكَرَّرَ ، وعاد اللين أهْدَى قائد إلى ماتحِب ، ولكن أرى غير ذلك » .
قال المهدي : « لقد قلت قولاً بديعاً ، وخالفت فيه أهل بيتك جميعاً ، والمرء مؤتمن بما قال ، وطنين بما أدعى ، حتى يأتي بيئته عادلة ، وخجة ظاهرة ، فالخرج مما قلت » قال هرون : « أيها المهدي ، إن الحرب خدعة^(٢) ، والأعاجم قوم مَكْرَة ، وربما اعتدلت الحال بهم ، واتفقت الأهواء منهم ، فكان باطن مائسرون على ظاهر مائثلينون ، وربما افتقرت الحالان ، وخالف القلب اللسان ، فانطوى القلب على محجوبة تُبْطِن ، واسسرت بمدخولة لا تَعْلَن ، والطبيب الرفيق بطبته ، البصير بأمره ، العالم بمقدّم يده ، وموضع ميسمه^(٣) لا يتعجل بالدواء ، حتى يقع على معرفة الدواء ، فالرأى للمهدي « وفقه الله » أن يُقِرَّ^(٤) باطن أمرهم قَرَّ

[١] رجعت . [٢] خدعة تكون الدال ولسن الحاء ، وبهم الحاء وفتح الدال ، أي تنقص بمخدعة .

[٣] اللبس : الكوادة . [٤] في النهاية : كشف عن أسرارها يعرف سنها .

المُسِنَّة ، ويمَخَض ظاهر حالهم غَض السَّقاء ، بتأبئة الكتب ، ومظاهرة الرُّسل ، وموالاة العيون ، حتى تُهْتَك حُجُب عيونهم ، وتكشف أغطية أمورهم ، فإن انفرجت الحال وأفضت الأمور به إلى تغيير حال ، أو داعية ضلال اشتملت الأهواء عليه ، وانقاد الرجال إليه ، وامتدت الأعناق نحوه بدين يمتقدونه ، وإثم يستحلونه ، عَصَبهم بشدة لا لين فيها ، ورماهم بقوة لا عَفْوَ معها ، وإن انفرجت العيون ، واهتُصِرَت الستور ، ورُفِعَت الحُجُب ، والحال فيهم مَرِيعة ^(١) ، والأمور بهم معتدلة ، في أرزاق يطلبونها ، وأعمال يُنكرونها ، وظَلَامَاتٍ يدعونها ، وحقوق يسألونها ، بمائة سابتهم ، ودالة مناصحتهم ، فالرأي للمهدي - وفقه الله - أن يتسع لهم بما طلبوا ، ويتجافى لهم عما كرهوا ، وَيَسْتَعَب ^(٢) من أمرهم ما صدعوا ، وَيَزْتَق من قَتَقِهِمْ ما قطعوا ، ويؤلى عليهم من أحبوا ، ويدأوى بذلك مرض قلوبهم ، وفساد أمورهم ، فإنما المهدي وأمته ، وسواد أهل مملكته ، بمنزلة الطيب الرفيق ، والوالد الشفيق ، والراعي المجرب الذي يحتال لِمَرَابِضِ عنمه ، وَصَوَالَ رعيته ، حتى يُبْرِئ المريضة من داء علتها ، ويردّ الصَّحِيحة إلى أنس جماعتها . ثم إن خراسان بخَاصَّة الذين لهم دالة محمولة ، ومائة مقبولة ، ووسيلة معروفة ، وحقوق واجبة ، لأنهم أَيْدِي دولته ، وسيوف دعوته ، وأنصار حقه ، وأعوان عدله ، فليس من شأن المهدي الاضطغان عليهم ، ولا المؤاخذه لهم ، ولا التوغر ^(٣) بهم ، ولا المكافأة بإساءتهم ، لأن مبادرة حَسَمِ الأمور ضعيفه قبل أن تقوى ، ومحاولة قطع الأصول ضئيلة قبل أن تغلظ ،

[١] مرع الوادي ككرم مراعاة : أحب بكثرة السكّاء فهو مرع .

[٢] فصلح . [٣] وعز الرجل : تشدد .

أحزمُ في الرأي ، وأصح في التدبير ، من التأخير لها ، والتهاون بها ، حتى يلتئم قليلها بكثيرها ، وتجتمع أطرافها إلى مجهورها .

قال المهدي : « ما زال هرون يقع وَقَعَ الحيا^(١) » ، حتى خرج خروج القَذَح من الماء ، وانسلَّ انسلال السيف فيما ادعى ، فدعُوا ما سبق موسى فيه أنه هو الرأي ، وثني بعده هرون ، ولكن مَن لَأَعْنَةُ الخيل وسياسة الحرب ، وقيادة الناس ، إن أَمعن بهم اللجاج ، وأَفَرَطَت بهم الدالَّةُ ؟ .

٦٢ - مقال صالح بن علي^(٢)

قال صالح :

« لسنا نبلغ أيها المهدي بدوام البحث وطول الفكر أدنى فِرَاسَةٍ رأيك ، وبعضَ لَحَظَاتٍ نظرك ، وليس ينفصّ عنك من ييونات العرب ، ورجالات العجم ، ذو دين فاضل ، ورأى كامل ، وتدبير موى ، تقلّده حربك ، وتستودعه جندك ، ممن يحتمل الأمانة العظيمة ، ويَضْطَلِع بالأعباء الثقيلة ، وأنت بحمد الله ميمون النقيبة^(٣) ، مبارك العزيمة ، تحبّور التجارب ، محمود العواقب ، معصوم العزم ، فليس يقع اختيارك ، ولا يقف نظرك على أحد تُوليه أمرك ، وتُسند إليه ثَمْرَكَ ، إلا أراك الله ما تحب ، وجمع لك منه ما تريد » .

قال المهدي : « إني لأرجو ذلك لتقديم عادة الله فيه ، وحسن معاونته عليه ، ولكن أحب الموافقة على الرأي ، والاعتبار للمشاورة في الأمر المهم » .

٦٣ - مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أهل خراسان أيها المهدي قومٌ ذوو عِزَّةٍ وَمَنَّةٍ ، وشياطينُ خَدَاعَةٍ ،

[١] الطر . [٢] هو صالح بن علي بن صدّ الله بن عاص . [٣] العس والطبيعة .

زُرُوعِ الْحِمِيَّةِ فِيهِمْ نَابِتَةٌ ، وَمَلَابِسِ الْأَنْفَةِ عَلَيْهِمْ ظَاهِرَةٌ ، فَالْرَوِيَّةُ عَنْهُمْ عَازِيَةٌ ،
وَالْعَجَلَةُ فِيهِمْ حَاضِرَةٌ ، تَسِيْقُ سَيُولَهُمْ مَطَرَهُمْ ، وَسَيُوفُهُمْ عَذْطُهُمْ ، لِأَنَّهُمْ بَيْنَ
سِفْلَةٍ لَا يَعْدُو مَبْلَغُ عَقُولِهِمْ مَنْظَرَ عَيُونِهِمْ ، وَبَيْنَ رُؤَسَاءٍ لَا يُلْجِمُونَ إِلَّا بِشِدَّةٍ ،
وَلَا يُقْطَمُونَ إِلَّا بِالْمُرَّةِ ، وَإِنْ وَلَّى الْمَهْدَى عَلَيْهِمْ وَضِعًا لَمْ تَنْقُذْ لَهُ الْعُظْمَاءُ ، وَإِنْ
وَلَّى أَمْرَهُمْ شَرِيفًا تَحَامَلُ عَلَى الضَمْفَاءِ ، وَإِنْ أَخَّرَ الْمَهْدَى أَمْرَهُمْ ، وَدَافَعَ حَرْبَهُمْ ،
حَتَّى يُصِيبَ لِنَفْسِهِ مِنْ حَشَمَةٍ وَمَوَالِيهِ أَوْ بَنِي عَمِّهِ أَوْ بَنِي أُيَيْهِ نَاصِحًا ، يَتَّقَى عَلَيْهِ
أَمْرَهُمْ ، وَثِقَةً تَجْتَمِعُ لَهُ أُمْلَاؤُهُمْ ^(١) ، بَلَا أَنْفَةٍ تَلْزَمُهُمْ ، وَلَا حِمِيَّةٍ تَدْخُلُهُمْ ، وَلَا
مُصِيبَةٍ تَنْفَرُهُمْ ، تَنْفَسْتَ الْأَيَّامَ بِهِمْ ، وَتَرَاحْتَ الْحَالَ بِأَمْرِهِمْ ، فَدَخَلَ بِذَلِكَ مِنْ
الْفَسَادِ الْكَبِيرِ ، وَالضِّيَاعِ الْعَظِيمِ ، مَا لَا يَتَلَفَاهُ صَاحِبُ هَذِهِ الصِّفَةِ وَإِنْ جَدَّ ،
وَلَا يَسْتَصْلِحُهُ وَإِنْ جَهَّدَ ، إِلَّا بَعْدَ دَهْرٍ طَوِيلٍ ، وَتَرَكَّ كَبِيرٍ ، وَلَيْسَ الْمَهْدَى وَفَقَهُ
اللَّهُ فَاطِمًا عَادَاتِهِمْ ، وَلَا قَارِعًا صَفَاتِهِمْ ^(٢) ، بِمَثَلِ أَحَدِ رَجُلَيْنِ لَا ثَالِثَ لهُمَا ، وَلَا
عِذْلَ ^(٣) فِي ذَلِكَ بَيْنَهُمَا ، أَحَدُهُمَا لِسَانُ نَاطِقٍ مُوصُولٌ بِسَمْعِكَ ، وَيَدٌ مُمَثَّلَةٌ لِعَيْنِكَ ،
وَصَخْرَةٌ لَا تُرْعَزُ عِزُّهُ ، وَبُيُوتُهُ ^(٤) لَا تُنْتَنَى ، وَبَازِلٌ ^(٥) لَا يُفْرِزُهُ صَوْتُ الْجُلُجُلِ ،
نَقِيٌّ الْغَرَضُ ، نَزِيهٌ النَّفْسُ ، جَلِيلُ الْخَطَرِ ^(٦) ، اتَّضَمَّتِ الدُّنْيَا عَنْ قُدْرِهِ ، وَسَمَا
نَحْوُ الْآخِرَةِ بِهَيْمَتِهِ ، وَجَعَلَ الْغَرَضُ الْأَقْصَى لِعَيْنِهِ نُصْبًا ، وَالْغَرَضُ الْأَدْنَى لِقَدَمِهِ
مَوْطِنًا ، فَلَيْسَ يَقْبَلُ عَمَلًا ، وَلَا يَتَعَدَّى أَمَلًا ، وَهُوَ رَأْسُ مَوَالِيكَ ، وَأَنْصَحُ
بَنِي أُيَيْكَ ، رَجُلٌ قَدْ عُدِّيَ بِلطيفِ كِرَاهَتِكَ ، وَنَبَتَتْ فِي ظِلِّ دَوْلَتِكَ ، وَنَشَأَ عَلَى

[١] جمع مَلَأَ كَسَبَ وَهُوَ الْجَمَاعَةُ . [٢] الصَّاعَةُ : الْحَجَرُ الصَّالِدُ الصَّخْمُ . [٣] الدَّلْدَلُ : الطَّيْرُ .

[٤] الْهَيْمَةُ : الصَّخْرَةُ ، وَالشَّجَاعُ الَّذِي لَا يَهْتَدِي مِنْ أَيْنَ يَزُونُ . [٥] الْبَازِلُ : الْخَلْجُ فِي السَّيَةِ

النَّاسَةِ ، وَالرَّجُلُ الْكَامِلُ فِي تَجَرُّبَتِهِ . [٦] الْعِزُّ .

قوائم أدبك ، فإن قلّدتَه أمرهم ، وحمّلتَه ثقلهم ، وأسندتَ إليه ثمرهم ، كان قفلاً فتحه أمرُك ، وباباً أغلقه نهيك ، فجعل العدل عليه وعليهم أميراً ، والإنصاف بينه وبينهم حاكماً ، وإذا أحكم المنصفه ، وملك المعدّلة ، فأعطاهم ما لهم ، وأخذ منهم ما عليهم ، غرس لك في الذي بين صدورهم ، وأسكن لك في السوَيْدَاءِ ، داخل قلوبهم ، طاعة راسخة المروق ، باسقة الفروع ، متائلة في حواشي عوامهم ، متمكنة من قلوب خواصهم ، فلا يبقى فيهم ريبٌ إلا نقوه ، ولا يلزمهم حقٌ إلا أدّوه ، وهذا أحدهما ، والآخر عودٌ من غيظتِكَ ^(١) ، ونبتة من أرومتك ، في السن ، كهل الحلم ، راجح العقل ، محمود الصرامة ، مأمون الخلاف ، يجرّد فيهم سيفه ، ويبسط عليهم خيره ، بقدر ما يستحقون ، وعلى حسب ما يستوجبون ، وهو فلان ، أيها المهدي ، فسلطه أعزك الله عليهم ، وجهه بالجيوش إليهم ، ولا تمتنع ضراعة ^(٢) سيّته ، وحدثه مؤلّده ، فإن الحلم والثقة مع الحدّاة ، خير من الشك والجهل مع الكهولة ، وإنما أهدانكم أهل البيت فيما طبعكم الله عليه ، واختصكم به ، من مكارم الأخلاق ، ومحامد الفعال ، ومحاسن الأمور ، وصواب التدبير ، وصرامة الأنفس ، كفراخ عتاق الطير ، المحكّمة لأخذ الصيد بلا تدرّيب ، والمارفة لوجوه النفع بلا تأديب ، فالحلم والعلم ، والعزم والحزم ، والجود والتؤدّة ، والرفق ، ثابت في صدوركم ، مزروع في قلوبكم ، مُستحكّم لكم ، متكاملٌ عندهم ، بطبائع لازمة ، وغرائر ثابتة .

٦٤ — مقال معاوية بن عبد الله

قال معاوية بن عبد الله :

[١] النية : الأجرة ومجتمع الفجر في بعض ماء . [٢] للراح حدّاة .

« أَفْتَاهُ ^(١) أَهْلَ بَيْتِكَ أَيُّهَا الْمَهْدِيُّ فِي الْحِلْمِ عَلَى مَا ذُكِرَ ، وَأَهْلَ خِرَاسَانَ فِي حَالِ عَزٍّ عَلَى مَا وَصِفَ ، وَلَكِنْ إِنْ وَلَّى الْمَهْدِيُّ عَلَيْهِمْ رَجُلًا لَيْسَ بِقَدِيمٍ الذِّكْرِ فِي الْجُنُودِ ، وَلَا بَنِيهِ الصَّوْتِ فِي الْحُرُوبِ ، وَلَا بَطْوِيلَ التَّجَرُّبَةِ لِلْأُمُورِ ، وَلَا بِمَعْرُوفِ السِّيَاسَةِ لِلْجِيُوشِ ، وَالْهَيْبَةِ فِي الْأَعْدَاءِ ، دَخَلَ ذَلِكَ أَمْرَانِ عَظِيمَانِ ، وَخَطَرَانِ مَهُولَانِ ، أَحَدُهُمَا أَنْ الْأَعْدَاءَ يَفْتَمِزُونَهَا مِنْهُ ، وَيَحْتَقِرُونَهَا فِيهِ ، وَيَحْتَرِثُونَ بِهَا عَلَيْهِ ، فِي النَّهْوضِ بِهِ ، وَالْمُقَارَعَةِ لَهُ ، وَالْخِلَافِ عَلَيْهِ ، قَبْلَ مَا حِينَ الْاِخْتِبَارِ لِأَمْرِهِ ، وَالتَّكْشِفِ لِحَالِهِ ، وَالْعِلْمِ بِطَبَاعِهِ ؛ وَالْأَمْرُ الْآخَرُ أَنَّ الْخُنُودَ الَّتِي يَقُودُ ، وَالْجِيُوشَ الَّتِي يَسُوسُ ، إِذَا لَمْ يَخْتَبِرُوا مِنْهُ الْبَأْسَ وَالنَّجْدَةَ ، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ بِالصَّوْتِ ^(٢) وَالْهَيْبَةِ ، انْكَسَرَتْ شَجَاعَتُهُمْ ، وَمَاتَتْ نَجْدَتُهُمْ ، وَاسْتَأْخَرَتْ طَاعَتُهُمْ ، إِلَى حِينِ اخْتِبَارِهِمْ ، وَوُقُوعِ مَعْرِفَتِهِمْ ، وَرَبَّمَا وَقَعَ الْبَوَارُ قَبْلَ الْاِخْتِبَارِ ، وَبَيَابِ الْمَهْدِيِّ - وَفَقَهُ اللَّهُ - رَجُلٌ مَهِيْبٌ ، نَبِيٌّ ، حَنِيْكَ ، ^(٣) صَبِيْتُ ، لَهُ نَسَبٌ زَالِكٌ ، وَصَوْتُ حَالٍ ، قَدْ قَادَ الْجِيُوشَ وَسَاسَ الْحُرُوبَ ، وَتَأَلَّفَ أَهْلَ خِرَاسَانَ ، وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ عَلَيْهِ بِالْمَقَّةِ ، وَوَثِقُوا بِهِ كُلَّ الثَّقَمَةِ ، فَلَوْ لَآهَ الْمَهْدِيُّ أَمْرَهُمْ ، لَكَفَاهُ اللَّهُ شَرَّهُمْ . قَالَ الْمَهْدِيُّ : « جَانِبَتْ قَصْدَ الرِّمِيَّةِ ، وَأَيَّيْتُ إِلَّا عَصْبِيَّةً ، إِذْ رَأَيْتُ الْحَدَثَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِنَا ، كَرَأَى عَشْرَةَ حُلَمَاءَ مِنْ غَيْرِنَا ، وَلَكِنْ أَيْنَ تَرَكْتُمْ وَلِيَّ الْعَهْدِ ؟ » . قَالُوا : « لَمْ يَنْعِنَا مِنْ ذِكْرِهِ إِلَّا كَوْنُهُ شَبِيهَ جَدِّهِ ، وَنَسِجَ وَجْهِهِ ^(٤) ، وَمِنْ الدِّينِ وَأَهْلِهِ ، بِحَيْثُ يَقْصُرُ الْقَوْلُ عَنْ أَذْنَى فَضْلِهِ ، وَلَكِنْ وَجَدْنَا اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ حَاجِبَ عَنْ خَلْقِهِ ، وَسَرَّ دُونَ عِبَادِهِ ، عِلْمٌ مَا تَخْتَلِفُ بِهِ الْأَيَّامُ ، وَمَعْرِفَةٌ مَا تَجْرَى

[١] جمع مَنَى كَيْتَمَ وَأَيْتَمَ . [٢] الصَّوْتُ وَالصَّاتُ وَالصَّيْتُ : الذِّكْرُ الْمُسَمَّى . [٣] حَسَبُكَ .

[٤] هُوَ نَسِجٌ وَاحِدُهُ : لَا يُطَاوِلُهُ مَعْرُودَةٌ لَا يَشْرُكُهُ فِيهَا غَيْرُهُ ، كَمَا أَنَّ الثَّوْبَ الْفَرَسَ لَا يَسْجُ عَلَى مَوَالِهِ غَيْرُهُ ، أَيْ لَا يَشْرُكُهُ فِيهِ وَجْهُ غَيْرِهِ فِي الدِّينِ .

عليه المقادير من حوادث الأمور ، ورَيْبُ النون ^(١) الْمُخْتَرِمَةُ لِحَوَالِي الْقُرُونِ ، وَمَوَاضِي الْمُلُوكِ ، فَكَّرَ هُنَا شُسُوعَهُ ^(٢) عَنْ حَيْلَةِ الْمَلِكِ ، وَدَارِ السُّلْطَانِ ، وَمَقَرِّ الْإِمَامَةِ وَالْوِلَايَةِ ، وَمَوْضِعِ الْمَدَائِنِ وَالْخَزَائِنِ ، وَمَسْتَقَرِّ الْجُنُودِ ، وَمَعْدِنِ الْجُودِ ، وَتَجَمُّعِ الْأَمْوَالِ ، الَّتِي جَعَلَهَا اللَّهُ قُطْبًا لِمَدَارِ الْمَلِكِ ، وَمِصِيدَةً لِقُلُوبِ النَّاسِ ، وَمَتَابَةً لِإِخْوَانِ الطَّمَعِ ، وَثَوَارِقَاتِنِ ، وَدَوَاعِي الْبِدْعِ ، وَفُرْسَانَ الضَّلَالِ ، وَأَبْنَاءَ الْمَوْتِ ، وَقُلْنَا إِنَّ وَجْهَ الْمَهْدِيِّ وَلَى عَهْدِهِ ، فَحَدَّثَ فِي جِيوشِهِ وَجُنُودِهِ ، مَا قَدْ حَدَّثَ بِجُنُودِ الرِّسْلِ مِنْ قَبْلِهِ ، لَمْ يَسْتَطِعِ الْمَهْدِيُّ أَنْ يُعَقِّبَهُمْ بِغَيْرِهِ ، إِلَّا أَنْ يَنْهَضَ إِلَيْهِمْ بِنَفْسِهِ ، وَهَذَا خَطَرٌ عَظِيمٌ ، وَهَوْلٌ شَدِيدٌ ، إِنْ تَنَفَّسَتْ الْأَيَّامُ بِمَقَامِهِ ، وَاسْتَدَارَتْ الْحَالُ بِإِمَامِهِ ، حَتَّى يَقَعَ عِرْضُ لَا يُسْتَفْتَى عَنْهُ ، أَوْ يَحْدُثُ أَمْرٌ لَا بُدَّ مِنْهُ ، صَارَ مَا بَعْدَهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ هَوْلًا ، وَأَجَلُ خَطَرًا ، لَهُ تَبَعًا ، وَبِهِ مُتَصَلًا .

٦٥ - مقال المهدي

قال المهدي :

« الْخَطْبُ أَيْسَرُ مِمَّا تَذْهَبُونَ إِلَيْهِ ، وَعَلَى غَيْرِ مَا تَصِفُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ ، نَحْنُ أَهْلُ الْبَيْتِ نَجْرِي مِنْ أَسْبَابِ الْقَضَايَا ، وَمَوَاقِعِ الْأُمُورِ ، عَلَى مَا بَقِيَ مِنَ الْعِلْمِ ، وَمَحْتَمٍ مِنَ الْأَمْرِ ، قَدْ أَنْبَأَتْ بِهِ الْكُتُبُ ، وَتَنْبَأَتْ عَلَيْهِ الرِّسَالُ ، وَقَدْ تَنَاهَى ذَلِكَ بِأَجْمَعِهِ إِلَيْنَا ، وَتَكَامَلَتْ بِحَدِّ أَفْرِهِ ^(٣) عِنْدَنَا ، فِيهِ نَذِيرٌ ، وَعَلَى اللَّهِ تَتَوَكَّلْ ، إِنَّهُ لَا بُدَّ لَوْلَى عَهْدِي ، وَلَوْلَى عَهْدِ عَقْبِي بِعَدِي ، أَنْ يَقُودَ إِلَى خِرَاسَانَ الْبِعُوثُ ، وَيَتَوَجَّهَ نَحْوَهَا بِالْخُنُودِ ؛ أَمَّا الْأَوَّلُ فَإِنَّهُ يُقَدِّمُ إِلَيْهِمْ رِسْلَهُ ، وَيُعْمَلُ فِيهِمْ حَيْلُهُ ،

[١] اللون البنية (مؤث) والمهترمة : الهلثة ، والحوالي جمع حالية وهي الناصية .

[٢] شمع كرم شمساً وشسوماً : مد هو شاسع وشسوع .

[٣] جمع حنفور كصمور أو حنطار كقراطس وهو الخائب .

ثم يخرج نسيطاً إليهم ، حَقّاً عليهم ، يريد أن لا يدع أحداً من إخوان الفتن ، ودواعي البدع ، وفُرسان الضلال ، إلا توطأه بحرّ القتل ، وألبسه قناع القهر ، وقلّده طوق الذل ، ولا أحداً من الذين عملوا في قصّ جناح الفتنة ، وإخماد نار البدعة ، ونُصرة ولاء الحق ، إلا أجرى عليهم دِيمَ فضله ، وجداولَ نهله ، فإذا خرج مُزْمِعاً به ، مُجْمِعاً عليه ، لم يمر إلا قليلاً حتى يأتيه أن قد عملت حيله ، وكذّحت كتبه ، ونفّذت مكائده ، فهذأت نافرة القلوب ، ووقعت طائفة الأهواء ، واجتمع عليه المختلفون بالرضا ، فبيل نظراً لهم ، وبرّاً بهم ، وتمطفاً عليهم ، إلى عدو قد أخاف سبيلهم ، وقطع طريقهم ، ومنع حجاجهم بيت الله الحرام ، وسلب تجارهم رزق الله الحلال ؛ وأما الآخر فإنه يوجه إليهم ، ثم تعتد له الحجة عليهم بإعطاء ما يطلبون ، وبذل ما يسألون ، فإذا سمحت الفِرَق بقراباتها له ، وجنّح أهل النواحي بأعنائهم نحوه ، فأصغت إليه الأئدة ، واجتمعت له الكلمة ، وقدمت عليه الوفود ، قصّد لأول ناحية بحمّة ^(١) بطاعتها ، وألقن بأزمئتها ، فألبسها جناح نعمته ، وأنزلها ظلّ كرامته ، وخصّها بمظيم حياته ^(٢) ، ثم عمّ الجماعة بالعمدلة ، وتمطّف عليهم بالرحمة ، فلا تبقى فيهم ناحية دانية ، ولا فِرقة قاصية ، إلا دخلت عاينها بركته ، ووصلت إليها منفعة ، فأغنى فقيرها ، وجبّر كسيرها ، ورفع وضعفها ، وزاد رفيعها ، ما خلا ناحيتين ، ناحية يغلب عليها الشقاء ، وتستميلهم الأهواء ، فتستخف بدعوته ، وتُبْطِئ عن إجابته ، وتتناقل عن حقه ، فتكون آخر مَنْ يَبْعَث ، وأبْطَأ مَنْ يَوْجِه ، فيصطلي عليها موجدّه ، ويبتنى لها علة ، لا يلبث يُجِدُّ ^(٣) بحق يازمهم ، وأمر يجب عليهم ، فتستلحمهم

[١] جمع بالمحق مجوحاً : أغربه وحسح له . [٢] عطائه . [٣] يصب .

الجيش ، وتأكلهم السيوف ، ويستحرقهم القتل ، ويحيط بهم الأسر ، ويُفنيهم
التبضع ، حتى يُحترَب البلاد ، ويؤتم الأولاد ، وناحية لا ييسط لهم أمانا ، ولا يقبل
لهم عهدا ، ولا يجعل لهم ذمة ، لأنهم أول من فتح باب الفرقة ، وتدرع جلباب
الفتنة ، وريض في شق العصا ، ولكنه يقتل أعلامهم ، ويأسر قوادهم ، ويطلب
هزأهم ، في أبحج البحار ، وقُلل الجبال ، وسَحيل^(١) الأودية ، ويطون الأرض ،
تقتيلا وتغليلا وتنكيلا ، حتى يدع الديار خرابا ، والنساء أياى ، وهذا أمر
لا نعرف له في كتبنا وقتا ، ولا نصحح منه غير ما قلنا تفسيراً ؛ وأما موسى ولى
عهدي ، فهذا أوان تَوَجَّه إلى خراسان ، وحلوه بجزجان ، وما قضى الله له من
الشخص إليها ، والمقام فيها ، خير للمسامين مغبة ، وله بإذن الله عاقبة من المقام
بحيث يُعمر في لُجج بحورنا ، ومدافع سيولنا ، ومجامع أمواجنا ، فيتصاعر عظيم
فضله ، ويتذأب^(٢) مَشْرِق نوره ، ويتقلل كثير ما هو كائن منه ، فمن يصحبه
من الوزراء ، ويختار له من الناس ؟ .

٦٦ — مقال محمد بن الليث

قال محمد بن الليث :

« أيها المهدي : إن ولى عهدك أصبح لأمتك ، وأهل مملكك ، علما قد تننت
نحوه أعناؤها ، ومددت ستمته أبصارها . وقد كان لقرب داره منك ، ومحل
جواره لك ، عطل^(٣) الحال ، عطل الأمر ، واسع العذر . فأما إذا انفرد بنفسه .
وخلا بنظره . وصار إلى تديره . فإن من شأن العامة أن تفقد مخارج رأيه .

[١] الميل : بطن السيل . [٢] يضرب .

[٣] عطل (كمرح) من المال والأدب خلاه عطل كعقل وعق .

وتسكنصت لمواقع آثاره ، وتسأل عن حوادث أحواله ، في برّه وترحمته . وإفساطه ^(١) ومعدلته ، وتديره وسياسته ، ووزرائه وأصحابه . ثم يكون ماسبق إليهم أغلب الأشياء عليهم ، وأملك الأمور بهم ، وأزهد لقلوبهم ، وأشدّها استمالة لرأيهم ، وعطفاً لأهوائهم . فلا يفتأ المهدي - وفقه الله - ناظرآله فيما يقوى محمد مملكته ، ويسدّد أركان ولايته ، ويستجمع رضا أمته بأمر هو أزين لحاله . وأظهر لجمالّه ، وأفضل مغبةً لأمره ، وأجل موقفاً في قلوب رعيته ، وأحمد حالاً في نفوس أهل ملّته . ولا أدفع مع ذلك باستجماع الأهواء له . وأبلغ في استعطاف القلوب عليه ، من ترّحمته تظهر من فعله . ومعدلة تنتشر عن أثره . ومحبة للخير وأهله ، وأن يختار المهديّ - وفقه الله - من خيار أهل كل بلدة . وفقهاء أهل كلّ مصر . أقواماً تسكنُ العائنة إليهم إذا ذكروا ، وتأنس الرعية بهم إذا وُصفوا . ثم تسهّل لهم عمارة سبيل الإحسان ، وفتح باب المعروف . كما قد كان فتح له ، وسهّل عليه .

قال المهدي : صدقت ونصحت . ثم بعث في ابنه موسى ، فقال :

٦٧ - مقال المهدي

« أيُّ بُني . إنك قد أصبحت لسمت وجوه العامة نصيباً ، ولتني أعطاف الرعية غايةً ، فحسنّتك شاملة . وإساءتلك نائية ، وأمرك ظاهر ، فعليك بتقوى الله وطاعته . فاحتملِ سُخط الناس فيهما ، ولا تطلب رضاهم بخلافهما ، فإن الله عز وجلّ . كافيك من أسخطه عليك إيتارك رضاه . وليس بكافيك من يُسخطه عليك إيتارك رضا من سواه . ثم اعلم أن الله تعالى في كلّ زمان قترّة من رسله .

وبقايها من صفة خلقه ، وَخَبَايَا نُصْرَةِ حَقِّهِ ، يَحْدُدُ حَبْلَ الْإِسْلَامِ بِدَعْوَاهُمْ ،
وَيَشِيدُ أَرْكَانَ الدِّينِ بِنُصْرَتِهِمْ ، وَيَتَخَذُ لِأَوْلِيَاءِ دِينِهِ أَنْصَارًا ، وَعَلَى إِقَامَةِ عَدْلِهِ
أَعْوَانًا . يَسُدُّونَ الْحُلُكُلَ ، وَيُقِيمُونَ الْمِيزَانَ ، وَيَدْفَعُونَ عَنِ الْأَرْضِ الْفَسَادَ ، وَأَنْ
أَهْلَ خِرَاسَانٍ أَصْبَحُوا أَيْدِي دَوْلَتِنَا ، وَسِوْفَ دَعْوَتِنَا ، الَّذِينَ نَسْتَدْفِعُ الْمَكَارِهِ
بَطَاعَتِهِمْ ، وَنَسْتَصْرِفُ زُلُومَ الْعِظَائِمِ بِمُنَاصَحَتِهِمْ . وَنُدَافِعُ رَيْبَ الزَّمَانِ بِعِزِّهِمْ ،
وَنُرَاحِمُ رُكْنَ الدَّهْرِ بِبَصَائِرِهِمْ ، وَهُمْ عِمَادُ الْأَرْضِ إِذَا أُرْجِفَ كَنْفُهَا ، وَخَوْفُ
الْأَعْدَاءِ إِذَا بَرَزَتْ صَفَحَتُهَا ، وَحُصُونُ الرِّعْيَةِ إِذَا تَضَايَقَتِ الْحَالُ بِهَا ، قَدْ مَضَتْ
لَهُمْ وَقَائِعُ صَادِقَاتٍ ، وَمَوَاطِنُ صَالِحَاتٍ ، أَخَذَتِ نِيرَانَ الْفِتَنِ ، وَقَسَمَتِ دَوَاعِيَ
الْبِدْعِ . وَأَذَلَّتْ رِقَابَ الْجَبَّارِينَ ، وَلَمْ يَنْفَكُوا كَذَلِكَ مَاجِرًا مَعَ رِيحِ دَوْلَتِنَا ،
وَأَقَامُوا فِي ظِلِّ دَعْوَتِنَا ، وَاعْتَصَمُوا بِحَبْلِ طَاعَتِنَا ، الَّتِي أَعَزَّ اللَّهُ بِهَا ذُلَّتَهُمْ ، وَرَفَعَ
بِهَا صَعَتَهُمْ ، وَجَمَلَهُمْ بِهَا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ الْأَرْضِ ، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ الْعَالَمِينَ ،
بِمَدِّ لِبَاسِ الذِّلِّ ، وَفَنَاعِ الْخَوْفِ ، وَإِطْبَاقِ الْبَلَاءِ ، وَتُحَالِفَةِ الْأُمَمِ ، وَجَهْدِ الْبَاسِ
وَالضَّرِّ . فَظَاهَرَ عَلَيْهِمْ لِبَاسُ كِرَامَتِكَ ، وَأَنْزَلَهُمْ فِي حَدَائِقِ نِعْمَتِكَ ، ثُمَّ أَعْرَفَ
لَهُمْ حَقَّ طَاعَتِهِمْ ، وَوَسِيلَةَ دَالَّتِهِمْ ، وَمَائَةَ سَابِقَتِهِمْ ، وَخُرْمَةَ مَنَاصِحِهِمْ ،
بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، وَالتَّوَسُّعِ عَلَيْهِمْ ، وَالْإِثَابَةِ لِحَسَنِهِمْ ، وَالْإِقَالَةَ لِمُسِيئِهِمْ
أَيُّ بَنِي ، ثُمَّ عَلَيْكَ الْعَامَّةُ . فَاسْتَدْعِ رِضَاهَا بِالْعَدْلِ عَلَيْهَا ، وَاسْتَجْلِبْ مَوَدَّتَهَا
بِالْإِنْصَافِ لَهَا ، وَتَحَسَّنْ بِذَلِكَ لِرَبِّكَ ، وَتَوَقَّنْ بِهِ فِي عَيْنِ رِعْيَتِكَ ، وَاجْعَلْ أَعْمَالَ
الْعُذْرِ وَوَلَاةَ الْحَجِجِ مُقَدِّمَةً بَيْنَ يَدَيْ عَمَلِكَ ، وَنَصِيفَةَ مَنْكَ لِرِعْيَتِكَ ، وَذَلِكَ أَنْ
تَأْمُرَ فَاخِضَ كُلِّ بَلَدٍ ، وَخِيَارَ أَهْلِ كُلِّ مِصْرٍ ، أَنْ يَخْتَارُوا لَأَنْفُسِهِمْ رِجَالًا تَوَلَّيَهُ
أَمْرَهُمْ ، وَتَجْمَلَ الْعَدْلُ حَاكِمًا بَيْنَهُمْ ، فَإِنْ أَحْسَنَ مُجِدَّتَ ، وَإِنْ أَسَاءَ مُعْدِرَتَ .

هؤلاء عمال العُذر، وولادة الحُجج، فلا يسقطنَّ عليك ما في ذلك إذا انتشر في الآفاق، وسبق إلى الأسماع من انعقاد السنة المرجفين، وكَبَتِ قلوب الحاسدين، وإطفاء نيران الحروب، وسلامة عواقب الأمور، ولا ينفكُنَّ في ظل كرامتك نازلاً، ويَعْرَا حَبْلُكَ متعلِّقاً، رجلاًن: أحدهما كرمه من كرائم رجالات العرب، وأعلام بيوتات الشرف، له أدب فاضل، وحِلْم راجح، ودين صحيح، والآخرة دين غير مغموز، وموضع غير مَدْخُول، بصير بتقليب الكلام، وتصريف الرأي، وأنحاء العَرَب، ووضع الكتب، عالم بحالات الحروب، وتصاريف الخطوب، يضع آداباً نافعةً، وآثاراً باقيةً، من محاسنك وتحسين أُمرك، وتحلية ذكرك، فتستسيره في حربك، وتدخله في أُمرك، فرجل أصَبَّتْه كذلك، فهو يأوي إلى حَمَلَتِي، ويرعى في خُضرة جناني، ولا تدع أن تختارك من فقهاء البُهدان، وخيار الأمصار، أقواماً يكونون جيرانك ومُتَمَارِك، وأهل مشاورتك فيما تُورِد، وأصحاب مناظرتك فيما تُصَدِّر، فسرَّ على بركة الله، أحصبك الله من عونه وتوفيقه دليلاً يَهْدِي إلى الصواب قلبك، وهادياً يُنطق بالخير لسانك .

وكتب في شهر ربيع الآخر سنة سبعين ومائة ينفد (١).

(العقد العريد ١ : ٥٧)

[١] ملاحظة: أقول: وهذا باق ما ورد في التاريخ: إذ للمروى أن المهدي توفى في الحرم سنة ١٦٦ وأُعيد الهادي، الذي توفى في ربيع الأول سنة ١٧٠، فكيف يكون تاريخ كتابة هذه المشاورة هو ربيع الآخر سنة ١٧٠ أي سد وفاة للهدي والهادي، مع أنه ذكر في سياق حديثها أن الهدي أمر محمد بن أبيه بحفظ مراجعهم، ورائت مقالاتهم في كتاب، أي أنها كتبت في المجلس الذي حدثت فيه المشاورة. والوارد في التاريخ أيضاً أن الهادي خرج إلى جرجان سنة ١٦٦ و ١٦٧ (راجع تاريخ الطبري ج ١٠ ص ٧ - ٨) اللهم إلا أن يقال إنها كتبت في مجلس المشاورة، وهيئة مخطوطة لدى كاتبها، حتى نشرت للناس في ربيع الآخر سنة ١٧٠ أي أن ذلك التاريخ هو تاريخ كتابتها لإعلانها للجمهور، على أنها تشكك فيها من وجهة أخرى، وذلك لما نراه عليها من مسحة الكتابة الغنية للنسقة .

٦٨ - ابن عتبة يعزى المهدي ويهتته

لما توفى المنصور دخل ابن عتبة^(١) مع الخطباء على المهديّ ، فسلم فقال :
« آجر الله أمير المؤمنين على أمير المؤمنين قبله ، وبارك الله لأمر المؤمنين فيما
خلفه له أمير المؤمنين بعده ، فما مصيبة أعظم من فقد أمير المؤمنين ، ولا عقي
أفضل من وراثته مقام أمير المؤمنين ، فاقبل يا أمير المؤمنين من الله أفضل العطية ،
وأحسن سب عند الله أفضل الرزية » . (البيان والتبيين ٢ : ١٠٣ ، والقند الفريد ٢ : ٣٥)

٦٩ - يعقوب بن داود يستعطف المهدي

لما سخط المهدي على وزيره يعقوب بن داود^(٢) أحضره ، فقال : يا يعقوب ، قال :
لبئسك يا أمير المؤمنين ، تلبية مكروب لم تجدتك ، شريق بغصتك ، قال : « ألم أرفع
قدرك وأنت خامل ، وأسير ذكرك وأنت هامل ، وألبسك من نعم الله تعالى
ونعمي ما لم أجد عندك طاقة لحمله ، ولا قياما بشكره ؟ فكيف رأيت الله تعالى
أظهر^(٣) عليك ، ورد كيذك إليك ! » .

قال : « يا أمير المؤمنين ، إن كنت قلت هذا بتيقن وعلم فإنني مترف ، وإن
كان بسعاية الباغين ، ونعائم المعاندين ، فأنت أعلم بأكثرها ، وأنا عائد
بكرمك ، وعميم ترفك » .

[١] وفي القند الفريد « أبو العياض الحديث » .

[٢] وكان المهدي قد حوس إلى الأمور كلها ، ولم إليه الدواوين ، وقدمه على جميع الناس ، ثم سخط
عليه . وسب ذلك أنه دح إليه رجال من العلويين ، وقال له : أحب أن تكفي أمره ، فلما صار العلوي في
يده ، قال له : يا نعموت تلق الله بدمي ، وأنا ابن علي بن أبي طالب ، وإن خاطبة رضى الله عنها ، وليس
لي إليك دم ؟ فرى له ، وحلى سنبله ، ونمى الخبر إلى المهدي ، فأرسل في طلب العلوي حتى طهره ،
واستدعى يعقوب ، فقال : ما فعلت بالعلوي ؟ قال : قد أراح الله به أمير المؤمنين ، قال . مات ؟ قال :
نعم ، فاستحلته ، وخلف له ، فأخرج إليه العلوي ، فلم يحرق حوايا ، فأمر بحرقه في ثر معلمة ، وما زال
يحوسا حتى هما عنه الرشيد وتوفى سنة ١٨٦ هـ . [٣] أي أمان عليك .

فقال : لَوْلَا الْحِنْثُ^(١) فِي دَمِكَ لَأَبْسَنْتُ قَيْصًا لَا تَشُدُّ عَلَيْهِ أَزْرَارًا ، ثُمَّ أَمَرَ بِهِ إِلَى السِّجْنِ ، فَتَوَلَّى وَهُوَ يَقُولُ : «الْوَفَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَرَّمَ ، وَالْمُودَّةُ رَحِمَ ، وَمَا عَلَى الْعَفْوِ نَدَمٌ ، وَأَنْتَ بِالْعَفْوِ جَدِيرٌ ، وَبِالْمَحَاسَنِ خَلِيقٌ » ، فَأَقَامَ فِي السِّجْنِ إِلَى أَنْ أَخْرَجَهُ الرَّشِيدُ (رَوَاهُ الْآدَابُ ٣ : ٢٠٢)

٧٠ رجل من أهل خراسان يخطب بحضرة المهدي

وَقَدَّمَ عَلَى الْمَهْدِيِّ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ خِرَاسَانَ ، فَقَالَ : « أَطَالَ اللَّهُ بَقَاءَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّا نَوْمُ نَائِيًا عَنِ الْعَرَبِ ، وَشَغَلْتُنَا الْحُرُوبُ عَنِ الْخُطْبِ ، وَأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ يَعْلَمُ طَاعَتَنَا ، وَمَا فِيهِ مَصْلَحَتُنَا ، فَيَكْتَفِي مِنَّا بِالْيَسِيرِ عَنِ الْكَثِيرِ ، وَيَقْتَصِرُ عَلَى مَا فِي الضَّمِيرِ ، دُونَ التَّفْسِيرِ » ، فَقَالَ الْمَهْدِيُّ : أَنْتَ أَخْطَبُ مِنْ سَمِعْتَهُ .
(الصَّاعِقِينَ ص ٤٠)

٧١ - مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي المهدي

دَخَلَ صَالِحُ بْنُ عَبْدِ الْجَلِيلِ عَلَى الْمَهْدِيِّ ، فَسَأَلَهُ أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ ، فَقَالَ : تَكَلَّمْ ، فَقَالَ :

« إِنَّهُ لِمَا سَهَّلَ عَلَيْنَا مَا تَوَعَّرَ عَلَى غَيْرِنَا مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْكَ ، قُنَّا مَقَامَ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ وَعَنِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، بِإِطْهَارِ مَا فِي أَعْنَاقِنَا مِنْ فَرِيضَةِ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ غُذْرِ الْكِتْمَانِ ، وَلَا سِيَّامًا حِينَ انْتَسَمَتْ بِمِسْمِ التَّوَاضُعِ ، وَوَعَدَتِ اللَّهُ وَحَمَلَةَ كِتَابِهِ إِبَارَةَ الْحَقِّ عَلَى مَا سِوَاهِ ، فَجَعَلْنَا وَإِيَّاكَ مُشْهَدًا مِنْ مَشَاهِدِ التَّمْجِيسِ ، لِيَتِمَّ وَدِّيْنَا عَلَى مَوْعِدِ الْأَدَاءِ عَنْهُمْ ، وَقَابَلْنَا عَلَى مَوْعِدِ الْقَبُولِ ، أَوْ يَزِيدُنَا تَمْجِيسُ اللَّهِ إِيَّانَا فِي اخْلَافِ الْمَرْوِ وَالْعَلَانِيَةِ ، وَيُجَلِّئُنَا حِلْيَةَ

[١] فِي الْأَصْلِ « الْحَسْبُ » وَارَى أَنَّهَا مَحْرُوفَةٌ عَنْ « الْحَتِّ » وَهُوَ الدَّبُّ الطَّيِّبُ وَالْإِيْمُ .

الكذابين ، فقد كَانَ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يقولون : « من حَبَبَ الله عنه العلمَ ، عَذَّبَه على الجهل ، وأشد منه عذابًا مَنْ أَقْبَلَ إليه العلمَ وأدْبَرَ عنه ، ومن أَهْدَى الله إليه علمًا فلم يَعْمَلْ به ، فقد رَغِبَ عن هدية الله وقصَّر بها ، فأَقْبَلَ ما أَهْدَى الله إليك من ألسنتنا ، قبولَ تحقيق وعمل ، لا قبولَ مُعْتَمِدٍ ورياء ، فإنه لا يَعْدَمُك منا إعلَامٌ لِمَا تَجْهَلُ ، أو مُوَاطَاةٌ على ما تَعْلَمُ ، أو تذكير لك من غفلة ، فقد وَطَّنَ الله عزَّ وجلَّ نبيه عليه الصلاة والسلام على نزولها ، تعزية عما فات ، وتخصيبًا من التماسي ، ودلالة على المخرج ، فقال : « وَإِنَّمَا يَنْزَعُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ عَالِمٌ » فَأُطْلِعَ الله على قلبك ، بما يَنُورُ الله به القلوبَ ، من إيتار الحق ، ومنايذة الأهواء فإنك إن لم تفعل ذلك ، يُرْثِرْكَ وَأَثَرُ الله عليك فيه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

(العقد العريد ١ : ٣٠٣ ، وعيون الأحوار م ٢ : ص ٣٣٣ ، والبيان والبيان ٢ : ١٨١)

٧٢ — عظة شبيب بن شذبة للمهدي

وقال شبيب بن شذبة ^(١) للمهدي : « يا أمير المؤمنين ، إن الله إِذْ قَسَمَ الأقسام في الدنيا ، جعل لك أَسْنَاهَا وَأَعْلَاهَا ، فلا تَرْضَ لنفسك من الآخرة ، إلا مِثْلَ ما رَضِيَ لك به من الدنيا ، فأوصيك بتقوى الله ، فليكن تَزَلَّتْ ، ومنكم أَخَذَتْ ، وَإِلَيْكُمْ تُرَدُّ » . (العقد العريد ١ : ٣٠٧)

٧٣ — خطبته في تعزية المهدي بابلته

لما ماتت البانوفة بنت المهدي ، جَزَعَ عليها جزءًا لم يُسْمَعْ بجله ، فجلس للناس يعزونه ، وأمر ألا يُحْجَبَ عنه أحد ، فأكثر الناس في التعازي ،

[١] هو شبيب بن شذبة بن عبد الله بن عمرو بن الأهمم القرطبي وهو ابن عم خالد بن صفوان .

وَاجْتَهَدُوا فِي الْبَلَاغَةِ ، وَفِي النَّاسِ مَنْ يَنْقُذُ هَذَا عَلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ،
فَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا تَعْزِيَةً أَوْجَزَ ، وَلَا أَيْلَعَ ، مِنْ تَعْزِيَةِ شَيْبِ بْنِ شَيْبَةَ ،
فَإِنَّهُ قَالَ :

« أَعْطَاكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا رُزِّمْتَ أَجْرًا ، وَأَعَقَبَكَ صَبْرًا ، وَلَا
أُجْهَدَ اللَّهُ بِلَاءَكَ بِنِقْمَةٍ ، وَلَا تَزْعُ مِنْكَ نِعْمَةً ، تَوَابُ اللَّهُ خَيْرُكَ مِنْهَا ، وَرَحْمَةُ
اللَّهِ خَيْرُهَا مِنْكَ ، وَأَحَقُّ مَا صَبِرَ عَلَيْهِ مَا لَسَبِيلَ إِلَى رَدِّهِ »^(١) .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٢١)

٧٤ - خطبة أخرى له في مدح الخليفة

قِيلَ لِبَعْضِ الْخُلَفَاءِ إِنْ شَيْبَةَ يَسْتَعْمَلُ الْكَلَامَ وَيَسْتَعِدُّ لَهُ ، فَلَوْ أَمَرْتَهُ أَنْ
يَصْعَدَ الْمَنْبَرَ فَيَقْرَأَ لِرَجُلٍ أَنْ يَفْتَضِّحَ ، فَأَمَرَ رَسُولًا فَاخُذْ يَدَهُ إِلَى الْمَسْجِدِ فَلَمْ يَفَارِقْهُ
حَتَّى صَعِدَ الْمَنْبَرُ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَقَّ
الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« أَلَا إِنْ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَسْبَابُهَا أَرْبَعَةٌ : الْأَسَدُ الْخَادِرُ^(٢) ، وَالْبَحْرُ الزَّاخِرُ ،
وَالْقَمَرُ الْبَاهِرُ ، وَالرَّيِّعُ النَّاضِرُ ؛ فَأَمَّا الْأَسَدُ الْخَادِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ صَوْلَتُهُ وَمَضَاهُ ؛
وَأَمَّا الْبَحْرُ الزَّاخِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ جُودُهُ وَعِطَاءُهُ ؛ وَأَمَّا الْقَمَرُ الْبَاهِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ نُورُهُ
وَضِيَاءُهُ ؛ وَأَمَّا الرَّيِّعُ النَّاضِرُ : فَأَشْبَهَ مِنْهُ مُحْسِنُهُ وَبِهَاءُهُ ، ثُمَّ نَزَلَ وَأَنْشَأَ يَقُولُ :
وَمَوْفِيٍّ مِثْلَ حَدِّ السَّيْفِ قَتُّهُ بِهِ أَنْجَى الدُّمَارَ وَتَرَمِينِي بِهِ الْحَدَقُ^(٣) .
فَا زَلِقْتُ ، وَمَا أَلْقَيْتُ كَاذِبَةً إِذَا الرِّجَالُ عَلَى أَمْثَالِهِ زَلِقُوا

(البغد الفريد ٢ : ١٥٨ ، ١ : ١٣٨ ، رهر الآداب ٣ : ٢٠٩)

[١] روى صاحب البغد أن شيبا هزى بهذا القول المصور على أخيه أبي العباس (المقد الفريد ٢ : ٣٥٠) .

[٢] الخدر : أمة الأسد وسمه قال أسد خدر ، وأحدر الأسد لم الأجمة . وأحدر المرين الأسد :
ستره فهو محدر بكسر الهمزة وفتحها . [٣] الدمار : ما تحب حمايته .

٧٥ - كلمات لشبيب بن شيبه

وقال شبيب : « اطلب الأدب ، فإنه دليل على المروءة ، وزيادة في العقل ، وصاحب في الثروة ، وصلة في المجلس » .

وقال للمهدي يوماً : « أراك الله في بنيك ، ما أرى أباك فيك ، وأرى الله بنيك فيك ، ما أراك في أيك » . (البياض والدين : ١ : ١٩٠)

وخرج من دار الخلافة يوماً ، فقال له قائل : كيف رأيت الناس ؟ قال : « رأيت الداخل راجياً ، والخارج راضياً » .

(البياض والدين : ١ : ١٩٠ ، وزهر الآداب : ٣ : ١٢٩)

٧٦ - خطبة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب

يوم ولي الرشيد الخلافة

روى الطبري قال : لما كانت الليلة التي توفي فيها موسى الهادي ، أخرج هرثمة بن أعين هرون الرشيد ليلاً ، فأعمده للخلافة ، فدعا هرون يحيى بن خالد ابن برمك - وكان محبوساً - وقد كان عزم موسى على قتله ، وقتل هرون الرشيد في تلك الليلة^(١) ، فحضر يحيى ، وتقلد الوزارة ، ووجه إلى يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب ، فأحضره وأمره بإنشاء الكتب ، فلما كان غداة تلك الليلة وحضر القواد ، قام يوسف بن القاسم ، فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم قال :

« إن الله يمتد ولطفه ، من علكم معاشر أهل بيت نبيه ، بيت الخلافة ،

[١] وكان الهادي يريد أن يجعل الخلافة في ابنه جعفر ، ويحلج أخاه هرون . وسعى إلى الهادي يحيى ابن خالد ، وقيل له إنه ليس عليك من هرون خلاف ، وإنما يفتده يحيى بن خالد ، فأعصم ذلك موسى الهادي على يحيى وأمر بجسسه .

وَمَعْدِنَ الرِّسَالَةِ ، وَإِيَّاكُمْ أَهْلَ الطَّاعَةِ مِنْ أَنْصَارِ الدَّوْلَةِ وَأَعْوَانَ الدَّعْوَةِ ، مِنْ نِعْمِهِ
الَّتِي لَا تَحْصَى بِالْعَدَدِ ، وَلَا تَنْقُضِي مَدَى الْأَبَدِ ، وَأَيَادِيهِ الثَّامَةِ ، أَنْ جَمَعَ الْفَتْحُكُمْ ،
وَأَعْلَى أَمْرِكُمْ ، وَشَدَّ عَضْدَكُمْ ، وَأَوْهَنَ عَدُوَكُمْ ، وَأَظْهَرَ كَلِمَةَ الْحَقِّ ، وَكُتِمَ أَوَّلَى
بِهَا وَأَهْلُهَا ، فَأَعَزَّكُمْ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ، فَكُتِمَ أَنْصَارُ دِينِ اللَّهِ الْمُرْتَضَى ،
وَالَّذِينَ بَيْنَ سَيْفِهِ الْمُنْتَقَى ، عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَبِكُمْ اسْتَنْقَذَهُمْ
مِنْ أَيْدِي الظُّلْمَةِ أُمَّةَ الْجَوْرِ ، وَالنَّافِضِينَ عَهْدَ اللَّهِ ، وَالسَّافِكِينَ الدَّمَ الْحَرَامَ ،
وَالْأَكْلِينَ النَّيْءَ ، وَالْمُسْتَائِرِينَ بِهِ ، فَاذْكُرُوا مَا أَعْطَاكُمْ اللَّهُ مِنْ هَذِهِ النِّعْمَةِ ،
وَاحْذَرُوا أَنْ تَغْيُرُوا فَيَغْيُرَ بِكُمْ ، وَإِنْ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ اسْتَأْثَرَ بِخَلِيفَتِهِ مُوسَى الْهَادِيَ
الْإِمَامَ ، فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ ، وَوَلَّى بَعْدَهُ رَشِيدًا مَرْضِيًّا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ بِكُمْ رَوْفًا رَحِيمًا ،
مِنْ مَحْسَنِكُمْ قَبُولًا ، وَعَلَى مَسَبِّكُمْ بِالْعَفْوِ عَطُوفًا ، وَهُوَ أُمَّتُهُ اللَّهُ بِالنِّعْمَةِ ، وَحَفِظَ
لَهُ مَا اسْتَرْعَاهُ إِيَّاهُ مِنْ أَمْرِ الْأُمَّةِ ، وَتَوَلَّاهُ بِمَا تَوَلَّى بِهِ أَوْلِيَاءَهُ وَأَهْلَ طَاعَتِهِ ،
يَعِدُّكُمْ مِنْ نَفْسِهِ الرَّأْفَةِ بِكُمْ ، وَالرَّحْمَةِ لَكُمْ ، وَقَدَّمَ أَعْطَايَتَكُمْ فِيكُمْ عِنْدَ اسْتِحْقَاقِكُمْ ،
وَيَبْذُلُ لَكُمْ مِنَ الْجَائِزَةِ ، مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى الْخُلَفَاءِ ، مِمَّا فِي يَبُوتِ الْمَالِ مَا يَنْوِبُ عَنْ
رِزْقِ كَذَا وَكَذَا سَهْرًا ، غَيْرَ مُقَاضٍ لَكُمْ بِدَلَالَةٍ فِيمَا تَسْتَقْبِلُونَ مِنْ أَعْطَايَتِكُمْ ،
وَحَامِلًا بَاقِيَ ذَلِكَ لِلدَّفْعِ عَنْ حَرِيمِكُمْ ، وَمَا لَعَلَّ أَنْ يَحْدُثَ فِي النَّوَاحِي وَالْأَنْطَارِ
مِنْ الْعُصَاةِ الْمَارِقِينَ ، إِلَى يَبُوتِ الْأَمْوَالِ ، حَتَّى تَعُودَ الْأَمْوَالُ إِلَى جِهَاتِهَا ^(١)
وَكَثَرَتْهَا ، وَالْحَالُ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهَا ، فَاحْمَدُوا اللَّهَ وَجَدَّدُوا شُكْرًا يُوجِبُ لَكُمْ
الْمَزِيدَ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْكُمْ ، بِمَا جَدَّدَ لَكُمْ مِنْ رَأْيِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَتَفَضَّلَ بِهِ
عَلَيْكُمْ ، أَيَّدَهُ اللَّهُ بِطَاعَتِهِ ، وَارْغَبُوا إِلَى اللَّهِ لَهُ فِي الْبَقَاءِ ، وَلَكُمْ بِهِ فِي إِدَامَةِ النَّعْمَاءِ ،

لعلكم ترحمون ، وأعطوا صفة أيمانكم ، وقوموا إلى بيعتكم ، حاطكم الله وحاط عليكم ، وأصلح بكم وعلى أيديكم ، وتولاكم ولاية عباده الصالحين .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٤٨)

٧٧ — خطبة هرون الرشيد (توفي سنة ١٩٣ هـ)

« الحمد لله نحمده على نعمه ، ونستعينه على طاعته ، ونستنصره على أعدائه ، ونؤمن به حقاً ، وتوكل عليه ، مفرضين إليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، بمنه على قرة من الرسل ، ودروس^(١) من العلم ، وإدبار من الدنيا ، وإقبال من الآخرة ، بشراً بالنعيم المقيم ، ونذيراً بين يدي عذاب أليم ، فبلغ الرسالة ، ونصح الأمة ، وجاهد في الله ، فأدى عن الله وعده ووعيده ، حتى آتاه اليقين ، فعلى النبي من الله صلاة ورحمة وسلام .

أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإن في التقوى تكفير السيئات ، وتضعيف الحسنات ، وفوزاً بالجنة ، ونجاةً من النار ، وأحذركم يوماً تشخص^(٢) فيه الأبصار ، وتعلن فيه الأسرار ، يوم البعث ، ويوم التفان^(٣) ، ويوم التلاق ، ويوم التناد ، يوم لا يستعذب من سبته ، ولا يزداد من حسنة ، يوم الآزفة^(٤) ، إذ القلوب لدى الحناجر كاطمين ، ما للظالمين من حميم ولا شفيع يطاع ، يعلم خائنة الأعين^(٥) وما تخفي الصدور ، وأنقوا يوماً ترجعون فيه إلى الله ثم توفى كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون .

[١] دروس : انحاء . [٢] شخص : صغر كعب : دح عبه ، وحمل لا يظرف .

[٣] يوم القيامة ، وصي بذلك لأن أهل الجنة ترضى به أهل النار بأحد ما لهم في الجنة لو آمنوا .

[٤] القيامة ، من أرب كمرح : دما قرب . [٥] عارقتها العار إلى الحرم .

عباد الله : إنكم لم تخلقوا عبثاً ، ولن تتركوا مددي ، حصنوا إيمانكم بالأمانة ،
 ودينكم بالورع ، وصلاتكم بالزكاة ، فقد جاء في الخبر أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال : « لا إيمان لمن لا أمانة له ، ولا دين لمن لا عهد له ، ولا صلاة لمن لا
 زكاة له » . إنكم سقر^(١) مجتازون ، وأنتم عن قريب تنتقلون من دار فناء إلى دار
 بقاء ، فسارعوا إلى المغفرة بالتوبة ، وإلى الرحمة بالتقوى ، وإلى الهدى بالأمانة ،
 فإن الله تعالى ذكره أوجب رحمته للمتقين ، ومغفرته للثائنين ، وهما المئيين .
 قال الله عز وجل وقوله الحق : « وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ، فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ
 يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ » ، وقال : « وَإِنِّي لَنَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
 ثُمَّ اهْتَدَى » وإياكم والأمانى ، فقد غرّت وأزدت^(٢) ، وأوبقت كثيراً ، حتى
 أكذبهم منايام ، فتناوشوا^(٣) التوبة من مكان بعيد ، وحيل بينهم وبين ما
 يشتهون ، فأخبركم ربكم عن المثالات فيهم ، وصرف الآيات ، وصرب الأمثال ،
 فرعب بالوعد ، وقدم إليكم الوعيد ، ودرايم وقائمهم بالقرون الخوالى جيلاً فجيلاً ،
 وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر ، باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ، ومن
 بين أظهركم ، لا تدفعون عنهم ، ولا تحولون دونهم ، فزالت عنهم الدنيا ،
 وانقطعت بهم الأسباب ، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب والعقاب ،
 « لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا ، وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى » ، إن أحسن
 الحديث وأبلغ الموعظة كتاب الله ؛ يقول الله عز وجل « وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
 فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنه

[١] جماعة المسارى . [٢] أهلكك وكذا أوبقت . [٣] تناولوا .

هو السميع العليم ، بسم الله الرحمن الرحيم ، قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ . اللَّهُ الصَّمَدُ . لَمْ يَلِدْ . وَلَمْ يُولَدْ . لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ . أَمْرُكُمْ بِمَا أَمَرَكَ اللَّهُ بِهِ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ عَنْهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ . (العقد العريد ٢ : ١٤٧)

٧٨ - وصية الرشيد لمؤدب ولده الأمين

ووصى الرشيد مؤدب ولده الأمين ، فقال :
« يَا أَهْمَرُ^(١) ، إِنْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ دَفَعَ إِلَيْكَ مُهْجَةً نَفْسَهُ ، وَتَمَرَّةَ قَلْبِهِ ، فَصَبِّرْ يَدَكَ عَلَيْهِ مَبْسُوطَةً ، وَطَاعَتَهُ لَكَ وَاجِبَةً ، فَكُنْ لَهُ بِحِثِّ وَصَعَتِكَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَقْرَبُهُ الْقُرْآنَ ، وَعَرَفُهُ الْأَخْبَارَ ، وَرَوَّهُ الْأَشْعَارَ ، وَعَلَّمَهُ السَّنَنَ ، وَبَصَّرَهُ بِمَوَاقِعِ الْكَلَامِ وَبَذَنَهُ ، وَامْنَعَهُ مِنَ الضَّحِكِ إِلَّا فِي أَوْقَاتِهِ ، وَخُذْهُ بِتَعْظِيمِ مَشَائِخِ بَنِي هَاشِمٍ إِذَا دَخَلُوا عَلَيْهِ ، وَرَفَعْ مَجَالِسِ الْقَوَادِ إِذَا حَضَرُوا مَجْلِسَهُ ، وَلَا تَمَرَّنْ بِكَ سَاعَةً إِلَّا وَأَنْتَ مُتَمَتِّعٌ فَائِدَةً تُفِيدُهُ إِيَّاهَا ، مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخْزِنَهُ ، فَتُثْبِتَ ذِهْنَهُ ، وَلَا تُثَمِّنَ فِي مَسَاحَتِهِ ، فَتَسْتَحِلِّي الْفَرَاغَ وَيَأْلَفَهُ ، وَفَوْمُهُ مَا اسْتَطَمَعَتْ بِالْقُرْبِ وَالْمَلَايِنَةِ ، فَإِنْ أَبَاهَا فَعَلَيْكَ بِالشَّدَةِ وَالْعِلَظَةِ » . (مقدمه ابن خلدون ص ٦٣٢)

٧٩ - خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي (قتل سنة ١٨٧ هـ)

وهاجت العصبية بالشأم بين أهلها في عهد الرشيد (سنة ١٨٠ هـ) وتفاقم أمرها ، فاعتزم لذلك الرشيد ، وعقد لجعفر بن يحيى على الشأم ، وقال له : إما أَنْ تَخْرُجَ أَنْتَ أَوْ أُخْرِجَ أَنَا ، فَقَالَ لَهُ جَعْفَرٌ : بَلْ أُمَيِّكَ بِنَفْسِي ، فَخُصَّصَ فِي جِلَّةِ الْقَوَادِ وَالْكَرَاعِ وَالسَّلَاحِ ، فَأَتَاهُمْ فَأُصْلَحَ بَيْنَهُمْ ، وَقَتَلَ زَوَائِلَهُمْ^(٢) وَالتَّصَلَّصَةَ مِنْهُمْ ، وَلَمْ يَدَعْ بِهَا رَحِمًا وَلَا فَرَسًا ، فَعَادُوا إِلَى الْأَمْنِ وَالطَّمَأْنِينَةِ ، وَأَطْفَأَتْ تِلْكَ النَّارُ .

[١] هو علي بن المارك الأحمر صاحب الكسائي ، وكان يؤدب الأمين ، وكان مشهوراً بالعبور واسع الحفظ ، ومات سنة ٢٠٦ هـ ، أو سنة ٢٠٧ هـ . انظر مرجعته في «رهة الألبا في طبقات الأدبا» ص ١٢٥ .

[٢] الرواقيل : الصمصوم .

فلما قَدِمَ على الرشيد دخل عليه، فقَبِلَ يديه وَرجليه، ثم مَثَلَ بين يديه، فقال :
 « الحمد لله يا أمير المؤمنين الذي آتَسَ وَحَشَتِي ، وَأَجابَ دَعْوَتِي ، وَرَحِمَ
 تَضَرُّعِي ، وَأَنَسَأَ ^(١) في أَجلى ، حتى أَرَانِي وَجَهَ سَيِّدِي ، وَأَكْرَمَنِي بِقُرْبِهِ ، وَأَمَتَنِي
 عَلَيَّ بِتَقْيِيلِ يَدِهِ ، وَرَدَّنِي إِلَى خِدْمَتِهِ ، فَوَاللَّهِ إِن كُنْتُ لَأَذْكُرُ غَيْبَتِي عَنْهُ ،
 وَتَخَرُّجِي وَالْمَقَادِيرَ الَّتِي أَرْجَعْتَنِي ، فَأَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَتْ بِمَاصِي لِحَقَّتِي ، وَخَطَايَا أَحَاطَتْ
 بِي ، وَلَوْ طَالَ مُقَامِي عَنْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - جَعَلَنِي اللَّهُ فِدَاكَ - لَخِفْتُ أَنْ يَذْهَبَ
 عَقْلِي ، إِشْفَاقًا عَلَى قُرْبِكَ ، وَأَسَفًا عَلَى فِرَاقِكَ ، وَأَنْ يَجْعَلَ بِي عَنْ إِذْنِكَ
 الْاِسْتِثْنَاءَ إِلَى رَوْيَتِكَ ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي عَصَمَنِي فِي حَالِ الْغَيْبَةِ ، وَأَمْتَعَنِي بِالْمَافِيَةِ ،
 وَعَرَفَنِي الْإِجَابَةَ ، وَمَسَكَنِي بِالطَّاعَةِ ، وَحَالَ بَيْنِي وَبَيْنَ اسْتِعْمَالِ الْمَعْصِيَةِ ، فَلَمْ
 أَشْخَصْ إِلَّا عَنْ رَأْيِكَ ، وَلَمْ أَقْدِمْ إِلَّا عَنْ إِذْنِكَ وَأَمْرِكَ ، وَلَمْ يَخْتَرِمْنِي أَجَلٌ
 دُونَكَ ، وَاللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ - فَلَا أَعْظَمُ مِنَ الْيَمِينِ بِاللَّهِ - لَقَدْ عَايَنْتُ مَا لَوْ
 تُعْرِضُ لِي الدُّنْيَا كُلُّهَا ، لَاخْتَرْتُ عَلَيْهَا قُرْبَكَ ، وَلَمَّا رَأَيْتُهَا عِوَصًا مِنْ
 الْمَقَامِ مَعَكَ » .

ثم قال له بِمَقَبِ هذا الكلام في هذا المقام :

« إِنَّ اللَّهَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَمْ يَزَلْ يُبَيِّنُكَ ^(٢) فِي خِلَافَتِكَ ، بِقَدْرِ مَا يَعْلَمُ مِنْ
 نِيَّتِكَ ، وَيُزِيكُ فِي رِعْيَتِكَ ، غَايَةَ أَمْنَتِكَ ، فَيَصْلِحُ لَكَ جَمَاعَتَهُمْ ، وَيَجْمَعُ
 أَلْفَتَهُمْ ، وَيَكْمُلُ شَعْنَهُمْ ، حِفْظًا لَكَ فِيهِمْ ، وَرَحْمَةً لَهُمْ ، وَإِنَّمَا هَذَا لِلتَّمَسُّكِ
 بِطَاعَتِكَ ، وَالْاِعْتَصَامِ بِحَبْلِ مَرْضَاتِكَ ، وَاللَّهُ الْحَمِيدُ عَلَى ذَلِكَ وَهُوَ مُسْتَحَقُّهُ ،
 وَفَارَقْتُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ كَوْنِ الشَّامِ وَهُمْ مُنْقَادُونَ لِأَمْرِكَ ، نَادِمُونَ عَلَى

ما قَرَطَ من معصيتهم لك ، متمسكون بحبلك ، نازلون على حُكْمِكَ ، طالبون لعفوك ، واثقون بحلمك ، مؤثّلون فضلك ، آمِنون بادرَتِكَ ، حالهم في اثباتهم كحالهم كانت في اختلافهم ، وحالهم في ألقتهم كحالهم كانت في امتناعهم ، وعفو أمير المؤمنين عنهم ، وتعمّده ^(١) لهم ، سابقٌ لمعذرتهم ، وصلةُ أمير المؤمنين لهم ، وعطفه عليهم ، متقدّمٌ عنده لسألتهم ، وإيم الله يا أمير المؤمنين لئن كُنْتُ قد شَخَّصْتُ عنهم ، وقد أحمَد الله شِرارهم ، وأطفأ نارهم ، ونفَى مُراقبتهم ^(٢) ، وَأَصْلَحَ دَعْوَاهُمْ ^(٣) ، وأولاني الجليلَ فيهم ، ورزقني الانتصارَ منهم ، فسا ذلك كله : إلّا يبركنك ويُنِكَك وربحك ^(٤) ، ودوام دَوْلَتِكَ السعيدة الميمونة الدائمة ، وتخوفهم منك ، ورجائهم لك ، والله يا أمير المؤمنين ما تقدّمت إليهم إلّا بوصيتك ، وما عاملتهم إلّا بأمرك ، ولا سِرْتُ فيهم إلّا على حَدٍّ ما مثلته لي ورَمتَه ، ووفَّقْتَنِي عليه ، والله ما اتقادوا إلّا لِدَعْوَتِكَ ، وَتَوَحَّدَ ^(٥) الله بالصنع لك ، وتخوَّفَهم من سَطْوَتِكَ ، وما كَانَ الذي كَانَ مِنِّي ، وإن كُنْتُ قد بذلتُ جُهْدِي ، وَبَلَغْتُ مَجْهُودِي ، قاضيا بمضَ حَقِّكَ عَلَيَّ ، بل ما ازدادت نعمتُكَ عَلَيَّ عِظَمًا ، إلّا أزددتُ عن شكرِكَ تَجْزَأَ وضمفا ، وما خَلَقَ اللهُ أَحَدًا من رعيَتِكَ ، أبعدَ من أن يُطْلَعَ نفسه في قضاء حَقِّكَ مِنِّي ، وما ذلك إلّا أن أَكونَ باذِلًا مُهْجَتِي في طاعتِكَ ، وكلُّ ما يقربُ إليَّ موافَقَتَكَ ، ولكنني أعْرِفُ من أيّادِكَ عندي ما لا أعْرِفُ مثلها عند غيري ، فكيف بشكرِي ! وقد أَصْبَحْتُ وَاحِدَ أَهْلِ دَهْرِي ، فيما صنعته في وبي ؟ أم كيف بشكرِي ! وإنما أَقْوَى على شكرِكَ يا كرامك

[١] نعمة الله برحمته : عمره ١١٠ . [٢] جمع مارق : وهو الخارج الحائد .

[٣] الدعاء : جماع الناس . [٤] قولك .

[٥] تَوَحَّدَ اللهُ تعالى بصحته : عصمه ولم يَكَلْه إلى غيره .

إيأي ؟ ، وكيف بشكري ! ولو جعل الله شكري في إحصاء ما أوليتني ، لم يأتِ
على ذلك عذّي ؟ وكيف بشكري ! وأنت كهفي دون كل كهف لي ؟ وكيف
بشكري ! وأنت لا ترضي لي ما أَرْضاه لي ؟ وكيف بشكري ! وأنت تجدد من
نعمتك عندي ما يستغرق كل هاسكف عندك لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت
تُثسبني ما تقدم من إحسانك إليّ ، بما تُجدّده لي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت
تقدّمني بطولك على جميع أكفائي ؟ أم كيف بشكري ! وأنت وليّ أم كيف
بشكري ! وأنت المكرم لي ؟ وأنا أسأل الله الذي رزني ذلك منك من غير
استحقاق له - إذ كان الشكر مقصراً عن بلوغ تأدية بعضه ، بل دون شِقْصٍ^(١)
من عُشر عَشِيره - أن يتولّى مكافأتك عني ، بما هو أوسع له وأقدر عليه ، وأن
يَقْضِي عَنِّي حَقَّكَ ، وجليل مِتَّكَ ، فإن ذلك بيده ، وهو القادر عليه .
(تاريخ الطري : ١٠ : ٦٦)

٨٠ - استعطاف أم جعفر بن يحيى للرشد

روى صاحب المقد قال :

« كَانَتْ أُم جَعْفَرِ بْنِ يَحْيَى^(٢) - وَهِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ مُحَمَّدِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ
قَحْطَبَةَ - أَرْضَعَتْ الرُّشَيْدَ مَعَ جَعْفَرٍ ، لِأَنَّهُ كَانَ رُبِّي فِي حِجْرِهَا ، وَغَدَى
بِرِسْلِهَا^(٣) ، لِأَنَّ أُمَّهُ مَاتَتْ عَنْ مَهْدِهِ ، فَكَانَ الرُّشَيْدُ يَشَاوِرُهَا مُظْهِراً لِإِكْرَامِهَا ،
وَالْتِبْرُكَ بِرَأْيِهَا ، وَكَانَ آتَى وَهُوَ فِي كِفَالَتِهَا أَنْ لَا يَحْجُبَهَا ، وَلَا اسْتَشْفَعَتْهُ لِأَحَدٍ إِلَّا

[١] الشقص : السهم والصيب ، والعشير : حرم من عشرة كالمشاة والعشر .

[٢] كان الرامكة قد استأثروا بثقوى الدولة وأموالها ، وعلوا الرشد على سلطانها ، ولم يكن له معهم
تصرف في ملكه ، ولم يبق له من الخلافة إلا رسمها وصورتها - وحديثهم في ذلك طويل ، ليس هاها
موصمه - فمر على كتبهم ، حتى انتهى فرصة رجوعه معهم من الحج سنة ١٨٧ ، فقتل حمرا ليلاً
طريقه ، وقص على يحيى وابنه الفعل وقية الرامكة ، وحلهم في سجن الرادفة إلى أن ماتوا فيها ،
واستبقى أموالهم وصياهم . [٣] الرسل : الذين .

شفعها ، وآلت عليه أم جعفر أن لا تدخلت عليه إلا مأذونا لها ، ولا شفعت لأحدٍ مقترف ذنباً ، فكم أسير فككت ، ومُبتهم عنده فتحت ، ومستغلق منه فرجت ، واحتجب الرشيد بعد قدومه ^(١) ، فطلبت الإذن عليه من دار الباقونة ، ومئت ^(٢) بوسائلها إليه ، فلم يأذن لها ، ولا أمر بشيء فيها ، فلما طال ذلك بها خرجت كاشفة وجهها ، واضعة لثامها ، محففة ^(٣) في مشيها ، حتى صارت يباب قصر الرشيد ، فدخل عبد الملك بن الفضل الحاجب ، فقال : ظئر ^(٤) أمير المؤمنين بالباب ، في حالة تقلب شماتة الحاسد ، إلى شفقة أم الواحد . فقال الرشيد : ويحك يا عبد الملك ! أو ساعية ؟ قال : نعم يا أمير المؤمنين حافية . قال : أدخلها يا عبد الملك ، فرب كبد غدتها ، وكُرْبُه فرجتها ، وعوزة سترتها ، فدخلت فلما نظر الرشيد إليها داخلة محففة ، قام محتفياً حتى تلقاها بين عمدة المجلس ، وأكب على تقبيل رأسها ، ومواضع نذيتها ، ثم أجلسها معه ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أيعذو علينا الزمان ، ويحفونا خوفاً لك الأعوان ، ويُخزئك ^(٥) بنا البهتان ، وقد ريتك في حجرى ، وأخذت برصاعك الأمان من عدوى ودهرى ؟ فقال لها : وما ذلك يا أم الرشيد ، قالت : ظئرك يحيى ، وأبوك بعد أليك ، ولا أصفه بأكثر مما عرفه به أمير المؤمنين ، من نصيحته ، وإشفافه عليه ، وتعرضه للتحف في شأن موسى أخيه ^(٦) ، قال لها : يا أم الرشيد ، أمر

[١] أمى من الحج [٢] تولت . [٣] احتس : متى حايا .

[٤] الطائر : العاطفة على ولد غيرها ، للرمعة له ، في اللبس وغيرهم ، لذكر ولائى .

[٥] يمصك . [٦] عندما أن الهادى كان قد اعترم حلق أخيه الرشيد من ولاية العهد ، واستخلاف ابنه جعفر ، وقد سعى إلى الهادى يحيى بن خالد ، وأمه بعد عليه أم الرشيد ، لحسه وتم قتله ، ويروى أنه قال للهادى في حلق الرشيد لما كلفه به : « يا أمير المؤمنين ، إنك إن حملت اللبس على نكت الأيمان ، مات عليهم أعانهم ، وإن تركهم على يعة أحيك ، ثم نابت لجعفر من بعده كان

سَبَقَ ، وقضاء حُمٍّ^(١) ، وغضب من الله فَنَدَّ ، قالت : يا أمير المؤمنين « يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْشِئُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ^(٢) » قال : صدقت فهذا مما لم يَمْحُهُ الله ، فقالت : الغيب محبوب عن النبیین ، فكيف عنك يا أمير المؤمنين ؟ فأطرق الرشيد ملياً ، ثم قال :

وإذا المنية أنشبت أظفارها ألفت كل تيممة لا تنفع^(٣)
فقلت بغير روية : ما أنا ليحيى بتيممة يا أمير المؤمنين ، وقد قال الأول^(٤) :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال
هذا بعد قول الله عز وجل : « وَالْكَافِرِينَ الْيَغْيَضُ وَالْمَافِرِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » . فأطرق هرون ملياً ، ثم قال : يا أم الرشيد أقول :
إذا انصرفت نفسي عن الشيء لم تكذب إليه بوجه آخر الدهر تُقْبِلُ
فقالت يا أمير المؤمنين وأقول :

ستقطع في الدنيا إذا ما قطعتي عينك فانظر أئى كف تبذل^(٥)

ذلك أوكد لبعته » فقال : صدقت وصحت ، ول في هذا تدبير ، ولما أمر بحسنه رفع إليه يحيى رقة .
إن عدى صبيحة ، فدعا به ، فقال : يا أمير المؤمنين ، أحلى ، فأحلاه ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، أرايت إن كان الأمر — أسأل الله ألا يملكه ، وأن يقدم ما قبله — أنطق أن الناس يسلمون الحلالة لحسنه ، وهو لم يبلغ الحلم ، ويرضون به لصلاتهم وحسنه وعروم ؟ قال : والله ما أظن ذلك ، قال : يا أمير المؤمنين ، أأتأت أن يدعو إليها أمك ، وجلبهم مثل طائر وعلان ، ويقطع فيها عيرهم ، فتخرج من ولد أمك ؟ فقال له : بهنئ يا يحيى » وقال له : لو أن هذا الأمر لم يفقد لأحك ؟ أما كان يدعى أن تقدمه له ؟ فكيف أن تحله عنه ، وقد تقدمه للهدى له ؟ ولكن أرى أن تتر هذا الأمر يا أمير المؤمنين على حاله ، فإذا بلغ حسن وبلغ الله به ، أتيت به لارتبذ خلق منه ، وكان أول من يابسه ويعطيه صفقة يده ، قبل قتل الخادى قوله ورأيه وأمر بإطلاقه . [١] حم : قدر . [٢] أم الكتاب : أصله ، أو اللوح المحفوظ .

[٣] التامم جمع تيممة . وهي المودة التي تعلق على الصبي دماً للعين ، أو للرس والبيت لأني ذؤيب المذل .

[٤] هو الأحطل . [٥] هذا البيت والذي قبله من قصيدة لحسن بن أوس الرقي مظهرها :

لمر ما أدرى ، وإنى لأؤجل على أينا تعدو إليه أول ؟ .

قال هرون : رضيت ، قالت : فهَبْ لِي يا أمير المؤمنين ، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « من ترك شيئاً لله ، لم يُوجِدْهُ ^(١) الله لِفَقْدِهِ » فأكتب هرون ملياً ، ثم رفع رأسه يقول : « لِيهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ » قالت يا أمير المؤمنين : « وَيَوْمَئِذٍ يَقَرِّحُ الْمُؤْمِنُونَ يُنْصِرُ اللَّهُ يُنْصِرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ » ، واذكر يا أمير المؤمنين أَلَيْتَكَ ^(٢) ما استشفعتُ إلا شفّعتني . قال : واذكري يا أم الرشيد أَلَيْتَكَ أَنْ لَا شَفْعَتٍ لِمُقَرَّبٍ ذَنْباً ، فلما رآته صرّح بمنهما ، ولاذ ^(٣) عن مطلبها ، أخرجت حُقّاً من زُرْذَةِ ^(٤) خضراء ، فوضعت بين يديه ، فقال الرشيد : ما هذا ؟ ففتحت عنه قفلاً من ذهب ، فأخرجت منه خَفَضَتَهُ ^(٥) وذوائبه وثناياه ، قد غسست جميع ذلك في المسك ، فقالت : يا أمير المؤمنين ، أَسْتَشْفِعُ إِلَيْكَ ، وَأَسْتَعِينُ بِاللَّهِ عَلَيْكَ ، وبما صار معي من كريم جسدك ، وطيب جوارحك ، ليحبي عبدك ، فأخذ هرون ذلك فلتّمه ، ثم استعبر وبكى بكاء شديداً ، وبكى أهل المجلس ، ومرّ البشير إلى يحيى ، وهو لا يظن إلا أن البكاء رحمة له ، ورجوع عنه ، فلما أفاق رعى جميع ذلك في الحق ، وقال لها :

لَحَسَنٌ مَا حَفِظْتَ الْوَدِيعَةَ ، قالت : وأهلُ الكفاة أنت يا أمير المؤمنين ، فسكت وأقلل الحق ، ودفعه إليها ، وقال : « إِنْ اللَّهُ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا » قالت والله يقول : « وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ » ، ويقول : « وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ » ، ثم قال : وما ذلك يا أم الرشيد ؟ قالت : أو ما أقسمت لي به ألا تحببيني ولا تمتنّيني ^(٦) ؟ قال : أحب يا أم الرشيد

[١] أى يحجزه . [٢] الآية : القسم . [٣] أى لم يحبه . [٤] الزرد والرمد والبال والدال . [٥] حفص الحارثية كسرت حفصاً ، وهو الخنجان للسلام ، وقيل : حفص الصبى حشّه ، فاستعمل في الرجل ، والأعرف أن الحفص للرأى والحنان للصبي ، يقال الحارثية حفصت ، ولعلام ختم . [٦] امتنّيه : احتله .

أن نشريه محكمة فيه . قالت : أنصفت يا أمير المؤمنين ، وقد فعلت غير مستقيمة لك ، ولا راجعة عنك . قال : بكم ؟ قالت : برضائك عمن لم يُسَخِّطْكَ ، قال : يا أم الرشيد أما لى عليك من الحق مثل الذى لهم ؟ قالت : بلى يا أمير المؤمنين ، أنت أعزُّ علىّ ، وهم أحبُّ إلىّ . قال : فتحكى فى تمنية بغيرهم ، قالت : بلى قد وهبته ، وجعلتك فى حل منه ، وقامت عنه ، وثقى مبهوتا ما يحير ^(١) لفظة .
(العقد الفريد ٣ : ٢٣)

٨١ - خطبة يزيد بن يزيد الشيباني

لما رضى الرشيد عن يزيد بن يزيد ^(٢) أذن له بالدخول عليه ، فلما مَلَ بين يديه قال : « يا أمير المؤمنين ، الحمد لله الذى سهَّل لى سبيل الكرامة بقاءك ، وردَّ علىّ النعمة بوجه الرضا منك ، وكشف عني ضباب الكرب بإفضالك ، وجزاك الله يا أمير المؤمنين فى حال سُخْطِكَ جزاء المحسنين المراقبين ، وفى حال رضاك جزاء المنعمين المتطولين ، فقد جعلك الله - وله الحمد - تثبت ^(٣) تخرجاً عند الغضب ، وتثبّت تطوُّلاً بالنعم ، وتستبقى المعروف عند الصنائع ^(٤) تفضيلاً بالعفو . »

(العقد الفريد ١ : ١٤١ ، وتاريخ الطبرى ١٠ : ١١٧ وهر الآداب ٢ : ٢٨٧)

[١] يعبر . يردّ . [٢] وذلك أن الوليد بن طريب التارى حرق فى عهد الرشيد بالبريرة ، واشتدت شوكته ، وكثر تمه سنة ١٧٩ ، فوجه إليه الرشيد يزيد بن يزيد الشيباني ، فخل بجانحه وبأكرمه ، وكانت البرامكة مسخرة عن يزيد ، فأقروا به الرشيد ، وقالوا : إيماننا بقى عنه للرحم (لأشيباني مثله) ولا مشوكة الوليد بسيرة وهو بواعده ، ويتظر ما يكون من أمره ، فوجه إليه الرشيد كتاب منصّب ، يقول فيه : « لو وُجِّهت بأحد الحمد لاقام بأكثر مما تقوم به ولكلك مدهام منصّب ، وأمير المؤمنين يقسم بالله لئن أحرث ماحرة الوليد ، ليوجهن إليك من يحمل رأسك إلى أمير المؤمنين » ثم حل يزيد على الوليد بقتله وبث رأسه إلى الرشيد ، فلما انصرف يزيد الطاهر ، نصب رأى البرامكة ، وأظهر الرشيد السخط عليه ، فقال : وحق أمير المؤمنين لأصعبين وأشنونين على فرسى أو أذبل ، فارتفع الخبر بذلك فأذن له فدخل ، فلما رآه الرشيد صحك وسرّ ، وأذبل يصبح مرحاً بالأعرابي ، حتى دخل وأجلس وأكرم وعرف بلاؤه وقاء مسمره (راجع أشرافه فى الأغاني ١١ - ٨ ، وابن حلكان ٢ : ٢٨٣ ، والطبرى ١٠ : ٦٥) .

[٣] وفى رواية الطبرى « تيب » . [٤] وفى الطبرى : « وتمغفو على السي » .

٨٢ - خطبة عبد الملك بن صالح^(١) (توفي سنة ١٩٦ هـ)

أعوذ بالله السميع العليم ، من الشيطان الرجيم : « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ؟ » يَ أَهْلَ الشَّامِ ، إِنَّ اللَّهَ وَصَفَ إِخْوَانَكُمْ فِي الدِّينِ ، وَأَشْبَاهَكُمْ فِي الْأَجْسَامِ ، خَذَرَهُمْ نَبِيُّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَقَالَ : « وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَادُهُمْ ، وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خَشَبٌ مُسْتَدَدٌ ، يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ، هُمُ الْمَدُودُ فَأَخَذَرْتُهُمْ ، فَاتْلُهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤَفِّكُوكُونَ ؟ » فَقَاتَلَكُمْ اللَّهُ أَنَّى تُصْرَفُونَ ؟ جُنْتُ مَائِلَةً ، وَقُلُوبٌ طَائِرَةٌ ، تَشْبُونُ^(٢) الْفِتْنَ ، وَتَوَثُّونَ الذُّبُرَ ، إِلَّا عَنِ حَرَمِ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ دَرَيْتَكُمْ^(٣) ، وَحَرَّمَ رَسُولُهُ ، فَإِنَّهُ مَغْزَاكُمْ ، أَمَا وَحُرْمَةُ النَّبِوَةِ وَالْخِلَافَةِ لَتَنْفِرُنَّ خِفَافًا وَثِقَالًا ، أَوْ لَا تُسِعَنَّكُمْ إِرْعَامًا وَنِكَالًا .

(المقدم للعهد ٢ : ١٤٦)

٨٣ - عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته

ودخل عبد الملك بن صالح دار الرشيد ، فقال له الحاجب : إن أمير المؤمنين قد أصيب الليلة بآبن له ، ووُلِدَ له آخر ، فلما دخل عليه قال : « سَرَّكَ اللَّهُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فِيمَا سَاءَكَ ، وَلَا سَاءَ لَكَ فِيمَا سَرَّكَ ، وَجَعَلَ هَذِهِ بِهَذِهِ ، مَنُوبَةٌ عَلَى الصَّبْرِ ، وَجَزَاءٌ عَلَى الشُّكْرِ » .

(المقدم للعهد ٢ : ٣٥)

٨٤ - غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح

وَنَصَبَ^(١) لَهُ ابْنَهُ « عَبْدُ الرَّحْمَنِ » وَكَأَيْبُهُ « قُتَيْبَةُ » فَسَمِعَا بِهِ إِلَى الرَّشِيدِ ، وَقَالَا لَهُ : إِنَّهُ يَطْلُبُ الْخِلَافَةَ ، وَيَطْمَعُ فِيهَا ، فَأَخَذَهُ وَحَبَسَهُ عِنْدَ الْفَضْلِ بْنِ الرَّبِيعِ ، وَذَكَرُوا أَنَّهُ أَدْخَلَ عَلَى الرَّشِيدِ حِينَ سَخِطَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الرَّشِيدُ : أَكُفْرًا

[١] هو عبد الملك بن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس ، ولى الرشيد بلاد الحريرة والشام وغيرها .

[٢] يوقدون . [٣] البرية : الحلقة سلع الطعن والرمي ها هنا . [٤] عاداه .

بالنعمة ، وَحُجُودًا لِحَلِيلِ الْمِنَّةِ وَالتَّكْرِيمَةِ ؟ فقال : « يا أمير المؤمنين ، لقد بُوتُ^(١) إذن بالندم ، وتعرضتُ لاستحلال النِّقَمِ ، وما ذاك إلا بُنى حاسِدٍ ، نافَستى فيك مودةَ القرابة ، وتقديمَ الولاية ، إنك يا أمير المؤمنين خليفةُ رسولِ الله صلى الله عليه وسلم فى أمته ، وأمينه على عِترته ، لك عليها فرضُ الطاعة وأداءُ النصيحة ، ولها عليك المدلُّ فى حُكْمِها ، والتثبتُ فى حادِثِها ، والنُفْرانُ لذنوبِها » ، فقال له الرشيد : « أتضعُ لى من لسانك ، وترفعُ لى من جَنانك ؟ هذا كما بُتُّك قُامة ، يُخْبِرُ بِغَلِّكَ ، وفسادِ نيتك ، فاشمَعِ كلامه » ، فقال عبد الملك : « أعطاك ما ليس فى عَقْدِهِ^(٢) ، ولعله لا يقدر أن يَمَضِّىنى^(٣) ولا يَبْهَتِنى بما لم يَعرِفْه منى » ، وَأخْضِرَ قِامةً ، فقال له الرشيد : تكلم عيرَ هائبٍ ولا خائف ، قال : « أقول إنه عازم على العذر بك والخلاف عليك » ، فقال عبد الملك : أهو كذلك يا قِامة ؟ قال قِامة : نعم ، لقد أردتُ خَتَلَ^(٤) أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : « كيف لا يكذب على من خلقى ، وهو يَبْهَتِنى فى وجهى » ؟ فقال له الرشيد : « وهذا ابنك عبد الرحمن يخبرنى بِمُتَوَكِّ ، وفسادِ نيتك ، ولو أردتُ أن أخرجَ عليك بِحُجَّةٍ لم أجد أعدلَ من هذين لك ، فِيمَ تدفعهما عنك ؟ » ، فقال عبد الملك : « هو مأمور ، أوعاقٌ محبوب ، فإن كان مأموراً : فمُذْذور ، وإن كان عاقاً : ففاجر كفور ، أخبر الله عزَّ وجلَّ بِعداوته ، وحذَّر منه بقوله : « إِنَّ مِنْ أَرْوَاجِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عَدُوًّا لَكُمْ فَأَحْذَرُوهُمْ » ، فهض الرشيد وهو يقول : « أمَّا أمْرُك فقد وَضَحَ ، ولكنى لا أُنْجِلُ حتى أعلم الذى يُرْصِي الله فيك ، فإنه الحكم بينى

[١] رجعت . [٢] أى ما يستفده . [٣] عساه كعب : كذب وم ، وعساه دلائل : بهتة وقال

فيه ما لم يكن . [٤] ختله : خدعه .

وبينك » ، فقال عبد الملك : « رضيت بالله حكماً ، وبأمر المؤمنين حاكماً » ،
فإني أعلم أنه يؤثر كتاب الله على هواه ، وأمر الله على رضاه » .

* * *

فما كان بعد ذلك جلس مجلساً آخر ، فسلم لما دخل ، فلم يرد عليه ، فقال
عبد الملك : ليس هذا يوماً أحتج فيه ، ولا أجاذب منازعاً وخصماً . قال : ولم ؟
قال : لأن أوله جرى على غير السنة ، فأنا أخاف آخره ، قال : وما ذاك ؟ قال :
لم ترد على السلام ، أنصف تصفة العوام ، قال : السلام عليكم اقتداء بالسنة ،
وليثاراً للعدل ، واستعمالاً للتجبة ، ثم التفت نحو سليمان بن أبي جعفر فقال :
وهو يخاطب بكلامه عبد الملك :

أريد حياته ويريد قتي عذيرك من خليلك من مراد
ثم قال : « أما والله لكأني أنظر إلى شؤبوبها ^(١) فدفعهم ، وعارضها ^(٢) قد لمع ،
وكأني بالوعيد قد أوردى ناراً تسطع ، فأقطع عن برآجم ^(٣) بلا معاصم ، ورءوس
بلا غلاصم ^(٤) فتهللاً تهلاً ، فبي والله سهل لكم الوعر ، وصفاً لكم الكدير ،
وأقلت إليكم الأمور أثماناً ^(٥) أزمناها ، فنذار لكم نذار قبل حلول داهية خبوط
باليد ، كبوط ^(٦) بالرجل » . فقال عبد الملك : « اتق الله يا أمير المؤمنين فيما ولأك ،
وفي رعيته التي استرعاك ، ولا تجعل الكفر مكان الشكر ، ولا العقاب موضع

[١] الشؤبوب : الدعة من اللط ، ومع : سال وأصعب .

[٢] العارض : السحاب المتعرض في الأفق ، والصبر لامة العوامة من ساق الحديث .

[٣] جمع رجمة كقعدة : وهي معاصل الأصابع ، أز طهر العصب من الأصابع ، والمعاصم جمع معصم
ككبر وهو موضع السوار أو اليد . [٤] جمع غلصة نالفع وهي رأس الخنوق وهو الموضع الثاني في
الحنق . [٥] أثمان الشيء ومنايه طاقاه ، واحدها ثى كحل ومشاة معب اليه وكسرهما .

[٦] كبوط به الأوس صرب ، ولبط البير كصرب : حط بده وهو يندى .

الثواب ، فقد نَحَلْتُ لك النصيحةَ ، وَخَصْتُ ^(١) لك الطاعةَ ، وَشَدَدْتُ أَوَاحِي ^(٢)
ملكك بأثقل من رُكْنِي يَلَمُّ ^(٣) ، وتركت عدوك مشغلا ^(٤) ، فإله الله في
ذِي رَحْمَك أَنْ تَقْطَعَهُ - بعد أن يَلْتَهُ ^(٥) - بِظَنِّ أَفْصَحِ الْكِتَابِ لِي بِمَضَاهِ ^(٦) ،
أَوْ يَنْتَهِ بَاغِ يَنْهَس ^(٧) اللحم ، وَيَالِغُ ^(٨) الدَّم ، فقد والله سهلت لك الوعورَ ،
وَذَلَّتْ لك الأمورَ ، وَجَمَعْتُ على طاعتك القلوب في الصدور ، فكم من لَيْلٍ
تَمَام ^(٩) فيك كَابِدَتْهُ ، ومقام صَيِّقٍ لك مُتَمُّهُ ، كنت فيه كما قال أخو بني جعفر
ابن كلاب :

ومقام صَيِّقٍ فَرَجَتْهُ يَبْنَانِي وَلِسَانِي وَجَدَلُ
لو يقوم الفيلُ أو فيأله زَلَّ عن مثل مقامي وَزَحَلُ ^(١٠)

فقال له الرشيد : « أما والله لولا الإبقاء على بني هاشم لضربت عنقك » .

ولم يزل عبد الملك محبوساً حتى تُوفِّيَ السيد ، فأطلقه محمد الأمين وعقد له

على الشام ^(١١) .
(تاريخ الطبري ١٠ : ٨٩ ، والقصد للمريد ١ : ١٤٣ ،
والسكامل لابن الأثير ٦ : ٧٢ ، ودرر الآداب ٢ : ٢٨٣)

[١] أخلعت . [٢] جمع آخية وتشد : عروة ربط إلى وتد مدقوق وتشد فيها الدابة ، وأجيت
للدابة تأخية : صنعت لها آخية وربطتها بها . [٣] يلم أو ألم أو يررم : ميقات الجين : جل على
مرحلتين من مكة . [٤] وفي رواية القند : « وتركت عدوك سبيلا تتناوره الأقدام » .
[٥] ملك فلانا : لزمته . [٦] الصه بكسر الصاد وفتحها : الكذب والفتية . [٧] نرس اللحم
كبح وسمع : أحده مخفم أسنانه ونمعه . [٨] ولغ الكلب في الإثاء ومنه وبه يلغ كيب ويالغ :
شرب ما فيه فأطراف لسانه ، أو أدخل لسانه فيه فركه . [٩] ليل التمام أطول ليالي الشتاء .
[١٠] رحل من مقامه : زال كرحول . [١١] وقد جعل للأمين عهد الله وميثاقه : أن يقتل وهو
حي ، لا يعطى للأمنون طاعة أبداً ، فمات قبل قتل الأمين ، فدفن في دار من دور الإمارة ، فلما خرج
الأمويون يريد الروم أرسل إلى ابن له : حول أبائك من داري ، فمشت عظامه وحوّلت .

٨٥ — قوله بعد خروجه من السجن

ولما خرج من السجن وذَكَرَ الرشيدَ وفعله به قال :

« وَاللَّهِ إِنْ أُلِّكَ لَشَيْءٌ مَا نَوَيْتُهُ ، وَلَا تَمَنَيْتُهُ ، وَلَا نَصَبْتُ لَهُ وَلَا أَرَدْتُهُ ، وَلَوْ أَرَدْتُهُ لَكَانَ إِلَيَّ أَسْرَعُ مِنَ الْمَاءِ إِلَى الْحَدُورِ ^(١) ، وَمِنَ النَّارِ إِلَى يَتْسِ الْعَرْفَجِ ^(٢) ، وَإِنِّي لَمَأْخُوذٌ بِمَا لَمْ أَجْنِ ، وَمَسْتَوْثِلٌ عَمَّا لَا أَعْرِفُ ، وَلَكِنَّهُ حِينَ رَأَيْتُ لِلْمَلِكِ قَيْنَا ^(٣) ، وَلِلْخَلِيفَةِ خَطِيرَا ^(٤) ، وَرَأَيْتُ لِي يَدًا تَنَالُهَا إِذَا مُدَّتْ ، وَتَبْلُغُنِي إِذَا بُسِطَتْ ، وَنَفْسًا تَكْمُلُ لِحِصَالِهَا ، وَتَسْتَحِقُّهَا بِفِعَالِهَا ، وَإِنْ كُنْتُ لَمْ أَخْتَرْ تِلْكَ الْخِصَالَ ، وَلَمْ أَصْطَنِعْ تِلْكَ الْفِعَالَ ، وَلَمْ أَتَرَشَّحْ لَهَا فِي السَّرِّ ، وَلَا أَتَشْرُتْ إِلَيْهَا فِي الْجَهْرِ ، وَرَأَاهَا تَحِيُّ إِلَيَّ حَنِينَ الْوَالِدَةِ الْوَالِهَةِ ، وَتَمِيلُ إِلَيَّ مِثْلَ الْهَلُوكِ ^(٥) ، وَخَافَ أَنْ تَرْغَبَ إِلَيَّ خَيْرٌ مَرْغَبٍ ، وَتَنْزِعَ إِلَيَّ أَخْصَبَ مَنْزِعٍ ، عَاقِبَتِي عِقَابَ مَنْ سَهَرَ فِي طَلِبِهَا ، وَجَهَدَ فِي التَّمَسُّكِ بِهَا ، فَإِنْ كَانَ إِنَّمَا حَبَسَنِي عَلَى أُنَى أَصْلَحَ لَهَا وَتَصْلَحُ لِي ، وَالْأَيْقُنُ بِهَا وَتَلْقِي بِي ، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِذَنْبٍ جَنَبْتُهُ فَأَتُوبُ . مِنْهُ ، وَلَا تَطَاوَلْتُ لَهُ فَأَحْطُ قَسَى عَنْهُ ، وَإِنْ زَعَمَ أَنَّهُ لَا صَرْفَ لِعِقَابِهِ ، وَلَا نَجَاةَ مِنْ عَذَابِهِ ، إِلَّا بِأَنْ أُخْرِجَ لَهُ مِنْ جِدِّ الْعِلْمِ وَالْحِلْمِ وَالْحَزْمِ ، فَكَيْفَ لَا يَسْتَطِيعُ الْمُضْيَاعُ أَنْ يَكُونَ مُصْلِحًا ، كَذَلِكَ لَا يَسْتَطِيعُ الْعَاقِلُ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ أَعَابَنِي عَلَى عِلْمِي وَحِلْمِي ، أَمْ عَاقِبَنِي نَسْبِي وَسِنِّي ، وَسَوَاءٌ عَلَيْهِ عَاقِبَنِي عَلَى جِهَالِي ، أَمْ عَاقِبَنِي عَلَى مَحَبَّةِ النَّاسِ لِي ، وَلَوْ أَرَدْتَهَا لَأَتَجَلَّتْهُ عَنِ التَّفَكِيرِ ، وَشَمَلَتْهُ عَنِ التَّدِيرِ ، وَمَا كَانَ فِيهَا مِنَ الْخَطْبِ

(العهد المرئد : ١٤٣)

إلا اليسير .

[١] المكان النحور . [٢] شجر . [٣] جدير . [٤] طبع القدر .

[٥] العاجزة المتساقطة على الرجل .

٨٦ - وصية عبد الملك بن صالح لابنه

أوصى عبد الملك بن صالح ابنه له فقال :

« أَيُّ بَنِي أَحْلَمُ ، فَإِنْ مِنْ حَلْمٍ سَادَ ، وَمَنْ تَفَهَّمْ ازْدَادَ ، وَالْقَى أَهْلَ الْخَيْرِ فَإِذَا لِقَاءَهُمْ حِمَارَةٌ لِلْقُلُوبِ ، وَلَا تَجْمَحْ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ ، وَفِيكَ مَنْ أَعْتَبَكَ ^(١) والصَّاحِبُ الْمُنَاسِبُ لَكَ ، وَالصَّبْرُ عَلَى الْمَكْرُوهِ يَعِصِمُ الْقَلْبَ ، الْمُرَاحَ يُوْرِثُ الضَّغَائِنَ ، وَحَسَنُ التَّدْيِيرِ مَعَ الْكَفَافِ ، خَيْرٌ مِنَ الْكَبِيرِ مَعَ الْإِسْرَافِ . وَالْاِقْتِسَادُ يَثْمُرُ ^(٢) الْقَلِيلَ ، وَالْإِسْرَافُ يُبِيرُ ^(٣) الْكَثِيرَ ، وَنِعْمَ الْخَطُّ الْقِنَاعَةُ . وَشَرُّ مَا صَحِبَ الْمَرْءَ الْحَسَدُ ، وَمَا كُلُّ عَوْرَةٍ تُصَابُ ، وَرَبْعًا أَبْصَرَ الْعَمَى رُشْدَهُ ، وَأَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ ، وَالْيَاسُ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ ، وَالْعِفَّةُ مَعَ الْخِرْفَةِ ^(٤) خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ ، أَرْفَقَ فِي الطَّلَبِ ، وَأَتَجَلَّ فِي الْمَكْسَبِ ، فَإِنَّهُ رَبُّ طَلَبٍ ، قَدْ جَرَّ إِلَى حَرْبٍ ^(٥) ، لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمُنْجِحٍ ^(٦) ، وَلَا كُلُّ مُلْجٍ بِمُحْتَاجٍ ، وَالْمُنْبُونُ مِنْ غَيْبِ نَصِيْبِهِ مِنَ اللَّهِ ، عَاتِبٌ مِنْ رَجَوْتِ عُثْبَاهُ ، وَفَاكِهَةٌ مِنْ أُمْنٍ بُلُوَاهُ ، لَا نَكُنْ مِضْحَاكًا مِنْ غَيْرِ عَجَبٍ ، وَلَا مَسْتَهًا إِلَى غَيْرِ أَرْبٍ ، وَمَنْ نَأَى عَنِ الْحَقِّ أَصْنَاقَ مَذْهَبِهِ ، وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى حَالِهِ ، كَانَ أُنْعَمَ لِبَالِهِ ، لَا يَكْبُرُنْ عَلَيْكَ ظُلْمٌ مِنْ ظُلْمِكَ ، فَإِنَّهُ إِنَّمَا سَعَى فِي مَضْرُوتِهِ وَنَفْعِكَ ، وَعَوْدُ نَفْسِكَ السَّمَاحَ ، وَتَحْيِيرُهَا مِنْ كُلِّ خُلُقٍ أَحْسَنَتَهُ ، فَإِنْ الْخَيْرُ عَادَةُ ، وَالشَّرُّ لِحَاجَةٌ ، وَالصَّدُودُ آيَةُ الْمَقْتِ ، وَالتَّعَلُّلُ آيَةُ الْبَخْلِ ، وَمَنْ الْفَقْهُ كِتْمَانُ السِّرِّ ، وَلِقَاحُ الْمَعْرِفَةِ دِرَاسَةُ الْعِلْمِ ، وَطَوْلُ التَّجَارِبِ زِيَادَةُ فِي الْعَقْلِ ، وَالْقِنَاعَةُ رَاحَةُ الْأَبْدَانِ ، وَالشَّرَفُ التَّقْوَى ، وَالْبَلَاغَةُ مَعْرِفَةُ رَتَقِ الْكَلَامِ وَقَتْقِهِ ، بِالْعَقْلِ تُسْتَخْرَجُ الْحِكْمَةُ ، وَبِالْحِلْمِ

[١] أعتبه : أعطاه السبي أي الرضا . [٢] يثمر : يكثر . [٣] يبهر : يهلك .

[٤] الخرفة : الحزن . [٥] حرب : حربا كطبله : سلب ماله . [٦] أجمع : صار ذا جمع .

يستخرج غَوْرَ العقل ، ومن شَمَّر في الأمور ، ركب البحور ، شر القول ما تَقَصَّ
بعضه بعضا ، وَمَنْ سَعَى بالنِيمة حَذِرَه البعيد ، وَمَقَّتَه القريب . من أطلال النظر
يارادة تامة أدرك الغاية ، ومن تَوَانَى في نفسه ضاع ، من أصرَف في الأمور
انتشرت عليه ، ومن اقتصد اجتمعت له ، واللَّجَاجَة تورث الصَّياع للأُمور ، غِبُّ
الأدب أحمد من ابتدائه ، مُبادرة الفهم تورث النسيان ، سوء الاستماع يُعَقِّبُ
العي ، لَا تُحَدِّث من لَا يُقْبَل بوجهه عليك ، وَلَا تُنصِت لمن لَا يَنْبِى ^(١) بحديثه
إليك ، البلادة للرجل هُبْجَة ، قَلَّ مَالِكٌ إِلَّا اسْتَأْثَرَ ، وَقَلَّ عاجز إِلَّا تَأَخَّر ،
الإحجام عن الأمور يُورث العجز ، والإقدام عليها يورث اجتلاب الخط ، سوء
الطَّعْمَة ^(٢) يُفسد العِرض ، وَيُخْلِق الوجه ، وَيَحَقِّق الدين ، الهَيبة قرين الحرمان ،
والجساسة قرين الظفر ، وَفِيكَ من أنصفك ، وأخوك من عابأك ، وشريكك
من وَفَى لك ، وَصَفِيكَ من آثَرَكَ ، أَعْدَى الأعداء العقوق ، اتباع الشهوة
يُورث الندامة ، وَقَوَتْ الفُرْصَة يورث الحسرة ، جميع أركان الأدب التآني للرفق ،
أَكْرَم نفسك عن كل دَنِيَّة ، وإن سافتك إلى الرغائب ، فإنك لَا تجد بما
تبذل من دينك ونفسك عوضا ، لَا تُسَاعِد ^(٣) النساءَ فَيَمْلِكَنَّكَ ، واستبق من
نفسك بقية ، فإنهن أن يرين أنك ذو اقدار ، خير من أن يطلعن منك على
انكسار ، لَا تَمْلِك المرأة الشفاعة لغيرها ، فتَمِيل من شفعت لها عليك معها ، أئى
بنى ، إني فد اخترت لك الوصية ، وَحَصَّتْكَ النصيحة ، وأدَّيت الحق إلى الله في
تأديبك ، فَلَا تُغْفِلَنَّ الأخذَ بأحسنها ، والعملَ بها ، والله موفِّقك .

(البيان والتنبيه ٣ : ٢٣٢)

[١] نعى الحديث ونعم بالتمديد : رحمه . [٢] الطعمة : وجه المكسب . [٣] لعلها « لا تغافل » .

٨٧ - وصية أخرى له

عن يزيد بن عقال قال :

وَصَّى عبد الملك بن صالح ابنه وهو أمير سرية ، ونحن ببلاد الروم فقال له :
« أنت تاجرُ الله لعباده ، فكن كالمضارب الكيس ، الذي إن وجد ربحاً
تَجَرَّ ، وإلاَّ احتفظ برأس المال ، ولا تطلب الغنيمة حتى تحوزَ السلامة ، وكن
من احتيالك على عدوك ، أَمَدَّ خوفاً من احتيال عدوك عليك ^(١) » .

(البيان والبيان ٢ : ٥٤)

٨٨ - كلمات حكيمة لابن السماك

وقال محمد بن صبيح - المعروف بابن السماك ^(٢) - :

« خيرُ الإخوان أقلُّهم مصانعةً في النصيحة ، وخيرُ الأعمال أحلاها عاقبةً ،
وخيرُ الثناء ما كان على أفواه الأخيار ، وأشرفُ السلطان ما لم يخالطه البطرُ ،
وأغنى الأغنياء من لم يكن للحرص أسيراً ، وخيرُ الإخوان من لم يخاصم ، وخيرُ
الأخلاق أعونها على الورع ، وإنما يُخْتَبَرُ ذلُّ الرجال عند الفاقة والحاجة » .

(دهر الآداب ٢ : ٢٠٥)

٨٩ - ابن السماك والرشد

وذكر محمد بن هرون عن أبيه قال : حضرت الرشد ، وقال له الفضل
ابن الربيع : يا أمير المؤمنين قد أحضرتُ ابن السماك كما أمرتني ، قال : أدخِله ،

[١] أوردت هذه الوصية في الجزء الثاني ص ١٨٥ مرفوعة إلى عبد الملك بن مروان كما أوردتها صاحب
القد ، ويؤيد ذلك ما رواه الطبري - ح ٣٧ : ٨ - إذ يقول : « وفي سنة ٨٤ كانت عروة عبد الله بن
عبد الملك بن مروان الروم ، ففتح بها المصبة - كسبة - » وعراها الملاحظ إلى عبد الملك بن صالح كما ترى
في هذه الرواية . [٢] كان راهباً طابداً حسن الكلام صاحب مواضع ، وهو كوفي قدم بمسند دهر
الرشد ، فكتب بها عدة ، ثم رجع إلى الكوفة فمات بها سنة ١٨٣ هـ .

فدخل ، فقال له : عِظْنِي ، قال : يا أمير المؤمنين : اتق الله وحده لا شريك له ، واعلم أنك واقف غدا بين يدي الله ربك ، ثم مصروف إلى إحدى منزلتين ، لا ثالثة لهما : جنة أو نار ، فبكى هرون حتى اخضلت^(١) لحيتُهُ ، فأقبل الفضل على ابن السماك ، فقال : سبحان الله ! وهل يتخالج أحدا شك في أن أمير المؤمنين مصروف إلى الجنة إن شاء الله ؟ لقيامه بحق الله ، وعدله في عبادِهِ ، وفضله ، فلم يحفل بذلك ابن السماك من قوله ، ولم يلتفت إليه ، وأقبل على أمير المؤمنين ، فقال : يا أمير المؤمنين إن هذا - يعنى الفضل بن الربيع - ليس والله معك ولا عندك في ذلك اليوم ، فاتق الله وانظر لنفسك ، فبكى هرون حتى أشققنا عليه ، وأخم الفضل بن الربيع ، فلم ينطق بحرف حتى خرجنا .

قال : ودخل ابن السماك على الرشيد يوماً ، فبينما هو عنده إذ استسقى ماء ، فأُتي بِقَلَّةٍ من ماء ، فلما أهوى بها إلى فيه لبسَ بها ، قال له ابن السماك : على رسلك^(٢) يا أمير المؤمنين ، بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو مُنِيتَ هذه الشربةَ ، بكم كنت تشتريها ؟ قال : بنصف ملكي ، قال : اسرب هنالك الله ، فلما سربها ، قال له . أسألك بقرابتك من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، لو مُنِيتَ خروجها من بدنك ، بماذا كنت تشتريها ، قال : بجميع ملكي ، قال ابن السماك : إن مُلكاً قيمته شربة ماءٍ لجديرٌ ألا يُنافَسَ فيه ، فبكى هرون ، فأشار الفضل بن الربيع إلى ابن السماك بالانصراف ، فانصرف .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١١٩ ، وشرح ابن أبي الحديد ١ : ص ١٤٩)

الفتنة بين الأمين والمأمون

وفد الأمين إلى المأمون

لما عزم محمد الأمين على خلع أخيه عبد الله المأمون من ولاية العهد^(١)، كتب إليه كتاباً يستقدمه ، ويحبّب أن يكون بقرّبه - وكان المأمون على خراسان - ودفع الكتاب إلى العباس بن موسى ، وإلى عيسى بن جعفر ، وإلى محمد بن عيسى بن تميم ، وإلى صالح صاحب المصلى ، وأمرهم أن يتوجهوا به إلى المأمون ، وألاّ يدعوا وجهاً من اللين والرفق إلاّ بلغوه ، وسهّلوا الأمر عليه ، (وذلك سنة ١٩٤ هـ) فتوجهوا بكتابه ، فلما وصلوا إلى المأمون أذن لهم ، فدفعوا إليه الكتاب ، ثم تكلم العباس بن موسى :

٩٠ - خطبة العباس بن موسى

حمد الله وأثنى عليه ، ثم قال : « أيها الأمير : إن أخاك قد تحمّل من الخلافة ثقلاً عظيماً ، ومن النظر في أمور الناس عبئاً جليلاً ، وقد صدّقت نيته في الخير ، فأعوزّه الوزراء والأعوان والكفّاء على العُدل ، وقليل ما يأنس بأهل بيته ، وأنت أخوه وشقيقه ، وقد فرّج إليك في أموره ، وأملك للموازرة والمكاشفة^(٢) ،

[١] ذكروا أن المصلح الرابع وزير الأمين ، كان قد حاب المأمون ، لما فعله عند موت الرشيد بطوس من إحصار جميع ما كان في عسكره إلى الأمين ، بعد أن كان الرشيد قد أشهد به المأمون ، وعلم أن الخلافة إن أصمت إلى المأمون يوماً وهو حي لم يبق عليه ، حسن الأمين حلم المأمون والبيعة لأمه موسى - ولم يكن ذلك من رأى الأمين ولا عزمه - واتفق مع الفصل جماعة على ذلك ، فدل الأمين إلى أقوالهم ، ثم إنه استشار عقلاء أصحابه ، فهور عن ذلك وحذروه طاعة السي وكنت المهرد ، وقالوا له : لا تحمّر القواد على الكثرة للأعيان وعلى الخلع وبطوك ، فلم يلتفت إليهم ، ومال إلى رأى الفصل الرابع ، وشرع في حجب المأمون بإحتدائه إلى بغداد ، فلم يجدع وكتب يستدر . [٢] المعاونة .

ولسنا نستبطنك في برّه ، انهماك لنضرك له ، ولا نحضك على طاعة ، نخوفاً لخلافك عليه ، وفي قدومك عليه أنس عظيم ، وصلاح لدولته وسلطانته ، فأجيب أيها الأمير دعوة أخيك ، وآثر طاعته ، وأعنه على ما استعانك عليه في أمره ، فإن في ذلك قضاء الحق ، وصلة الرحم ، وصلاح الدولة ، وعز الخلافة ، عزم الله للأمير على الرشيد في أموره ، وجعل له الخيرة والصلاح في عواقب وأيه .

٩١ - خطبة عيسى بن جعفر

وتكلم عيسى بن جعفر بن أبي جعفر ، فقال :

« إن الإكثار على الأمير - الله ، الله - في القول خرق ، والاقتصار في تعريفه ما يجب من حق أمير المؤمنين تقصير ، وقد غاب الأمير - أكرمه الله - عن أمير المؤمنين ، ولم يستغن عن قربه من شهد غيره من أهل بيته ، ولا يجد عنده غنى ، ولا يجد منه خلفاً ، ولا عوصاً ، والأمير أولى من بر أخاه ، وأطاع إمامه ، فليعمل الأمير فيما كتب به إليه أمير المؤمنين بما هو أَرْضَى وأقرب من موافقه أمير المؤمنين ومحبه ، فإن التقدم عليه فضل وحظ عظيم ، والإبطاء عنه وكف^(١) في الدين ، وضرر ومكروه على المسلمين . »

٩٢ - خطبة محمد بن عيسى بن نهيك

وتكلم محمد بن عيسى بن نهيك ، فقال :

« أيها الأمير إنا لا نريدك بالإكثار والتطويل فيما أنت عليه من المعرفة بحق أمير المؤمنين ، ولا نشهد نبتك بالأساطير والخطب فيما يلزمك من النظر والعناية بأمور المسلمين ، وقد أعوز أمير المؤمنين الكفاة والنصحاء بحضرته ،

[١] التكم : الليل والخور والعب والإثم .

وَتَنَاوَلْكَ فَرِعًا إِلَيْكَ فِي الْمَعُونَةِ وَالتَّقْوِيَةِ لَهُ عَلَى أَمْرِهِ ، فَإِنْ تُجِبْ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ ، فَنِعْمَةُ عَظِيمَةٍ يَتَلَفَّى بِهَا رَعِيَّتِكَ وَأَهْلَ بَيْتِكَ ، وَإِنْ تَقْعُدُ يُعْنِ اللَّهُ
أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَنْكَ ، وَلَنْ يَضْمَهُ ذَلِكَ مِمَّا هُوَ عَلَيْهِ مِنَ الْبِرِّ بِكَ ، وَالاعْتِمَادِ عَلَى
طَاعَتِكَ وَنَصِيحَتِكَ .

٩٣ - خطبة صالح صاحب المصلى

وتكلم صالح صاحب المصلى . فقال :

« أَيُّهَا الْأَمِيرُ : إِنَّ الْخِلَافَةَ ثَقِيلَةٌ ، وَالْأَعْوَانُ قَلِيلٌ ، وَمَنْ يَكِيدُ هَذِهِ الدَّوْلَةَ ،
وَيَنْطَوِي عَلَى غَشَّهَا ، وَالْمَعَانِدَةُ لِأَوْلِيَائِهَا ، مِنْ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ كَثِيرٌ ،
وَأَنْتَ أَخُو أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَشَقِيقِهِ ، وَصَلَاحُ الْأُمُورِ وَفَسَادُهَا رَاجِعٌ عَلَيْكَ وَعَلَيْهِ ،
إِذَا أَنْتَ وَلِيٌّ لِعَهْدِهِ ، وَالْمُشَارِكُ فِي سُلْطَانِهِ وَوِلَايَتِهِ ، وَقَدْ تَنَاوَلْتَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ
بِكِتَابِهِ ، وَوَثِقَ بِمَعَاوَتِكَ عَلَى مَا اسْتَعَانَكَ عَلَيْهِ مِنْ أُمُورِهِ ، وَفِي إِجَابَتِكَ إِيَّاهُ إِلَى
الْقُدُومِ عَلَيْهِ صِلَاحٌ عَظِيمٌ فِي الْخِلَافَةِ ، وَأَنْسُ وَسْكَوْنُ أَهْلِ الْمِلَّةِ وَالذِّمَّةِ ، وَفَقَّ
اللَّهُ الْأَمِيرَ فِي أُمُورِهِ ، وَقَضَى لَهُ بِالذِّى هُوَ أَحَبُّ إِلَيْهِ وَأَنْفَعُ لَهُ » .

٩٤ - خطبة المأمون

فحمد الله المأمون ، وَأَتَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« قَدْ عَرَفْتُمُونِي مِنْ حَقِّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - أَكْرَمَهُ اللَّهُ - مَا لَا أَنْكِرُهُ ،
وَدَعَوْتُمُونِي مِنَ الْمَوَازَرَةِ وَالْمَعُونَةِ إِلَى مَا أَوْهَ وَلَا أَدْفَعُهُ ، وَأَنَا طَاعَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
مُقَدَّمٌ ، وَالْمَسَارَعَةُ إِلَى مَاسَرِّهِ وَوَاقْفَهُ حَرِيصٌ ، وَفِي الرِّوَايَةِ تَبَيَّنَ الرَّأْيُ ، وَفِي
إِعْمَالِ الرَّأْيِ نَصِيحُ الْعِزَّازِ ، وَالْأَمْرُ الَّذِى دَعَانِى إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَمْرٌ لَا أَتَأَخَّرُ

هذه تبتطاً ومندفعةً ، ولا أتقدم عليه اعتسافاً وبحيلةً ، وأنا في ثغر^(١) من ثغور المسلمين ، كليبٌ عدوه ، شديدٌ شوكته ، وإن أهملتُ أمره لم آمن دخول الضرر والمكروه على الجنود والريّة ، وإن أقمت عليه لم آمن قوتٌ ما أحبّ من معونة أمير المؤمنين وموازرتة وإينار طاعته ، فانصرُّوا حتى أنظرَ في أمري ، ويصحّ الرأي فيما أعتزمُ عليه من مسيرى إن شاء الله .

ثم بعت معهم بكتاب إلى الأمين ، يسأله أن يُعفيه من الشخوص إليه ، وأن يُقرّه على عمله ، إذ يرى أن ذلك أعظم غناء على المسلمين .

(تاريخ الطرى ١٠ : ١٤٦)

٩٥ - وصية السيدة زبيدة لعل بن عيسى بن ماهان

وَتَمَيَّ الشريين الأخوين ، واستطار شرره ، وبعث الأمين جيشاً كشيافاً بقيادة على بن عيسى بن ماهان لحرب المأمون ، وأعد المأمون للقائه جيشاً بقيادة طاهر بن الحسين ، فلما أراد على الشخوص إلى خراسان ، ركب إلى باب السيدة زُبَدة^(٢) والدة الأمين فودّعها ، فقالت له :

« يا على ، إن أمير المؤمنين ، وإن كان ولدى ، إليه تناهت شفقتى ، وعليه تكامل حذرى ، فإني على عبد الله مُنعطفة مُشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى ، وإنما ابني ملكٌ نافس أخاه في سلطانه ، وَغَارَاهُ^(٣) على ما في يده ، والكريم يؤكل لحمه ، وَيُمَيِّتُهُ غيره ، فاعْرِفْ عبد الله حقَّ والده وأخوته ، ولا تجبته^(٤) بالكلام ، فإنك لست نظيره ، ولا تقتسره^(٥) اقتسار العبيد ، ولا تُرهنه^(٦)

[١] الثر : موضع الحافة من وروح اللسان . [٢] هي السيدة زبيدة أم حمزة بن حمزة بن المصور .

[٣] في الأصل : « طاره » وأواه عرفاه « طراه » ، طاربه مفاعلة وعراء : لاجبته .

[٤] حبه كحه : لقيه بما يكره . [٥] سره واقتسره : قهره .

[٦] أرهه : أصعبه ، ونى الفعوى : « ولا يوهه » وأرهه : أصعبه أيضاً ، والمثل : القيد .

بقيد ولا غلّ ، ولا تمنع منه جارية ولا خادماً ، ولا تمنع عليه في السير ، ولا تساور في المسير ، ولا تركب قبله ، ولا تستقلّ على دابتك حتى تأخذ برِكابه ، وإن شمتك فاحتمل منه ، وإن سقه عليك فلا ترأده .

ثم دفعت إليه قيلاً من فضّة ، وقالت : إن صار في يدك فقيده بهذا القيد ، فقال لها : سأقبل أمرك ، وأعمل في ذلك بطاعتك .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٤٩ ، والعمري ص ١٩٥)

٩٦ - وصية الأمين لابن ماهان

وخرج على بن عيسى بن ماهان من بغداد (في ٧ من شعبان سنة ١٩٥ هـ)
وخرج معه الأمين يشيعه ، وأقبل يوصيه ، فقال :

« أمتنع جُنْدُكَ مِنَ الْعَبَثِ بِالرَّعِيَّةِ ، وَالْفَارَةِ عَلَى أَهْلِ الْقَرْىِ ، وَتَقَطُّعِ الشَّجَرِ ،
وَانْتِهَاكِ النِّسَاءِ ، وَوَلِّ الرِّىَّ يَحْيَى بْنَ عَلِيٍّ »^(١) ، وَاضْمُمْ إِلَيْهِ جُنْدًا كَثِيفًا ، وَزُومَهُ
لِيُدْفَعَ إِلَى جَنْدِهِ أَرْزَاقَهُمْ مِمَّا يَحْيَى مِنْ خَرَاجِهَا ، وَوَلِّ كُلَّ كُورَةٍ تَرَحَّلَ عَنْهَا
رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِكَ ، وَنَاصِرًا خَرَجَ إِلَيْكَ مِنْ جُنْدِ أَهْلِ خُرَاسَانَ وَوُجُوهُهَا فَأُظْهِرْ
إِكْرَامَهُ ، وَأَحْسِنْ جَائِزَتَهُ ، وَلَا تَعَايِبْ أَخًا بِأَخِيهِ ، وَضَعْ عَنْ أَهْلِ خُرَاسَانَ
رَبْعَ الْخَرَاجِ ، وَلَا تَأْمَنْ أَحَدًا رِمَاكَ بِسَهْمٍ ، أَوْ طَعْنٍ فِي أَصْحَابِكَ بِرِمَحٍ ، وَلَا
تَأْذَنْ لِعَبْدِ اللَّهِ فِي الْمَقَامِ أَكْثَرَ مِنْ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، مِنْ الْيَوْمِ الَّذِي تَظْهَرُ فِيهِ عَلَيْهِ ،
فَإِذَا أَهْضَمْتَهُ ، فَلْيَكُنْ مَعَ أَوْثَقِ أَصْحَابِكَ عِنْدَكَ ، فَإِنْ غَرَّهُ الشَّيْطَانُ فَتَنَّا صَبَّكَ ،
فَاخْرُصْ عَلَى أَنْ تَأْمِرَهُ أَسْرًا ، وَإِنْ هَرَبَ مِنْكَ إِلَى بَعْضِ كُورِ خُرَاسَانَ ، فَتَوَلَّ
إِلَيْهِ الْمَسِيرَ بِنَفْسِكَ ، أَفَهَمْتَ كُلَّ أَوْصِيكَ بِهِ ؟ » .

[١] هو يحيى بن علي بن عيسى بن ماهان .

قال : نعم ، أصلح الله أمير المؤمنين ، قال : سر على بركة الله وعونه .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠)

٩٧ - استهانة ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين

وخرج ابن ماهان ، فلما جاز خلواناً ، لقيته القوافل من خراسان ، فكان يسألها عن الأخبار ، فيقال له : إن طاهراً مقيم بالرّي ، يعرض أصحابه ، ويرم^(١) آله ، فيضحك ثم يقول :

« وما طاهر ؟ فوالله ما هو إلا شوكة من أغصاني ، أو شرارة من نارى ، وما مثل طاهر يتولى على الجيوش ، ويلقى الحروب » ، ثم التفت إلى أصحابه فقال : « والله ما بينكم وبين أن ينقص انتصاف الشجر من الريح العاصف ، إلا أن يبلغه عبورنا عقبه^(٢) همدان ، فإن السّخال^(٣) لا تقوى على نطاح الكباش ، والتعالب لا صبر لها على لقاء الأسد ، فإن يُقيم طاهر بموضعه يكن أول معرض لظلمات^(٤) السيوف وأسنة الرماح » .

وسار حتى صار في أول بلاد الرّي ، وأتاه صاحب مقدمته وقال : « لو كنت - أبق الله الأمير - أذكيّت العيون ، وبعثت الطلائع ، وارتدّت موضعاً تمسك فيه ، وتخذ خندقاً لأصحابك يأمنون به ، كان ذلك أبلغ في الرأى ، وأنس للجند » .

قال : « لا ، ليس مثل طاهر يستعدّ له بالمكايد والتحفّظ ، إن حال طاهر تشوّل إلى أحد أمرين ، إما أن يتحصن بالرّي ، فيبته^(٥) أهلها ، فيكفونامتوتته ،

[١] يصلح . [٢] البتة : مرق صعب من الحال . [٣] السخال جمع سحلة بالفتح : وهو ولد النمر ذكر أو أنثى . [٤] الطائت جمع طية وهي حد السب . [٥] يهته كنهه : أحده بتهته ، قال تعالى :

« بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْةٌ فَتَبْتَهُمْ » ، وفي مروح الذهب : « فيب به » .

أَوْ يُخْلِّمَهَا وَيُذْبِرُ رَاجِعًا لَوْ قَرُبَتْ خِيُولُنَا وَعَسَا كَرْنَا مِنْهُ .
 وَأَنَاهُ يَحْيَى بْنُ عَلِيٍّ ، فَقَالَ : « اِجْمَعْ مَتَفَرِّقِ الْعَسْكَرَ ، وَاحْذَرِ عَلَى جَنْدِكَ
 الْبَيَاتَ ، وَلَا تَسْرَحِ الْخَيْلَ إِلَّا وَمَعَهَا كَنْفُ^(١) مِنَ الْقَوْمِ ، فَإِنَّ الْعَسَاكَ
 لَا تَسَامُ بِالْتَوَانِ ، وَالْحُرُوبُ لَا تَدْبَرُ بِالْاعْتِرَارِ ، وَالثَّقَةُ أَنْ تَحْتَرِزَ ، وَلَا تَقْلُ :
 الْحَارِبُ لِي طَاهِرٌ ، فَالْشَّرَارَةُ الْخَفِيَّةُ رُبَّمَا صَارَتْ ضِرَامًا^(٢) ، وَالثَّمْلَةُ مِنَ السَّيْلِ
 رُبَّمَا اغْتَرَبَتْ بِهَا وَتُهَوَّنَ ، فَصَارَتْ بَحْرًا عَظِيمًا ، وَقَدْ قَرُبَتْ عَسَا كَرْنَا مِنْ طَاهِرٍ ،
 فَلَوْ كَانَ رَأْيُهُ الْمَرْبِ لَمْ يَتَأَخَّرْ إِلَى يَوْمِهِ هَذَا .

قال : اسكنت ، فإن طاهرًا ليس في هذا الموضع الذي ترى ، وإنما يتحفظ
 الرجال إذا لَقِيتَ أَقْرَانَهُ ، وَتَسْتَعِدُّ إِذَا كَانَ الْمُنَاوِي^(٣) لَهَا أَكْفَاءُهَا وَنَظَرُهَا .
 (تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٠ ، و مروح الدم ٢ : ٢٩٩)

٩٨ - حَزَمَ طَاهِرٌ وَقُوَّةَ عَزَمِهِ

وَعَسَكَرَ طَاهِرٌ عَلَى خَمْسَةِ فَوَاسِخَ مِنَ الرِّئَى ، وَأَنَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ الْقَلَاءِ ، فَقَالَ :
 « أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّ جَنْدَكَ قَدْ هَابُوا هَذَا الْجَيْشَ ، وَامْتَلَأَتْ قُلُوبُهُمْ خَوْفًا وَرَعَبًا
 مِنْهُ^(٤) ، فَلَوْ أَقْتَبَ بِمَكَانِكَ ، وَدَافَعْتَ الْقِتَالَ إِلَى أَنْ يَشَامَهُمْ^(٥) أَصْحَابُكَ ،
 وَيَأْتَسُوا بِهِمْ ، وَيَعْرِفُوا وَجْهَ الْمَأْخِذِ فِي قِتَالِهِمْ » ، فَقَالَ :

« لَا ، إِنِّي لَا أُؤَنِّى مِنْ قَلَّةِ تَجْرِبَةٍ وَحَزَمٍ ، إِنَّ أَصْحَابِي قَلِيلٌ ، وَالْقَوْمُ عَظِيمٌ^٦
 سَوَادُهُمْ ، كَثِيرٌ عَدْدُهُمْ ، فَإِنْ دَافَعْتُ الْقِتَالَ ، وَأَخَّرْتُ الْمُنَاجَزَةَ ، لَمْ أَمْنِ أَنْ
 يَطْلُعُوا عَلَى قِتْلَتِنَا وَعُورَتِنَا ، وَأَنْ يَسْتَمِيلُوا مَنْ مَعِيَ بَرْعِيَّةً أَوْ رَهْبَةً ، فَيَنْفِرَ عَنِّي

[١] الكتب : الحناعة . [٢] السرام : اشتعال النار في الخلاء وميرها ، ودقائق الخيط لدى
 يسرع اشتعال النار فيه . [٣] للمادى .

[٤] وكانت عدة عسكر ابن ماهان حين ألفها ، وذكر مص أهل مداد أنهم لم يروا عسكارا كان أكثر
 رجالا ، وأمره كراتا ، وأظهر سلاحا ، وأم عدة ، وأكل هيئة من عسكره ، وروى أن طاهرا كان في
 أقل من أربعة آلاف . [٥] شاموا وتشاموا : ضم أحدهما الآخر ، والشي اقتربا .

أكثر أصحابي ، ويخذلني أهل الحِفاظ والصبر ، ولكن أُلّف الرجال بالرجال ،
وألْجَم^(١) الخيل بالخيـل ، وأعتمد على الطاعة والوفاء ، وأصبر صَبْرَ مُحْتَسِبٍ للخير ،
حريصٍ على الفوز بفضل الشهادة ، فإن يَرْزُقَ اللهُ الظفر والفأج^(٢) ، فذلك
الذي نريد ونرجو ، وإن تكن الأخرى فليست أول من قاتل فقتل ، وما عند الله
أَجْزَلُ وأفضل . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٥١)

٩٩ - طاهر يشد عزيمة جنده

وكتب طاهر بن الحسين كتابته ، وَكَرَّ دَسَ كَرَادِيْسَهُ^(٣) ، وسوَّى صفوفه ،
وجعل يَمْرَ بَقَائِدَ قَائِدٍ ، وجماعة جماعة ، فيقول :

« يا أولياء الله ، وأهل الوفاء والشكر ، إنكم لستم كهؤلاء الذين تَرَوْنَ من
أهل التُّكْتِ والنذر ، إن هؤلاء ضِعُّوا مَا حِفِظْتُمْ ، وصَفَرُوا مَا عَظَّمْتُمْ ، ونكثوا
الْأَيْمَانَ التي رَعَيْتُمْ ، وإنما يطلبون الباطل ، ويقا تلون على المِدر والجهل ، أصحاب
سَنَابِيعٍ وَتَهَبٍ ، فلو قد غَضَضْتُمْ الْأَبْصَارَ ، وَأَتَيْتُمْ الْأَقْدَامَ ، قد أنجز الله وعده ،
وفتح عليكم أبواب عِزِّهِ ونصره ، فَجَالِدُوا طَوَاعِيَتِ^(٤) الْفِتْنَةِ ، وَيَمَاسِيبِ النَّارِ
عن دينكم ، ودافعوا بِجَهَنَّمَ بَاطِلَهُمْ ، فإنما هي ماعة واحدة ، حتى يحكم الله بينكم
وهو خير الحاكمين » .

ونُسِبَ القتال بين الفريقين ، ودارت الدائرة على جيش ابن ماهان وقُتِلَ^(٥) .

[١] أي أقرن الخيل بالجل ، من قولهم : أُلِفَ الحرب فالتحسب ، واللحم هم لهم وفتح الحاء : للماضي
بالقزم ، ولأحدم الشيء بالشيء : ألصقه به . [٢] العور والطمع . [٣] الكراديس جمع كردوسة
بالضم ، وهي القطعة الطويلة من الخيل ، وكردس الخيل حلها كتيبة كتيبة .

[٤] الطواغيب جمع طاعوت : وهو الشيطان وكل رأس صلال ، واليعاسيب جمع مسوب : وهو الرئيس
الكبير . [٥] روى أن بني علي بن عيسى ورد إلى أبيهم وهو على الغط يصيد السمك ، فقال لذي
أخبره : فذلك دعوى ، فإن كوبرا قد اصطاد سمكتين ، وأنا ما اصطدت شيئاً مسد - وكان كوبر حادماً
خصياً له وكان محم - .

ووجه الأمين بعد ذلك لحرب طاهر جيشاً بقيادة عبد الرحمن بن جبلة ،
فهزم وقتل أيضاً . (تاريخ الطبري ١٠ : ١٥٢)

١٠٠ — وصف الفضل بن الربيع غفلة الأمين

ونذب أسد بن يزيد بن يزيد لقتال طاهر

وبعث الفضل بن الربيع بعد مقتل عبد الرحمن بن جبلة إلى أسد بن يزيد
ابن يزيد ، قال : فأثبته ، فلما دخلت عليه وجدته قاعداً في صحن داره ، وفي يده
رُقعة فد قرأها ، واحمرت عيناه ، واشتد غضبه ، وهو يقول :
« ينام نوم الظربان ^(١) ، وينتبه انتباه الذئب ، حمته بطنه ، ولذته قرجه ،
لا يفكر في زوال نعمته ، ولا يزوي في إمضاء رأى ولا مكيدة ، قد ألهاه كأسه ،
وشغله قنحه ، فهو يجرى في لهوه ، والأيام تسرع ^(٢) في هلاكه ، قد شمر
عبد الله له عن ساقه ، وفوق له أصيب ^(٣) أسهمه ، يرميه على بعد الدار بالحنف
النافذ ، والموت القاصد ^(٤) ، فدعني له المنايا على متون الخيل ، وناط ^(٥) له البلاء
في أسنة الرماح ، وشيفار السيوف »

ثم استرجع وتمثل بأبيات للبعيث ^(٦) ، ثم التفت إلى فقال :
« يا أبا الحارث ، إنا وإباك لنجرى إلى غاية ، إن قصرنا عنها ذُمننا ، وإن
اجتهدنا في بلوغها انقطعنا ، وإعما نحن شعب من أصل ، إن قوى فويننا ، وإن

[١] الطراد : دوبة فوق حرو الكلب مقة الرع كثيرة الصو ، يصرب بها المثل فيقال « أضى من
طراد » . [٢] في الأصل « مرع » وقرأ بحرماً . [٣] أصيب : أهمل من صاب السهم يصيب
صيا : أي أصاب ، وسهم صيوت كصور . [٤] انقاصد أي الكاسر ، من انقصد بالفتح : وهو
الكرم بأى وجه كان ، أو المصم ، كالنعميد ، يقال قصد الحجة وقصدها كسرهما ودعاها . قصدت .
[٥] علق . [٦] هو حداث بن عثر الخاشمي ، أحد شعراء الدولة الأموية ، وكان بهلوى حريراً .

ضَعُفَ ضَعْفُنَا ، إن هذا قد أُلْقِيَ بيده إلقاء الأَمَةِ الْوَكْفَاءِ ^(١) ، يَشَاوِرُ النِّسَاءَ ،
ويعتمد على الرؤيا ، وقد أمكن أهلَ اللّهُو والخسارة مِن صَمَمِهِ ، فهم يَمْدُونَهُ
الظَّفَرَ ، ويعتونه عَقَبٌ ^(٢) الأَيَّامِ ، والهلاك أسرع إليه من السيل إلى قِيَعَانِ ^(٣)
الرمْلِ ، وقد خَشِيتُ وَاللّهِ أَنْ تَهْلِكَ بهلاكه ، ونعطبَ بِمَظَبِهِ .

وأنت فارس العرب وابن فارسها ، وقد قَرَعَ إليك في لقاء هذا الرجل
(طاهر) ، وأطمعهُ فيما يَمْلِكُ أَمْرَانِ ؛ أَمَّا أَحَدُهُمَا فَصِدْقُ طَاعَتِكَ ، وفضلُ
نصيحتِكَ ؛ والثاني يُنَمِّقُ تَقِيَّتَكَ ^(٤) ، وشدة بأسِكَ ، وقد أمرني بإزاحة عِلَّتِكَ ،
وبسْطِ يَدِكَ فيما أُحْييت ، غير أن الاقتصاد رأس النصيحة ، ومفتاح اليُمنِ
وَالْبَرَكَةِ ، فَأَنْجِزِ حَوَائِجِي ، وَعَجِّلِ المبادرة إلى عدوك ، فإني أرجو أن يُؤَلِّيكَ
اللهُ شرفَ الفتح ، وَيَلْمُ بِكَ شَعْتَ هذه الخلافة والدولة .

فأجاب بالسمع والطاعة ، غير أنه طلب مطالب لم تَرُقْ في عين الأمين
فغَضِبَ عليه ، وأمر بِسَجْنِهِ . (تاريخ الطبرى ١٠ : ١٠٨ ، ودرر الآداب ٢ : ١٠٨)

١٠١ - وصية الأمين لأحمد بن مزيد

ثم ندب عمّه أحمد بن مَزِيد ، فلما أراد الشخصُوص دخل على الأمين ، فقال :
أوصِنِي أكرمَ الله أمير المؤمنين ، فقال :

« أوصيك بِخِصَالِ عِدَّةٍ ، إِيَّاكَ وَالبَقَى فَإِنَّهُ عِقَالُ ^(٥) النصر ، ولا تَقْدِّمَ
رَجُلًا إِلَّا بِاسْتِخَارَةٍ ، وَلَا تَشْهَرْ سِيفًا إِلَّا بَعْدَ إِعْذَارٍ ، ومهما قَدِّرْتَ عليه باللين ،

[١] وصف من الوكف بالهريك : وهو الأيم والسب والمص ، وكف كعرج إذا أيم ، وفي رواية

الطبرى « الوكفاء » بالين ، وفي الخفاء . [٢] القف كقفل وعى : العاقبة .

[٣] القيعان جمع قاع : وهو أرض مطبشة سهلة عدا فرح عنها الحال والآكام .

[٤] النقية : العس والطبيعة . [٥] العقال في الأصل : الحمل الذى يمد به الدابة .

فلا تتمدّدْه إلى الخَرْقِ وَالشَّرْه، وأحسن صحابةً من معك من الجند، وطالِغني بأخبارك في كل يوم، ولا تخاطر بنفسك طلب الزُّلفَة^(١) عندي، ولا تستقها فيما تُخَوِّف رجوعه عليّ، وكن لعبد الله أخاً مضافاً، وقريناً برّاً، وأحسن مجامعته، وصحبته ومعاشرته، ولا تحذله إن استنصرك، ولا تبطئ عنه إذا استصرحك، ولكن أيديكاً^(٢) واحدة، وكلتكما متفقة.

وتوجه أحمد بن مزّيد في عشرين ألفاً من الأعراب، وعبد الله بن حميد بن قحطبة في عشرين ألفاً من الأبناء، حتى نزلا خاتين - قريباً من حُلوان - ولم يزل طاهر يَحْتال في وقوع الاختلاف والشَّعْب بينهم، حتى اختلفوا، وانتقض أمرهم، وقاتل بعضهم بعضاً، فأخلوا خاتين ورجعوا عنها، دون أن يلقوا طاهراً.
(تاريخ الطبري ١٠: ١٠٩)

١٠٢ - مقال عبد الملك بن صالح للأمين

وكان عبد الملك بن صالح يشكر للأمين تخليّة سبيله، ويوجب بذلك على نفسه طاعته ونصيحته، فلما قوى طاهر، واستعلى أمره، وهزم من هزم من فواد الأمين وجبوشه، دخل عبد الملك على الأمين، فقال:

« يا أمير المؤمنين: إني أرى الناس قد طمِعوا فيك، وأهل العسكرين قد اعتمدوا ذلك، وقد بذلت سمالك، فإن تَمَنّت على أمرك أفسدتهم وأبترتهم، وإن كَفَفْتَ أمرك عن العطاء والبذل أسخطتهم وأغضببتهم، وليس تُملك الجنود بالإمساك، ولا يبق ثبوت الأموال على الإتيان والسرف، ومع هذا فإن جندك قد رعبتهم الهزائم ونهكتهم، وأضعفتهم الحرب والوقائع، وامتلات

[١] الزلفة والرلي: القربة. [٢] أي أنت وعد الله بن حميد بن قحطبة.

قلوبهم هيبةً لعدوم ، ونُكولا^(١) عن لقائهم ومناهضتهم ، فإن سيرتهم إلى طاهر ، غلبَ بقليل من معه كثيرهم ، وهزم بقوة نيته ضعف نصائحهم ونياتهم ، وأهل الشام قوم قد ضُرستهم^(٢) الحروب ، وأدبته الشدائد ، وجُلَّهم متقاد إلى ، مسارع إلى طاعتي ، فإن وجهي أمير المؤمنين اتخذت له منهم جنداً يعظم نكايته في عدوه ، ويؤيد الله بهم أولياءه وأهل طاعته .

فقال الأمين : « فإني مؤليك أمرهم ، ومقويك بما سألت من مال وعدة ، فعجل الشخوص إلى ما هناك ، فاعمل عملاً يظهر أثره ، ويُحمد بركته ، برأيك ونظرك فيه إن شاء الله » ، فولاه الشام والجزيرة .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦١ ، والكمال لابن الأثير ٦ : ١٠٣)

١٠٣ - الشغب في جيش عبد الملك بن صالح

وسار عبد الملك بن صالح ، فلما قدِم الرقة^(٣) ، كتب إلى رؤساء أجناد الشام ووجوه الجزيرة ، فلم يبق أحد ممن يُرجى ، ويدكر بأسه وغناؤه إلا وعدّه ، وبسط له في أمّله وأمنيته ، فقدموا عليه رئيساً بعد رئيس ، وجماعة بعد جماعة ، فكان لا يدخل عليه أحد إلا أجازه ، وخلع عليه وحمله ، فأتاه أهل الشام ، والزّواويل والأعراب من كل فج ، واجتمعوا عنده حتى كثروا ، بيّده أنه شبت نار الفتنة بين جند أهل خراسان وبين الزّواويل^(٤) ، وأفضى الأمر إلى تلاحمهم واقتتالهم ، ثم قام رجل من أهل حمص ، فقال :

[١] حساوحوما . [٢] حرسهم وأحسنتهم .

[٣] بلد على الرّات . [٤] ومنها أن بعض جد أهل خراسان نظر إلى دابة كلب قد أخذت معه في إحدى الوصعات نحو من الرواقيل ، فتعلّق بها ، فخرى الأمر بينهما إلى أن اختلعا ، واحدمت جماعة من الرواقيل والحمد دلاخرا ، وأكل كل فريق منهم صاحبه ، ثم أصبح لطاق القصة فاشقت وحدة الجيش .

« يا أهل حصص ، الهَرَبُ أهونُ من العَطَبِ ، والموتُ أهونُ من الذلِّ ، إنكم بعدتم عن بلادكم ، وخرجتم من أقاليمكم ، ترجئون الكثرة بعد القلة ، والعزة بعد الذلة ، ألا وفي الشروقتين ، وإلى حومة الموت أنحنتم ، إن المنايا في شوارب المسوِّدة ^(١) وقلائيمهم ، النفير النفير ^(٢) قبل أن ينقطع السبيل ، وينزل الأمرُ الجليل ، ويفوت المطلب ، ويسر المذهب ، ويبعد العمل ، ويقرب الأجل » .
وقام رجل من كلب ، فقال :

« يا معشر كلب ، إنما الراية السوداء ، والله ما ولَّت ولا عدلت ، ولا ذلَّ نصرها ، ولا ضُفِّ ولَّتها ، وإنكم لتعرفون مواقعَ سيوف أهل حراسان في رقابكم ، وآثارَ أسنتهم في صدوركم ، اعتزلوا الشرق قبل أن يعظم ، وتخطوهُ قبل أن يضطرم ، شأمكم ، داركم داركم ، الموت الفلَسْطِينِي خير من العيش الجَزَرِي ، ألا وإني راجع فمن أراد الانصراف فلينصرف معي » .
ثم سار وسار معه عامة أهل الشام ، وأقبلت الزواجيل حتى أضرموا ما كان يُجمع من الأعلاف بالنار ، (وكان ذلك سنة ١٩٦ هـ) .

(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٢)

١٠٤ - خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان

يدعو إلى خلع الأميين

ومات عبد الملك بن صالح بالزفة ، وكان معه الحسين بن علي بن عيسى ابن ماهان ، فأقفل الجند من الجزيرة إلى بغداد ، فتلقاه أهلها بالتكريم والتعظيم ، وضربوا له الأقباب ، واستقبله القواد والرؤساء والأسراف ، ثم اجتمع إليه الناس فقام فيهم فقال :

[١] كانت الجلود الحراسية التي تقايل الأمويين في سبيل نشر الدعوة العباسية يحملون الرايات السوداء مساوا من أجل ذلك السوداء . [٢] يفر إلى الأمر كعرب مغيرا : أسرع إليه .

« يا معشر الأبناء ، إن خلافة الله لا تجاوز بالبطر ، ونعمه لا نستصحب بالتجبر والتكبر ، وإن محمد أريد أن يُوتغ^(١) أديانكم ، وينكث بيمينكم ، ويفرق جمعكم ، وينقل عزكم إلى غيركم ، وهو صاحب الزواويل بالأمس ، وبالله إن طالت به مدة ، وراجمه من أمره قوة ، ليرجعن وبال ذلك عليكم ، وليعرفن ضرره ومكروهه في دولتكم ودعوتكم ، فافطموا أثره قبل أن يقطع آثاركم ، وضعوا عزه قبل أن يضع عزكم ، فوالله لا ينصره منكم ناصر إلا خذل ، ولا يمنعه مانع إلا قتل ، وما عند الله لأحد هواذة ، ولا يرايب على الاستخفاف بعهوده ، والحنث بأيمانه . »

وخلع الحسين بن علي محمد الأمين وجبسه^(٢) ، وأخذ البيعة لعبد الله المأمون .
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٣)

١٠٥ - خطبة محمد بن أبي خالد

في فض الناس عن اتباع الحسين بن علي بن عيسى
فلما أصبح الناس من الغد ، طلبوا من الحسين بن علي الأرزاق ، وماج الناس بعضهم في بعض ، وقام محمد بن أبي خالد ، فقال :
« أيها الناس ، والله ما أدرى ، بأي سبب يتأمر الحسين بن علي علينا ، ويتولى هذا الأمر دوننا ؟ ما هو بأكبرنا سنا ، ولا أكرمنا حسبا ، ولا أعظمنا منزلة ، وإن فينا من لا يرصى بالدين ، ولا يقاد بالمخادعة ، وإنى أولئككم ، نقض عهده ، وأظهر التغير عليه ، والإنكار لعمله ، فمن كان رأيته رأيي ، فليعتزل معي . »
(تاريخ الطبري ١٠ : ١٦٤)

[١] أوتغ ديه ملائم : أسده ، وأدغمه الله : أهلكه .
[٢] وكان جلس الحسين محمد الأمين في قصر أبي جعفر يومئذ .

١٠٦ - إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة

وقام أسد الحرّبيّ، فقال: « يا معشر الحرّية، هذا يومٌ له ما بعده، إنكم قد نمتُم وطال نومكم، وتأخّرتُم فُقدُم عليكم غيرُكم، وقد ذهب أوقامُ يديّكم خلعَ محمد وأسرهُ، فاذهبوا بدكر فُكّه وإطلاقه » .

فأبل شيخ كبير من أبناء الكِفاية على فرس، فصاح بالناس: اسكتوا، فسكتوا، فقال:

« أيها الناس، هل تمتدّون على محمد بقطع منه لأرزاكم؟ قالوا: لا، قال: فهل قصّر بأحد منكم، أو من رؤسائكم وكبرائكم؟ قالوا: ما علمنا، قال: فهل عزّل أحداً من قوادكم؟ قالوا: معاذ الله أن يكون فعل ذلك، قال: فما بالكم خذلتوه، وأعتم عدوّه على اصطهادهِ وأسرهِ؟ أما والله ما قتل قومٌ خليفَتهم قطُّ، إلا سلّط الله عليهم السيّف القاتل، والحُتف الجارِف، انهضوا إلى خليفَتكم وادفعوا عنه، وفاتلوا من أراد خلعهُ والفتك به » .

فنهضوا معه وقاتلوا الحسين بن عليّ وأصحابه قتالاً شديداً . وأكثروا في أصحابه الجراح، وأسرُوا الحسين . ودخل أسد الحرّبي على محمد فكسّر قيوده، وأقعده في مجلس الخلافة

وأبى الأمين بالحسين بن عليّ، فلامه على خلافه وقال له: ألم أقدّم أبك على الناس، وأولّه أعتة الخليل . وأملاً يده من الأموال، وأشرف أقدارك في أهل خراسان، وأرفع منازلكم على غيركم من القواد؟ قال: بلى، قال: فما الذي استحققتُ به منك أن تحام طاعتي، وتؤوّل الناس عليّ . وتندبهم إلى قتالي؟

قال : الثقة بعفو أمير المؤمنين ، وحسن الظن بصفحه وتفضله ، قال : فإن أمير المؤمنين ، قد فعل ذلك بك ، وولّاك الطلب بئارك ، ومن قُتِلَ من أهل بيتك ، ثم دعا له بخِلمة ، فخلعها عليه ، وحمله على مراكب ، وأمره بالمسير إلى خُلوان ، وخرج الحسين ، فهرب في قَفَر من خدمه ومواليه ، فنادى محمد في الناس ، فركبوا في طلبه فأدركوه وقتلوه . (تاريخ الطبري : ١٠ : ١٦٤)

١٠٧ - خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين

وقام داود بن عيسى^(١) وإلى مكة والمدينة - وكان خطيباً فصيحاً جهير الصوت - يدعو إلى خلع الأمين ومبايعة المأمون ، فقال :
« الحمد لله مالك الملك ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويُزيّن من يشاء ، وَيُبدِلُ من يشاء ، بده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قائماً بالقسط ، لا إله إلا هو العزيز الحكيم ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالدين ، وختم به النبيين ، وجعله رحمة للعالمين ، صلى الله عليه في الأولين والآخرين .

[١] هو داود بن عيسى بن موسى بن محمد بن عليّ بن عبد الله بن عباس ، وكان الأمين حين أفضت الخلافة إليه نعت به والياً على مكة والمدينة ، فأمام والياً عليهما حتى دخلت سنة ١٩٦ ، فكف الأمين إلى داود بن عيسى يأمره بجمع عبد الله المأمون ، والبيعة لابنه موسى ، وحث إلى الكتابين اللذين كان الرشد كتبهما وعاقبهما في الكسة ، فأحدهما ، فلما فعل ذلك جمع داود حجة الكسة والفرشيين والعقهاء ، ومن كان شهد على مافي الكتابين من اليهود - وكان داود أحدهم - فقال داود : قد علمت ما أخذ علينا وعليكم الرشد من العهد واليثاق ، عبد بيت الله الحرام ، حين ماينا لابيّه لتكون مع المظوم منها على الظالم ، ومع المي عليه على الناحي ، ومع المبدور به على العادر ، هذ رأينا ورأينا أن محمداً (الأمين) قد بدأ بالظلم والي والعدر على أخويه عبد الله المأمون ، والقاسم اللؤلؤي ، وحامهما ، وابع لابنه الطفل رصيع صغير لم يحطم ، واستخرج الشرطين من الكسة طاصياً ، خرقتها بالدار ، وقد رأيت خله ، وأن أبايع لعبد الله المأمون بالخلافة ، إذ كان مظلوماً ميباً عليه ، فقال له أهل مكة : رأينا مع رأيك ، ونحن حالموه معك ، شيع الناس ، وحطيم هذه الخطبة .

أما بعد ، يأهل مكة ، فأنتم الأصلُ والفرع ، والعشيرة والأُسرة ، والشركاء في النعمة ، إلى بلدكم يَفِدُ وفَدَّ اللهُ ^(١) ، وإلى قبيلتكم يَأْتُمُ المسلمون ، وقد عَلِمْتُمْ ما أخذ عليكم الرشيدُ هرون ، رحمة الله عليه وصلاته ، حين بايع لابنيه محمد وعبد الله بين أظهركم من العهد والميثاق ، لَتَنْصُرُنَّ المظلومَ منهما على الظالم ، والمبني عليه على الباغي ، والمغدورَ به على الفادر ، ألا وقد علمت وعلمنا أن محمد ابن هرون قد بدأ بالظلم والبنى والغدر ، وخالف الشروط التي أعطاهما من نفسه في بطن البيت الحرام ، وقد حَلَّ لنا ولكم خُلُمُهُ من الخلافة وتصيرها إلى المظلوم المبني عليه ، المغدور به ، ألا وإني أَشْهَدُكُمْ أَنِّي قد خلعت محمد بن هرون من الخلافة ، كما حملت قَلَنْسُوتَى هذه من رأسى - وخلع قَلَنْسُوتَه عن رأسه ، فرمى بها إلى بعض الخدم تحته ، وكانت من بُرُودِ حَبْرَةٍ ^(٢) مسلسلَة حمراء ، وأتى بقلنسوة سوداء هاشمية فلَبَسَهَا - ثم قال . قد بايعت لعبد الله المأمون أمير المؤمنين بالخلافة ، ألا فقوموا إلى البيعة خليفكم » : فصعد جماعة من الوجوه إليه إلى المنبر رجل فرجل ، فبايعه لعبد الله المأمون بالخلافة وخلع محمداً .

(تاريخ الطرى ١٠ : ١٧٠)

١٠٨ - خطبة الأمين وقد تولى الأمر عنه

ولما رأى الأمين الأمر قد تولى عنه ، وأنصاره يتسلَّون فيخرجون إلى طاهر ، أمر بإحضار كل من كان معه في المدينة من القواد والجند ، فأشرف عليهم وقال :

[١] أى لتأدية فريضة الحج . [٢] برود حرة : ضرب من البرود الحمراء ، يقال : برود حرة مثل عبة على الوصب والإضافة ، وبرود حرة ، وليس حبة موصفاً أو شيئاً معلوماً ، إنما هو وصى كقولك : ثوب قرمر ، والقرمر : صمغ .

« الحمد لله الذي يرفع ويضع ، ويُعْطِي وَيَمْنَع ، وَيَقْبِضُ وَيَبْسُطُ ، وإليه المصير ، أحمده على نوائب الزمان ، وخِذْلان الأعوان ، وتشدت الرجال ، وذهاب الأموال ، وتحلول النوائب ، وتوفد المصائب ، حمداً يَدْخُلُ به أَجْزَلُ الجزاء ، وَيَرْفِدُنِي ^(١) أَحْسَنُ الْعَزَاء ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، كما شهد لنفسه ، وشهدت له ملائكتُهُ ، وأن محمداً عبده الأمين ، ورسوله إلى المسلمين صلى الله عليه وسلم ، آمين رب العالمين .

أما بعد : يا معشر الأبناء ، وأهل السبق إلى الهدى ، فقد علمتم غفاتي كانت أباكم الفضل بن الربيع وزيراً على ومشير ، فادّت ^(٢) به الأيام بما لزم مني به من الندامة في الخاصة والعامة ، إلى أن نهتموني فانتبهت ، واستعتموني في جميع ما كرهتم من نفسي وفيكم ، فبذلت لكم ما حواه من أسكى ، ونالته مقدوق ، مما جُمِئَتْهُ وَوَرِثَتْهُ عَنْ آبَائِي ، ففوّدت ^(٣) من لم يجز ، واستكفيت من لم يكف ، واجتهدت - عَلمَ الله - في طلب رضاكم بكل ما قدرت عليه ، واجتهدتم - عَلمَ الله - في مساءتي في كل ما قدرتم عليه ، من ذلك توجيهي إليكم على ابن عيسى شيخكم وكبركم ، وأهل الرأفة بكم ، والتحنن عليكم ، فكان منكم ما يطول ذِكْرُهُ ، ففقرت الذنوب ، وأحسنات واحتملت ، وعزيت نفسي عند معرفتي بشذوذ الظفر ، وحرصت على مقامكم مسلحة ^(٤) بخلوان مع ابن كبير صاحب دعوتكم ، ومن على يدي أياه ^(٥) كان غفركم ، وبه تمت طاعتكم : عبد الله بن حميد ابن قحطبة ، فصرتم من التائب عاياه إلى ما لا طاعة له به ، ولا صبر عليه ، يقودكم

[١] رده وأرفهه : أعطاه . [٢] طاوله وأهلك . [٣] أي احمده فادّاً .

[٤] السلحة : الغوم ذو سلاح . [٥] من جدّد عبد الله بن حميد بن قحطبة ، وهو قطعة

ابن تميم الطائي ، أحد أئمة العباسية والقواد الدين فالتوا الحيوث الأموية - انظر الجزء الثاني

رجل منكم وأنتم عشرون ألفاً إلى عامين ، وعلى سيدكم متوئين ، مع سعيد الفرد ، سامعين له مطيعين ، ثم وثبتم مع الحسين عليّ ، نخلعتموني وشتمتموني ، واتهبتموني وحبستموني وقيدتموني ، وأشباه منعموني من ذكرها ، حقد قلوبكم ، وتلصق^(١) طاعتكم أكبر وأكثُر ، فالحمد لله حمد من أسلم لأمره ، ورضي بقدره ، والسلام .

وكانت عاقبة أمره أن قتل سنة ١٩٨ هـ وحمل رأسه إلى المأمون ببخراسان .

(تاريخ الطرى ١٠ : ٢٠٥ ، ومروج الذهب ٢ : ٣٠٥)

١٠٩ - استعطاف الفضل بن الربيع للمأمون

وقال المأمون للفضل بن الربيع^(٢) لما ظفر به : « يا فضل ، أكان من حقّ عليك وحقّ آبائي ونعمهم عند أهلك وعندك أن تلبّيتي^(٣) وتُسبّيتي وتُحرّض على دمي ؟ أتحب أن أفعل بك ما فعلته بي ؟ »

فقال : « يا أمير المؤمنين ، إن عُذرى يُحمّلك إذا كان واحداً جليلاً ، فكيف إذا حَفَّتْ^(٤) الصوب ، وقبّحت الذنوب ، فلا يضيئ عني من عفوك ما وسع غيري منك ، فأنت كما قال الشاعر^(٥) فيك :

صَفُوحٌ عَنِ الْأَجْرَامِ حَتَّى كَأَنَّهُ مِنْ الْعَفْوَ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ النَّاسِ مُجْرِمًا
وَلَيْسَ يُبَالِي أَنْ يَكُونَ بِهِ الْأَذَى إِذَا مَا الْأَذَى لَمْ يَنْشَأْ بِالْكَرْهِ مُسْلِمًا

(دهر الآداب ٢ : ١٦٣)

[١] مَسُولٌ عَنْ بَلَكُوْهُ . [٢] تَوَيَّ سَنَةَ ٢٠٨ . [٣] ثَلَاثَةٌ كَصَرَفِهِ : لَامُهُ وَطَاءُ .

[٤] هَكَذَا فِي الْأَصْلِ ، وَرِوَايَا كَانَتْ « أَسْعَتْ » لِقَوْلِهِ قُلُوبٌ : « إِذَا كَانَ وَاحِدًا » .

[٥] هُوَ الْحُسَيْنُ بْنُ رِجَاءَ بْنِ أَبِي الصَّخَّاءِ .

١١٠ - خطبة طاهر بن الحسين ببغداد بعد مقتل الأمين

ودخل طاهر بن الحسين ببغداد يوم الجمعة بعد قتل الأمين ، فصلى بالناس وخطبهم خطبة بليغة ، وقد حضره من بنى هاشم والقواد وغيرهم جماعة كثيرة قال :

« الحمد لله مالك الملك ، يُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ يَشَاءُ ، وَيَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ يَشَاءُ ، وَيُؤَيِّزُ مَنْ يَشَاءُ ، وَيُبْذِلُ مَنْ يَشَاءُ ، بِيَدِهِ الْخَيْرُ ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُسْرِئِينَ ، وَلَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ، إِنْ ظَهَرُوا عَلَيْنَا لَمْ يَكُنْ مِنْ أَيْدِنَا وَلَا كَيْدِنَا ، بَلْ اخْتَارَ اللَّهُ لِلْخَلَافَةِ ، إِذْ جَعَلَهَا عِمَادًا لِلدِّينِ ، وَقَوَامًا لِعِبَادِهِ ، وَصَبَّطَ الْأَطْرَافَ ، وَسَدَّ النُّغُورَ ، وَإِعْدَادِ الْعُدَّةَ ، وَجَمْعَ الْقِيَمَ ، وَإِنْفَاضِ الْحُكْمِ ، وَنَشْرِ الْعَدْلِ ، وَإِحْيَاءِ السُّنَّةِ ، بَعْدَ إِذْ بَالَ الْبَطَالَاتُ ، وَالتَّلْذُّذُ بِمُوقِ السُّهُوَاتِ ، وَالْمُخْزِلُ إِلَى الدُّنْيَا مُسْتَحْسِنٌ لِدَاعَى عُرُورِهَا ، مُخْتَلِبٌ دِرَّةً ^(١) نِعْمَتَهَا ، أَلْفٌ لُزْهَرَةٌ رَوْضُهَا ، كَلِفٌ بَرُونِقٌ بِهِجَتِهَا ، وَقَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ وَفَاةٍ مَوْعُودِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لِمَنْ بَغَى عَلَيْهِ ، وَمَا أَحَلَّ بِهِ مِنْ بَأْسِهِ وَنَقَمَتِهِ ، لَمَّا نَكَبَ ^(٢) عَنْ عَهْدِهِ ، وَارْتَكَبَ مَعْصِيَتَهُ ، وَخَالَفَ أَمْرَهُ ، وَغَيَّرَ نَاهِيَةَ ، وَعَظَّمَتْهُ مُؤَدَّبَةً ، فَتَمَسَّكُوا بِدَقَائِقِ غَضَمٍ ^(٣) الطَّاعَةِ ، وَاسْتَلْكَوْا مَتَاجِي سَبِيلِ الْجَمَاعَةِ ، وَاحْذَرُوا مِصَارِعَ أَهْلِ الْخِلَافِ وَالْمَعْصِيَةِ ، الَّذِينَ فَدَحُوا زِنَادَ الْفِتْنَةِ ، وَصَدَّعُوا شُعْبَ الْأُلْفَةِ ، فَأَغْصَبَهُمُ اللَّهُ خَسَارَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » . (تاريخ الطبري ١٠ : ٢٠٦ ، والمقداد العريدي ٢ : ١٥٥)

[١] الدرّة : اللب . [٢] عدل .

[٣] جمع عصام ككتاب ، وعصام العربية : رباطها وسيرها الذي تحمل به .

خطب المأمون (توفي سنة ٢١٨ هـ)

١١١ - خطبته وقد ورد عليه نعي الرشيد

خطب الناس بمرو حين ورد عليه نعي الرشيد ، فقال :
 « إن ثمرة الصبر الأجر ، وثمره الجزع الوزر ، والتسليم لأمر الله عز وجل
 فائدة جليلة ، وتجارة مربحة ، فالمت حوضٌ مورود ، وكأس مشروب ، وقد
 أتى على خليفكم ما أتى على نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإننا لله وإنا إليه راجعون ،
 فساكن الإلعباد دعي فأجاب ، وأمر فأطاع ، ومد سد أمير المؤمنين ثلثه ، وقام
 مقامه ، وفي أعناقكم من العهد ما قد عرفتم ، فأحسنوا العزاء على إمامكم الماضي ،
 واغتبطوا بالنعماء والوفاء في خليفكم الباقي ، يأهل الدنيا : الموت نازل ، والأجل
 طالب ، وأمس إعط ، واليوم مقتنم ، وغد متظر . »

١١٢ - خطبته وقد سلم الناس عليه بالخلافة

ولما بلغه بخراسان قتل أخيه ، وأقبل الناس للتسليم عليه بالخلافة ، صعد
 المنبر ، حمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على نبيه ، ثم قال :
 « أيها الناس : إني جعلت لله على نفسي ، إن أسترعاني أموركم أن أطيعه
 فيكم ، ولا أسفك دما تمهداً لا تحيله حدوده ، وتسفكه فرائضه ، ولا آخذ لأحد
 مالا ، ولا أثاماً ، ولا نحلة^(١) تحرم علي ، ولا أحكم بهوى ، في غضبي ولا
 رضاي ، إلا ما كان في الله وله ، جعلت كله لله عهداً مؤكداً ، وميثاقاً مشدداً ،

[١] نحلة : أعطاه والاسم النحلة .

إِنِّي أَفِي رَغْبَةٍ فِي زِيَادَتِهِ إِيَّايَ فِي نِعْمَتِي ، وَرَهْبَةٍ مِنْ مَسْأَلَتِهِ إِيَّايَ عَنْ حَقِّهِ وَخَلْقِهِ ، فَإِنْ غَيَّرْتُ أَوْ بَدَلْتُ كُنْتُ لِلزَّيْرِ مُسْتَأْهِلًا ، وَلِلنَّكَالِ مُمَرَّضًا ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سَخَطِهِ ، وَأَرْغِبُ إِلَيْهِ فِي الْمَعُونَةِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَأَنْ يُحَوِّلَ بَيْنِي وَبَيْنَ مَعْصِيَتِهِ »

١١٣ - خطبته يوم الجمعة

الحمد لله مستخلص الحمد لنفسه ، ومستوجبه على خلقه ، أحمده وأستعينه ، وأؤمن به ، وأتوكل عليه ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولتؤمن كرامة المشركون ، أوصيكم عباد الله بتقوى الله وحذره ، والعمل لما عنده ، والتجنب لوعده ، والخوف لوعيده ، فإنه لا يسلم إلا من اتقاه ورجاه ، وعمل له وأرضاه ، فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا آجالكم بأعمالكم ، وابتاعوا ما يبقى بما يزول عنكم ، وترحلوا فقد جد بكم ، واستمدثوا للموت فقد أظلمكم ، وكونوا قومًا صريح بهم فانتبهوا ، وعلموا أن الدنيا ليست لهم بدار فاستبدلوا ، فإن الله لم يخلقكم عباء ، ولم يترككم سدى ، وما بين أحدكم وبين الجنة والنار إلا الموت أن ينزل به ، وإن غاية تنقضا اللحظة ، وتهديمها الساعة الواحدة ، الجديرة بقصر الده ، وإن غائبًا يحدوه ^(١) الجديدان : الليل والنهار الحري بسرعة الأوبة ، وإن قادمًا يحل بالفوز أو بالشقوة لاستحق لأفضل المدة ، فاتق عبد ربك ، ونصح نفسه ، وقدم توبته ، وعلب شهوته ، فإن أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكل به ، يزين له المعصية ليركبها ، ويعتبه التوبة ليسوفها ، حتى تهجم عليه

منبتة أغفل ما يكون عنها ، فيا لها حسرة على ذى غفلة ، أن يكون عمره عليه حجة ، أو تؤذيه أيامه إلى شقوه ، نسأل الله أن يجعلنا وإياكم من لا تبطره نعمة ، ولا تقصربه عن طاعته غفلة ، ولا تحل به بعد الموت فزع . إنه سميع الدعاء ، ويده الخير ، وإنه فعال لما يريد .

(حيون الأخبار ٢ : ص ٢٥٣ ، والنفد الفريد ٢ : ١٤٨)

١١٤ - خطبته يوم الاضحى

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم أبان الله فضله ، وأوجب تشريفه ، وعظم حرمة ، ووفق له من خلقه صفوته ، وابتلى فيه خيله ، وفدى فيه من الذبح نبيه ، وجعله خاتم الأيام المعلومات من العشر ، ومتقدم الأيام المودودات من النقر^(١) ، يوم حرام ، من أيام عظام ، في شهر حرام ، يوم الحج الأكبر ، يوم دعا الله إلى مشهده ، ونزل القرآن بتعظيمه ، قال الله جل وعز : « وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ، لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ، فَكُلُوا مِنْهَا ، وَأَطِيعُوا أَمْرَ اللَّهِ ، ثُمَّ لِيَقْضُوا تَفَثَهُمْ ، وَلْيَوْفُوا نُذُورَهُمْ ، وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ ، ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظَمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ ، وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامُ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ^(٢) » فتنقروا إلى الله في

[١] يوم النحر : اليوم الذي يمر فيه الناس من منى ، وهو صد يوم الفرة (ويوم الفرة بالفتح : اليوم الذي بعد يوم النحر ، لأن الناس يفرّون في ما رزقهم) .

[٢] رحلا : أى مشاة ، جمع راجل كقائم وقيام ، وعلى كل صاصر : أى وركابا على كل صاصر ، أى بغير مهرول ، يأتين : أى الضواير ، صفة لعماس حلا على المعنى ، من كل فج عميق : أى طريق بعيد ، ليشهدوا مباح لهم : دينية ودنيوية ، فى أيام معلومة : هى عشر دى الحجة ، وقيل : أيام الحر ، من

هذا اليوم بذبائحكم ، وعظموا شعائر الله ، واجملوها من طيب أموالكم ، وبصحة التقوى من قلوبكم ، فإنه يقول : « لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومَهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ »^(١) ، ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي والوصية بالتقوى ، ثم قال بعد ذكر الجنة والنار : عَظُمَ قَدْرُ الدَّارَيْنِ ، وارتفع جَزَاهُ الْعَمَلَيْنِ^(٢) ، وطالت مدة الفريقين ، والله الله ، فوالله إنه أَلَدُّ لَأَلْبَبٍ ، وإنه الحق لا الكذب ، وما هو إلا الموت والبعث ، والميزان والحساب والتفصيص والصراط ، ثم العقاب والثواب ، فنجا يومئذ فقد فاز ، ومن هوى يومئذ فقد خاب ، الخير كله في الجنة ، والشرك كله في النار .

(جوه الأجر م ٢ : ص ٢٥٤ ، والعبد الفريد ٢ : ١٤٨)

١١٥ - خطبته يوم الفطر

قال بعد التكبير والتحميد : إن يومكم هذا يوم عيد وَسُنَّةٌ ، وابتهاال ورغبة ، يوم خَتَمَ الله به صيام شهر رمضان ، وافتتح به حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ ، فجعله خَاتَمَ الشهر ، وأَوَّلَ أَيَّامِ تَهْوِيرِ الْحَجِّ ، وجعله مُقَبِّلاً لِمَفْرُوضِ صَوْمِكُمْ ، وَمُتَنَفِّلاً لِقِيَامِكُمْ ، أَحَلَّ فِيهِ الطَّعَامَ لَكُمْ ، وَحَرَّمَ فِيهِ الصِّيَامَ عَلَيْكُمْ ، فاطلبوا إلى الله حوائجكم ، واستغفروه لتغريبطكم ، فإنه يقال : « لَا كَبِيرَ مَعَ اسْتِغْفَارٍ ، وَلَا صَغِيرَ مَعَ إِصْرَارٍ » ، ثم التكبير والتحميد ، وذكر النبي عليه الصلاة والسلام ، والوصية بالتقوى ، ثم قال : فاتقوا الله عباد الله ، وبادروا الأمر الذي أَعْتَدَلْ فِيهِ يَقِينُكُمْ ، ولم يَحْتَضِرْ^(٣) الشك فيه أحدكم ، وهو الموت المكتوب عليكم ، فإنه لَا تَسْتَقَالُ بعده عَذْرَةٌ ، وَلَا تُحْطَرُ فِيهِ تَوْبَةٌ ، واعلموا أنه لَا مَتَى فِيهِ إِلَّا دَوْنَهُ ، وَلَا شَيْءَ بعده

هبة الأمام . الإل والقر والعم إلى سحر للصحايا ، ثم بعصا عنهم : أي يريها أوساحهم وشهيم من نحو من الأظفار ، وحلق الماة ، وغير ذلك . [١] أي يرفع إليه مكتم العمل الصالح .

[٢] أي عمل الخير وعمل الشر . [٣] يمحصر .

إلا فوقه ، ولا يمين على جَزَعِهِ وَعَلَوِهِ ^(١) وَكَرْبِهِ ، ولا يمين على القبر وظلمته ،
 وَصِيْقِهِ وَوَحْشَتِهِ ، وَهَوْلِ مَطْلَمِهِ وَمَسْأَلَةِ مَلَائِكَتِهِ ، إلا العملُ الصالحُ الذي
 أَمَرَ اللهُ بِهِ ، فمن زَلَّتْ عند الموت قدمُهُ ، فقد ظهرت ندامتُهُ ، وفاتته استنقالتُهُ ،
 ودعا من الرجعة إلى ما لا يُحَابُ إليه ، وبذل من الفدية ما لا يُقْبَلُ منه ، فاللهُ
 اللهُ عبادُ الله ، وكونوا قوماً سألوا الرجعة فأعطوها ، إذ مُمِّمُهَا الذين طَلَبُوهَا ،
 فإنه ليس يتمنى المتقدمون قبلكم إلا هذا المَهْلَ المبسوطَ لكم ، واحذروا
 ما حذركم الله ، واتقوا اليوم الذي يَجْمَعُكم اللهُ فيه لوضع موازينكم ، وَلَنَسْرِ صُحُفِكُمْ
 الحافظة لأعمالكم ، فلينظر عبدٌ ما يَضَعُ في ميزانه مما يُنْقَلُ بِهِ ، وما يُعْلَى ^(٢) في
 صِحْفَتِهِ الحافظة لما عليه وله ، فقد حكي اللهُ لكم ما قال المفرطون عندها ، إذ
 طال إعراضهم عنها ، قال : « وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا
 فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا ، مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا
 أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظُنُّ رَبُّكَ أَحَدًا » ، وقال . « وَنَضَعُ
 الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ ^(٣) لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ
 خَرْدَلٍ أُنْتَبِهَا وَكَفَى بِنَاحَسِينَ » ، ولست أنها كم عن الدنيا بأعظم مما نهتكم الدنيا
 عن نفسها ، فإن كل ما بها يهَى عنها ، وكل ما فيها يدعو إلى غيرها ، وأعظم
 مما رآته أعينكم من عجائبها ذم كتاب الله لها ، ونهى الله عنها ، فإنه يقول :
 « فَلَا تَتْرُكُنَّكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَلَا يَتْرُكُكُمْ بِاللَّهُ الْقُرْءُورُ » ، وقال : « إِنَّمَا
 الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ .. الْآيَةُ » ، فاستغفروا معرفتكم بها ، وبإخبار الله عنها ،

[١] الدر : ما حبب الرئيس عند حشرته الموت من رعدة واضطراب . [٢] على .

[٣] القسط : العدل ، مصدر وصف به للبالغة أو درجات القسط .

واعلموا أن قوماً من عباد الله أدركتهم عصمة الله فخذروا مصارعها ، وجانبوها خدائعها ، وآثروا طاعة الله فيها ، فأدركوا الجنة بما تركوا منها .

(عيون الأحبار ٢ : من ٢٥٥ ، والنفد الجديد ٢ : ١٤٨)

١١٦ - خطبة ابن طباطبا العلوى

وخطب محمد ^(١) بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم طباطبا بن الحسن ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ، حين انتهب قائد جيوشه أبو السرايا السري ابن منصور قصر العباس بن موسى بن عيسى ، فقال :

« أما بعد : فإنه لا يزال يتلغى أن القائل منكم يقول : إن بنى العباس فينا لنا ، نخوض في دماءهم ، وترتع في أمواهم ، ويُقبل قولنا فيهم ، ونصدق دعوانا عليهم ، حكم بلا علم ، وعزم بلا رؤية ! عجبا لمن يُطلق بذلك لسانه ، ويحدث به نفسه ! أبكتاب الله تعالى حكم ، أم لِسنة نبيه صلى الله عليه وسلم أتبع ؟ أفي مثلي ^(٢) معه طمع ، أم بسط يدي له بالجوذ أمل ؟ هيهات ! فازدو الحق بما قوى ، وأخطأ ذو الباطل بما تمنى ، حق كل دى حق في يده ، وكل

[١] حرج بالكوفة لعشر حلون من حمادى الآخرة سنة ١٩٩ هـ يدعو إلى الرضى من آل محمد ، والعمل بالكتاب والسنة ، وكان القم مأموره في بدير الحرب ، وقيادة جيوشه أنا السرايا السرى بن منصور وكان سيد حروجه صرف المأمون طاهر بن الحسين عما كان إليه من أعمال المدان التي ادتها ، ونوحه إلى ذلك الحسن بن سهل ، فلما فعل ذلك غدت الناس بال عراق أن الفصل بن سهل ود على المأمون ، وأنه قد أمره فصرأ حجه فيه عن أهل بيته ، ووجوه قواده من الخاصة والعامة ، وأنه يرم الأمور على هواه ، ويستند بالرأى دونه ، فصبت لذلك بالعراق من كان بها من بني هاشم ، ووجوه الناس ، وأهوا من عليه الفضل على المأمون ، واحترهوا على الحسن بن سهل بذلك ، وهاجت الفتى في الأمصار ، فكان أول من حرج بالكوفة ابن طاطبا المذكور ، فوجه إليه الحسن بن سهل رهبر بن السبي في عشرة آلاف فواقعهم بهرموه واستباحوا عسكره ، فلما كان من بعد اليوم الذى كانت فيه الرخصة (وذلك يوم الخميس لليلة حات من رجب سنة ١٩٩) مات ابن طاطبا خائفاً ، وذكر أن أبا السرايا سمعه ، وذلك أن ابن طباطبا لما أحرر مائى عسكر رهبر معه أنا السرايا ، وحطره عليه ، وكان الناس له مطعين ، فلم أُو السرايا أنه لا أمر له معه فسه . [٢] في الأصل : « أفي مثلى » وهو تحريف ، والصواب ما ذكرته .

مُدَّعٍ عَلَى حِجَّتِهِ ، وَيُلْ لِمَنْ اغْتَصَبَ حَقًّا ، وادعى باطلا ، أفلح مَنْ رَضِيَ بِحُكْمِ اللَّهِ ، وخاف من أرغم الحقُّ أنْفَه ، العَدْلُ أَوْلَى بِالْأَثَرَةِ وَإِنْ رَغِمَ الْجَاهِلُونَ ، حُقِّ لِمَنْ أَمَرَ بِالْمَعْرُوفِ أَنْ يَحْتَنِبَ الْمُنْكَرَ ، ومن سلك سبيل العدل أن يصبر على مرارة الحق ، كل نفس تسمو إلى هَمَّتْهَا ، وَنِعَمَ الصَّاحِبُ الْقَنَاعَةِ .

أيها الناس ، إن أكرم العبادَةَ الْوَرَعَ ، وأفضل الزَّادِ التَّقْوَى ، واعملوا في دُنْيَاكُمْ ، وَتَرَوْدُوا لآخِرَتِكُمْ ، اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ، وإياكم وَالْعَصْبِيَّةَ وَحِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّهُمَا يَمْحَقَانِ الدِّينَ ، وَيُورِثَانِ النِّفَاقَ ، وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ ، يَصْلُحْ لَكُمْ دِينُكُمْ ، وَتَحْسُنَ الْمَقَالَةَ فِيكُمْ . الحقُّ أَوْجِبُ ، وَالسَّبِيلُ مَنْهَجٌ ، وَالْبَاطِلُ لَجَلَجٌ ^(١) ، وَالنَّاسُ مُخْتَلِفُونَ ، وَلِكُلِّ فِي الْحَقِّ سَعَةٌ ، مِنْ حَارِبَتَنَا حَارِبُنَاهُ ، وَمَنْ سَأَلْنَا سَأَلْنَاهُ ، وَالنَّاسُ جَمِيعًا آمِنُونَ إِلَّا رَجُلًا نَصَبَ لَنَا نَفْسَهُ ، وَأَعَانَ عَلَيْنَا بِمَالِهِ ، وَلَوْ شِئْتُ أَنْ أَفُولَ : وَرَجُلٌ قَالُ فِينَا يَتَنَاوَلُ مِنْ أَعْرَاضِنَا : لَقُلْتُ ، وَكُنِي ، حَسْبُ كُلِّ امْرِئٍ مَا يَصْنَعُهُ ، وَسَيُكْفِي الظَّالِمُونَ » .

(مواهب الأدب ٢ : ١١٣)

١١٧ - استعطاف إبراهيم بن المهدي المأمون

لما ظفر المأمون بعمه إبراهيم بن المهدي ^(٢) أمر بإدخاله عليه ، فغىء إبراهيم بحجبل ^(٣) في قيوده ، فقال : السلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته ، فقال له المأمون : لا سلم الله عليك ، ولا حفظك ، ولا رعاك ، ولا كَلَّاكَ ^(٤)

[١] أُلْح . أى واضح بين ، والتهج : الطريق الواضح ، والباطل الخلق : أى يتدبَّر فيه صاحبه ، فلا يصح محرجا . [٢] كان المأمون قد عهد للخلافة لـ « الرضا » موسى الكاظم ، لما سمع الساسيون سعاد (وكان المأمون يجر حاصرة خراسان) ماضيه للمأمون من نقل الخلافة من البيت الصائى إلى البيت العلوى ، أنكروا منه ذلك ، وحلوه من الخلافة ، وبايعوا عمه إبراهيم بن المهدي سنة ٢٠١ هـ ، ولما علم المأمون بذلك حشد للمسير إلى سعاد ، وهرب عمه إبراهيم وتوارى .

[٣] حبل القيد كصرب وصر : وضع رجلا ، وتريث في منبه على رحله . [٤] كَلَّا : حرمة .

يا إبراهيم ، فقال له إبراهيم : على رِسْلِكَ ^(١) يا أمير المؤمنين ، ولئ ^(٢) النار مُحْكَمٌ في القصاص ، والمعقو أقرب للتقوى ، ومن مدَّ له الاغترار في الأمل ، هَجَبَتْ به الأناة على التلّف ^(٣) وقد أصبح ذنبى فوق كل ذنب ، كما أن عفوك فوق كل ^(٤) عفو ، فإن تعاقبَ فَيَحْقُقْ ، وإن تَعَفَّ فَيُفْضِلْكَ » ، ثم قال :

ذَنْبِي إِلَيْكَ عَظِيمٌ وَأَنْتَ أَعْظَمُ مِنْهُ

تَخَذَ بِحَقِّكَ أَوْ لَا فَاصْفَحْ بِفَضْلِكَ عَنْهُ

إِنْ لَمْ أَكُنْ فِي فَمَالِي مِنَ الْكِرَامِ فَكُنْهُ

فأطرق المأمون ملياً ، ثم رفع رأسه فقال : إني سأورث أبا إسحق ^(٥) والعبّاس في قتلِكَ فأشارا على به ، قال : فما قلتَ لهما يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلتُ لهما : بدأنا له بإحسان ، ونحن نستأمره فيه ، فإن غيّر فآله يغيّر ما به ، قال : أمّا أن يكونا قد نصحناك في عِظَمِ قدر الملك ، وما جرّت عليه عادةُ السياسة فقد فعلا ، ولكن أَيْمَنَ أَنْ تستجلب النصر إلا من حيثُ عَوْدُكَ اللهُ ، ثم استعبر باكيًا ، فقال له المأمون : ما يُبْكِيكَ ؟ قال : جَدَلًا ، إذ كَانَ ذَنْبِي إِلَى مِنْ هَذِهِ صِفَتُهُ فِي الْإِنْعَامِ ، ثم قال : يا أمير المؤمنين إنه وإن كان جُرْمِي يَبْلُغُ سَفْكَ دَمِي ، فلم أمير المؤمنين وتفضله يُبَلِّغَانِي عَفْوَهُ ، ولِي بَعْدَهُمَا شَفَاعَةُ الْإِقْرَارِ بِالذَّنْبِ ، وَحُرْمَةُ الْأَبِ بَعْدَ الْأَبِ ، فال المأمون : « الْقُدْرَةُ تَذْهَبُ الْحَفِظَةُ ^(٦) ، وَالنَّدَمُ تَوْبَةُ ، وَعَفْوُ اللَّهِ بَيْنَهُمَا ، وَهُوَ أَكْبَرُ مَا يَحَاوُلُ ، يَا إِبْرَاهِيمَ : لَقَدْ حَبَّبْتَ إِلَى الْعَفْوِ ، حَتَّى خِفْتُ

[١] المهل والنؤدة . [٢] صاحبه . [٣] وفي رواية : « ومن ساوله الاعتراض مما مدّله من

أسباب الرجا ، أمن طاعه الدهر » . [٤] وفي رواية : « وقد أصبح فوق كل دى دب ، كما أصبح كل دى هو ديك » ، وفي أخرى : « وقد جعلك الله فوق كل دى دب ، كاجل كل دى دب ديك » .

[٥] أبو إسحق هو للعصم أخو المأمون ، والعبّاس هو ابن المأمون .

[٦] الحفيظة : المص ، وفي رواية الأُطْنِي أَنَّ هَذِهِ الْجُمْلَةُ مِنْ قَوْلِ إِبْرَاهِيمَ بْنِ الْمُهْدِي .

أن لا أوجرَ عليه ، أما لو عِلِمَ الناس ما لنا في العفو من اللذة ، لتقربوا إلينا بالجنابات ، لا تريب^(١) عليك ، ينفر الله لك ، ولو لم يكن في حق نسبك ما يبلغ الصفع عن زلتك ، لبلغك ما أملت حسن توصلك ، ولطيف تنصلك ، ثم أمر برد ماله وضياعه ، فقال :

رَدَدْتَ مَالِي ، وَلَمْ تَبْخَلْ عَلَيَّ بِهِ وَقَبْلَ رَدِّكَ مَالِي قَدْ حَقَنْتَ دَمِي
فَأَبْتُ مِنْكَ - وَمَا كَأَفْأَتْهَا - يَدِي هَا الْحَيَاتَانِ مِنْ وَفَرٍ وَمِنْ عَدَمٍ^(٢)
وَقَامَ عَلَيْكَ بِي فَاحْتِجْ عِنْدَكَ لِي مَقَامَ شَاهِدٍ عَدْلٍ غَيْرِ مُتَّهِمٍ
فَلَوْ بَدَلْتُ دَمِي أَبْنِي رِضَاكَ بِهِ وَالْمَالُ ، حَتَّى أَسْأَلَ النِّعْلَ مِنْ قَدَمِي
مَا كَانَ ذَلِكَ سِرْوِي عَارِيَةً رَجَعْتَ إِلَيْكَ ، لَوْ لَمْ تَهْبِهَا كُنْتُ لَمْ تَلَمْ
(الأخاني ٩ : ٥٧ ، والبغد العردي ١٤٧ : ١ ، والأمالى ٢٠٢ : ٣ ، وروى الآداب ٣ : ١٩١)

١١٨ - إبراهيم بن المهدي وبختيشوع الطيب

تنازع إبراهيم بن المهدي هو وبختيشوع الطيب بين يدي أحمد بن أبي دؤاد القاضي ، في مجلس الحكم ، في عتق بناحية السواد^(٣) ، فزرى عليه^(٤) ابن المهدي ، وأغلظ له بين يدي أحمد بن أبي دؤاد ، فأحفظه^(٥) ذلك ، فقال : « يا إبراهيم إذا نازعت أحدا في مجلس الحكم ، فلا أعلن أنك رفعت عليه صوتا ، ولا أشرت إليه بيد ، وليكن قصدك أمما^(٦) ، وطريقك نهجا^(٧) ، وريحك ساكنة ، وكلامك مُتَدِلًا ، ووف مجلس الحكومة حقوقها ، من التوفير والتعظيم والاستكانة والتوجه إلى الواجب ، فإن ذلك أشبه بك ، وأشكل لمذهبك في

[١] لا لوم . [٢] اليد : العمة .

[٣] سواد العراق ، والمقادير : كل مكان له أصل كالدار والحد ، وجمع عتقارت .

[٤] عابه . [٥] أعصه . [٦] الأمم : القصد الوسط . [٧] واضحاً .

تَحْدِيكَ^(١)، وَعَظِيمَ خَطَرِكَ^(٢)، وَلَا تَعْجَلْ، قَرُبْ بِحِجَلَةٍ تَهَبُ رَيْنًا^(٣)، وَاللَّهُ يَعْصِيكَ مِنَ الزَّلَلِ، وَخَطَلَ الْقَوْلَ وَالْعَمَلَ، وَيَتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَى أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ، إِنْ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ^(٤).

قال إبراهيم: «أصلحك الله أمرت بسداد، وحضضت على رشاد، ولست بمأندٍ إلى ما يتعلم^(٥) مرموقى عندك، ويسقطنى من عينك، ويخرجنى من مقدار الواجب إلى الاعتذار، فهأنأ معتذرٌ إليك من هذه البادرة، اعتذار مؤتمرٌ بذنبه، باخِيعٌ بجُرمه^(٦)، فإن الغضب لا يزال يستقرئى عمواده، فيردنى مثلك بحلمه، وتلك عادة الله عندنا منك، وحسبنا الله ونعم الوكيل، وفد وهبت حق من هذا القنار لبختيشوع، فليت ذلك اليوم يقول^(٧) بأرض^(٨) الجنانية، ولم يتأف مالٌ أفاد موعظة، وبالله التوفيق».

(العقد الفرد ١: ٢٧، وزمر الآداب ١: ٣٣٢)

١١٩ - استعطاف إسحاق بن العباس المأمون

وقال المأمون لإسحاق بن العباس: «لا تحسبني أغفلت إجلالاً بك مع ابن المهدي، وتأيدك لرأيه، وإيقادك لناره، قال: «يا أمير المؤمنين، ولرجي أمس من أرحامهم، وقد قال لهم كما قال يوسف لآخوته: «لا تريب^(١) عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين»، وأنت يا أمير المؤمنين أحق وارث لهذه المنة، ومُنْثِل^(٢) لخلال العفو والفضل».

قال: هيات تلك أجرام جاهلييه، عفا عنها الإسلام، وجزءك جرم في إسلامك، وفي دار خلافتك. قال: «يا أمير المؤمنين فوالله للمسلم أحق بإقالة

[١] أمسك . [٢] فمرك . [٣] إطلاء . [٤] يسب ويهين . [٥] امر .

[٦] يربد ويرجع . [٧] الأرض : البية .

[٨] لا يوم . [٩] اضل طريقته - تبعها ولم يدها .

العثرة، وغفران الزلة من الكافر، هذا كتاب الله بيني وبينك، يقول الله تعالى : « وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ، الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ ، وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ » فهي للناس يا أمير المؤمنين سنة دخل فيها المسلم والكافر، والشريف والمشروف « قال : صدقت ، اجلس ، وَرَيْتُ بِكَ زِنَادِي ، وَلَا بَرَحْتُ أَرَىٰ مِنْ أَهْلِكَ أَمْثَالَكَ .

(المقد العريد ١ : ١٤٢ ، وزهر الآداب ٢ : ١٩٣)

١٢٠ - أحد وجوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها

لما دخل المأمون بغداد ، تلقاه وجوه أهلها ، فقال له رجل منهم : « يا أمير المؤمنين ، بارك الله لك في مَقْدَمِكَ ، وزاد في نعمتك ، وشكرك عن رعيتك ، تقدمتَ مِنْ قَبْلِكَ ، وَأَتَعَبْتَ مِنْ بَعْدِكَ ^(١) ، وَأَيَسَّتْ أَنْ يُعَايَنَ مِنْكَ ، أَمَا فِيهَا مَضَىٰ فَلَا نَعْرِفُهُ ، وَأَمَا فِيهَا بَقِيَ فَلَا تَرْجُوهُ ، فنحن جميعاً ندعوك ، ونثنى عليك ، خَصِبَ لَنَا جَنَابُكَ ، وَعَذُبَ ثَوَابُكَ ، وَحَسُنْتَ نَظَرْتُكَ ، وَكُرِّمْتَ مَقْدَرُكَ ، جَبَرْتَ الْفَقْرَ ، وَفَكَّكْتَ الْأَسِيرَ ، فَإِنَّكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

مَا زِلْتَ فِي الْبَذْلِ وَالنَّوَالِ وَإِطْلَاقِ لِحَاكِ بِجُرْمِهِ غَلِيٍّ ^(٢)

حَتَّى تَمُتَّى الْبِرَاءُ أَنَّهُمْ عِنْدَكَ أَسْرَىٰ فِي الْقَبْدِ وَالْحُلَقِ ^(٣)

(المقد العريد ١ : ١٣٢)

[١] إذا به يمهّد أن يلحق بك فلا يسطيع . [٢] العاني : الأسير ، والعلق : أمه من علق الرحمن إذا استحقه للرحمن ، وذلك إذا لم ينكح في الوقت المشروط . [٣] الرأء ككرام جمع برى .

١٢١ - أحد أهل الكوفة يمدح المأمون

وفدم وفد من الكوفة إلى بغداد ، فوقفوا للمأمون فأعرض عنهم ، فقال شيخ منهم : « يا أمير المؤمنين ، يذكُّك أحقُّ يدٍ بتقيل ، لعلَّوها في المكارم ، وبُئدَها من المآثم ، وأنت يوسفُ العفوف في قلة التريب ، مَنْ أرادك بسوء جعله الله حصيدَ سيفك ، وطريدَ خوفك ، وذليلَ دولتك » ، فقال يا عمرو : نعم الخطيب خطيبهم ، افضِ حوائجهم . (مروج الذهب ٢ : ٢١٩)

١٢٢ - محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي المأمون

ودخل محمد بن عبد الملك بن صالح على المأمون حين قبض ضياعهم ، فقال : « يا أمير المؤمنين ، محمد بن عبد الملك بين يديك ، ربيب دولتك ، وسليل نعمتك ، وغصن من أغصان دوحتك ^(١) ، أأأذن في الكلام ؟ قال : نعم ، قال : « أَسْتَمِيعُ اللهَ حِيَاظَةَ ديننا ودينانا ، ورعاية أَدَانَا وأَقْصَانَا بِقَائِكَ ، ونَسْأَلُهُ أَنْ يَزِيدَ في صررك من أعمارنا ، وفي أثرِكَ من آثَارنا ، وَيَقِيكَ الْأَذَى بِأَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا ، هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ بِفَضْلِكَ ، الْهَارِبِ إِلَى كَنَفِكَ وَظِلِّكَ ، الْفَقِيرِ إِلَى رَحْمَتِكَ وَعَدْلِكَ » ، ثم تكلم في حاجته ، فقضاهَا . (العقد المرید ١ : ١٤٦)

١٢٣ - الحسن بن سهل يمدح المأمون

وقال الحسن بن سهل ^(٢) يوماً للمأمون :
« الحمد لله يا أمير المؤمنين على جزيل ما آتاك ، وسني ما أعطاك ، إذ قسم لك الخلافة ، ووهب لك معها الحجة ، ومكنك بالسلطان ، وحلَّ لك بالعدل ،

[١] الصوحة : الشجرة الطيبة .

[٢] وزير المأمون بعد أخيه العزل بن سهل ، وتزوج المأمون منه وران ، وتوفي سنة ٢٣٦ هـ .

وَأَيْدِكَ بِالظَّفَرِ، وَشَقَمَهُ لَكَ بِالْفَوْ، وَأَوْجِبَ لَكَ السَّعَادَةَ، وَقَرَّنَهَا بِالسِّيَادَةِ، فَن
فُسِحَ^(١) لَهُ فِي مِثْلِ عَطِيَّةِ اللَّهِ لَكَ؟ أَمْ مَنْ أَلْبَسَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ زِينَةِ الْمَوَاهِبِ
مَا أَلْبَسَكَ؟ أَمْ مَنْ تَرَادَفَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ تَرَادُفُهَا عَلَيْكَ؟ أَمْ هَلْ حَاوَلَهَا
أَحَدٌ وَارْتَبَطَهَا بِجَنْدِ مَحَاوَلَتِكَ؟ أَمْ أَى حَاجَةٍ بَقِيَتْ لِرَعِيَّتِكَ لَمْ يَحْدُودَهَا عِنْدَكَ؟
أَمْ أَى قِيَمٍ لِلإِسْلَامِ اتَّهَى إِلَى عَنَائِكَ وَدَرَجَتِكَ؟ تَعَالَى اللَّهُ تَعَالَى، مَا أَعْظَمَ
مَا خَصَّ الْقُرْنَ الَّذِي أَنْتَ نَاصِرُهُ، وَسُبْحَانَ اللَّهِ^١ أَى نِعْمَةً طَبَّقَتْ^(٢) الْأَرْضُ
بِكَ إِنْ أَدَّى شُكْرُهَا إِلَى بَارِئِهَا وَالْمُنِمْ عَلَى الْعِبَادِ بِهَا؟ إِنْ اللَّهُ تَعَالَى خَلَقَ السَّمَاءَ
فِي فَلَكِهَا ضِيَاءً يَسْتَنِيرُ بِهَا جَمِيعَ الْخَلَائِقِ، فَكُلُّ جَوْهَرٍ زَاهٍ حَسَنُهُ وَنُورُهُ، فَهَلْ
لَبَسَتْهُ زِينَتُهُ إِلَّا بِمَا اتَّصَلَ بِهِ مِنْ نُورِكَ؟ وَكَذَلِكَ كُلُّ وَلِيٍّ مِنْ أَوْلِيَائِكَ، سَعِدَ
بِأَفْعَالِهِ فِي دَوْلَتِكَ، وَحَسُنَتْ صِنَائِعُهُ عِنْدَ رَعِيَّتِكَ، فَإِنَّمَا نَالَهَا بِمَا أَيَّدَتْهُ مِنْ
رَأْيِكَ وَتَدْيِيرِكَ، وَأَسَمَدَتْهُ مِنْ حَسَنَتِكَ وَتَقْوِيمِكَ». (رمر الآداب ٣: ٢٠٠)

١٢٤ — يَحْيَى بْنُ أَكْثَمٍ يَمْدَحُ الْمَأْمُونِ

وَقَالَ الْمَأْمُونُ لِيَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ^(٣): صِفْ لِي حَالِي عِنْدَ النَّاسِ، فَقَالَ:
«يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، قَدْ انْقَادَتْ لَكَ الْأُمُورُ بِأَرْزَمَتِهَا، وَمَلَكَتِكَ الْأُمَةُ فُضُولَ
أَعْتَبِهَا، بِالرَّغْبَةِ إِلَيْكَ، وَالْحُبَّةِ لَكَ، وَالرَّفَقِ مِنْكَ، وَالْعِيَاذِ بِكَ، بِعَذْلِكَ فِيهِمْ،
وَمِنْكَ عَلَيْهِمْ، حَتَّى لَقَدْ أُنْسِيَتْهُمْ سَكْفُكَ، وَآيَسَتْهُمْ مِنْ خَلْفِكَ. فَالْحَمْدُ لِلَّهِ
الَّذِي جَمَعَنَا بِكَ بَعْدَ التَّقَاعِطِ، وَرَفَعَنَا فِي دَوْلَتِكَ بَعْدَ التَّوَاضُعِ».

[١] أَى وَسِعَ. [٢] مَلَأَتْ وَحَمَتْ، وَالِاسْتِعْهَامُ فَتَعَطَّمِ.

[٣] مِنْ وَلَدِ أَكْثَمِ بْنِ صَبِيحِ التَّمِيمِيِّ، وَكَانَ فِيهَا عَالِمًا نَافِعًا بِصِيرًا بِالْأَحْكَامِ، وَقَدْ ظَلَمَ عَلَى الْمَأْمُونِ،
حَتَّى لَمْ يَقْبَلْهُ أَحَدٌ عِنْدَهُ مِنَ النَّاسِ حَيًّا، وَقَدْ هَدَاهُ الْخَصْمَاءُ، وَتَدْيِيرَ أَهْلِ مَمْلَكَتِهِ، فَكَاتَ الْوُرْدَاءَ
لَا تَعْمَلُ فِي تَدْيِيرِ الْمَلِكِ شَيْئًا إِلَّا بَعْدَ مَطَالَعَةِ يَحْيَى بْنِ أَكْثَمٍ، وَتَوَفَّى سَنَةَ ٢٤٦ هـ، وَعُمُرُهُ ٨٣ سَنَةً.

فقال : يا يحيى ، أتحبباً أم ارتجالاً ؟ قال : قلت : وهل يمتنع فيك وصف ، أو
يتعذر على مادحك قول ، أو يُقبحم فيك شاعر ، أو يتلجلج فيك خطيب ؟
(الصائين من ٤٠)

١٣٥ - أحد بنى هاشم والمأمون

أذنب رجل من بنى هاشم ذنباً ، فَمَنَّقَهُ المأمون ، فقال :
« يا أمير المؤمنين من كانت له مثلُ ذالتي ، وَلَبِسَ ثوب حُرْمتي ، ومَتَّ
يُمِثِلَ قرابتي ، غُفِرَ له فوق زَلَّتِي » فأعجب المأمونَ كَلَامُهُ وصفح عنه .
(الأمل ٢ : ١٣٦ ، ودرر الآداب ٣ : ٨٩)

١٣٦ - رجل يتظلم إلى المأمون

وتظلمَ رجل إلى المأمون من مامل له فقال :
« يا أمير المؤمنين ، ما تَرَك لي فِصَّةٌ إِلَّا فَصَّهَا ، ولا ذَهَباً إِلَّا ذَهَبَ به ،
ولا غَلَّةً إِلَّا غَلَّهَا ^(١) ، ولا ضِيعةً إِلَّا أضاعها ، ولا عِلْقاً ^(٢) إِلَّا عَلِقَهُ ، ولا عَرَضاً
إلا عَرَضَ له ، ولا ماشيةً إِلَّا أَمْتَشَّهَا ^(٣) ، ولا جليلاً إِلَّا أَجْلَاه ، ولا دقيقاً
إلا دَقَّه » ، فمَجِبَ من فصاحته وقضى حاجته . (زمر الآداب ٢ : ١٣٧)

١٣٧ - عمرو بن سعيد والمأمون

وقال عمرو بن سعيد بن سلم : كانت على نوبة أنوبها في حرَس المأمون ،
فكنت في نوبتي ليلةً ، فخرج منقداً من حضر ، ففرقه ولم يعرفني ، فقال :
من أنت ؟ قلت : عمرو ، عمرك الله ، ابن سعيد ، أسعدك الله ، ابن سلم ، سلمك

[١] المراد احتارها ، والأصل فيه عله : أى وضع في عقه أو يده اللِّ (بالهم) وهو القيد .

[٢] اللقي : العيس من كل شيء ، وعلقه ، وعلق به كعرج أحبه ، أو هو « علقه » مشدداً مبياً
للجهول ، عانى امرأة : أى أحبها . [٣] امتش ماى الصرع : أجد حيله .

الله ، فقال : أنت تَكَلَّوْنَا منذ الليلة ؟ قلت : الله يَكَلِّوْك قَبْلِي ، وَهُوَ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ، فقال المأمون :

إِنْ أَخَاكَ الصَّدَقَ مَنْ يَسْعَى مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
وَمَنْ إِذَا صَرَفَ الزَّمَانَ صَدَعَكَ بِدَدٍ تَمِلُ نَفْسِهِ لِيَجْمَعَكَ
(رهر الآداب ٢ : ١٣٧)

١٢٨ — الحسن بن رجاء والمأمون

ودخل المأمون بعض الدواوين ، فرأى غلاماً جليلاً على أذنه قلم ، فقال :
مَنْ أَنْتَ يَا غَلام ؟ فقال :

« أَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، النَّاشِئُ فِي دَوْلَتِكَ ، الْمُتَقَلِّبُ فِي نِعْمَتِكَ ، الْمُؤْتَمِّلُ
لِحُدُودِكَ ، خَادِمُكَ وَابْنُ خَادِمِكَ : الْحَسَنُ بْنُ رَجَاءٍ » ، فقال : أَحْسَنْتَ يَا غَلامُ ،
وَبِالْإِحْسَانِ فِي الْبِدِيَةِ تَفَاضَلْتَ الْعُقُولُ ، وَأَمْرٌ بِرَفْعِ مَرَاتِبِهِ .

(رهر الآداب ٢ : ١٧٣)

١٢٩ — سعيد بن مسلم والمأمون

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ مُسْلِمٍ بْنُ مُثَنَّبَةَ لَهُ أَمُونٌ :
« لَوْلَمْ أَشْكُرِ اللَّهَ تَعَالَى إِلَّا عَلَى حُسْنِ مَا أَبْلَانِي مِنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، مِنْ
قَصْدِهِ إِلَى بَحْدِيهِ ، وَإِشَارَتِهِ إِلَى بَطْرَفِهِ ، لَقَدْ كَانَ فِي ذَلِكَ أَعْظَمُ الرَّفْعَةِ ،
وَأَرْفَعُ مَا تُوجِبُهُ الْحُرْمَةُ » .

فَقَالَ : « يَفْعَلُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ذَلِكَ ، لِأَنَّهُ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ يَحْدُثُ عِنْدَكَ مِنْ
حُسْنِ الْإِفْهَامِ إِذَا حَدَّثْتَ ، وَحُسْنِ الْفَهْمِ إِذَا أُخِذْتَ ، مَا لَمْ يَحْدُثْ عِنْدَ أَحَدٍ مِنْ

مضى ، ولا يظنُّ أنه يجِدُ عند أحدٍ من بقي ، فإنك لتستقصي حديثي ، وتقف عند مقاطع كلامي ، وتُخبر بما كنتُ أعفُّه منه » . (رهر الآداب : ١٧٣)

١٣٠ — أبو زهمان يعظ سعيد بن مسلم

وقال سعيد بن مسلم : « كنت والياً بأزمينية ، ففبر^(١) أبو زهمان العلاني على بابي أياماً ، فلما وصل إلى مثل بين يدي قائماً بين السماطين^(٢) وقال :

« والله إني لأعرف أقواماً لو علموا أن سفّ التراب يُقيم من أود^(٣) أصلاهم ، لجمعوه مُسَكَّةً^(٤) لازماً فيهم ، إثاراً للتنزه عن عيش رقيق الحواشي ، أما والله إني لبعيد الوثنية ، بطيء العطفة ، إنه والله ما يثني عليك إلا مثل ما يصرفني عنك ، ولأن أكون مُقرباً ، أحبُّ إليّ من أن أكون مُكثراً مُبعداً ، والله ما نسأل عملاً لا نضبطه ، ولا مالاً إلا نحن أكثر منه ، وهذا الأمر الذي صار إليك في يدك ، كان في يد غيرك ، فأمسوا والله حديثاً ، إن خيراً غيري ، وإن شراً فسري ، فتحبب إلى عباد الله بحسن البشر ، ولين الجانب ، فإن حبَّ عباد الله موصول بحبِّ الله ، وبغضهم موصول بغض الله ، لأنهم شهداء الله على خلقه ، ورقبائوه على من اعوجَّ عن سبيله » . (البيان والنبير ٢ : ١٠٥)

١٣١ — وصية طاهر بن الحسين

لابنه عبد الله لما ولّاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما^(٥) سنة ٢٠٦ هـ
« بسم الله الرحمن الرحيم ، أما بعد : فعليك بتقوى الله وحده لا شريك له ، وخشيته ومراقبته وزاياله سُخطه وحفظ رعيته ، والزَم ما ألبسك الله من

[١] مكث . [٢] السماطان من الناس : الحامان ، يقال : معنى بين السماطين .

[٣] اعوجج . [٤] المسكة ما يملك الأعداء من العداة والشراب ، أو ما يتلغ به منهما .

[٥] أنشأنا هذا الكتاب هـ لأنه في عداد الوصايا .

العافية بالذكر لِمَا دَكَ ، وما أنت صائر إليه ، وموقوف عليه ، ومستول عنه ، والعمل في ذلك كله بما يعصيك الله ، وينجيك يوم القيامة من عذابه ، وأليم عقابه ، فإن الله قد أحسن إليك ، وأوجب عليك الرأفة بمن استرعاك أمرهم من عباده ، وأثرك العدل عليهم ، والقيام بحقه وحدوده فيهم ، والذب^(١) عنهم ، والدفع عن حريمهم وَيَضْتَهُم^(٢) ، والحقن لدمائهم ، والأمن لسبيلهم^(٣) ، وإدخال الراحة عليهم في معاشهم ، ومؤاخذك بما قرض عليك من ذلك ، وموقفك عليه ، ومسائلك عنه ، ومثيبك عليه بما قدمت وأخرت ، ففرغ لذلك فِكْرَكَ وعقلك وبصرَكَ ورؤيتَكَ ، ولا يَذْهَبْكَ^(٤) عنه ذاهل ، ولا يَشْنَلْكَ^(٥) عنه شاغل ، فإنه رأس أمرِكَ ، وملاك شأنِكَ ، وأول ما يوقفك الله به لرشدِكَ ، وليكن أول ما تلزم به نفسك ، وتنسب إليه فعالك ، المواظبة على ما اقترض الله عليك من الصلوات الخمس ، والجماعة عليها بالناس قبلك في مواقيتها على سننها ، في إسباغ^(٦) الوضوء لها ، وافتتاح ذكر الله فيها ، وترتّل^(٧) في فرائدك ، وتمكن في ركوعك وسجودك وتشهدك ، ولتصدق فيها لربك نيتك ، واحضض عليها جماعة من معك وتحت يدك ، وأدأب عليها فإنها كما قال الله : تأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر ، ثم أتبع ذلك الأخذ بسنن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والمثابرة على خلائقه ، واقتفاء آثار السلف الصالح من بعده ، وإذا ورد عليك أمر فاستعن عليه باستخارة^(٨) الله وتقواه ، ولزوم ما أنزل الله في كتابه

[١] الدفع . [٢] البيضة : حورة كل شيء .

[٣] وفي مقدمة ابن خلدون : لرسهم ، والرب : العسر . [٤] ذهك عن الشيء (كفتح) غفلت وقد يمدى بنفسه . يقال دهلت ، والأكثر أن يمدى الحيرة ، يقال : أدهلت فلان من الشيء .

[٥] شعله من ناب فتح وأشعله لمة حيدة أو قليلة أو رديئة . [٦] أسح الوضوء : وفي كل عضو حقه .

[٧] تمهل ولا تعجل . [٨] استجار الله : طلب منه الحيرة .

من أمره ونهيهِ ، وحلاله وحرامه ، وائتمام ما جاءت به الآثارُ عن النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم قم فيه بما يحقُّ لله عليك ، ولا تَحِلَّ عن العدل فيما أُحييت أو كَرِهت ، لِقَرِيبٍ مِنَ النَّاسِ أَوْ بَعِيدٍ ، وَآثِرِ الْفَقْرَ وَأَهْلَهُ ، وَالدِّينَ وَحَمَلَتَهُ ، وَكِتَابَ اللَّهِ وَالْعَامِلِينَ بِهِ ، فَإِنْ أَفْضَلَ مَا تَرَى بِهِ الْمَرْءُ الْفَقْرَ فِي دِينِ اللَّهِ ، وَالطَّلَبَ لَهُ ، وَالْحَتَّ عَلَيْهِ ، وَالْمَعْرِفَةَ بِمَا يَتَقَرَّبُ بِهِ إِلَى اللَّهِ ، فَإِنَّهُ الدَّلِيلُ عَلَى الْخَيْرِ كُلِّهِ ، وَالْقَائِدُ لَهُ ، وَالْأَمْرُ بِهِ ، وَالنَّاهِي عَنِ الْمَعَاصِي وَالْمَوْبِقَاتِ كُلِّهَا ، وَبِهَا مَعَ تَوْفِيقِ اللَّهِ تَرْدَادُ الْعِبَادِ مَعْرِفَةَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَإِجْلَالُهُ ، وَدَرَكَاتُ الدَّرَجَاتِ الْعُلَى فِي الْمَعَادِ ، مَعَ مَا فِي ظَهْوَرِهِ لِلنَّاسِ مِنَ التَّوْقِيرِ لِأَمْرِكَ ، وَالْهَيْبَةِ لِسُلْطَانِكَ ، وَالْأَنَسَةِ بِكَ ، وَالثَّقَةِ بِعَدْلِكَ ، وَعَلَيْكَ بِالْاِقْتِسَادِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَيْنَ نَفْعًا ، وَلَا أَحْضَرَ أَمْنًا ، وَلَا أَجْمَعَ فَضْلًا مِنَ الْقَصْدِ ، وَالْقَصْدُ دَاعِيَةٌ إِلَى الرِّشْدِ ، وَالرِّشْدُ دَلِيلٌ عَلَى التَّوْفِيقِ ، وَالتَّوْفِيقُ قَائِدٌ إِلَى السَّعَادَةِ ، وَقَوَامُ الدِّينِ وَالسَّنَنِ الْمَهَادِيَةِ بِالْاِقْتِسَادِ ، فَأَثَرُهُ فِي دُنْيَاكَ كُلِّهَا ، وَلَا تَقْصُرْ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ وَالْأَجْرِ وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ ، وَالسَّنَنِ الْمَعْرُوفَةِ ، وَمَعَالِمِ الرِّشْدِ ، فَلَا غَايَةَ لِلْاِسْتِكْتَارِ مِنَ الْبَرِّ وَالسَّمِيِّ لَهُ ، إِذَا كَانَ يُطَلَّبُ بِهِ وَجْهُ اللَّهِ وَمَرْضَاتُهُ ، وَمِرَافَقَةُ أَوْلِيَائِهِ فِي دَارِ كَرَامَتِهِ ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْاِقْتِسَادَ فِي شَأْنِ الدُّنْيَا يُورِثُ الْعِزَّ وَيَحْصِنُ مِنَ الذُّنُوبِ ، وَإِنَّكَ لَنْ تَحُوطَ ^(١) نَفْسَكَ وَمَنْ يَلِيكَ ، وَلَا تَسْتَصْلِحَ أُمُورَكَ بِأَفْضَلِ مِنْهُ ، فَأَتَتْ وَاهْتَدَتْ بِهِ يَتِمُّ أُمُورُكَ ، وَتَرَدَّدَ مَقْدَرُكَ ، وَتَصْلَحَ خَاصَّتُكَ وَعَامَّتُكَ ، وَأَحْسِنِ الظَّنَّ بِاللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ تَسْتَقِمْ لَكَ رِعْيَتُكَ ، وَالتَّمَسَّ الْوَسِيلَةَ إِلَيْهِ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا ، تَسْتَبْدِمُ بِهِ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ، وَلَا تَتَّهَمَنَّ أَحَدًا مِنَ النَّاسِ فِيمَا تَوَلَّيَهُ مِنْ عَمَلِكَ قَبْلَ أَنْ تَكْشِفَ أَمْرَهُ ،

فإن إيقاع النهم بالبرآء، والظنون السيئة بهم مأثم ، واجعل من شأنك حسنَ
الظن بأصحابك ، واطرد عنك سوء الظن بهم ، وارفضه فيهم ، يُعينك ذلك على
اصطناعهم ^(١) ورايبتهم ، ولا يحدنَّ عدو الله الشيطانُ في أمرِكَ مَفْخَرًا ، فإنه
إنما يكتفى بالقليل من وَهْنِكَ ^(٢) ، فيدخل عليك من الغم في سوء الظن
ما ينقصك لَدَاذَةِ عيشك ، واعلم أنك تجد بحسنِ الظن قوةً وراحة ، وتُكفِّي
به ما أحببتَ كفايته من أموركَ ، وتدعوه الناس إلى محبتك ، والاستقامة
في الأمور كلها لك ، ولا يمنَعُكَ حُسْنُ الظن بأصحابك والرأفة برعيتك ، أن
تستعمل المسألة والبحث عن أموركَ ، والمباشرة لأُمُور الأولياء ، والحياطة
للرعية ، والنظر فيما يُقيمها وَيُصلِحها ، بل لتكن المباشرة لأُمُور الأولياء ،
والحياطة للرعية ، والنظر في حوائجهم وَحَمْلُ مَتُوناتهم ، آثَرُ عندك مما سوى
ذلك ، فإنه أَوْفَى للدين ، وأحيا للسنَّة ، وأخلصُ نيتك في جميع هذا ، وتقرِّد
بتقويم نفسك تفرُّدًا من يعلم أنه مسئول عما صنع ، وعجزى بما أحسن ،
ومأخوذ بما أساء ، فإن الله جعل الدين حِرْزًا وَعِزًّا ، ورفع من اتبعه وعزَّزه ،
فاسلك بمن تسوسه وترعاه تَهْجَ الدين وطريقة الهدى ، وأقم حدود الله في أصحاب
الجرائم على قدر منازلهم وما استحقوه ، ولا تعطل ذلك ولا تتهاون به ، ولا
تؤخِّر عقوبة أهل العقوبة ، فإن في تفریطك في ذلك لَمَّا يُفْسِد عليك حسنَ
ظنك ، واعزم على أمرِكَ في ذلك بالسنن المعروفة ، وجانب الشبهة والبِدعات ،
يَسَلِّم لك دينك ، وتقم لك مرء وتك ، وإذا طاهدت عهدًا فَبِه ، وإذا وعدت

[١] اصطبتك لمسى : امرتكَ لحاصّة أمر استبكيت إياه .

[٢] الوهن يكون الماء وتحتها : الضعف .

الخير فَأَنْجِزْهُ ، واقبل الحسنة وادفع بها ، وَأَغْمِضْ عن عيب كل ذى عيب من رعيّتك ، واشدد لسانك عن قول الكذب والزور ، وَأَبْنِضْ أهله ، وَأَقْصِ أهل النعمة ، فإن أول فساد أمرك فى عاجل الأمور وآجلها تقريب الكذب والجُرْأَة على الكذب ، لأن الكذب رأس المآثم ، والزور والنيمة خاتمتها ، لأن النعمة لا يسلم صاحبها ، وقائلها لا يسلم له صاحب ، ولا يستقيم لطيعها أمر ، وأحبُّ أهل الصدق والصلاح ، وأعزُّ الأشراف بالحق ، وواصل الضعفاء ، وصل الرحم ، وابتنع بذلك وجه الله وعزة أمره ، واتمس فيه ثوابه والدار الآخرة ، واجتنب سوء الأهواء والجَوَر ، واصرف عنهما رأيك ، وأظهر براءتك من ذلك لرعيّتك ، وأنعم بالعدل فى سياستهم ، وقم بالحق فيهم ، وبالمعرفة التى تنتهى بك إلى سبيل الهدى ، وإليك نفسك عند الغضب ، وآثر الوفاق والحلم ، وإياك والحدة والطيش والنزور فيما أنت بسبيله ، وإياك أن تقول : إني مُسَلِّطُ أفعال ما أشاء ، فإن ذلك سريع بك إلى نقص الرأى ، وقلة اليقين بالله وحده لاشريك له ، وأخلص لله النية فيه واليقين به ، واعلم أن الملك لله ، يُعْطِيهِ من يشاء ، وينزعهُ من يشاء ، ولن تجد تغيّر النعمة وحلول النعمة إلى أحد ، أسرع منه إلى حَمَلَة النعمة من أصحاب السلطان ، والمبسوط لهم فى الدولة ، إذا كفروا بنعم الله وإحسانه ، واستطالوا بما آتاهم الله من فضله ، ودع عنك شرّه نفسك ، ولتكن ذخائرُك وكنوزك التى تدّخر وتكثير البرّ والتقوى والمعدّلة ، واستصلاح الرعية وعمارة بلادهم ، والتفقد لأموارهم والحفظ لدمعائهم ^(١) وَالْإِغَاثَة للمهوفهم ، واعلم أن الأموال إذا كثرت ودُخِرَتْ فى الخزائن لا تُثْمِر ، وإذا

كَانَتْ فِي إِصْلَاحِ الرِّعْيَةِ وَإِعْطَاءِ حَقُّوْقِهِمْ ، وَكَفِّ الثُّلُوثَةِ عَنْهُمْ ، نَمَتَتْ وَزَبَتَ وَصَلَحَتْ بِهِ الْعَامَةُ ، وَتَزَيَّنَتْ بِهِ الْوَلَاةُ ، وَطَابَ بِهِ الزَّمَانُ ، وَاعْتَقَدَ فِيهِ الْعَزَّ وَالنِّعْمَةُ ، فَلْيَكُنْ كَنْزُ خَزَائِنِكَ تَفْرِيقَ الْأَمْوَالِ فِي عِمَارَةِ الْإِسْلَامِ وَأَهْلِهِ ، وَوَفَّرْ مِنْهُ عَلَى أَوْلِيَاءِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكَ حَقُّوْقَهُمْ ، وَأَوْفِ رِعْيَتِكَ مِنْ ذَلِكَ حِصَصَهُمْ ، وَتَعَهَّدْ مَا يُصْلِحُ أُمُورَهُمْ وَمَعَايِشَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ قَرَّرْتَ النِّعْمَةَ عَلَيْكَ ، وَاسْتَوْجِبْتَ الْمَزِيدَ مِنْ اللَّهِ ، وَكُنْتَ بِذَلِكَ عَلَى جَبَايَةِ خَرَاجِكَ ، وَجَمَعَ أَمْوَالَ رِعْيَتِكَ وَعَمَلَكَ أَقْدَرَ ، وَكَانَ الْجَمْعُ لِمَا تَحْمِلُهُمْ مِنْ عَدْلِكَ وَإِحْسَانِكَ أَسْلَسَ لَطَاعَتَهُمْ ، وَأَطْيَبَ نَفْسًا لِكُلِّ مَا أَرَدْتَ . فَاجْهَدْ نَفْسَكَ فِيْمَا حَدَدْتَ لَكَ فِي هَذَا الْبَابِ ، وَلْتَعَظُمُ حِسْبَتُكَ فِيهِ ، فَإِنَّمَا يَبْقَى مِنَ الْمَالِ مَا أَتَّفَقَ فِي سَبِيلِ حَقِّهِ ، وَاعْرِفْ لِلشَّاكِرِينَ شُكْرَهُمْ وَأَثْنَهُمْ عَلَيْهِ ، وَإِنَّا أَنْ تُثْنِيكَ الدُّنْيَا وَغُرُورُهَا هَوْلَ الْآخِرَةِ ، فَتَهَاوَنَ بِمَا يَحِقُّ عَلَيْكَ ، فَإِنَّ التَّهَاوَنَ يُوجِبُ التَّفْرِيطَ ، وَالتَّفْرِيطَ يُوْرِثُ الْبُورَ ، وَلِيَكُنْ عَمَلَكَ لِلَّهِ وَفِيهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَارْجُ الْوَابِ ، فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَصْبَغَ عَلَيْكَ نَمَّتَهُ فِي الدُّنْيَا ، وَأَظْهَرَ لَدَيْكَ فَضْلَهُ ، فَاعْتَصِمَ بِالشُّكْرِ ، وَعَلَيْهِ فَاعْتَمِدْ ، يَزِدُّكَ اللَّهُ خَيْرًا وَإِحْسَانًا ، فَإِنَّ اللَّهَ يُثِيبُ بِقَدْرِ شُكْرِ الشَّاكِرِينَ ، وَسِيرَةِ الْمُحْسِنِينَ ، وَقَفَّيَ الْحَقَّ فِيْمَا تَحْمِلُ مِنَ النِّعَمِ ، وَأَلْبَسَ مِنَ الْعَافِيَةِ وَالْكَرَامَةِ ، وَلَا تَحْقِرَنَّ ذَنْبًا ، وَلَا تَعَالَيْنَ حَاسِدًا ، وَلَا تَرْجَحَنَّ فَاجِرًا ، وَلَا تَصِلَنَّ كُفُورًا ، وَلَا تَدَاهِنَنَّ عَدُوًّا ، وَلَا تَصْدُقَنَّ نَمَامًا ، وَلَا تَأْمَنَنَّ غَدَارًا ، وَلَا تَوَالَيْنَ فَاسِقًا ، وَلَا تَتَّبِعَنَّ غَاوِيًا ، وَلَا تَحْمَدَنَّ مُرَائِيًا ، وَلَا تَحْقِرَنَّ إِنْسَانًا ، وَلَا تَرْدَنَّ سَائِلًا فَقِيرًا ، وَلَا تَجْبِينَ ^(١) بَاطِلًا ، وَلَا تَلَا حَظْنَ مُضْحَكًا ، وَلَا تُخْلِفَنَّ وَعْدًا ، وَلَا تَرْهَوْنَ فِرًّا ،

ولا تُظهِرْنَ غَضَبًا ، ولا تَأْتِينَ بَدَخًا ^(١) ، ولا تَمْشِينَ مَرَحًا ، ولا تَرْكَبِينَ سَقَمًا ^(٢) ، ولا تَقْرَظْنَ فِي طَلَبِ الْآخِرَةِ ، ولا تَرْفَعَنَّ لِلنَّامِ عَيْنًا ، ولا تُقْمِضَنَّ عَنِ الظَّالِمِ رَهْبَةً مِنْهُ أَوْ خَافَةً ، ولا تَطْلُبِينَ ثَوَابَ الْآخِرَةِ بِالدُّنْيَا ، وَأَكْثَرُ مَشَاوِرَةِ الْفُقَهَاءِ ، وَاسْتَعْمَلِ نَفْسَكَ بِالْحِلْمِ ، وَخُذْ عَنِ أَهْلِ التَّجَارِبِ ، وَذَوِي الْعَقْلِ وَالرَّأْيِ وَالْحِكْمَةِ ، وَلَا تُدْخِلِينَ فِي مَشُورَتِكَ أَهْلَ الدَّفْعَةِ ^(٣) وَالْبُخْلِ ، وَلَا تَسْمَعَنَّ لَهُمْ قَوْلًا ، فَإِنْ ضَرَرَهُمْ أَكْثَرُ مِنْ مَنْفَعَتِهِمْ ، وَلَيْسَ شَيْءٌ أَسْرَعَ فُسَادًا لِمَا اسْتَقْبَلَتْ فِي أَمْرِ عَيْتِكَ مِنَ الشَّيْءِ ، وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِذَا كُنْتَ حَرِيصًا كُنْتَ كَثِيرَ الْأَخْذِ قَلِيلَ الْعُطْيَةِ ، وَإِذَا كُنْتَ كَذَلِكَ لَمْ يَسْتَقِمْ لَكَ أَمْرُكَ إِلَّا قَلِيلًا ، فَإِنْ رَعَيْتَكَ إِنَّمَا تَعْتَقِدُ عَلَى مَحَبَّتِكَ ، بِالْكَفِّ عَنِ أَمْوَالِهِمْ وَتَرْكِ الْجُورِ عَنْهُمْ ، وَيَدُومُ صَفَاءُ أَوْلِيَائِكَ لَكَ ، بِالْإِفْضَالِ عَلَيْهِمْ وَحَسَنِ الْعُطْيَةِ لَهُمْ ، فَاجْتَنِبِ الشَّيْءَ ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ أَوَّلُ مَا عَصَى بِهِ الْإِنْسَانُ رَبَّهُ ، وَأَنَّ الْعَاصِيَ بِمَنْزِلَةِ خَزْيٍ ، وَهُوَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : « وَمَنْ يُوقِ شَيْعَةَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ » ، فَسَهِّلْ طَرِيقَ الْجُودِ بِالْحَقِّ ، وَاجْعَلِ لِلْمُسْلِمِينَ كُلِّهِمْ مِنْ نَيْتِكَ حِظًّا وَنَصِيبًا ، وَابْتَغِ أَنْ الْجُودَ مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْعِبَادِ ، فَأَعِدِّهِ لِنَفْسِكَ خُلُقًا ، وَارْضَ بِهِ عَمَلًا وَمُذْهَبًا ، وَتَقْقِدْ أُمُورَ الْجُنْدِ فِي دَوَائِبِهِمْ وَمَكَاتِبِهِمْ ، وَأَذْرِ عَلَيْهِمْ أَرْزَاقَهُمْ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي مَعَايِشِهِمْ ، لِيُذْهِبَ بِذَلِكَ اللَّهُ فَاغْتَهُمْ ، وَيَقُومَ لَكَ أَمْرُهُمْ ، وَيزِيدَ بِهِ قُلُوبَهُمْ فِي طَاعَتِكَ وَأَمْرِكَ خُلُوصًا وَانْسِرَاحًا ، وَحَسْبُ ذِي سُلْطَانٍ مِنَ السَّعَادَةِ أَنْ يَكُونَ عَلَى جَنْدِهِ وَرَعِيَّتِهِ رَحْمَةٌ فِي عَدْلِهِ ، وَحَيْطُنُهُ ^(٤) وَإِنْصَافُهُ ، وَعَنَاتِيهِ وَشَفَقَتُهُ ، وَبِرَّهُ

[١] الدِّخ : الْكَدْر . [٢] وَفِي الْقَدَمَةِ : « وَلَا تَرْكَبِينَ سَقَمًا » .

[٣] وَفِي الْقَدَمَةِ : « أَهْلُ الرَّبِّ » . [٤] وَفِي الْقَدَمَةِ : « وَعُطْيَتُهُ » .

وتوسعته ، فزایل مكره أحد البايين باستشمار تكلمة الباب الآخر ، ولزوم العمل به ، تلقّ إن شاء الله نجاحاً وصلاحاً وفلاحاً ، واعلم أن القضاء من الله بالمكان الذي ليس به شيء من الأمور ، لأنه ميزان الله الذي يعتدل عليه الأحوال في الأرض ، وبإقامة العدل في القضاء والعمل تصلح الرعية ، وتأمين السبل ، وينتصف المظلوم ، ويأخذ الناس حقوقهم ، وتحسّن المعيشة ، ويؤدّى حق الطاعة ، ويرزق الله العافية والسلامة ، ويقوم الدين ، وتجري السنن والشرائع ، وعلى مجاريها ينجز الحق والعدل في القضاء ، واشتد في أمر الله ، وتورع عن النطّف ^(١) ، وامض لإقامة الحدود ، وأفلل العجلة ، وابعد من الضجر والقلق ، واقنع بالقسم ، ولتسكن ريحك ، ويقرجدك ، واتفع بتجربتك ، وانتبه في صيتك ، وأسدد ^(٢) في منطقك ، وأنصف الخصم ، وقف عند الشهة ، وأبلغ في الحجة ، ولا يأخذك في أحد من رعيك محاباةً ولا محاماةً ^(٣) ولا لوم لائم ، وتبت وتأنّ وزايق ، وانظر وتدبر ، وتهكر واعتبر ، وتواضع لربك ، وارأف ^(٤) بجميع الرعية ، وسلط الحق على نفسك ، ولا تسرعن إلى سفك دم (فإن الدماء من الله بمكان عظيم) انتهيا كآلها بغير حقها ، وانظر هذا الخراج الذي قد استقامت عليه الرعية ، وجعله الله للإسلام عزاً ورفعة ، ولأهله سمةً ومنعةً ، ولعدوه وعدوم كبتاً ^(٥) وغیظاً ، ولأهل الكفر من مُعادِيهم ذلاً وصغاراً ، فوزّعه بين أصحابه بالحق والعدل والتسوية والعموم فيه ، ولا ترفعن منه شيئاً عن شريف لشرفه ، ولا عن غنيّ لغناه ، ولا عن كاتب لك ، ولا أحد من خاصتك ، ولا تأخذن منه فوق الاحتمال

[١] الطب : اليب والعرّ والصاد . [٢] سدّ يمدّ كعرب : صار سديداً .

[٣] في المقدمة : « ولا محاباة » . [٤] من باب كرم وقطع وطرب .

[٥] كنه : صرعه وأحراه ، وردّ العدوّ ضيظه وأدله .

له ، ولا تَكَلِّفْنِ أَمْرًا فِيهِ شَطَطٌ ، واحمل الناس كلهم عَلَى مَرِّ الْحَقِّ ، فَإِنْ ذَلِكَ أَجْعَ لِأَلْفَتِهِمْ ، وَأَلْزَمَ لِرِضَا الْعَامَةِ ، واعلم أَنَّكَ جُعِلْتَ بِلَايَتِكَ خَازِنًا وَحَافِظًا وَرَاعِيًا ، وَإِنَّمَا مُمَيِّ أَهْلَ عَمَلِكَ رِعِيَتِكَ ، لِأَنَّكَ رَاعِيَهُمْ وَقَيِّمُهُمْ ، تَأْخُذُ مِنْهُمْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ عَفْوِهِمْ وَمَقْدَرَتِهِمْ ، وَتَنْفِقُ فِي قَوْلِ أَمْرِهِمْ وَصِلَاحِهِمْ وَتَقْوِيمِ أَوْدَعِهِمْ ، فَاسْتَعْمِلْ عَلَيْهِمْ فِي كَوْرِ عَمَلِكَ ذَوِي الرَّأْيِ وَالتَّدْبِيرِ وَالتَّجَرُّبَةِ وَالْخُبْرَةِ بِالْعَمَلِ ، وَالْعِلْمَ بِالسِّيَاسَةِ وَالْمَغَافِ ، وَوَسِّعْ عَلَيْهِمْ فِي الرِّزْقِ ، فَإِنْ ذَلِكَ مِنَ الْحَقُوقِ اللَّازِمَةِ لَكَ فِيمَا تَقْلُدُ وَأَسْنَدَ إِلَيْكَ ، وَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُ شَاغِلٌ ، وَلَا يَصْرِفَنَّكَ عَنْهُ صَارِفٌ ، فَإِنَّكَ مَتَى آثَرْتَهُ وَقَمْتَ فِيهِ بِالْوَاجِبِ ، اسْتَدْعَيْتَ بِهِ زِيَادَةَ النِّعْمَةِ مِنْ رَبِّكَ وَحَسَنَ الْأَحْدُوثَةِ فِي عَمَلِكَ ، وَاحْتَرَزْتَ النَّصَحَةَ مِنْ رِعِيَتِكَ ، وَأُعْنَيْتَ عَلَى الصَّلَاحِ ، فَدَرَّتْ الْخَيْرَاتُ بِيْلَدِكَ ، وَفَشَتْ الْعِمَارَةُ بِنَاحِيَتِكَ ، وَظَهَرَ الْخُصْبُ فِي كَوْرِكَ ، فَكَثُرَ خَزَائِكَ ، وَتَوَفَّرَتْ أَمْوَالُكَ ، وَقَوِيَتْ بِذَلِكَ عَلَى ارْتِبَاطِ جَنْدِكَ ، وَإِرْضَاءِ الْعَامَةِ بِإِفَاضَةِ الْمَطَاءِ فِيهِمْ مِنْ نَفْسِكَ ، وَكَانَتْ مَحْمُودِ السِّيَاسَةِ ، مَرْضَى الْعَدْلِ فِي ذَلِكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ، وَكَانَتْ فِي أَمْوَالِكَ كُلِّهَا ذَا عَدْلٍ وَقُوَّةَ وَآلَةٍ وَعُدَّةٍ ، فَنَافِسَ فِي هَذَا وَلَا تَقْدَمْ عَلَيْهِ سُبَيْتًا ، تَحْمَدُ مَغْنَمَةَ أَمْرِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ، وَاجْعَلْ فِي كُلِّ كَوْرَةٍ مِنْ عَمَلِكَ أَمِينًا يُخْبِرُكَ أَخْبَارَ عَمَالِكَ ، وَيَكْتُبُ إِلَيْكَ بِسِيرَتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ ، حَتَّى كَأَنَّكَ مَعَ كُلِّ عَامِلٍ فِي عَمَلِهِ ، مُعَايِنٌ لِأَمْرِهِ كُلِّهِ ، وَإِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَأْمُرَ بِأَمْرٍ ، فَانْظُرْ فِي عَوَاقِبِ مَا أَرَدْتَ مِنْ ذَلِكَ ، فَإِنْ رَأَيْتَ السَّلَامَةَ فِيهِ وَالْعَافِيَةَ ، وَرَجُوعَ فِيهِ حَسَنَ الدِّفَاعِ وَالنَّصِيحِ وَالصُّنْعِ فَأْمُرْ بِهِ ، وَإِلَّا فَتَوَقَّفْ عَنْهُ ، وَارْجِعْ أَهْلَ الْبَصَرِ وَالْعِلْمِ ، ثُمَّ خُدْ فِيهِ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ رَجَبًا نَظَرَ الرَّجُلَ فِي أَمْرٍ مِنْ أَمْرِهِ قَدْ وَاتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَقَوَّاهُ ^(١) ذَلِكَ وَأَعْجَبَهُ ، وَإِنْ لَمْ يَنْظُرْ فِي عَوَاقِبِهِ

[١] فِي الْقِسْمَةِ : « وَقَدْ وَاتَاهُ عَلَى مَا يَهْوَى فَأَعْوَاهُ ذَلِكَ » .

أهلكه وتقض عليه أمره ، فاستعمل الحزم في كل ما أردت ، وبأشيره بعد عون الله بالقوة ، وأكثر استخارة ربك في جميع أمورك ، وافرغ من عمل يومك ، ولا تؤخره لعدك ، وأكثر مباشرته بنفسك ، فإن لند أموراً وحوادث تُهلكك عن عمل يومك الذي أخرت ، واعلم أن اليوم إذا مضى ذهب بما فيه ، فإذا أخرت عمله اجتمع عليك أمر يومين ، فشغلك ذلك حتى تُعرض عنه ، فإذا أمضيت لكل يوم عمله أرحت نفسك وبدنك ، وأحكمت أمور سلطانك ، وانظر أحرار الناس وذوى الشرف منهم ، ثم استيقن صفاء طويتهم ، وتهذيب مودتهم لك ، ومظاهرتهم بالنصح والمخالصة على أمرك ، فاستخلصهم وأحسن إليهم ، وتماهد أهل البيوتات ممن قد دخلت عليهم الحاجة ، فاحتمل مئونتهم ، وأصلح حالهم ، حتى لا يجدوا خللتهم ^(١) مساً ، وأفرد نفسك بالنظر في أمور الفقراء والمساكين ، ومن لا يقدر على رفع مظلمته إليك ، والمحقر الذي لا علم له بطلب حقه ، فاسأل عنه أخفى مسألة ، ووكل بأمثاله أهل الصلاح من رعيته ، وثرم برفع حوائجهم وحالاتهم إليك ، لتنظر فيها بما يصلح الله به أمرهم ، وتماهد ذوى البأساء ويتامهم وأراملهم ، واجعل لهم أرزاقاً من بيت المال ، اقتداء بأمير المؤمنين - أعزه الله - في المطف عليهم والصلة لهم ، ليصلح الله بذلك عيشتهم ، ويرزقك به بركة وزيادة ، وأجر للأخيار من بيت المال ، وقدم حملة القرآن منهم والحافظين لأكثره في الجراية ^(٢) على غيرهم ، وأنصب لمرضى المسلمين دوراً تؤويهم ، وقولاً يرفقون بهم ، وأطباء يعالجون أسقامهم ، وأسعفهم بشهواتهم ، ما لم يؤد ذلك إلى سرف في بيت المال ، واعلم أن الناس

إذا أعطوا حقوقهم وأفضلَ أَمَانِيهِمْ ، لم يُرضِهِمْ ذلك ، ولم تُطِبْ أَنْفُسُهُمْ دون
رفع حوائجهم إلى ولائهم ، طمعاً في نيل الزيادة وفضلِ الرِّقِّ منهم ، وربما
يَرِمُ^(١) المتصفح لأُمُور الناس ، لكثرة ما يَرِدُ عليه ، وَيَشْفَلُ فكره وذهنه منها
ما يتاله به مؤنة ومشقة ، وليس من يرغب في العدل ، وَيَعْرِفُ محاسنَ أُمُوره
في العاجل ، وفضلَ ثواب الآجل ، كالذي يستقبل ما يقرُّبه إلى الله ، ويلتمس
رحمته به ، وأكثَرَ الإِذْنِ للناس عليك ، وَأَبْرَزَ لهم وجهك ، وسكن لهم
أحراسك ، وَاخْفِضَ لهم جَنَاحَكَ ، وأظهر لهم بِشْرَكَ ، وَلَبِنَ لهم في المسألة
والمنطق ، واعطِفْ عليهم بجودك وفضلك ، وإذا أعطيت فأعطِ بساحةٍ وطيب
نفس ، والتمس الصنِيعَةَ والأجرَ غيرَ مكذَّرٍ ولا مَتَّانٍ ، فإنَّ العطية على ذلك تجارة
مربحة إن شاء الله ، واعتبر بما ترى من أُمُور الدنيا وَمَنْ مَضَى من قبلك من
أهل السلطان والرياسة في القرون الخالية والأُمم البائدة ، ثم اعتصم في أحوالك
كلها بأمر الله ، والوقوف عند محبته ، والعمل بشريعته وسنته ، وإقامة دينه
وكتابه ، واجتنب ما فارق ذلك وخالفه ودعا إلى سخط الله ، واعرف ما تجمع
مُتَمَّاكَ من الأموال ، وما ينفقون منها ، ولا تجمع حراماً ، ولا تُفْهِقْ إِسْرَافاً ،
وأكثر مجالسة العلماء ومشاورتهم ومخالطتهم ، وليكن هواك اتباع السنن
وإقامتها ، وإيتار مكالم الأُمُور ومعاليتها ، وليكن أكرم دُحُلَاتِكَ وخاصتك
عليك ، مَنْ إذا رأى عيباً فيك لم يمتعه هيبتك من إنباء ذلك إليك في سر ،
وإعلامك ما فيه من النقص ، فَإِنْ أَوْلَتْكَ أَنْصَحُ أَوْلِيَانِكَ ، ومُظَاهَرِيكَ لك ،
وانظر عَمَّا لك الذين بحضرتك وكتابتك ، فوقَّتْ لكل رَجُلٍ منهم في كل يوم

وقتاً يدخل عليك فيه ، بكتبته ومؤامراته وما عنده من حوائج عمالك ، وأمر
كورك ورعيتك ، ثم فرغ لما يورده عليك من ذلك سمعك وبصرك وفهمك
وعقلك ، وكرر النظر إليه والتدبير له ، فما كان موافقاً للحزم والحق
فأمضيه ، واستخير الله فيه ، وما كان مخالفاً لذلك فاصرفه إلى التثبت فيه
والمسأله عنه، ولا تمنن على رعيتك ولا على غيرهم بعمروف تأتيه إليهم ، ولا تقبل من
أخدمهم إلا الوفاء والاستقامة والعون في أمور أمير المؤمنين ، ولا تضعن المعروف
إلا على ذلك ، وتقهم كتابي إليك ، وأكثرت النظر فيه والعمل به ، واستمن بالله
على جميع أمورك واستخيره ، فإن الله مع الصلاح وأهله ، وليكن أعظم سيرتك
وأفضل رعيتك ، ما كان لله رضا ، ولدينه نظاماً ، ولأهله عزاً وتمكيناً ، وللذمة
والملة عدلاً وصلاحاً ، وأنا أسأل الله أن يصلح عونك وتوفيقك ورؤسك
وكلاءك ، وأن ينزل عليك فضله ورحمته بتمام فضله عليك وكرامته لك ،
حتى يجعلك أفضل أمثالك نصيباً ، وأوفرهم حظاً ، وأساهم ذكرراً وأمرأ ، وأن
يهلك عدوك ومن ناوأك وبغى عليك . ويرزقك من رعيتك العافية ، ويحجز
الشیطان عنك ووساوسه ، حتى يستعلى أمرك بالعرف والقوة والتوفيق ، إنه
قريب محيب .

وذكروا أن طاهراً لما عهد إلى ابنه عبد الله هذا العهد ، تازعه الناس
وكتبوه وتدارسوه ، وشاع أمره حتى بلغ المأمون ، فدعا به وقرئ عليه ، فقال :
ما بقى أبو الطيب (يعني طاهراً) شيئاً من أمر الدين والدنيا والتدبير والرأى
والسياسة ، وإصلاح الملك والرعية ، وحفظ البينة ، وطاعة الخلفاء ، وتقويم

الخلافة إلا وقد أحكمه وأوصى به وتقدم ، وأمر أن يكتب بذلك إلى جميع العمال في نواحي الأعمال .

(تاريخ الطبري ١٠ : ٢٥٨ ، ومقدمة ابن خلدون ص ٣٣٩)

١٣٢ - خطبة عبد الله بن طاهر

خطب عبد الله بن طاهر الناس ، وقد تيسر لقتال الخوارج ^(١) فقال :
« إني فئت الله ، المجاهدون عن حقه ، الذابون عن دينه ، الذابون عن محارمه ،
الذابون إلى ما أمر به ، من الاعتصام بحبله ، والطاعة لولاه أمره ، الذين جعلهم
رعاة الدين ، ونظام ^(٢) المسلمين ، فاستنجزوا موعود الله ونصره ، بمجاهدة عدوه ،
وأهل معصيته ، الذين أشيروا ^(٣) وتعدوا ، وشقوا العصا ، وفارقوا الجماعة ، وترقوا
من الدين ، وسعوا في الأرض فساداً ، فإنه يقول تبارك وتعالى : « إِنَّ تَنَصَّرُوا
اللَّهُ يَنصَرِكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ » ، فليكن الصبر معقلاً الذي إليه تلجئون ^(٤) ،
وعُدَّتكم التي بها تستظهرون ، فإنه الوزر النبع ، الذي دلّم الله عليه ، والجنة ^(٥)
الحصينة التي أمركم الله بلباسها ، غَضُّوا أبصاركم ، وأخفّوا أصواتكم في مصافكم ،
وأمضوا قدماً على بصائرهم ، فارغين إلى ذكر الله ، والاستعانة به كما أمركم الله ،

[١] الوارد في كتاب « الفرق بين الفرق » أن المأمون ص طاهر من الحسين لقتال حمزة بن أكرح
- هكذا فيه ، وفي الملل والنحل حمزة بن أدرك طالدال - وهو رعيم فرقة الحرورية إحدى فرق الخوارج
العارضة ، وقد طأت في سجستان وخراسان ومكران وقوهستان وكرمان ، وهرم الجيوش الكثيرة ،
وكان ظهوره في أيام هرون الرشيد سنة ١٧٩ ، وفي الناس في تنه إلى أن مضى صدر من أيام خلافة
المأمون ، فلما تمكن المأمون من الخلافة كتب إليه كتاباً استدعاه فيه إلى طاعته ، فما ارداد إلا تنوآ ،
فصت لقاله طاهر من الحسين ، فدارت بينه وبين حمزة حروب قتل فيها من الفريقين ، بقدر ثلاثين ألفاً ،
أكثرم من أتباع حمزة ، وانهرم حمزة إلى كرمان ، ثم استدعي المأمون طاهرآ من خراسان ، فطعم فيها
حمزة ، وأقل بمحيته من كرمان ، فخرج إليه عند الرحمن التيبابوري في عشرين ألفاً مدهومه ، وقتلوا
الألوف من أصحابه ، واعطت منهم حمزة حريمآ ، ومات في هريمته - اطار ص ٧٩ - .

[٢] النظام : السلك يطعم فيه ، وملاك الأمر . [٣] بطروا .

[٤] للها والمضعم ، وكذا الورر . [٥] كل ما يقي .

فإنه يقول : « إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَأَبْتُتُوا وَادَّكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا أَعْلَسَكُمْ ثَقُلَتْ أَيْدِيكُمْ اللَّهُ بِمِزْ الصَّبْرِ ، وَوَلِيَّتْكُمْ بِالْحَيَاةِ وَالنَّصْرِ » . (القدر العريد ٢ : ١٥٥)

١٣٣ - العباس بن المأمون والمعتصم (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ)

قال العباس بن المأمون : لما أَقْصَتْ الخِلافة إلى المعتصم دخلت ، فقال : هذا مجلس كنت أكرمه الناس لجلوسى فيه ، فقلت : « يا أمير المؤمنين ، أنت تعفو عما تبتغته ، فكيف تعاقب على ما توهمته ؟ » ، فقال : لو أردت عقابك ، لترك عتابك » (زهر الآداب ٣ : ٩١)

١٣٤ - استعطاف تميم بن جميل للمعتصم

كَانَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ السَّدُوسِيُّ قَدْ خَرَجَ إِسْطَاطِي الْفُرَاتِ ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ كَثِيرٌ مِنَ الْأَعْرَابِ ، فَعَظُمَ أَمْرُهُ ، وَبَعُدَ ذِكْرُهُ ، فَكَتَبَ الْمُعْتَصِمُ إِلَى مَالِكِ بْنِ طَوْقٍ فِي النَّهْوِ إِلَيْهِ ، فَبَدَّدَ جَمْعَهُ ، فَظَفِرَ بِهِ ، فَعَمِلَهُ مُوثِقًا إِلَى الْمُعْتَصِمِ ، قَالَ أَحْمَدُ بْنُ أَبِي دُوَادٍ : مَا رَأَيْنَا رَجُلًا عَينَ الْمَوْتِ ، فَمَا هَالَهُ ، وَلَا أَذْهَلَهُ عَمَّا كَانَ يَحِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يَفْعَلَ الْإِتِمَامَ بِجَمِيلٍ ، فَإِنَّهُ أَوْفَى بِهِ الرَّسُولُ بَابَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُعْتَصِمِ ، فِي يَوْمِ الْمَوْكِبِ ، حِينَ يَجْلِسُ لِلْعَامَةِ ، وَدَخَلَ عَلَيْهِ ، فَلَمَّا مَثَلَ بَيْنَ يَدَيْهِ ، دَعَا بِالنَّطْعِ^(١) وَالسَّيْفِ فَأَخْضَرَا ، فَعَمِلَ تَمِيمُ بْنُ جَمِيلٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِمَا وَلَا يَقُولُ شَيْئًا ، وَجَعَلَ الْمُعْتَصِمُ يَصْعَدُ النَّظْرَ فِيهِ وَيَصُوبُهُ ، وَكَانَ حَسِيًّا وَسِيمًا^(٢) ، وَرَأَى أَنْ يَسْتَنْطِقَهُ لِيَنْظُرَ أَيْنَ جَنَائِهِ وَلِسَانُهُ مِنْ مَنْظَرِهِ ، فَقَالَ : يَا تَمِيمُ إِنْ كَانَ لَكَ عَذْرٌ فَأْتِ بِهِ ، أَوْ حُجَّةٌ فَأَدِلْ بِهَا ، فَقَالَ : أَمَّا إِذَا قَدْ أَذِنَ لِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنِّي أَقُولُ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ، وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ،

[١] الطع كحل وشمس وصب وعب : ساطع من الأديم . [٢] حيلة .

ثُمَّ جَعَلَ نَمْلَهُ مِنْ سُلاَلَةٍ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ « جَبَرَ بِكَ صَدْعَ الدِّينِ ، وَلَمْ يَكْ بِكَ شَعَثٌ الْمُسْلِمِينَ ، وَأَوْضَحَ بِكَ سُبُلَ الْحَقِّ ، وَأَخَذَ بِكَ شِهَابَ الْبَاطِلِ ، يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّ الذُّنُوبَ تُخْرِسُ الْأَلْسِنَةَ الْفَصِيحَةَ ، وَتُعْمِي الْأَفْتِدَةَ الْعَصِيحَةَ ، وَلَقَدْ عَظُمَتِ الْجَرِيرَةُ ، وَاتَّقَطَعَتِ الْحُجَّةُ ، وَكَبُرَ الذَّنْبُ ، وَسَاءَ الظَّنُّ ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا عَفْوُكَ أَوْ اتِّقَانُكَ ، وَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ أَقْرَبُهُمَا مِنِّي ، وَأَسْرَعُهُمَا إِلَيَّ ، أَوْ لَاهِمَا بِامْتِنَانِكَ ، وَأَشْبَهُهُمَا بِخِلَافَتِكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

أَرَى الْمَوْتَ بَيْنَ السِّيفِ وَالنَّطْعِ كَأَمْنًا
وَأَكْبَرُ ظَنِّي أَنَّكَ الْيَوْمَ قَاتِلِي
وَمَنْ ذَا الَّذِي يُذِلُّ يَمْدُدُ وَحْجَةً
يَعِزُّ عَلَى الْأَوْسِ بْنِ تَعْلِبَ مَوْقِفُ
وَمَا جَزَعَنِي مِنْ أَنْ أَمُوتَ وَإِنِّي
وَلَكِنْ خَلْفِي صَبِيَّةٌ قَدْ تَرَكَتُهُمْ
كَأَنِّي أَرَاهُمْ حِينَ أُنْمِي إِلَيْهِمْ
فَإِنْ عَسَتْ عَاشُوا خَافِضِينَ بِغِيْظَةٍ
فَكَمْ فَائِلٍ لَا يُبْعِدُ اللَّهُ رُوحَهُ
فَقَسِمَ الْمُتَصَمُّ وَقَالَ : « كَادَ وَاللَّهِ يَا تَيْمَمُ أَنْ يَسْبِقَ السِّيفُ الْعَذْلَ ^(١) ، أَذْهَبَ

[١] مبالغة . [٢] حش وجهه كعصر وصرب خدشه ولطه وصره . [٣] كثر وهم الموت .
[٤] العذل كخشى وسب : اللوم ، وهو مثل ، وأول من قاله صفة بن أد بن طابخة ، وكان له ابنان يقال لأحدهما سعد ، وللآخر سعيد ، دمرت إبل لصة تحت الليل ، فوجه أبيه في طلبها ففرقا ، فوجدها سعد مردة ، ومعنى سعيد في طلبها ، فلقبه الحرت بن كعب ، وكان على العلام بردان ، فسأله الحرت إياها فأبى عليه فقال وأحد مرده ، فكان صبة إذا أسي رأى تحت الليل سوادا . قال : أسعد أم سعيد ؟ فكش صبة ذلك مساء الله أن تمكث ، ثم إنه حجّ دواقي عكاظ ، فلقى بها الحرت بن كعب ، ورأى عليه

فقد غفرت لك الصَّوْءَةَ^(١) ، وَوَهَبْتُكَ لِلصَّيَّةِ ، ثم أمر بفك قيوده وخلع عليه ، وعقد له بشاطئ الفرات . (القد الفريد ١ : ١٤٥ ، وهرم الآداب ٣ : ٨٩)

١٣٥ - بين يدي سليمان بن وهب وزير المهدي بالله

ولما وُلِّيَ المهدي بالله^(٢) بن الواثق بن المعتصم سليمان بن وهب وزارته ، قام إليه رجل من ذوى حرمة ، فقال : « أعزَّ الله الوزير ، أنا خادمك ، المؤمل لدولتك ، السعيد بأيامك ، المنظور القلب على ودك ، المنشور اللسان بمدحك ، المرُتَّهَن بِشُكْرِ نِعْمَتِكَ » . (وهرم الآداب ٣ : ١٩٧)

١٣٦ - أحمد بن أبي دواد والواثق (المتوفى سنة ٢٣٣ هـ)

دخل أحمد بن أبي دواد^(٣) على الواثق فقال : ما زال اليوم قومٌ في ثلبك ونقصك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لِكُلِّ أَمْرٍ مِنْهُمْ مَا أَكْتَسَبَ مِنْ الْإِثْمِ ، وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ^(٤) مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ، والله وليُّ جزائه ، وعقاب أمير المؤمنين من وزائه ، وما ذاك يا أمير المؤمنين من أنت ناصرُهُ ، وما ضاق من كنت جارا له ، فما قلتَ لهم يا أمير المؤمنين ؟ قال : قلت يا أبا عبد الله :

بردى أنه سعيد بمرصعها ، فقال له : هل أنت بحرى ما هذان الرندان البدان عليك ؟ قل لي : لقيت غلاما ، وهما عليه مسألة إياهما ، فأبى عليّ فقتله ، وأخذت رديه هذين ، فقال ص : سيك هذا ؟ قال نعم ، فقال : فأعطيه أنظر إليه فإني أطله صارما ، فأعطاه الحرث سيفه ، فلما أحمده من يده هرهه وقال : الحديث دوشحون ، ثم صرعه به حتى قتله ، فقيل له يا ضة : ألى الفهر الخرام ؟ فقال : سقى السيف الدمل . [١] حيلة التوبة . [٢] تولى الخلافة سنة ٢٥٥ إلى سنة ٢٥٦ هـ .

[٣] هو القاضي أبو عبد الله أحمد بن أبي دواد من كبار أئمة المعتزلة ، وهرم الاعتزال ، كان مغررا من المؤمنين أتباعه ، ولما وُلِّيَ المعتصم الخلافة حمله قاضي القضاة وعزل يحيى بن أكرم ، وخسف به أحمد ، حتى كان لا يعمل فعلا طيبا ولا طاهرا إلا برأيه ، ولما مات للمعتصم ، وتولى بعده ابنه الواثق بالله حسنت حال ابن أبي دواد عنده ، ثم ولع في أول خلافة للتوكل ، فقلد ولده محمدا القضاء مكانه ، وتوفي سنة ٢٤٠ هـ . [٤] أى معطيه ، وفي قراءة « كره » فصح الكلف .

وَمَسَعَى إِلَى بَعِيبٍ عَزَّةَ مَعَشَرٍ جَعَلَ الْإِلَٰهَ خُدُودَهُنَ نِجَالَهَا

(زهر الآداب ٣ : ٢٠٨ ، والقدر الفريد ١ : ١٤١)

١٢٧ - ابن أبي دؤاد والوائق أيضاً

وقال الواثق يوماً لابن أبي دؤاد تضجراً بكثرة حوائجهم : قد أخليتُ بيوتَ
الأموالِ بِطَلَبِ تَكِ لِلْأَثْدِينَ بِكَ ، والمتوسلين إليك ، فقال :

« يا أمير المؤمنين ، نتألمُ شكرها متصلةً بك ، وذخايرها موصولة لك ، ومالٍ
من ذلك إلا عِشْقُ اتصالِ الألسنِ بخلودِ المدح » ، فقال : « والله لا منعناك
ما يزيد في عشقتك ، ويقوى في هممتك فينا ولنا » ، وأمر فأخرج له خمسةً وثلاثين
ألف درهم . (زهر الآداب ٢ : ٣١٠)

١٣٨ - ابن أبي دؤاد وابن الزيات

وكان بين القاضي أحمد بن أبي دؤاد وبين الوزير محمد بن عبد الملك الزيات^(١)
منافسة وشحناء ، حتى منع الوزير شخصاً كان يصحب القاضي ، ويختص بقضاء
حوائجهم ، من التردد إلىه ، فبلغ ذلك القاضي ، فجاء إلى الوزير فقال له :
« والله ما أحييتك متكرراً بك من قلة ، ولا متعزّزاً بك من ذلة ، ولكن
أمير المؤمنين رتبك مرتبة أوجبّت لقاءك ، فإن لقيناك فله ، وإن تأخرنا
عنك فلك^(٢) » . (وَبَيَاتُ الْأَعْيَادِ ١ : ٢٥)

[١] ورد المصنف ، والوائق من بعده ، ثم يكره المتوكل كما سيأتي .

[٢] وكان الواثق قد أسر ألا يرى أحد من الناس ابن الزيات ، إلا قام له ، فكان ابن أبي داود إذا
داه قام واستقبل الصلاة على .

١٣٩ - الجاحظ وابن أبي دؤاد

وكان الجاحظ مختصاً بمحمد بن عبد الملك الزيات ، منحرفاً عن أحمد بن أبي دؤاد ، فلما نكسب ابن الزيات ^(١) ، حُجِل الجاحظ مقيداً من البصرة ، وفي عنقه سلسلة ، وعليه قيض مَمَل ^(٢) ، فلما دخل على القاضي أحمد قال له : « والله ما أعلمك إلا متناسياً للنعمة ، كفوراً للصنعة ، معدنكاً للساوئ ، وما فتنتني باستصلاحك لك ، ولكن الأيام لا تُصْلِح منك ، لفساد طَوَيْتِكَ ، ورداءة دَخِيلَتِكَ ، وسوء اختيارك ، وغالب طباعك » .

فقال الجاحظ : « خَفَضَ عليك - أَيْدِكَ اللهُ - فوالله لَأَنْ يَكُونَ لك الأمر على » ، خيرٌ من أن يكون لي عليك ، وَلَأَنْ أُمَيِّءَ وَتُحْسِنَ ، أحسنُ في الأحذوثة عليك ، من أن أحسن وتسيء ، وَلَأَنْ تَعْفُو عَنِّي في حال قدرتك ، أَجمل بك من الانتقام مني » .

فقال أحمد : والله ما علمتُك إلا كثيرَ ترويق الكلام ، فخلَّ عنه التَّلْءُ والقيد ، وأحسن إليه ، وصَدَّرَه في المجلس .

(رمر الآداب ٢ : ١٠٦ ، والنية والأمل ص ٣٩)

[١] كان في من التوكل من ابن الريات حتى كثير ، وذلك أنه لما مات الوائقي (وهو أخو التوكل) . أشار ابن الريات خولية له الوائقي ، وأشار ابن أبي داود بتولية للتوكل ، وقام في ذلك وقد حقق حممه يده وألصقه البردة ، وقبَّله بين عيبيه ، وكان التوكل في أيام الوائقي يدخل على ابن الريات فيجبهه ويقبض له في الكلام - يقرب بذلك إلى الوائقي - فحقد التوكل ذلك عليه ، فلما ولي الخلافة ، أمره أن يمين يوماً حتى يطعن إليه ، ثم قضى عليه وسجنه ، واستمعى أمواله ، وكان ابن الريات يئن وزارته قد اتحد تورداً من حديد ، وأطراف ساقيه إلى داخل ، وهي قائمة مثل رؤوس المسألة ، يصد فيه من يستحقون العقوبة وكان إذا قال أحدكم ارحمى أيها النورس . قال له : الرحمة حور في الطبيعة ، فلما اعتقه التوكل أمره بإدخاله في النور ، وقبده بحسنة عشر رطل من الحديد ، وقال : يا أمير المؤمنين ارحمى ، فقال له : الرحمة حور في الطبيعة ، وبقي في العذاب أربعين يوماً حتى مات سنة ٢٤٣ هـ .

[٢] السبل : الملقب من الثياب .

١٤٠ - أبو العيناء وابن أبي دؤاد

وقال أبو العيناء لابن أبي دؤاد : إن قوماً من أهل البصرة قدِموا إلى
«سُرْمَنْ رَأَى» يدّاً على ، فقال : «يَدُ اللَّهِ قَوْفٌ أَيْدِيهِمْ» ، فقلت : إن لهم مكرّاً ،
فقال : «وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِ» ، فقلت : إنهم كثير ، قال :
«كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِتْنَةً كَثِيرَةً يَا ذَنْ أَلَلَّ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ» .
(زهر الآداب ٢ : ٣٩٠ ، والعقد الريد ١ : ١٤١)

تم الجزء الثالث

ويليه

ذيل الجهرة



- ١٥٣ -

فهرس

الجزء الثالث

من جمهرة خطب العرب

الباب الرابع

الخطب والوصايا في العصر العباسي الأول

الخطبة أو الوصية	رقم الخطبة	رقم الصفحة
خطبة أنى العباس السفاح وقد بويع بالخلافة	١	١
» داود بن عليّ	٢	٣
» داود بن عليّ وقد أرتج على السفاح	٣	٦
» أخرى له	٤	٧
» » للسفاح بالكوفة	٥	٧
» السفاح بالشام حين قتل مروان	٦	٨
» عيسى بن عليّ » »	٧	٨
» داود بن عليّ بمكة	٨	٩
خطبته بالمدينة	٩	١٠
خطبة أخرى له	١٠	١٠
خطبته وقد بلغه أن قوماً أظهروا شكاً بى العباس	١١	١١
» وقد أرتج عليه	١٢	١٢
خطبة صالح بن عليّ	١٣	١٣
» سديف بن ميمون	١٤	١٣
» أنى مسلم الخراساني	١٥	١٥

الخطبة أو الوصية

رقم
الخطبة

١٧	١٦	خالد بن صفوان وأخوال السفاح
١٩	١٧	» » » ورجل من بني عبد الدار
٢٠	١٨	» » » يرثي صديقاً له
٢٠	١٩	» » » يمدح رجلاً
٢٠	٢٠	كلمات مليغة لخالد بن صفوان
٢١	٢١	عمارة بن حمزة والسفاح
٢٢		خطب أبي جعفر المنصور
٢٢	٢٢	خطبته بمكة
٢٢	٢٣	» » بعد بناء ببغداد
٢٣	٢٤	» ببغداد
٢٣	٢٥	» وقد أخذ عبد الله بن الحسن وأهل بيته
٢٦	٢٦	» حين خروج محمد وإبراهيم ابني عبد الله بن الحسن
٢٦	٢٧	» وقد قتل أبا مسلم الحراساني
٢٧	٢٨	خطبة أخرى
٢٧	٢٩	قوله وقد قوطع في خطبته
٢٨	٣٠	المنصور يصف خلفاء بني أمية
٢٩	٣١	» » عد الرحمن الداخل
٢٩		وصايا المنصور لابنه المهدي
٢٩	٣٢	وصية له
٣٠	٣٣	» أخرى له
٣١	٣٤	» » »
٣٢	٣٥	خطبة النفس الزكية حين خرج على المنصور

وصية عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي لآلته	٣٦	٣٣
قوله وقد قتل ابنه محمد	٣٧	٣٤
امراة محمد بن عبد الله والنصور	٣٨	٣٤
جعفر الصادق والنصور	٣٩	٣٥
صفيح المنصور عن سفيان بن معاوية بن يزيد بن المهلب	٤٠	٣٦
استعطاف أهل الشام أما جعفر المنصور	٤١	٣٧
» » » المنصور أيضاً	٤٢	٣٨
أبو جعفر المنصور والربيع	٤٣	٣٩
مقام عمرو بن عبيد بن يدي المنصور	٤٤	٤٠
» رجل من الزهاد » » »	٤٥	٤٠
» الأوزاعي بين يدي المنصور	٤٦	٤٣
نصيحة يزيد بن عمر بن هيرة المنصور	٤٧	٤٦
معن بن رائدة والمنصور	٤٨	٤٧
» » » وأحد زواره	٤٩	٤٨
للمصور وأحد الأعراب	٥٠	٤٨
أعرابية تعزى للمنصور وتهنئته	٥١	٤٨
حطية محمد بن سليمان	٥٢	٤٩
وصية مسلم بن قتيبة	٥٣	٤٩
خطبة المهدي	٥٤	٥٠
مشاورة المهدي لأهل بيته في حرب خراسان	٥٢	
مقال سلام صاحب الطالم	٥٥	٥٣
» الربيع بن يونس	٥٦	٥٤
» الفضل بن العباس	٥٧	٥٥

مقال طليّ بن للهدى	٥٨	٥٧
» موسى بن للهدى	٥٩	٥٩
» العباس بن محمد	٦٠	٦٠
» هرون بن للهدى	٦١	٦٢
» صالح بن طليّ	٦٢	٦٤
» محمد بن الليث	٦٣	٦٤
» معاوية بن عبد الله	٦٤	٦٦
» للهدى	٦٥	٦٨
» محمد بن الليث	٦٦	٧٠
» للهدى	٦٧	٧١
ابن عتبة يعزى للهدى ويهنته	٦٨	٧٤
يعقوب بن داود يستمطف للهدى	٦٩	٧٤
رحل من أهل خراسان يخطب بحصرة المهدى	٧٠	٧٥
مقام صالح بن عبد الجليل بين يدي للهدى	٧١	٧٥
عطلة شبيب بن شبيعة للهدى	٧٢	٧٦
خطبته في تمرية المهدى بابنته	٧٣	٧٦
خطبة أخرى له في مدح الخليفة	٧٤	٧٧
كلمات لشبيب بن شبيعة	٧٥	٧٨
حطة يوسف بن القاسم بن صبيح الكاتب يوم ولي الرئيد الخلافة	٧٦	٧٨
خطبة هرون الرئيد	٧٧	٨٠
وصية الرئيد لمؤدب ولده الأمين	٧٨	٨٢
خطبة لجعفر بن يحيى البرمكي	٧٩	٨٢
استعطاف أم جعفر بن يحيى للرئيد	٨٠	٨٥

خطبة يزيد بن يزيد الشيباني	٨١	٨٩
» عبد الملك بن صالح	٨٢	٩٠
عبد الملك بن صالح يعزى الرشيد ويهنته	٨٣	٩٠
غضب الرشيد على عبد الملك بن صالح	٨٤	٩٠
قوله عند خروجه من السجن	٨٥	٩٤
وصية عبد الملك بن صالح لابنه	٨٦	٩٥
» أخرى له	٨٧	٩٧
كلمات حكيم لابن السماك	٨٨	٩٧
ابن السماك ولرشيد	٨٩	٩٧
الفقرة بين الأمين والمأمون		٩٩
وفد الأمين إلى المأمون		
خطبة العباس بن موسى	٩٠	٩٩
» عيسى بن حمير	٩١	١٠٠
» محمد بن عيسى بن هيك	٩٢	١٠٠
» صالح صاحب للصلى	٩٣	١٠١
» المأمون	٩٤	١٠١
وصية السيدة زبيدة لعلى بن عيسى بن ماهان	٩٥	١٠٢
» الأمين لابن ماهان	٩٦	١٠٣
استئذان ابن ماهان بأمر طاهر بن الحسين	٩٧	١٠٤
حرم طاهر وقوة عزمه	٩٨	١٠٥
طاهر يشد عزيمه حنده	٩٩	١٠٦
وصف الفصل بن الربيع عفة الأمين	١٠٠	١٠٧
وصية الأمين لأحمد بن مرید	١٠١	١٠٨

الخطبة أو الوصية

رقم
الصفحة

رقم
الخطبة

١٠٢	١٠٩	مقال عبد الملك بن صالح للأمين
١٠٣	١١٠	الشغب في جيش عبد الملك بن صالح
١٠٤	١١١	خطبة الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان يدعو إلى خلع الأمين
١٠٥	١١٢	» محمد بن أبي خالد
١٠٦	١١٣	إطلاق الأمين من سجنه ورده إلى مجلس الخلافة
١٠٧	١١٤	خطبة داود بن عيسى يدعو إلى خلع الأمين
١٠٨	١١٥	» الأمين وقد تولى الأمر عنه
١٠٩	١١٧	استعطاف الفضل بن الربيع للأمين
١١٠	١١٨	خطبة طاهر بن الحسين بغداد ضد مقتل الأمين
	١١٩	خطب المأمون

١١١ ١١٩ خطبته وقد ورد عليه في الرتيبة

١١٢ ١١٩ » وقد سلم الناس عليه بالخلافة

١١٣ ١٢٠ » يوم الجمعة

١١٤ ١٢١ » يوم الأضحى

١١٥ ١٢٢ » يوم الفطر

١١٦ ١٢٤ خطبة ابن طناطبا العاوي

١١٧ ١٢٥ استعطاف إبراهيم بن المهدي للأمين

١١٨ ١٢٧ إبراهيم بن المهدي ويختبشوع الطيب

١١٩ ١٢٨ استعطاف إسحاق بن العباس للأمين

١٢٠ ١٢٩ أحد وحوه بغداد يمدح المأمون حين دخلها

١٢١ ١٣٠ أحد أهل الكوفة يمدح المأمون

١٢٢ ١٣٠ محمد بن عبد الملك بن صالح بين يدي للمأمون

الحسن بن سهل يمدح للآمون	١٢٣	١٣٠
يحيى بن أكثم يمدح للآمون	١٢٤	١٣١
أحد بنى هاشم وللآمون	١٢٥	١٣٢
رحل ينظلم إلى للآمون	١٢٦	١٣٢
عمرو بن سعيد وللآمون	١٢٧	١٣٢
الحسن بن ربيعة وللآمون	١٢٨	١٣٣
سعيد بن مسلم وللآمون	١٢٩	١٣٣
أنورهم يعط سعيد بن مسلم	١٣٠	١٣٤
وصية طاهر بن الحسين لانه عبد الله لماولاه الآمون الرقة ومصر وما بينهما	١٣١	١٣٤
خطبة عبد الله بن طاهر	١٣٢	١٤٦
العباس بن الآمون والمعتصم	١٣٣	١٤٧
استعطاف تميم بن جميل للمعتصم	١٣٤	١٤٧
بين يدي سليمان بن وهب وزير للهمتي بالله	١٣٥	١٤٩
أحمد بن أبي دواد والواتق	١٣٦	١٤٩
ابن أبي دواد والواتق أيضاً	١٣٧	١٥٠
ابن أبي دواد وابن الريات	١٣٨	١٥٠
الجاحظ وابن أبي دواد	١٣٩	١٥١
أبو العيناء وابن أبي دواد	١٤٠	١٥٢

فهرس أعلام الخطباء

مرتب بترتيب الحروف الهجائية

مع إتياع اسم كل خطيب بأرقام الصفحات التي وردت فيها خطبه

ح	ا
الحارث بن عبد الرحمن ٣٧	إبراهيم بن للهدى ١٢٥ - ١٢٧
الحسن بن رجاء ١٣٣	ابن السباك ٩٧
الحسن بن سهل ١٣٠	ابن طاطا العلوى ١٢٤
الحسين بن علي بن عيسى بن ماهان ١١١	ابن عتبة ٧٤
خ	أبو جعفر للنصور ٢٢ - ٢٣ - ٢٦
خالد بن صفوان ١٧ - ١٩ - ٢٠	٢٧ - ٢٨ - ٢٩ - ٣٠ - ٣١ - ٣٦
د	أبوزمان العلانى ١٣٤
داود بن علي	أبو العباس السفاح ١ - ٢ - ٨
٣ - ٦ - ٧ - ٩ - ١٠ - ١١ - ١٢	أبو مسلم الخراساني ١٥
داود بن عيسى ١١٤	أحمد بن أبي دواد ١٤٩ - ١٥٠ - ١٥٢
ر	إسحاق بن العباس ١٢٨
الربيع بن يونس ٣٩ - ٥٤	أم جعفر بن يحيى ٨٥
ز	الأمين ١٠٣ - ١٠٨ - ١١٥
السيدة زبيدة ١٠٢	الأوزاعي ٤٣
س	ت
سديف بن ميمون ١٣	تميم بن جميل ١٤٧
سميد بن مسلم ١٣٣	ج
سلام (صاحب المطالم) ٥٣	الجاحظ ١٥١
ش	جعفر الصادق ٣٥
سنيب بن تينة ٧٦ - ٧٧ - ٧٨	جعفر بن يحيى الترمكي ٨٢

الفضل بن العباس ٥٥

- م -

المأمون ١٠١-١١٩-١٢٠-١٢١-١٢٢

محمد بن أبي حنيفة ١١٢

محمد بن سليمان ٤٩

محمد بن عبد الملك بن صالح ١٣٠

محمد بن عيسى بن نهيك ١٠٠

محمد بن الليث ٦٤-٧٠

مسلم بن قتيبة ٤٩

معاوية بن عبد الله ٦٦

معن بن زائدة ٤٧

المهدي ٥٠-٦٨-٧١

- ن -

النفس الزكية ٣٢

- ه -

المسادي ٥٩

هرون الرتييد ٦٢-٨٠-٨٢

- ي -

يحيى بن أكثم ١٣١

يزيد بن عمر بن هبيرة ٤٦

يزيد بن مريد الشيباني ٨٩

يعقوب بن داود ٧٤

يوسف بن القاسم بن صديق ٧٨

تم فهرس أعلام الخطاء

- ص -

صالح (صاحب المصلى) ١٠١

صالح بن عبد الجليل ٧٥

صالح بن علي ١٣-٦٤

- ط -

طاهر بن الحسين

١٠٥-١٠٦-١١٨-١٣٤

- ع -

العباس بن المأمون ١٤٧

العباس بن محمد ٦٠

العباس بن موسى ٩٩

عبد الله بن الحسن ٣٣-٣٤

عبد الله بن طاهر ١٤٦

عبد الملك بن صالح

٩٠-٩١-٩٤-٩٥-٩٧-١٠٩

عثمان بن خزيم ٣٨

علي بن عيسى بن ماهان ١٠٤

علي بن المهدي ٥٧

عمارة بن حمزة ٢١

عمرو بن سعيد ١٣٢

عمرو بن عبيد ٤٠

عيسى بن جعفر ١٠٠

عيسى بن علي ٨

- ف -

الفصل بن الربيع ١٠٧-١١٧

جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	صفحة	سطر
وأرْمَضُ	أرْمَضُ	٤	٢١
لِأَوَّلِي	لَاوِلِي	١٧	٨
ثَقَلْتُ	ثَقَّلْتُ	٣٩	٧
(تَحْذِفُ)	إِنْ	٤٣	١٠
الْمَنْصُورِ	الْمَنْصُورِ	٤٤	٨
سَجَّالَهَا	سَجَّالَهَا	٥٣	٩
الْخَطْبُ	الْخَطْبُ	٥٧	١٠
مَ.	مَ.	٦٠	١٠
بِالْمَعْدِلَةِ	بِالْمَعْدِلَةِ	٦٩	١٤
حُصْنُهُ	مَحْسَنُهُ	٧٧	١٨
الرَّشْدُ	الرَّشِيدُ	١٠٠	٥
كُلُّ مَا أَوْصِيكَ	كُلُّ أَوْصِيكَ	١٠٣	١٩

ذِكْرُكَ
جَمْعُهُ خُطْبُ الْعَرَبِ
فِي عِصْوَ الْعَرَبِ الزَاهِرَةِ

ويحوى خمسة أبواب :

- الباب الأول : في خطب الأندلسيين والمغاربة
- » الثاني : في خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها
- » الثالث : في نثر الأعراب
- » الرابع : في خطب النكاح
- » الخامس : في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريفة
لبعض الخطباء .

فهرس المآخذ

- نفح الطيب ، للمقرى : الجزء الأول - الثانى - الرابع
- مطمع الأتس ، للفتح بن خاقان :
- المعجب ، فى تلخيص أخبار المغرب ، :
- لمحي الدين بن على الراكشى
- الإحاطة : فى أخبار غرناطة ، للسان :
- الدين بن الخطيب :
- الأمالى : لأبى على القالى : الجزء الأول - الثانى - ذيل الأمالى
- الأغانى : لأبى الفرج الأصبهاني : » الثالث عشر - السابع عشر
- صبح الأعشى : لأبى العباس القلقشندى : » الأول
- نهاية الأرب : لشهاب الدين النويزى : » السابع
- عيون الأخبار : لابن قتيبة الدينورى : المجلد الثانى
- الكامل : لأبى العباس المبرد : الجزء الأول
- العقد الفريد : لابن عبد ربه : » الأول - الثانى - الثالث
- زهر الآداب : لأبى إسحق الحضرى : » الأول - الثانى - الثالث
- البيان والتبيين : للجاحظ : » الأول - الثانى - الثالث
- أمالى السيد المرتضى : » الرابع
- مجمع الأمال ، لأبى الفضل الميدانى : » الأول - الثانى
- تاريخ الأمم والملوك : لابن جرير الطبرى : » السابع - الثامن
- مروج الذهب : للمسعودى : الجزء الثانى

- : الصناعتين ، لأبي هلال العسكري
- : بلاغات النساء : لابن أبي طاهر طيفور
- : سرح العيون : لابن نباتة المصري
- : ميرة عمر بن عبد العزيز : لابن الجوزي
- مواسم الأدب للسيد جعفر البيتى العلوى : الجزء الثانى
- بلوغ الأرب : للسيد محمود شكرى الألوسى : « الثالث
- مفتاح الأفكار : للشيخ أحمد مفتاح
- ~~~~~



الباب الأول

في

خطب الأندلسيين والمغاربة

١ - خطبة عبد الرحمن الداخل (المتوفى سنة ١٧١ هـ)

يوم حربه مع يوسف الفهري صاحب الأندلس

لما اشتد الكرب بين يدي عبد الرحمن الداخل^(١) ، يوم حربه مع يوسف الفهري^(٢) صاحب الأندلس ، ورأى شدة مُقاساة أصحابه قال :
« هذا اليوم هو أسُّ ما يُدْنِي عليه ، إمّا ذلّ الدهر ، وإمّا عزّ الدهر ، فاصبرُوا ساعةً فيما لا تشتهون ، تَرْجَحُوا بها بقيةَ أعماركم فيما تشتهون » .

ولما أُنْجِيَ أصحابه على أصحاب الفهري بالقتل يوم هزيمتهم على قرطبة قال :

[١] هو عبد الرحمن بن معاوية بن هشام بن عبد الملك بن مروان المروفي بالداخل ، وذلك أنه لما أصاب دولتهم بالمفرق ما أصابها ، وتقع السلاح من يدي أبي أمية بالقتل والإهلاك ، مرّ عبد الرحمن إلى الأندلس ، واسطاع هيمته أن يؤسس هناك دولة أورثها عقبه حقّة من الدهر ، وهي دولة أبي أمية في المغرب من سنة ١٣٨ إلى سنة ٤٢٢ هـ ، وكانت طاحنة ملكها قرطبة ، وهي مدينة على نهر الوادي الكبير .

[٢] يوسف الفهري هو ابن عبد الرحمن بن حبيب بن أبي عبيدة بن عقبة بن نافع بن أبي القبروان ، وأمير معاوية على أرمينية والمغرب ، وكانت ولاية يوسف الفهري الأندلس سنة ١٢٩ هـ عدت له تسع سنين وتسعة أشهر ، وعنه انتقل سلطنتها إلى أبي أمية .

« لا تَسْتَأْصِلُوا شَأْفَةَ ^(١) أَعْدَاءِ تَرْجُونَ صِدْقَهُمْ ، وَاسْتَبْقُوا لَأَشَدَّ عِدَاوَةً مِنْهُمْ »
- يشير إلى استبقائهم ، لِيُسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى أَعْدَاءِ الدِّينِ - . (مع الطب ٢ : ٧٠)

٢ - عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قنسرين

ولما أذعن يوسف صاحب الأندلس لعبد الرحمن ، واستقر ملكه ، استحضر الوفود إلى قُرْطُبَةٍ ، فأتوا ^(٢) عليه ، ووالى القمود لهم في قصره عدة أيام ، في مجالس يكلم فيها رؤساءهم ووجوههم ، بكلامٍ سَرَّهم ، وطَيَّبَ نفوسهم .
وفي بعض مجالسهم هذه مثَّلَ بين يديه رجل من جند قنسرين ^(٣)

يستجديه ، فقال له :

« يابن الخلاف الراشدين ، والسادة الأكرمين ، إليك قَرَزْتُ ، وبك عُدْتُ ، من زمن غُلوم ، ودهر غُشوم ، قَلَّلَ المال ، وكَثُرَ العيال ، وَشَعَتْ ^(٤) الحال ، فصيرَ إلى نَدَاك المآل ، وأنت وليُّ الحمد والمجد ، والمرجو للرفد ^(٥) » .
فقال له عبد الرحمن مسرعاً :

« قد سمعنا مقاتلتك ، وَقَضَيْنَا حاجتك ، وأمرنا بِمَوْنِكَ على دهرِكَ ، على كَرْهِنَا لسوء مقامِكَ ، فلا تَمُودَنَّ ولا سِوَاكَ لمتلِه ، من إراقة ماء وجهِكَ بتصریح المسألة ، والإلحاف في الطَّلَبَةِ ^(٦) ، وإذا أَلَمَ بك خَطْبٌ ، أو حَزَبَكَ ^(٧) أَمْرٌ ، فارفعه إلينا في رُقعة لا تَعْدُوك ، كيما نُسَرَّ عليك خَلَّتِكَ ، ونكفُّ شِمَاتِ العدو عنكَ ، بعد رفعك لها إلى مالِكِكَ ومالِكِنَا - عزَّ وجهُه - بإخلاص الدعاء ، وصدق النية » .

[١] الشأفة : قرحة تخرج في أسفل القدم حكوى جندهم ، أو إذا قطعت مات صاحبها ، والأصل ، واستأصل الله شأفته : أذهه كما تذهب تلك القرحة ، أو مماء أزاله من أصله .

[٢] أتوا : أصاب ، أي تناصروا وتوافقوا عليه . [٣] بالشام .

[٤] شعت الأمر : نضره وقرقه . [٥] الرفد : العطاء والعلة .

[٦] الطلابة : الطلب . [٧] أي اختدَّ عليك ، والحلة : الحاحة .

وأمر له بجائزة حسنة ، وخرج الناس يتمجبون من حسن منطقته ، وبراعة أدبه ، وكفت فيما بعد ذوا الحاجات عن مقابلته بها شفاهاً في مجلسه .

(فتح الطيب ٢ : ٦٨)

٣ — عبد الرحمن الداخل ورجل من جنده يهنئه بفتح سر قسطة ولما فتح عبد الرحمن الداخل سر قسطة^(١) ، وحصل في يده ثأرها الحسين الأنصارى ، وانهى نصره فيها إلى غاية أمه ، أقبل خواصه يهتونه ، جرى بينهم أحد من لا يؤبه به من الجند ، فهتأه بصوت عال ، فقال له عبد الرحمن : « والله لولا أن هذا اليوم يوم أسبغ على فيه النعمة من هو فوقى ، فأوجب على ذلك أن أنعم فيه على من هو دونى ، لأصليتك ما تعرضت له من سوء الثكال ، من تكون ؟ حتى ثقيل همتنا رافعا صوتك ، غير متلجلج ولا متهيب لمكان الإمارة ، ولا عارف بقيمتها ، حتى كأنك تخاطب أبلك أو أخاك ! وإن جهلك ليحملك على العود لمنها ، فلا تجد مثل هذا الشافع فى منلها من عقوبة . فقال : « ولعل فتوحات الأمير يقترن اتصالها باتصال جهلى وذووبى ، فتشفع لى متى أتيت بمثل هذه الزلة ، لا أعد منيه الله تعالى » .

فتهلل وجه الأمير ، وقال : ليس هذا باعتذار جاهل ، ثم قال : نههونا على أنفسكم إذا لم تجدوا من ينهنا عليها ، ورفع مرتبته وزاد فى عطائه . (فتح الطيب ٢ : ٧٠)

٤ — تاديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر

كان المنذر بن الأمير عبد الرحمن الأوسط^(٢) سبي الخلق فى أول أمره ، كبير الإصغاء إلى أقوال الوشاة ، مفرط القلق مما يقال فى جانبه ، معاقبا على

[١] مدينة على نهر إمر . [٢] هو عبد الرحمن الأوسط (الثانى) ابن الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٢٠٦ إلى سنة ٢٣٨ هـ .

ذلك من يقدر على معاقبته ، مكثر التشكى ممن لا يقدر عليه لوالده الأمير عبد الرحمن ، فطال ذلك على الأمير ، فأمر ثقةً من ثقائه أن يبنى بجبل منقطع عن العمران بناءً يسكن فيه ابنه ، والأيدع أحداً من أصحابه يزوره ، فلما استقر المنذر فى ذلك المكان ، وبقى وحده ، ونظر إلى ما سلبه من الملك ، صجر وقال للثقة : عسى أن يصلنى غلمانى وأصحابى آتسُ بهم ! فقال له : إن الأمير أمر ألا يصلك أحد ، وأن تبقى وحدك ، لتستريح مما يرفع لك أصحابك من الوشاية ، فعلم أن الأمير قصد بذلك محنته وتأديبه ، فكتب إليه يشكو استيحاشه ^(١) بمكانه ، فلما وقف الأمير على رفقته ، وعلم أن الأدب بلغ به حقه استدعاه ، فقال له :

« وصلت رقتك ، تشكو ما أصابك من توحش الانفراد ، فى ذلك الموضع ، وترغب أن تأتس بخوَلك ^(٢) وعبيدك وأصحابك ، وإن كان لك ذنب يترتب عليه أن تطول سكونك فى ذلك المكان ، وما فعلت ذلك عقاباً لك ، وإنما رأيناك تكثر الضجر والتشكى من القال والقال ، فأردنا راحتك بأن نَحْجُبْ عنك سماع كلام من يرفع لك وَيَنِمّ ، حتى تستريح منهم » .
فقال له : « سماع ما كنت أضجرُ منه ، أخفُّ على من التوحد والتوحش ، والتخلّى مما أنا فيه من الرفاهية والأمر والنهى » .

فقال له : « فَإِذَا قد عَرَفْتَ وتَأَذَّبْتَ ، فارجع إلى ما اعتدته ، وعَوِّلْ على أن تسمع كأنك لم تسمع ، وترى كأنك لم ترَ ، وقد قال النبي صلى الله

[١] ومن الكتاب : « لئن قد توحشت فى هذا الموضع توحشاً ما عليه من مزيد ، وعدمت فيه من كنت آتس إليه ، وأصحت مملوك البر ، فبقيد الأمر والنهى ، فإن كان ذلك عقاباً لدس كبير ارتكبه ، وعلمه مولاى ولم أعلمه ، فإن صابر على تأديبه ، صارع إليه فى عهده وصمصه .

وإن أمير المؤمنين وسله كالنهر لا عار يمايل النهر »

[٢] المحول : مثل الخدم والمختم ورناء وسمى .

عليه وسلم : « لو تكاشفتُم ما تدافتم » ، واعلم أنك أقرب الناس إلىَّ ، وأحبهم فيَّ ، وبعد هذا فما يخلو صدرك في وقت من الأوقات عن إنكارٍ عليَّ ، وسُخْط لما أفعله في جانبك ، أو جانب غيرك ، مما لو أطلعني الله تعالى عليه لسأني ، لكن الحمد لله الذي حَفِظَ ما بين القلوب ، بِسَرٍّ بعضها عن بعض ، فيما يحول فيها ، وإنك لنو هِمة ومطمَح ، ومن يكن هكذا يصير وَيُنْفِص وَيَحْمِل ، وَيُبدِل بالعقاب الثواب ، ويصير الأعداء من قبيل الأصدقاء ، ويصير من الشخص على ما يسوء ، فقد يَرَى منه بعد ذلك ما يَسُرُّ ، ولقد يخفُّ علىَّ اليومَ مَنْ قالَ سِيتُ من فعله وقوله ما لو قطعتم عضواً عضواً لِمَا ارتكبه مني ، ما شفيتُ منهم غيظي ، ولكن رأيت الإغضاء والاحتمال ، لا سيما عند الاقتدار أولى ، ونظرت إلى جميع مَنْ حولي ممَّن يُحْسِن وَيُسِيء ، فوجدت القلوب متقاربةً بعضها من بعض ، ونظرت إلى المسيء يمود محسناً ، والمحسن يمود مسيئاً ، وصرتُ أُنْذِم على من سَبَقَ له مني عقاب ، ولا أُنْذِم على من سَبَقَ له مني ثواب ؛ فالزَمَ يا بني مَعَالِي الأمور ، وإنَّ جَماعها في التفاضل ، ومن لا يتفاضل لا يسلم له صاحب ، ولا يَقْرَب منه جانبٌ ، ولا يَنال ما تهرقُّ إليه همته ، ولا يظفر بأمله ، ولا يجد مُميناً حين يحتاج إليه .

فقبل المنذريده وانصرف ، ولم يزل يأخذ نفسه بما أوصاه والده ، حتى تحلَّق بالخلق الجميل ، وبلغ ما أوصاه به أبوه ، ورفَّع قدره (مع الطب ٢ : ٣٢٧)

ه — عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً

وقال له أبوه يوماً : إن فيك أنبياء مُفَرِّطاً ، فقال له : حَقٌّ لفرع أنت أصله أن يعلو ، فقال له : يا بني ، إن الميون تَمُجُّ النَّبِيَّاء ، والقلوب تنفِرُ عنه ، فقال :

يا أبني ، لي من العز والنسب وعلو المكان والسلطان ما يحل^(١) عن ذلك ، وإني لم أر العيون إلا مقبلة على^(٢) ، ولا الأصماع إلا مضمينة إلى^(٣) ، وإن لهذا السلطان رونقا يزيقه التبذل ، وعلواً يخفضه الانبساط ، ولا يصونه ويشرفه إلا التيه والانتقاض^(٤) ، وإن هؤلاء الأئدال ، لهم ميزان يسبرون^(٥) به الرجل منا ، فإن رأوه راجحاً ، عرفوا له قدر رجاحته ، وإن رأوه ناقصاً عاملوه بتقصه ، وصبروا تواضعه صغراً ، وتخفضه خسة^(٦) ، فقال له أبوه : لله أنت ! فائق وما رأيت .
(مع الطب ٢ : ٢٢٩)

٦ - يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه

ومدح بعض الشعراء يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط ، فأمر له بمال جزيل ، فلما كان مثل ذلك الوقت ، جاءه بمدح آخر ، فقال أحد خدام يعقوب : هذا اللئيم له دين عندنا يقتضيه ! فقال الأمير :

« يا هذا ، إن كان الله تعالى خلقك محبوباً على كره رب الصنائع ، فاجر على ما جبلت عليه في نفسك ، ولا تكن كالأجرب يُعدى غيره ، وإن هذا رجل قصدنا قبل^(١) ، فكان منا ما أشير^(٢) به ، وحمله على العودة ، وقد ظن فينا خيراً ، فلا تخيب ظنه ، والحديث أبداً يحفظ القديم ، وقد جاءنا على جهة التهنته بالعمر ، ونحن نسأل الله تعالى أن يطيل عمرنا ، حتى يكثر ترداده ، ويُدِّيم نعمنا حتى

[١] في الأصل : « يحل » ، وأرى صوابه : « يحل » .

[٢] جرى في ذلك على سنن أبي مسلم الخراساني ، وكان يقول لقواده إذا أخرجهم : « لا تنكروا الناس إلا رمياً ، ولا تلطموا إلا شراً ، فتلقى صدورهم من هبتكم » - اطر القدر الفريد ٢ : ٢٩٩ -

[٣] السبر : امتحان غور الجرح . [٤] أثر : مرج .

نجد ما نُنعم به عليه ، ويحفظ علينا مَرُوءتنا ، حتى يعيننا على التجمل معه ، ولا يُثِلِّنا بجليس مثلك ، يَقْبِضُ أَيْدِيَنَا عَنْ إِسْدَاءِ الْيَادِي .

وأمر للشاعر بما كان أمر له به قبلُ ، وأوصاه بالعود عند حلول ذلك الأوان ما دام العمر . (مع الطيب ٢ : ٣٣٠)

٧ - وفاء الوزير ابن غانم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز واعتذاره عنه لدى الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط

كَانَ الرَّبِيرُ الْوَلِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ غَانِمٍ صَدِيقًا لِلْوَزِيرِ هَاشِمِ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، ثَابِتًا عَلَى مَوَدَّتِهِ ، فَلَمَّا قَضَى اللَّهُ عَلَى هَاشِمٍ بِالْأَمْرِ ، أَجْرَى السُّلْطَانُ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأُمَوِيُّ^(١) ذِكْرَهُ فِي جَمَاعَةٍ مِنْ خُدَّامِهِ ، وَالْوَلِيدُ حَاضِرٌ ، فَنَسَبَهُ إِلَى الطَّيْشِ وَالْعَجَلَةِ وَالِاسْتِبْدَادِ بِرَأْيِهِ ، فَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ مَنْ اعْتَذَرَ عَنْهُ غَيْرَ الْوَلِيدِ ، فَقَالَ :

« أَصْلَحَ اللَّهُ تَعَالَى الْأَمِيرَ ، إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَلَى هَاشِمٍ التَّخْيِيرُ فِي الْأُمُورِ ، وَلَا الْخُرُوجُ عَنِ الْمَقْدُورِ ، بَلْ قَدْ اسْتَعْمَلَ جَهْدَهُ ، وَاسْتَفْرَغَ نَصَحَتَهُ ، وَفَضَى حَقَّ الْإِقْدَامِ ، وَلَمْ يَكُنْ مِثْلَكَ النَّصْرَ بِيَدِهِ ، فَخَذَلَهُ مِنْ وَثْقٍ بِهِ ، وَتَكَثَّلَ عَنْهُ مَنْ كَانَ مَعَهُ ، فَلَمْ يُرْجَحْ قَدَمُهُ عَنْ مَوْطِنِ حِفَاطَتِهِ ، حَتَّى مُلِكَ مُقْبَلًا غَيْرَ مُذِيرٍ ، مُبْتَلِيًا غَيْرَ فَشَلٍ ، فَجُوزِيَ خَيْرًا عَنْ نَفْسِهِ وَسُلْطَانِهِ ، فَإِنَّهُ لَا طَرِيقَ لِلْإِلَامِ عَلَيْهِ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مَا جَنَّتْهُ الْحَرْبُ النَّشُومُ ، وَأَيْضًا فَإِنَّهُ مَا فَصَدَ أَنْ يَجُودَ بِنَفْسِهِ الْإِرْصَا لِلْأَمِيرِ ، وَاجْتِنَابًا لِسُخْطِهِ ، فَإِذَا كَانَ مَا اعْتَمَدَ فِيهِ الرِّضَا جَالِبَ التَّقْصِيرِ ، فَذَلِكَ مَعْدُودٌ فِي سُوءِ الْحَقْظِ » .

[١] هو الأمير محمد بن عبد الرحمن الأوسط ، حكم الأندلس من سنة ٢٣٨ الى سنة ٢٧٣ هـ ، وكان عرًا ، لأهل الترك والخلاف ، وربما أوغل في بلاد العدو سنة أشهر أو أكثر يحرق ويسب ، وله في العدو وقعة وادي سليط ، وهي من أهبات الوقائع لم يعرف مثلها في الأندلس قبلها .

فأعجب الأمير كلامه ، وشكر له وفاءه ، وأقصر عن تنفيذ هاشم ، وسعى في تخليصه .
(مع الطيب ٢ : ٢٣٠)

٨ - خطبة منذر بن سعيد البلوطي ^(١) (المتوفى سنة ٣٥٥ هـ)

في الاحتفال بقدم رسل ملك الروم

روى المؤرخون أن الخليفة عبد الرحمن الناصر لدين الله ^(٢) ، بلغ من عزّة الملك ، ورفعة السلطان بالأندلس ، أن كانت ملوك الروم والإفرنجية تردّد إلى ، تطلب مهادّته ، وتُهدّي إليه أنفس النخائر ، ومن جعلهم قسطنطين بن ليون صاحب القسطنطينية ، فقد رعب في مواعده ، وبعث إليه سنة ٣٣٨ هـ وفداً من قبله بهديه له ، فتأهب الناصر لورودهم ، واحتفل بقدمهم احتفالاً رائعاً ، أحبّ أن يقوم فيه الخطباء والشعراء بين يديه ، لتذكّر جلالة ملكه ، وعظيم سلطانه ، وتصف ما تهبّ من توطيد الخلافة في دولته ، وتقديم إلى الأمير الحُكم ابنه ووليّ عهده ، بإعداد من يقوم بذلك من الخطباء ، فأمر الحُكم صنيعة الفقيه محمد بن عبد البر بالتأهب لذلك ، وكان يدعى من القدرة على تأليف الكلام ما ليس في وسع غيره ، وحضر المجلس السلطاني ، فلما قام يحاول التكلم ، بهرّه هولُ المقام ، وأثبته الخلافة ، فلم يهتد إلى لفظة ، بل عُيى عليه وسقط

[١] ولد سنة ٢٦٥ هـ ، وتوفى سنة ٣٥٥ هـ ، وكان خطيباً بليغاً عالماً بالحدود حدافاً في ، شديد المارسة حاصر الحواري عتيده ، ثبات الحجة ، ولى قرطبة قضاء الجماعة - المبرّعه في المشرق - قضاء القضاة - لعدد الرجن الباصر ، ثم لاه الحُكم للسفصر ، ستة عشر طاماً من سنة ٣٣٩ إلى سنة ٣٥٥ ، لم يحيط عليه فيها حور في قضية ، ولا قسم بغير سوية ، ولا ميل لهوى .

[٢] هو عبد الرحمن الثالث ابن محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الثاني ابن الحُكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل ، حكم الأندلس من سنة ٣٠٠ هـ إلى سنة ٣٥٠ هـ ، وهو أول من تسمى من أمراء بني أمية بالأندلس أمير المؤمنين عندما ثاث أمر الخلافة بالشرق ، وعلم موالى الترك على بني العباس ، وبلغه أن القدر قتل مولاه مؤنس الطغر سنة ٣١٧ هـ .

إلى الأرض ، فقيل لأبي عليّ القالي - صاحب الأملی ، وهو حينئذ ضيف الخليفة الوافد عليه من العراق - : ثم فارق هذا الوحي ^(١) ، فقام خمد الله ، وأثنى عليه بما هو أهله ، وصلى على نبيه صلى الله عليه وسلم ، ثم انقطع به القول ، فوقف ساكناً متفكراً في كلام يدخل به إلى ذكر ما أريد منه ، فلما رأى ذلك منذر بن سعيد البلوطي - وكان ممن حضر في زُمرَة الفقهاء - قام من ذاته بدرجة من رِقائه ، فوصل افتتاح أبي عليّ لأول خطبته بكلام كان يسُحّه سحاً ، كأنما كان يحفظه قبل ذلك بمدة ، فقال :

« أما بعد حمد الله ، والثناء عليه ، والتَّعَدَادُ لآلائه ، والشكر لِنِعْماته ، والصلاة والسلام على محمد وصفيّه وخاتم أنبيائه ، فإن لكل حادثة مقاماً ، ولكل مقام مقال ، وليس بعد الحقّ إلا الضلال ، وإني قد قُدتُ في مقام كريم ، بين يدي ملك عظيم ، فَأَصْنَعُوا ^(٢) إِلَى مَعَشَرِ الْمَلَأِ بِأَسْمَاعِكُمْ ، وَأَتَقِنُوا عَنِّي ^(٣) بِأَفْعِدْتِكُمْ ، إِنْ مِنْ الْحَقِّ أَنْ يُقَالَ لِلْمُحَقِّ صَدَقْتَ ، وَلِلْمُبْطِلِ كَذَبْتَ ، وَإِنْ الْجَلِيلَ تَعَالَى فِي سَمَائِهِ ، وَتَقَدَّسَ فِي صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ ، أَمْرَ كَلِيمَةِ مُوسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَى نَبِينَا وَعَلَيْهِ وَعَلَى جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ ، أَنْ يَذْكُرَ هَوْمَهُ بِأَيَّامِ اللَّهِ جَلَّ وَعَزَّ عِنْدَهُمْ ، وَفِيهِ وَفِي رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَسْوَةٌ حَسَنَةٌ ، وَإِنِّي أَذْكُرُكُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ عِنْدَكُمْ ، وَتَلَاْفِيهِ لَكُمْ بِخِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، الَّتِي لَمْتُ شَعَشَعَكُمْ ، وَأَمَنْتُ سِرْبَكُمْ ^(٤) ، وَرَفَعْتُ فَوْتَكُمْ ، بَعْدَ أَنْ كُنْتُمْ قَلِيلاً فَكَثُرَكُمْ ، وَمُسْتَضَعْفِينَ فَقَوَّاهُمْ ، وَمُسْتَذَلَّيْنَ فَنَصَرَكُمْ ، وَلَآهَ اللَّهُ رِجَايَتَكُمْ ، وَأَسْنَدَ

[١] الروي : الشق في الشيء . [٢] الذي في كتب اللغة : « أصى إليه صمه : أماله ، وأصى

إليه : مال بسمه نحوه » ولعل زيادة اللام في « بأسماعكم » من السباح لا من الحطيط .

[٣] هكنا في مع الطيب ، وفي مطبع الأملس : « رموا عليّ بأفعدتكم » .

[٤] السرب : النفس .

إليه إمامتكم ، أياكم ضربت الفتنة مُرَادِقَهَا على الآفاق ، وأحاطت بكم شُعْلُ النفاق ، حتى صرتم في مثل حَدَقَةِ البعير ، من ضيق الحال ، ونكد العيش والتغيير ، فاستبدلتم بخلافته من الشدة الرخاء ^(١) ، وانتقلتم يُمْنُ سياسته إلى تمهيد كُفِّ العافية بعد استيطان البلاء .

أَنشُدْكُمْ بِاللَّهِ مَعَاشِرَ الْمَلَأَ ، أَلَمْ تَكُنِ الدَّمَاءُ مَسْفُوكَةً حَقَّقَهَا ، وَالسُّبُلُ مَخُوفَةً فَأَمْنَهَا ، وَالْأَمْوَالُ مَتَهَبَةً فَأَحْرَزَهَا وَحَصَّنَهَا ؟ أَلَمْ تَكُنِ الْبِلَادُ خَرَابًا فَمَعَمَّرَهَا ، وَثَنُورُ الْمُسْلِمِينَ مُهْتَضَمَةً فَحَمَاهَا وَنَصَرَهَا ؟ فَادْكُرُوا آلاءَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِخِلَافَتِهِ ، وَتَلَا فِيهِ جَمْعَ كُلِّكُمْ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا بِإِمَامَتِهِ ، حَتَّى أَذْهَبَ اللَّهُ عَنْكُمْ غِيظَكُمْ ، وَتَسْقَى صُدُورَكُمْ ، وَصِرْتُمْ يَدًا عَلَى عَدُوِّكُمْ ، بَعْدَ أَنْ كَانَ بِأُسُكُمْ يَنْتَحِمُ .

فَأَنشُدْكُمْ اللَّهَ ، أَلَمْ تَكُنِ خِلَافَتُهُ قُفْلَ الْفِتْنَةِ بَعْدَ انْطِلَاقِهَا مِنْ عِقَالِهَا ؟ أَلَمْ يَتَلَاَفْ صَلَاحُ الْأُمُورِ بِنَفْسِهِ بَعْدَ اصْطِرَابِ أَحْوَالِهَا ؟ وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ إِلَى الْقَوَادِ وَالْأَجْنَادِ ، حَتَّى بَاشَرَهُ بِالْقُوَّةِ وَالْمُهَنْجَةِ وَالْأَوْلَادِ ، وَاعْتَزَلَ النَّسْوَانِ ، وَهَجَرَ الْأَوْطَانِ ، وَرَفَضَ الدَّعَاةَ ، وَهِيَ مَحْبُوبَةٌ ، وَتَرَكَ الرُّكُوكَ إِلَى الرَّاحَةِ ، وَهِيَ مَطْلُوبَةٌ ، بِطَوِيلَةِ صَحِيحَةٍ ، وَعَزِيْزَةِ صَرِيحَةٍ ، وَبَصِيرَةِ نَاجِيَةٍ ، نَافِذَةٍ نَاقِيَةٍ ، وَرِيحِ هَابَةٍ غَالِيَةٍ ، وَنُضْرِهِ مِنَ اللَّهِ وَقَامَةِ وَاجِبَةٍ ، وَسُلْطَانِ قَاهِرٍ ، وَجَدِّ طَاهِرٍ ، وَسَيْفٍ مَنْصُورٍ ، تَحْتَ عَدْلٍ مَشْهُورٍ ، مَتَحَمِّلًا لِلنَّصَبِ ، مُسْتَقِلًّا لِمَا نَالَهُ فِي جَانِبِ اللَّهِ مِنَ التَّعَبِ ، حَتَّى لَانَتْ الْأَحْوَالُ بَعْدَ شِدَّتِهَا ، وَانْكَسَرَتْ شَوْكَةُ الْفِتْنَةِ عِنْدَ حَدِّتِهَا ، وَلَمْ يَبْقَ لَهَا غَارِبٌ إِلَّا جَبَّةٌ ^(٢) ، وَلَا نَجْمٌ ^(٣) لَأَهْلِهَا قَرْنٌ إِلَّا جَدَّةٌ ،

[١] في الأصل « فاستبدلتم بمجالاته من الشدة الرخاء » والصواب ما ذكرنا :

[٢] العارب : الكلال ، أو ما بين الدمام والعق ، وحته : قطعه .

[٣] في الأصل : « نجم » وهو تحريف ، والصواب « نجم » أي طهر وطلع ، وحده : قطعه .

فأصبحت بركة الله إخواناً ، ويلم أمير المؤمنين لشعثكم على أعدائه أعواناً ، حتى توارت لديكم الفتوحات ، وفتح الله عليكم بخلافته أبواب الخيرات والبركات ، وصارت وفود الروم وافدة عليه وعليكم ، وآمال الأقبصين والأذنين مستخدمة إليه وإليكم ، يأتون من كل فج عميق ، وبلد سحيق ^(١) ، لأخذ حبل ^(٢) بينه وبينكم جملة وتفصيلاً ، ليَقْضَى اللهُ أَمْرًا كَانَ مَقْعُولًا ، وإن يُخالف الله وعده ، ولهذا الأمر ما بعده ، وتلك أسباب ظاهرة بادية ، تدل على أحوال باطنة خافية ، دليلها قائم ، وجفنها غير نائم » وَعَدَ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ ، وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ ، وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَدَدٍ خَوْفِهِمْ أَمْنًا ، وليس في تصديق ما وَعَدَ اللهُ أرتياب ، ولكل نبأ مستقر ، ولكل أجل كتاب ، فاحمدوا الله أيها الناس على آلائه ، واسألوه المزيد من نعمائه ، فقد أصبحتم بين ^(٣) خلافة أمير المؤمنين - أيدى الله بالعصمة والساد ، وألهمه خالص التوفيق إلى سبيل الرشاد - أحسن الناس حالاً ، وأنعمهم بالاً ، وأعزهم قراراً ، وأمنهم داراً ، وأكثفهم جمعاً ، وأجلهم صنماً ، لا تتهاجون ولا تذادون ، وأنتم بحمد الله على أعدائكم ظاهرون ، فاستعينوا على صلاح أحوالكم بالمناصرة لإمامكم ، والتزام الطاعة لخليفكم وابن عم نبيكم صلى الله عليه وسلم ، فإن من نزع يده من الطاعة ، وسعى في تفريق الجماعة ، ومَرَقَ من الدين ، فقد خسر الدنيا والآخرة ، ذلك هو الخسران المبين .

[١] سحيق : بعيد . [٢] أى مهاجرة يده ويديكم . [٣] هكذا في صح الطيب ، ومطبع الأنفس ، ولعل صوابه : « أصبحتم بحلابة أمير المؤمنين » .

وقد علمتم أن في التعلق بِمِصْمَتِهَا ، والتمسك بِمُرْوَتِهَا ، حفظَ الأموال ، وَحَقَّنَ الدماءَ ، وصَلَحَ الخاصةَ وَالذَّهْمَاءَ ^(١) ، وَأَن بَدَاوِمَ ^(٢) الطَّاعَةِ تُقَامُ الحدودُ ، وَتَوْفَى العهودُ ، وبِهَا وَصِلَتِ الأَرْحَامُ ، وَوَضَعَتِ الأحْكَامُ ، وبِهَا سَدَّ اللَّهُ الخُلُلَ ، وَأَمَّنَ السَّبِيلَ ، وَوَسَّطاً الأَكْنَافَ ، وَرَفَعَ الاختلافَ ، وبِهَا طَابَ لَكُمْ القرارُ ، واطْمَأْنَنَ بِكُمْ الدَّارُ ، فَاعْتَصِمُوا بِمَا أَمَرَكم اللَّهُ بالاعتصام به ، فَإِنَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ : « وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ » ، وقد علمتم مَا أحاطَ بِكُمْ فِي جَزِيرَتِكُمْ هذه من ضروبِ المُشْرِكِينَ ، وصنوفِ المُلْحِدِينَ السَّاعِينَ فِي شِقِّ عَصَاكُم ، وَتَفْرِيقِ مَلِكِكُمْ ، الآخِذِينَ فِي غَاذِلَةِ دِينِكُمْ ، وَهَتَاكِ حَرِيمِكُمْ ، وَتَوْهِينِ دَعْوَةِ نَبِيِّكُمْ ، صَلَوَاتِ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ ، وَعَلَى جَمِيعِ النَّبِيِّينَ وَالْمُرْسَلِينَ ، أَقُولُ قَوْلِي هَذَا وَأَخْتُمُ بِالْحَمْدِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ، مُسْتَغْفِراً لِلَّهِ الْغَفُورِ الرَّحِيمِ ، فَهُوَ خَيْرُ الْعَافِرِينَ » .

وخرج الناس يتحدثون عن حسن مقامه ، وثبات جنانه ، وبلاغة لسانه ، وَكَانَ النَّاصِرُ أَشَدَّهُمْ تَعْجِبًا مِنْهُ ، فَوَلَّاهُ الصَّلَاةَ وَالْحَطَابَةَ فِي الْمَسْجِدِ الْجَامِعِ بِالزَّهْرَاءِ ، ثُمَّ تَوَفَّى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى الْقَاصِي ، فَوَلَّاهُ فِضَاءَ الْجُمُعَةِ بِقَرْطَبَةِ ، وَأَقْرَبَهُ عَلَى الصَّلَاةِ بِالزَّهْرَاءِ . (مع الطب ١ : ١٧٢ ، ومطبع الأمس ص ٤٣)

٩ - خطبة أخرى له

وخطب منذر بن سعيد يوماً - وأراد التواضع - فكان من فصول خطبته ، أَن قَالَ :

« حَتَّى مَتَى ، وَإِلَى مَى ، أَعْظُ وَلَا أُنْعِظُ ، وَأُزَجِّرُ وَلَا أُتْجِرُ ؟ أدُلُّ الطَّرِيقَ

[١] الذَّهْمَاءُ : جماعَةُ النَّاسِ . [٢] فِي الأَصْلِ « قَوَامٌ » ، وَأَضْفُهُ : « بَدَاوِمَ » .

إلى المستدئين ، وأَبْقَى مَقِيماً مع الحائرِينَ ! كلا ، إن هذا هو البلاء المبين ! إنَّ
هِيَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُفَضِّلُ بَهَا مَنْ نَشَاءُ ، وَتَهْدِي مَنْ نَشَاءُ ، أَنْتَ وَلِيْنَا فَاعْفِرْ لَنَا
وَارْحَمْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ، اللهم فرغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما
تكفَّلْتَ لِي بِهِ ، ولا تحزمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك ،
يا أرحم الراحمين » . (صحيح الطيب ١ : ٢٢٢)

١٠ - أحد حساد الرمادي الشاعر والمنصور بن أبي عامر

(المتوفى سنة ٣٩٤ هـ)

وقال المنصور بن أبي عامر المَعَاوِيَّ (١) يوماً لأبي عمر يوسف الرمادي
الشاعر : كيف ترى حالك معي ؟ فقال : « فوق قدري ، ودونَ قدرك (٢) » ،
فأطرقَ المنصورُ كالنفضبان ، فَأَنَسَلَ الرمادي وخرج وقد نَدِمَ على ما بَدَرَ منه ،
وجعل يقول : أخطأتُ ! لا والله ، ما يُفْلِحُ مع الملوك من ياملهم بالحق ، ما كَانَ
ضَرَرَنِي لو قلت له : إني بلغتُ السماء ، وتمنطقتُ بالجوزاء ! وأشد :
متى يأتِ هذا الموتُ لا يُلْفِ حاجةٌ لِنَفْسِي إِلَّا قد قَضَيْتُ قضاءها
وكان في المجلس من يحسده على مكانه من المنصور ، فوجد قُرْصَةً فقال :

[١] هو المنصور أبو عامر محمد بن عبد الله بن عامر بن أبي عامر بن الوليد بن يزيد بن عبد الملك
العمالي . دخل جده عبد الملك الأندلس مع طارق ، وكان عظيمًا في قومه ، وله في الفتح أثر ، وكان
الحكم بن الناصر قد استورس ابن أبي عامر ، ووصل إليه أموره ، وترقت حاله بعده ، ثم توفي الحكم
سنة ٣٦٦ هـ ، وولى بعده ابنه هشام ، وكانت معه سبع سنين ، فحدث ابن أبي عامر معه بالصل عليه
لصبره ، وتم له ما أمل ، فعاب عليه ، وترجع على سرير الملك ، وأمر أن يجيأ تحية الملوك ، وتسمى
بالحاح المنصور ، وهدت الكتب والمطاطات والأوامر باسمه ، وأمر بالدعاء له على المنابر باسمه عقب الدعاة
للحلية ، ولم يبق لهشام من رسوم الخلافة أكثر من الدعاء له على المنابر ، وكتابة اسمه في السكة والطرز ،
وهذا المنصور أعظم ما كان ملكاً سنة ٣٩٤ هـ لسبع وعشرين سنة من ملكه .

[٢] يزيد « ودون ما يبغى أن يعطيه ملك لئلي » .

« وَصَلَّ اللَّهُ لِمَوْلَانَا الظَّفَرَ وَالسَّعْدَ ، إِنَّ هَذَا الصَّنِيفَ صَنَفُ زُجُورٍ وَهَذَانِ ، لَا يَشْكُرُونَ نِعْمَةً ، وَلَا يَرْعَوْنَ إِلَّا ^(١) وَلَا ذِمَّةً ، كَلَابُ مَنْ غَلَبَ ، وَأَصْحَابُ مَنْ أَخْصَبَ ، وَأَعْدَاءُ مَنْ أَجْدَبَ ، وَحَسْبُكَ مِنْهُمْ أَنْ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ يَقُولُ فِيهِمْ : « وَالشُّعْرَاءُ يَنْبِئُهُمُ الْفَاوُورُ ، أَلَمْ يَأْتِهِمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهيمُونَ ، وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ » وَالْإِبْتِعَادُ مِنْهُمْ أَوْلَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ، وَقَدْ قِيلَ فِيهِمْ : مَا غُلَّتْكَ بَقُومٌ ، الصَّدَقُ يُسْتَحْسِنُ إِلَّا مِنْهُمْ ؟ » .

* *

فرغ المنصور رأسه - وكان يحامي أهل الأدب والشعر - وقد اسودَّ وجهه ، وظهر فيه الغضب المفرط ، ثم قال :

« مَا بَالُ أَقْوَامٍ يُشِيرُونَ فِي شَيْءٍ لَمْ يُسْتَشَارُوا فِيهِ ، وَيَسْتَبْشِرُونَ الْأَدَبَ بِالْحُكْمِ فِيمَا لَا يَذَرُونَ ، أَيْرُضِي أَمْ يُسْخِطُ ؟ وَأَنْتَ أَيُّهَا الْمُبْتَغِ لِلشَّرِّ دُونَ أَنْ يُبْعَثَ ، قَدْ عَلِمْنَا غَرَضَكَ فِي أَهْلِ الْأَدَبِ وَالشُّعْرَاءِ ، وَحَسَدُكَ لَهُمْ ، لِأَنَّ النَّاسَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ :

مَنْ رَأَى النَّاسَ لَهُ فَضْلٌ سَلَا عَلَيْهِمْ حَسَدُهُ

وَعَرَفْنَا غَرَضَكَ فِي هَذَا الرَّجُلِ خَاصَّةً ، وَلَسْنَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ نَبْلِغُ أَحَدًا عَرْضَهُ فِي أَحَدٍ ، وَلَوْ بَلَّغْنَاكُمْ بَلَّغْنَا فِي جَانِبِكُمْ ، وَإِنَّكَ ضَرَبْتَ فِي حديد بارد ^(٢) ، وَأَخْطَأْتَ وَجْهَ الصَّوَابِ ، فَزِدْتَ بِذَلِكَ احْتِقَارًا وَصَمَارًا . وَإِنِّي مَا أَطْرَقْتُ مِنْ كَلَامِ الرَّمَادِيِّ إِنْكَارًا عَلَيْهِ ، بَلْ رَأَيْتُ كَلَامًا يَحِلُّ عَنِ الْأَقْدَارِ الْجَالِيَةِ ، وَتَعَجَّبْتُ مِنْ تَهْدِيهِ لَهُ

[١] الإِلَ : العهد .

[٢] من أمثال العرب : « تعرب في حديد بارد » وهو مثل يغرب لمن طمع في غير مطمع .

بسرعة ، واستنباطه له على قلة من الإحسان الفامر ، ما لا يستنبطه غيره بالكثير ،
والله لو حكّمته في بيوت الأموال ، لرأيت أنها لا ترجّح ما تكلم به قلبه ذرةً ،
وإياكم أن يعود أحد منكم إلى الكلام في شخص ، قبل أن يؤخذ معه فيه ، ولا
تحكموا علينا في أوليائنا ، ولو أبصرتم منا التغير عليهم ، فإننا لا تتغير عليهم
بعضاً لهم ، وانحرافاً عنهم ، بل تأديباً وإنكاراً ، فإننا من نريد إيماده لم نُظهر له
التغير ، بل نبذنه مرة واحدة ، فإن التغير إنما يكون لمن يُراد استبقاؤه ، ولو
كنتُ مائل السمع لكل أحد منكم في صاحبه ، لتفرقتم أيدي سبّا (١) ،
وجوّنتُ أنا مجانبَةً الأُجرب ، وإنّي قد أطلعتكم على ما في ضميري ، فلا تعدلوا
عن مرّضاتي ، فجنبوا سُخطي بما جئتموه على أنفسكم .

* *

ثم أمر أن يُردّ الرمادي ، وقال له : أعِدْ عليّ كلامك ، فارتاع ، فقال :
الأمرُ على خلاف ما قدّرت ، النوابُ أولى بكلامك من العقاب ، فسكن
لثأنيسه ، وأعاد ما تكلم به .

فقال المنصور : « بلغنا أن النعمان بن المنذر حَسَا فَمَ النَّابِغَةُ بِالذُّر ، لكلام
استملحه منه ، وقد أمرنا لك بما لا يَقْصُرُ عن ذلك ، ما هو أنوّه وأحسن حادثةً ،
وكتب له بجمال وَخَلَع وموضع يعيش منه ، ثم رد رأسه إلى المتكلم في شأن
الرمادي - وقد كان يفوص في الأرض لو وجد ، لشدة ما حلّ به مما رأى وسمع -

[١] من أشاغلهم أيضاً : « دهموا أيدي ساء ، وتفرقوا أيدي ساء ، وأبأدى سبّا » ، واليد : الطريق
أي فرقتهم طرفهم التي سلكوها كما تفرق أهل ساء في مذاهب مختلفة ، صرب اللثلمهم ، لأنه للماعرق مكاسهم ،
ودعت حاسهم ، تدعوا في البلاد - انظر القصة في الجزء الأول صفحة ٣٤٥ - وقد سوا أيدي ساء ،
وأيدي ساء على الكون لكونه مركبا تركيب حصة عشر .

وقال : « وَالنَّجَبُ مِنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ : الْإِتِّعَادُ مِنَ الشُّعْرَاءِ أَوْلَى مِنَ الْإِقْتِرَابِ ، نَعَمْ ، ذَلِكَ لِمَنْ لَيْسَ لَهُ مَفَاخِرٌ ، يَرِيدُ تَحْلِيدَهَا ، وَلَا أَيَادٍ يَرْغَبُ فِي نَشْرِهَا ، فَأَيْنَ الَّذِينَ قِيلَ فِيهِمْ :

عَلَى مَكْنُئِيهِمْ وَزَقُّهُمْ مَنْ يَعْتَرِيهِمْ وَعِنْدَ الْمُقِلِّينَ السَّمَاحَةُ وَالْبَذْلُ^(١)
وَأَيْنَ الَّذِي قِيلَ فِيهِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو ذُلْفٍ بَيْنَ مَبْدَاهِ وَمُخْتَصَرِهِ
فَإِذَا وَلَّى أَبُو ذُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ^(٢)

أَمَّا كَانَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالْإِسْلَامِ أَكْرَمُ مَنْ قِيلَ فِيهِ هَذَا الْقَوْلُ ؟ بَلَى ، وَلَكِنْ مُجْتَمَعَةُ الشُّعْرَاءِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ ، أَحْيَتْ فَايِرَ ذِكْرِهِمْ ، وَخَصَّتْهُمْ بِفَاخِرِ عَصْرِهِمْ ، وَغَيْرِهِمْ لَمْ تَحْلَدْ الْأَمْدَاحُ^(٣) مَا يَزُومُ ، فَدَثَّرَ ذِكْرَهُمْ ، وَدَرَسَ نَفَرُهُمْ .

(مع الطيب ٢ : ٢٢٦)

١١ - ابن اللبانة الشاعر وعز الدولة بن المعتصم بن صمادح
لما مات المعتصم بن صمادح^(٤) ملك المَرْيَّة ركب البحر ابْنُهُ وَوَلَّى عَهْدَهُ الْوَاتِقَ عِزُّ الدَّوْلَةِ ، وَفَارَقَ الْمَلِكُ كَمَا أَوْصَاهُ وَالِدُهُ الْمُعْتَصِمُ .

[١] البيت لرهير بن أبي سلمي من قصيدة في مدح آل هرم بن سنان .

[٢] البيتان لبلّ بن حنّلة الأباري اللقب بالكوك من قصيدة قالها في مدح أبي ذؤيب الهذلي بن عيسى العجلي - وكان حواداً ممدحاً - وفيها يقول :

كل من في الأرض من عرب بين يديه إلى حصرة
مستعير منه مكرمة يكتسبها يوم مفترقة

وهذا البيتان الأحيوان أحفظا عليه الأمن ، وظله حتى طفر به ، فحلّ لسانه من قناه ، ويقال : بل حرب ولم يرل متوارباً منه حتى مات ، قال صاحب الأغاني : « وهذا هو الصحيح من أغواني ، والآخر شاذ » .
[٣] لم أجد هذا النسخ وكتب أئمة ، وإعما الذي فيها : « اللذة بالكسر والدخ والأمدوحة » .هم : ما يمدح به ، والمخج مدح كتب ومدحج وأمدحج .

[٤] هو أحد ملوك الطوائف بالأندلس ، وكان صاحب المربة « له بالأندلس على الساحل الجنوبي » ، وكان مادياً المعتد بن عاد صاحب إشبيلية ماوانا له ، وقد سعى له لدى أمير الأندلس يوسف بن زاشفين

قال أبو بكر بن اللبابة الشاعر: ما علمت حقيقة جَورِ الدهر، حتى اجتمعت
بِجَاية^(١) مع عز الدولة بن المتصم، فإنني رأيت منه خير من يُجتمع به، كأنه
لم يخلقهُ الله تعالى إلا للمُلكِ والرياسة، وإحياء الفضائل، ونظرت إلى همته تنم
من تحت مُحمّوله، كما ينم فيرند^(٢) السيف وكرمه من تحت الصدأ، مع حفظه
لفنون الأدب والتواريخ، وحسن استماعه وإسماعه ورقة طباعه، ولطافة ذهنه،
ولقد ذكرته لأحد من حبيته من الأدباء في ذلك المكان، ووصفته بهذه
الصفات، فتشوّق إلى الاجتماع به، ورغب إليّ في أن أستاذنه في ذلك، فلما
أعلمت عز الدولة قال:

« بأبا بكر، إنك لتعلم أنا اليوم في مُحمول وصيق، لا يتسع لنا معهما، ولا
يُجمل بنا الاجتماع مع أحد، لا سيما مع ذي أدب ونباهة، يلقانا بين الرحمة،
ويزورنا بمنّة التفضل في زيارتنا، ونكايد من ألفاظ توجعهِ، وألحاظ تفجعهِ،
ما يبجد لنا همّا قد بلي، ويُحْيي كمدًا قد فني، ومالنا قدرة على أن نجود عليه
بما يرضى عن همنا، قد عشنا كأننا في قبر، تدرّع لِسِهام الدهر، بدرّع الصبر،
وأما أنت فقد اختلطت بنا اختلاط اللحم بالدم، وامتزجت امتزاج الماء بالخر،
فكأننا لم نكسِف حالنا لسوانا، ولا أظهرنا ما بنا لغيرنا، فلا نحيل غيرك بحملك.»

قال ابن اللبابة: فلا والله سمى بلاعة لا تصدُر إلا عن سداد، ونفس أية
ممكنة من أنة البيان، وانصرفت متملاً:

وأبعد ما بينهما، وكان ابن عاد قد استنصر مان ماشفين لصدة طارة الإنسان، مبر بحبته من مراکش
إلى الأندلس، وأطلى ملاء حساً في قتلهم حتى دارت عليهم الدائرة و وقعت الولاقة، ثم مال على ملوك
الطوائف، ما كنتج دولهم، وداه له الأندلس. [١] بجاية: مله بالعرب على ساحل ملاد الجزائر.
[٢] حويرة.

لسان الفتى نصف، ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم
وكانت ترى من صامت لك معجب زيادته أو نقصه في التكلم^(١)
(فتح الطيب ٢ : ٢٢٨)

١٢ - دفاع ابن الفخار عن القاضي الوحيدى

بحضرة ابن تاشفين

لما تألب بنو حشون على القاضي أبى محمد عبد الله الوحيدى قاضى مالقة^(٢) ،
انبرى للدفاع عنه العالم الأصولى أبو عبد الله بن الفخار ، فقصده إلى حضرة
الإمامة « مراکش » ، وقام فى مجلس أمير المسلمين ، يوسف بن تاشفين ، وقد
غص بأربابه ، فقال :

« إله ل مقام كريم ، نبأ فيه بحمد الله على الدوام منه ، ونصلى على خيرة أنبيائه ،
محمد الهادى إلى الصراط المستقيم ، وعلى آله وصحابه نجوم الليل البهيم^(٣) ،
أما بعد ، فإننا نحمد الله الذى اصطفاك للمؤمنين أميراً ، وجعلك للدين الحنيفى
نصيراً وظهيراً ، ونفزع إليك مما دهمنا^(٤) فى حياك ، ونبت إليك ما لحقنا من
الضيم ، ونحن تحت ظل غلاك ، ويأبى الله أن يذهم من احتسى بأمر المسلمين ،
ويصاب بضمير من أدرج بحصنه الحصين ، شكوى قت بها بين يديك ، فى
حق أمرك الذى عصفه^(٥) مويده ، اتسمع منها ما تخبره برأيك وتنقذه ، وإن
قاضيتك ابن الوحيدى الذى قدمته فى مالقة للأحكام ، ورصيت بعدله فيمن بها

[١] البتل لمير بن أبى سلمى من مملقته . [٢] بلد بالأندلس على الساحل الجبولى .

[٣] الأسود . [٤] دهمه كسع ومع : غصبه .

[٥] عصفه كصفه : أصاب عصفه ، وللمراد بمؤيده مو حشون ، والى : إن بنى حشون - وكانوا
أحق بتأييد أمرك وتوطيده - قد أوهوه وأوهوه بترضهم لأحكام القاضى ، والطعن فيها ، أو معنى
عصفه : صفه ، فالمراد بمؤيده القاضى الوحيدى ، والى على ذلك ، إن القاضى القائم بأمرك يدأب على
صفه ، وتثبت دعائه ، بإنهاجه طريق الحق فى حكمه ، ولو عصف من حراء ذلك طريق من الرعية .

من الخاصة والعوام ، لم يزل يَدُلُّ على حسن اختيارك بحُسن سيرته ، وَيَرْضَى
الله تعالى وَيَرْضَى الناسَ بظاهره وسريته ، مَا عَلِمْنَا عَلَيْكَ مِنْ سُوءٍ ، وَلَا دَرَيْنَا
له موقف خِزْيٍ ، ولم يزل جارياً على مَا يَرْضَى الله تعالى ويرضيك ويرضينا ،
إلى أن تعرضت بنوحشون للطعن في أحكامه ، والهدء من أعلامه ، ولم يعلموا
أن اهتضام المقدّم ، راجع على المقدّم ، بل جَمَحُوا في لجأهم ، فَعَمُوا وَصَمُوا ،
وفعلوا وأمضوا ما به تمّوا ، وإلى السُّخْبِ رَفَعَ الكَفِّ من قد جَفَّ عنه مَسِيلُ
عين ونهر .

فَلَا سَمْعَهُ بِبَلَاغَةِ أَعْقَبَتْ نصرته ونصر صاحبه . (شع الطيب ٢ : ٢٤٠)

١٣ - موعظة ابن أبي رندقة الطرطوشي المتوفى سنة ٥٢٠ هـ

للأفضل بن أمير الجيوش

دخل ابن أبي رندقة الطرطوشي^(١) مره على الأفضل^(٢) بن أمير الجيوش
فوعظه ، وقال له :

« إن الأمر الذي أصبحت فيه من الملك ، إنما صار إليك بموت من كان
قَبْلَكَ ، وهو خارجٌ عن يدك ، بمنلٍ ماصار إليك ، فاتق الله فيما خوّلك من هذه
الأمّة ، فإن الله عزّ وجلّ سائِلُكَ عن التَّقِيرِ والقَمِطِيرِ والْفَتِيلِ^(٣) ، واعلم أن الله

[١] هو الفقيه العالم أبو بكر محمد بن الوليد بن محمد بن حلف بن سليلان بن أيوب الفهري الطرطوشي
(سهم الطاهري) ، وقد تفتح الطاء الأولى ، نسة إلى طرطوشة من بلاد الأندلس ، ويعرف بابن أبي رندقة
وكان راهباً طامداً متورحاً متقلداً من الدنيا فَوَالَاَ للحق ، رحل إلى الشرق ، ودخل سداد والصرّة ،
وسكن الشام معّة ، ودرس بها ، وكان الأفضل بن أمير الجيوش يكرهه ، فلما ولّى سده للأموّن بن الطاطحي
أكرم الطرطوشي إكراماً كثيراً ، وله أنب الشيخ « سراج الملوك » وتوفى بالاسكندرية سنة ٥٢٠ هـ .

[٢] هو الوزير الأفضل بن بدر الجمالي أمير الجيوش المشهور ، وكان أبوه بدر الجمالي حاكم عكا ، فأرسل
إليه الخليفة العاطمي المستنصر يسأله القدوم إلى مصر لإصلاح أحوالها المصطربة إذ ذاك ، فقدم إليها ، وتولى
شؤونها ، وأقام موحها ، وصارت له فيها الكلمة الناعدة ، ثم لانه الأفضل .

[٣] التقيير : القفرة التي في ظهر الواة ، والقمطير : القصرة الرقيقة التي بين اللوات والتمرة ، والفتيل :
ما يكون في شق البراة .

عز وجل آتى سليمان بن داود ملك الدنيا بخدافيرها ، فسخر له الإنس والجِن والشياطين والطير والوحوش والبهائم ، وسخر له الريح تجري بأمره رخاء^(١) حيث أصاب ، ورفع عنه حساب ذلك أجمع ، فقال عز من قائل : « هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ^(٢) أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ » ، فاعد ذلك نعمة كما عدّتموها ، ولا حسبها كرامة كما حسبتوها ، بل خاف أن يكون استدراجاً من الله عز وجل فقال : « هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي ، لِيَبْلُوَنِي^(٣) أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ » ، فافتح الباب ، وسهل الحجاب ، وانصر المظلوم . (فتح الطيب ١ : ٢٦٣)

١٤ - خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين

(المتوفى سنة ٥٣٤ هـ)

استدعى محمد بن عبد الله بن تومرت^(١) مؤسس دولة الموحدين أصحابه ، قبل موته بأيام يسيرة ، وقد أراد أن يستخلف عليهم عبد المؤمن بن علي ، فلما حضروا بين يديه قام :

[١] الرضاء : الرج القلية . [٢] أى فأعط منه من شئت . [٣] ناله : احتبزه .
[٤] هو محمد بن عبد الله بن تومرت من جبل السوس في أقصى بلاد العرب ، ولد سنة ٤٨٥ هـ ، ورحل إلى المغرب سنة ٥٠١ هـ في طلب العلم ، وانتهى إلى صمداء وقيل إنه أتى أبا حامد الغرالي ، ثم رجع إلى المغرب ، وثقت دعوته في أول الأمر في صورة أسمر المعروف ، ناه عن السكر ، فأنه بفس القوم ، وخرج هو وأصحابه إلى السوس ، وشرع في التبذرس والدخاء إلى الخير ، وما زال يستقبل القلوب حتى كثرت شيعته ، ثم حمل بذكر المهدي ويتوق إليه ، وجمع الأحاديث التي حادت فيه ، فلما قرر في موسم صيلة المهدي ، ادعى ذلك لعمه ، وتسمى بالمهدي ، ورجع إليه إلى التي صلى الله عليه وسلم وادعى إليه من سل الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ، وصرح بدعوى العصبة لنفسه ، وأنه المهدي المصوم ، وروى في ذلك أحاديث كثيرة حتى استغفر عديم أنه المهدي ، مايموه على ذلك ، ولما كانت سنة ٥١٧ هـ جهر جيشاً عظيماً - وكانت مراكن تحت إمرة المرابطين - فقال : انصدوا هؤلاء المارقين المذنبين الذين تسماوا المرابطين ، فادعوم إلى إمامة النكر ، وإحياء للمرور ، وإزالة الدع ، والإقرار بالإمام المهدي المصوم ، فإن أحباؤكم فهم إخوانكم ، لهم ما لكم وعليهم ما عليكم ، وإن لم يعملوا فقاتلهم قد أمأحت لكم السنة قتالهم ، وأمر على الجيش عبد المؤمن بن علي ، فخرجوا إلى مراكن مقيم المرابطون

فغَدَّ اللهُ وَأَثْنَى عَلَيْهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ، وَصَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، ثُمَّ
أَنْشَأَ يَرْضَى عَنْ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ ، وَيَذْكُرُ مَا كَانُوا عَلَيْهِ مِنْ
الثَّبَاتِ فِي دِينِهِمْ ، وَالْمَزِيغَةِ فِي أَمْرِهِمْ ، وَأَنْ أَحَدَهُمْ كَانَ لَا تَأْخُذُهُ فِي اللهِ لَوْمَةٌ لَأَمٍّ ،
وَذَكَرَ مِنْ حَدِّ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ابْنَهُ فِي الْحَجْرِ ، وَتَصْمِيهِ عَلَى الْحَقِّ ، فِي أَشْبَاهِ
هَذِهِ الْفُصُولِ ، ثُمَّ قَالَ :

فَانْقَرَضَتْ هَذِهِ الْفِيصَابَةُ ، نَضَّرَ اللهُ وَجُوهَهَا ، وَشَكَرَ لَهَا سَمِيحَهَا ، وَجَزَاهَا
خَيْرًا عَنْ أُمَّةٍ نَبِيَّهَا ، وَخَبَطَتِ النَّاسَ قَتْنَةُ تَرَكْتَ الْحَلِيمَ حَيْرَانَ ، وَالْعَالَمَ مُتَجَاهِلًا
مُدَاهِنًا ، فَلَمْ يَنْتَفِعِ الْعُلَمَاءُ بِعِلْمِهِمْ ، بَلْ قَصَدُوا بِهِ الْمُلُوكَ ، وَاجْتَلَبُوا بِهِ الدُّنْيَا ،
وَأَمَالُوا وَجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِمْ ، فِي أَشْبَاهِ هَذَا الْقَوْلِ ، إِلَى هَلَمْ جَرًّا .

ثُمَّ إِنْ اللهُ سُبْحَانَهُ - وَلَهُ الْحَمْدُ - مَنْ عَلَيْكُمْ - أَيُّهَا الطَّائِفَةُ - بِتَأْيِيدِهِ ،
وَخَصْمِكُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ هَذَا الْعَصْرِ بِحَقِيقَةِ تَوْحِيدِهِ ، وَفِيضٍ ^(١) لَكُمْ مِنْ ^(٢)
أَلْفَاكٍ ضَلَالًا لَا تَهْتَدُونَ ، وَغُمًّا لَا تُبْصِرُونَ ، لَا تَعْرِفُونَ مَعْرِفًا ، وَلَا تُشْكِرُونَ
مُنْكَرًا ، قَدْ فَشَتْ فِيكُمْ الْبِدْعُ ، وَاسْتَهْوَتْكُمْ الْأَبَاطِيلُ ، وَزَيَّنَ لَكُمْ الشَّيْطَانُ
أَضَالِيلَ وَتُرْتِبَاتٍ ^(٣) ، أَنْزَلَ لِسَانِي عَنِ النُّطْقِ بِهَا ، وَأَرْبَأَ ^(٤) بِلَفْظِي عَنْ

قريباً منها بجيش صحم أميرهم الربري علي بن يوسف بن تاشفين ، وهدمهم إلى ما أمرهم به ابن تومرت
فردوا عليهم أسوأ رد ، ثم ألقوا القتلى ، فاهرم أصحاب ابن تومرت وقتل منهم خلق كثير ، فلما رجع
القوم إلى ابن تومرت حبل برون عليهم أمر المهرجة ، ويقرّر في موضعهم أن قتلهم شهداء ، لأسم دابون
من دين الله ، فإرداهم ذلك نصيرة في أمرهم ، وحرصاً على لقاء عدوهم ، وحملوا يشون المارات على نواحي
مراكش وغنول ويدون ولا يقون على أحدهم من قدروا عليه ، وكثر الداحلون في طاعتهم ، ولم يزل
أصحابه طاهرين ، وأحوال المرابطيين تختل ، وانقسام دولتهم يتزايد ، إلى أن توفي ابن تومرت سنة ٥٣٤ هـ
بعد أن أسس الأمور ، وأحكم التدبير ، وقام بأمر الموحدين من بعده عبد الواس بن علي . وقد استوفى له
الأمر موت علي بن يوسف بن تاشفين ملك المرابطين سنة ٥٣٧ هـ .

[١] أتاح لكم وسبب ومياً . [٢] يهي نفسه . [٣] جمع ترعة : وهي اللامل .
[٤] ارتفع .

ذكرها ، فهذا كم الله به بعد الضلالة ، وبصركم بعد العمى ، وجمعكم بعد الفرقة ، وأعزكم بعد الذلة ، ورفع عنكم سلطان هؤلاء المارقين ^(١) ، وسوّرتم أرضهم وديارهم ، ذلك بما كسبتهم أيديهم ، وأضرته قلوبهم ، وما ربك بظلام للعبيد .
 فجددوا لله سبحانه خالص نيّاتكم ، وأزوه من الشكر قولاً وفعلًا ما يركي به سعيكم ، ويتقبل أعمالكم ، وينشر أمركم ، واحذروا الفرقة واختلاف الكلمة ، وشتات الآراء ، وكونوا يداً واحدةً على عدوكم ، فإنكم إن فلتتم ذلك ، هابكم الناس ، وأسرعوا إلى طاعتكم ، وكثروا أتباعكم ، وأظهر الله الحق على أيديكم ، وإلا تفعلوا شيعلكم الذلّ ، وعمّكم الصغار ^(٢) ، واحتقرتكم العامة ، فتخطفكم الخاصة ، وعليكم في جميع أموركم بمنزج الرأفة بالغلظة ، واللين بالصف ، واعلموا مع هذا أنه لا يصلح أمر آخر هذه الأمة ، إلا على الذي صلّح عليه أمر أولها .
 وقد اخترنا لكم رجلاً منكم ، وجعلناه أميراً عليكم ، هذا بعد أن بلّوناه ^(٣) في جميع أحواله ، من ليلة ونهاره ، ومدخله ومخرجه ، واختبرنا سريره وعلايته ، فرأيناه في ذلك كله نبّئاً ^(٤) في دينه ، متبصّراً في أمره ، وإني لأرجو أن لا يخلف الظن فيه ، وهذا المشار إليه هو : « عبد المؤمن » ، فاسمعوا له وأطيعوا ما دام سامعاً مطيعاً لرّبّه ، فإن بدّل أو نكص على عقبيه ، أو ارتاب في أمره ، ففي الموحّدين - أعزّم الله - بركة وخير كبير ، والأمر أمر الله يقلّده من شاء من عباده .

فبايع القوم عبد المؤمن ، ودعاهم ابن تومرت .

(للمعب ، في تاريخ أخبار العرب ص ١٠٨)

[١] يريد المارقين . [٢] الذلّ . [٣] اخترناه . [٤] أى ثاباً .

١٥ - مقال لسان الدين بن الخطيب (المتوفى سنة ٧٧٦ هـ)

في الحفز على الجهاد

وقال لسان الدين بن الخطيب ^(١) في الحفز على الجهاد ^(٢) .

« أيها الناس - رَحِمَكُمُ اللَّهُ تَعَالَى - :

إخوانكم المسلمون بالأندلس قد ذهَبَ العدوُّ - قَصَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - سَاحَتَهُمْ ،
ورام الكفر - خَذَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى - استَبَاحَتَهُمْ ، وَزَحَفَتِ أَحْزَابُ الطُّوَاعِمِ
إِلَيْهِمْ ، وَمَدَّ الصَّلِيبُ ذِرَاعَيْهِ عَلَيْهِمْ ، وَأَيْدِيكُمْ - بِيْزَةُ اللَّهِ تَعَالَى - أَقْوَى ، وَأَتَمُّ
الْمُؤْمِنُونَ أَهْلُ الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ، وَهُوَ دِينُكُمْ فَانْصُرُوهُ ، وَجِوَارُكُمْ الْقَرِيبُ فَلَا
تُخْفَرُوهُ ^(٣) ، وَسَبِيلُ الرِّشْدِ قَدْ وَضَحَ فَلْتَبْصُرُوهُ ، الْجِهَادُ الْجِهَادُ فَقَدْ تَعَيَّنَ ،
الْجَارُ الْجَارُ فَقَدْ قَرَّرَ الشَّرْعُ حَقَّهُ وَبَيَّنَّ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْإِسْلَامِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي أُمَّةِ
مُحَمَّدٍ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي الْمَسَاجِدِ الْمَعْمُورَةِ بِذِكْرِ اللَّهِ ، اللَّهُ اللَّهُ فِي
وَطْنِ الْجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ، قَدْ امْتَنَعَتْ بِكُمْ الدِّينَ فَأَغْيِثُوهُ ، قَدْ تَأَكَّدَ عَهْدُ اللَّهِ

[١] هو لسان الدين محمد بن عبد الله بن سعيد المشهور بابن الخطيب حاشية أديب الأندلس ، ولد بمرناطة سنة ٧١٣ ، وكان أول أمره في عداد كتاب السلطان أبي الحجاج يوسف أحد ملوك بني الأحمر ، ثم أصفاه وحمله وورثه ، وفوض إليه شئون مملكته ، ولما مات أبو الحجاج ، وحلقه الله عهد أقره على الوزارة ، ثم وثب إسماعيل أخو السلطان على ملكه ، فاضطر أن يبادره إلى المغرب مع وزيره لسان الدين ، فلما تحسنت الأحوال عاد عهد إلى ملكه ، وبقي مدة كتب له فيها ابن رزمك أحد تلاميذ لسان الدين ، ثم عاد لسان الدين إلى مرابطة ، وحل مكانه من سلطانه ، فألب ذلك ناز الحسد في ابن رزمك وأبصاره ، فسعوا به إليه حتى أصطوبه عليه ، فهرب إلى المغرب - وكان في حوزة بني مرين - وهم من البربر . حكموا المغرب بعد اللوحدين من سنة ٦٦٨ إلى سنة ٨٩٠ هـ - فأكرمه سلطان المغرب عبد العزيز ، وحاطب ابن الأحمر في أهله وولده ، فشمه إليه إلى أن مات (عبد العزيز) ، وثار أحد أمراء بني مرين على ابن عبد العزيز ، وساعده ملك بني الأحمر بشرط سلبه ابن الخطيب ، وتم له أمره ، وقص عليه ، وسعى ببأس ، وبوطر في كلمات له في كتابه « المحبة » وأثنى الفقهاء قتله ، فدفن عليه من حقه في سنة ٧٧٦ هـ .

[٢] وكان سلطانه محمد بن أبي الحجاج أسعره إلى ملوك بني مرين يستنجدهم على الإسبان .

[٣] أحمره : عدو به وضع عهده .

وحاشاكم أن تتكثروه ، أعينوا إخوانكم بما أمكن من الإعانة ، أعانكم الله تعالى عند الشدائد ، جددوا عوائد الخير ، يصل الله تعالى لكم جميل العوائد ، صلوا رحم الكلمة ^(١) ، واسئروا بأنفسكم وأموالكم تلك الطوائف المسلمة ، كتاب الله بين أيديكم ، وألست الآيات تُناديكم ، وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قائمة فيكم ، والله سبحانه يقول فيه : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ » ، ومما صح عنه قوله : « مَنْ أُغْبِرَتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ حَرَّمَهَا اللَّهُ عَلَى النَّارِ » ، « لَا يَجْتَمِعُ عُبَارٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَذُخَانُ جَهَنَّمَ » ، « مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَدْ غَرَا » ، أدركوا رمق الدين قبل أن يفوت ، بادروا عليل الإسلام قبل أن يموت ، احفظوا وجوهكم مع الله تعالى يوم يسألكم عن عبادته ، جاهدوا في الله بالأسن والأقوال حق جهاده :

ماذا يكون جوابكم لنبيكم وطريق هذا المذر غير ممهد
إن قال : لم قرأتموه في أممي وتركتموه للعدو المتدي ؟
تالله لو أن العقوبة لم تخف لكني الحيا من وجه داله السيد

اللهم اعطف علينا قلوب العباد ، اللهم بئ لنا الحية في البلاد ، اللهم دافع عن الحريم والضعيف والأولاد ، اللهم انصرنا على أعدائك ، بأحبائك وأوليائك ، يا خير الناصرين ، اللهم أفرغ علينا صبراً ، وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .
(مع الطيب : ٤ : ٣)

١٦ - ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني
وخاطب لسان الدين بن الخطيب تربة السلطان الكبير أبي الحسن المريني
لما قصد لها عَقِبَ ما شرع في جواره ، فقال :

« السلام عليك ثم السلام ، أيها المَوْلَى الهُمَامُ ، الذي عرف فضله الإسلامُ ،
وأوجبتْ حقَّه العلماءُ الأعلامُ ، وَخَفَقَتْ بِعِزِّ نصره الأعلامُ ، وتنافست في
إنقاذ أمره ونبيه السيوفُ والأقلامُ ، السلام عليك أيها المَوْلَى الذي قَسَمَ زمانه
بين حُكْمٍ فَضْلٍ ، وإمضاء نَصْلٍ ، وإحراز خَصْلٍ ^(١) ، وعبادة قامت من اليقين
على أصلٍ ، السلام عليك يا مقررَ الصدقاتِ الجارية ، ومُشْبِعَ البطونِ الجامعة ،
وكاظمِ الظهورِ العارية ، وقادِحِ زنادِ العزائمِ الوارية ، ومكْتَبِ الكتائبِ النازية ،
في سبيلِ الله تعالى والسَّرايا ^(٢) السارية ، السلام عليك يا حُجَّةَ الصبرِ والتسليم ،
ومتلقًى أمرِ الله تعالى بالخلقِ الموصي والقلبِ السليم ، ومفوضِ الأمرِ في الشدائدِ
إلى السميعِ العليم ، ومُعْجِلِ البَنااتِ الطاهرِ في اكتتابِ الذِكرِ الحَكِيمِ ، كَرَّمَ
اللهُ تعالى تَرْبَتَكَ وَقَدَسَمَهَا ، وطَيَّبَ رُوحَكَ الزَكِيَّةَ وَأَنَسَهَا ، فلقد كنت للدهرِ
جَمَّالاً ، وللإسلامِ ثَمَّالاً ^(٣) ، وللمستجيرِ مُجِيراً ، وللمظلومِ وليّاً ونصيراً ، لقد كنت
للمحاربِ صَدْرًا ، وفي المواقبِ بَذْرًا ، وللمواهبِ مَجْرًا ، وعلى العبادِ والبلادِ
ظِلًّا ظليلاً وَسِتْرًا ، لقد فَرَعْتَ ^(٤) أعلامُ عِزِّكَ الثنايا ، وأجَزْتَ هَمُّكَ للملوكِ
الأرضِ الهدايا ، كأنك لم تَعْرِضِ الجنودَ ، ولم تَنشُرِ البُنودَ ^(٥) ، ولم تَبْسُطِ العدلَ

[١] الحاصل : العلة في الصال . [٢] السرايا جمع سرية وهي من حصة أفضى إلى ثلثائة
أو أربعمائة . [٣] الجمال : البياض الذي يقوم بأمر قومه .
[٤] فرعت : مات ، والثنايا : جمع نثية كهدية ، وهي النخلة ، أو الجبل ، أو الطرفة فيه .
[٥] البود جمع بدكشس : وهو العلم الكبير .

المحدود ، ولم تُوجد الجود ، ولم تَزِن الرِّكْع السُّجُود ، فتوسَّدت الثرى ، وأطلتَ
الكَرَى ، وشربت الكأس التي يشربها الورى ، وأصبحت ضارِع ^(١) الخد ،
كليل الخد ، سالِكَ سَنَن الأب والجد ، لم تَجِدْ بعد انصرام أجلك ، إلا صالح
عملك ، ولا صَحِبتَ لقبرك ، إلا رابِعَ تجرُّك ^(٢) ، وما أسلفت من رضاك وصبرك ،
فنسأل الله تعالى أن يؤنس اغترابك ، ويحود بسحاب الرحمة تُرابك ، وينفعك
بصدق اليقين ، ويملكك من الأئمة المتقين ، وَيُعْلِي درجتَكَ في عَلِيَّين ^(٣) ،
ويملكك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين .

وَلِيَهِّنِكَ أَنْ صَيَّرَ اللهُ تعالى مَلَكَكَ مِنْ بَعْدِكَ ، إِلَى نَيْرِ سَعْدِكَ ، وَبَارِقِ
رَعْدِكَ ، وَمُنْجَزِ وَعْدِكَ ، أَرْضَى وَلَدِكَ ، وَرَيْحَانَةَ خَلْدِكَ ^(٤) ، وَشِرْقَةَ ^(٥) نَفْسِكَ ،
وَالْمَرَّحَةَ الْمُبَارَكَةَ مِنْ عَرْسِكَ ، وَنُورَ شَمْسِكَ ، وَوَصَلَ عَمَلِكَ الْبَرَّ إِلَى رَمْسِكَ ،
فقد ظهر عليه أثر دعواتك ، في خَلَوَاتِكَ ، وَأَعْقَابِ صَلَوَاتِكَ ، فَكَلِمَتُكَ وَالْمِنَّةُ لله
تعالى باقية ، وَحَسَنَتُكَ إِلَى محلِّ الْفُؤُولِ راقية ، يَرْعَى بِكَ الوَسيلة ، وَيَتِمُّ مَقاصِدَكَ
الجليلة ، أَعَانَهُ اللهُ تعالى بِرِكَرِ رضاك على مَا قَلَّدَهُ ، وَعَمَرَ بِتَقْوَاهُ يَوْمَهُ وَغَدَهُ ،
وَأَبْعَدَ فِي السَّعْدِ أَمَدَهُ ، وَأَطْلَقَ بِالْخَيْرِ يَدَهُ ، وَجَمَلَ الْمَلَائِكَةَ أَنْصَارَهُ وَالْأَقْدَارَ عُدَدَهُ .

وَإِنِّي أَيُّهَا الْمَوْلَى الْكَرِيمُ ، الْبَرُّ الرَّحِيمُ ، لَمَّا اشْتَرَانِي ، وَرَاشَنِي ^(٦) وَبَرَّانِي ،
وَتَعَبَّدَنِي بِإِحْسَانِهِ ، وَاسْتَعْمَلَ فِي اسْتِخْلَاصِي خَطَّ بَنَانِهِ ، وَوَصِيَّةَ لِسَانِهِ ، لَمْ أَجِدْ
مُكَافَأَةً إِلَّا التَّقَرُّبَ إِلَيْكَ وَإِلَيْهِ بِرِثَائِكَ ، وَإِعْرَاءَ لِسَانِي بِتَخْلِيدِ عَلَيَّانِكَ ، وَتَعْفِيرِ

[١] ذاك . [٢] تمر نحرًا ونحرًا .

[٣] اسم لأعلى الجنة ، أو هو كتاب جامع لأعمال الخير . [٤] الخد : العنق والقلب .

[٥] الشقة : نصف الشيء إذا شق ، والرحمة : الشجرة الطيبة .

[٦] رَأَى السهم : أَرَقَّ عَلَيْهِ الرِّيش ، وَرَأَى الصَّدِيقُ : أَطْلَعَهُ وَفَقَّاهُ وَكَأَنَّ وَأَصْلَحَ حَالَهُ .

الْوَجَنَةُ فِي حَرَمِكَ ، وَالْإِشَادَةُ بَعْدَ الْمَمَاتِ بِمَجْدِكَ وَكَرَمِكَ ، فَفَتَحْتَ الْبَابَ فِي هَذَا الْفَرَضِ ، إِلَى الْقِيَامِ بِحَقِّكَ الْمَفْتَرَضِ ، الَّذِي لَوْلَاهُ لَاتَّصَلَّتِ النِّفْلَةُ عَنْ أَدَائِهِ وَتَمَادَّتْ ، فَحَايَسَتْ الْأَلْسُنُ وَلَا كَادَتْ ، مُتَحَيِّزًا بِالسَّبْقِ ، إِلَى أَدَاءِ هَذَا الْحَقِّ ، بِإِثْنَاءِ زِيَارَةِ قَبْرِكَ الَّذِي هُوَ رَحْلَةُ الْغَرْبِ ، مَا نَوَيْتَهُ مِنْ رَحْلَةِ الشَّرْقِ ، وَمَا أَعْرَضْتَ عَنْهُ فَأَقَطَعَهُ أَثَرُ مَوَاقِعِ الْاسْتَحْصَانِ ، وَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ الشُّكْرِ وَالتَّنْوِيهِ وَالْإِحْسَانِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ يَجْعَلُهُ عَمَلًا مَقْبُولًا ، وَيُلْغِي فِيهِ مِنَ الْقَبُولِ مَأْمُولًا ، وَيَنْفَعُ مَنْ ضَاجَعَتْهُ مِنْ سَلَفِكَ الْكِرَامِ بِالْمَغْفِرَةِ الصَّيِّبَةِ ، وَالتَّحِيَّاتِ الطَّيِّبَةِ ، خَفَعَهُ الْمُلُوكُ الْكِبَارُ ، وَخَلَفَاءُ الْأَبْرَارِ ، وَالْأَعْمَةُ الْأَخْيَارِ ، الَّذِينَ كَرُمَتْ مِنْهُمْ السَّيَرُ وَحَسُنَتْ الْأَخْبَارُ ، وَسَعِدَ بِعَمَلِهِمُ الْجِهَادِيَةُ الْمُؤْمِنُونَ وَشَقِيَ الْكَفَّارُ ، وَصَلَوَاتُ اللَّهِ تَعَالَى عَزَّوَجَلَّ عَلَى الرَّسُولِ الَّذِي اصْطَفَاهُ وَاخْتَارَهُ فَهُوَ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارُ ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الَّذِينَ هُمُ السَّادَةُ الْأَبْرَارُ ، وَسَلَامٌ تَسْلِيمًا . (سح الطيب ٤ : ١٣٥)

١٧ - وصية لسان الدين بن الخطيب لأولاده

« الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَرْوَعُهُ الْحِمَامُ الْمَرْقُوبُ ، إِذَا شِيعَ ^(١) نَجْمُهُ الْمُتَقُوبُ ، وَلَا يَبْغَتْهُ الْأَجَلُ الْمَكْتُوبُ ، وَلَا يَفْجُوهُ الْفِرَاقُ الْمَعْتُوبُ ، مَثَلُهُمُ الْهُدَى الَّذِي تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ ، وَمَوْصَحُ السَّبِيلِ الْمَطْلُوبُ ، وَجَاعِلُ النَّصِيحَةِ الصَّرِيحَةِ مِنْ قِسْمِ الْوُجُوبِ ، لَا مِثْلًا لِلْأَوَّلِيِّ الْمَحْبُوبِ ، وَالْوَلَدِ الْمَنْسُوبِ ، الْقَائِلِ فِي الْكِتَابِ الْمُعْجِزِ الْأَسْلُوبِ : « أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ ^(٢) » ، « وَوَصَّى بِهَا

[١] من شام الرق : طر إليه أين يقصد ، وابن عبطر . [٢] وتعام الآية الكريمة : « إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي قَالُوا مَا تَعْبُدُ إِلَّا إِلَهَكَ وَإِلَهُ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًُا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ » .

إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ^(١) ، والصلاة والسلام على سيدنا ومولانا محمد رسوله ،
أكرم من زُرْتُ على نوره جُيُوبُ العيوب ، وأشرف من خُلِمَتْ عليه خُلُلُ
المهابة والمِصْمة ، فلا تَقْتَحِمْ^(٢) العيونُ ، ولا تَصِمْهُ العيوبُ ، والرضا عن آله
وأصحابه الثابرين على لسان^(٣) الاستقامة بالهوى المفلوب ، والأمل المسلوب ،
والاقتداء الموصل المرغوب ، والمز والأمن من اللُغوب^(٤) ، وبعد : فإنني لما
علا في المشيب بَقِيَّتِهِ^(٥) ، وقادني الكِبَرُ بِرُمَّتِهِ^(٦) ، وأد كَرْتُ الشباب بعد
أُمْتِهِ^(٧) ، أسِفْتُ لِمَا أَضَعْتُ ، وَتَدِمْتُ بعد الفِطام على ما رَضَعْتُ ، وتأكد
وجوب نصحي لمن لَزِمَنِي رَعِيَّتُهُ ، وتعلق ببيني سَمِيَّتُهُ ، وأملت أن تتعدى إلى
ثمره استقامته وأنا رهين قِوَات ، وفي بَرْزَخِ أموات ، ويأمن العثور في الطريق
التي اقتضت عِثَارِي ، إن سلك - وعسى ألا يكون ذلك - على آثاري ، فقلت
أخاضب الثلاثة الولد ، وثمرات الخلد^(٨) بعد الضراعة إلى الله تعالى في توفيقهم ،
وإيضاح طريقهم ، وَجَمَعَ تفريقهم ، وَأَنْ يَمُنَّ على منهم بحسن الخلف ،
والتأني من قَبْلِ التَلَف ، وأن يرزق خَلْفَهُم التمسك بهدى السلف ، فهو وليّ
ذلك ، والهادي إلى خير المسالك : اعلموا هذا كم الله تعالى الذي بأنواره تهتدي

[١] وعام آية انكرية : « إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ ، قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ، وَوَصَّى بِهَا
إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ » .

[٢] تردده وتحقره ، ووصفه : ماه . [٣] اللسان : الرسالة .

[٤] اللعوب : أشد الإعياء . [٥] البية . أكل كل شيء .

[٦] الزمة بالمم وكبر : قطعة من حل .

[٧] الأمة ها : الحبيب ، اقتسمه . قوله تعالى : « وَقَالَ الَّذِي نَحَا مِنْهَا وَأَدَّكَرَ نَعْدَ أُمْتِهِ » .

[٨] الخلد : الثلب والعس .

الضلال ، ویرِضاه تُزَفِّع الأغلال ، وبالتماس قُرْبِه يحصل الكمال ، إذا ذهب المال ، وأخْلَقَتِ الآمال ، وتَبَرَّأت من يمينها الشمال ، أتى مُودِّعكم وإن سَأَلْنِي الرَّذَى ، وَمُفَارِقُكُمْ وإن طال المَدَى ، وما عَدَا بِمَا بدا ، فكيف وأدواتُ السَّفَرِ تُجْمَع ، ومنادى الرحيل يُسْمَع ، ولا أَقْلٌ للحبيب المودِّع ، من وصية مُحَنِّصٍ ، ومُجَالَّةٍ مقتَصِرٍ ، وَرَتِيمةٌ ^(١) تُعْقَدُ في خِنَصِرٍ ، ونصيحةٌ تكونُ نَسِيْدَةً ^(٢) وإِيجٌ مُبْصِرٍ ، تتكفل لكم بحسن العواقب من بعدى ، وتوضِّح لكم من الشفقة والحنو قَصْدِي ، حسبما تَضُنُّنَّ وَعَدُّ الله من قبل وَعْدِي ، فهى أَرْبُكُمْ الذى لا يَتَغَيَّرُ وَفْقُهُ ، ولا يَنَالُكم المَكْرُوهُ ما رَفَّ عَلَيْكم سَقْفُهُ ، وكَأَنِّي بِشبابكم قد شاخ ، وَبِرِجالِكُم قد أَنَاخ ، وبِنَاشِطِكُم قد كَمِلَ ، واستبدل الصَّابَ ^(٣) من الَفَسَلِ ، ونُصُولُ ^(٤) الشَّيْبِ تَرَوُّعَ بَاسِلٍ ، لا بل السَّامَ ^(٥) من كل حَدَبٍ قد نَسَلٍ ، والمَعَادُ اللُّعْدُ ولا تَسَلٍ ، فبالأَمْسِ كُنتم فِرَاحَ حِجْرٍ ^(٦) ، واليوم أبناءُ عسْكَرٍ يَحْجُرُ ، وغداً شيوخُ مَضِيْعَةٍ وَهَجْرٍ ، والقبورُ فَاغِرَةٌ ^(٧) ، والنفوس عن المآلوفات صاغِرَةٌ ، والدنيا بأهلها ساخرَةٌ ، والأولى نَعَقُيبُهَا الآخِرَةُ ، والحازم من لم يُتَعَطَّ به فى أمرٍ ، وقال : « يَدِي لا يَدِيدُ عَمْرُو » ^(٨) ، فاقنوها من وَصِيَّةٍ ،

[١] الرتية : حيط يقد في الإصبع للتدكير .

[٢] العاب : هضبة شحر م . [٣] العول جمع صل : وهو حديدة الرمح والسيف ، والأسل . الرماح . [٤] السام : الموت ، والحدب : ما ارتفع من الأرض ، وسل كعرب : أسرع والمعاد : الرجح . [٥] أى كالعراج فى حجر أمها وحضنها ، والجبر : الكبر . كل شيء ، وحيش عمر . كثير جدا . [٦] أى فائمة أرواحها للوئى .

[٧] هو مثل قالته الرباء ملكة الحريرة ، وذلك أنها كانت دعت حديفة الأبرش ملك ما على شاطئ الدرات إلى رواحها ، فلما اسقرَّ عندها فتلت تَأَرَّا بأبها - وكان حديفة قد قتله - فاحتال مولاة قصير للثأر منها ، فخدع أمه وأثر آثاراً لظهوره ، ثم حرح إلى الرباء ، وأطهر أن عمرو بن هدى - ابن أحب حديفة - فعل ذلك به ، وأب زعم أنه مكر بحاله حديفة وعمره من الرباء ، فلما استرسلت إليه ووقت به ، رين لها

وَرَامَ^(١) فِي النِّصْحِ قَصِيَّةً ، وَخُصُّوا بِهَا أَوْلَادَكُمْ إِذَا عَقَلُوا ، لِيَجِدُوا زَادَهَا إِذَا
 اتَّقَلُوا ، وَحَسْبِي وَحَسْبُكُمْ اللَّهُ الَّذِي لَمْ يَخْلُقِ الْخَلْقَ هَمَلًا ، وَلَكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَهْلَهُمْ
 أَحْسَنُ هَمَلًا ، وَلَا رِضَى الدُّنْيَا مِنْزِلًا ، وَلَا لَطْفَ بَنٍ أَصْبَحَ عَنْ فِتْنَةِ الْخَيْرِ مُنْعَزِلًا ،
 وَلِتُلَقِّنُوا تَلْقِينًا ، وَتَعَلَّمُوا عِلْمًا يَقِينًا ، أَنْتُمْ لَنْ تَجِدُوا بَعْدَ أَنْ أَنْفَرَدَ بِذَنْبِي ،
 وَيَفْتَرِشَ التُّرَابَ جَنْبِي ، وَيَسُحَّ النِّسَابِي ، وَتَهْوِلَ عَنِ الْمَصْلَى رِكَابِي ، أَخْرَصَ
 مِنِّي عَلَى سَعَادَةِ إِلَيْكُمْ تَجَلَّبَ ، أَوْ غَايَةِ كَمَالِ بَسْبِكُمْ ثُرَادًا وَتُطَلَّبَ ، حَتَّى لَا يَكُونَ
 فِي الدِّينِ وَالْدُّنْيَا أَوْزَفُ^(٢) مِنْكُمْ غِلًّا ، وَلَا أَنْسَرَفَ هَمَلًا ، وَلَا أَعْبَطَ نَهَلًا^(٣) وَعَلَا^(٤) ،
 وَأَقْلَ مَا يَوْجِبُ ذَلِكَ عَلَيْكُمْ أَنْ تُصَيِّحُوا^(٥) إِلَى دَوْلِ الْآذَانِ ، وَتَسْتَاهِبُوا صُبْحَ
 نُصْحِي فَقَدْ بَانَ . وَسَأُعِيدُ عَلَيْكُمْ وَصِيَّةَ لُقْمَانَ ، أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ :
 « وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ ، إِنَّ الشِّرْكَ أَظْلَمُ
 عَظِيمٌ » - « يَا بُنَيَّ أَقِمِ الصَّلَاةَ وَآمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ
 عَلَى مَا أَصَابَكَ ، إِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ » - وَلَا تُصَعِّرْ^(٦) خَذْلَكَ لِلنَّاسِ وَلَا

أَنْ تَمْتَحِنَ إِلَى الْعِرَاقِ لِيَحْمِلَ إِلَيْهَا مِنْ مَارَاتِهَا وَثِيَابَهَا وَطَبِخَهَا ، وَأَبَا سَتَصِيبُ فِي ذَلِكَ أَرْبَاعًا عِظَامًا ، فَأَدَّتْ
 لَهُ وَفَدَمَ الْعِرَاقَ ، وَأَتَى الْحَيْرَةَ مُتَكِرًّا ، وَرَوَّدَهُ عَمْرُو بِحُجُوفِ الْوَأَمْتَةِ ، وَرَجَعَ إِلَى الرِّبَا ، فَتَحَبَّهَا
 مَا رَأَتْ وَسَرَّهَا ، وَارْدَادَتْ بِهِ ثَقَّةً وَجَهْرَتَهُ ثَابِتَةً ، صَارَ حَتَّى قَدَمُ عَنِي عَمْرُو مَجْهَزَةً وَعَدَّ نَهْجًا ، ثُمَّ عَادَ
 الثَّلَاثَةَ وَجَمَعَ ثَقَاتَ مِنْ رِجَالِ عَمْرُو ، وَجَلَّهْمُ فِي الْعِرَاقِ عَلَى الْجَمَلِ ، وَسَارَ إِلَى الرِّبَا ، وَدَخَلَتْ الْإِيْلُ الدَّبِيَّةُ
 - وَكَانَتْ الرِّبَا قَدْ حَدَثَتْ مَعْرَأً ، وَاتَّخَذَتْ سَبْقًا إِلَى حِصْنِهَا فِي دَخَلِ مَدِينَتِهَا ، وَفَاتَتْ : يَنْ خَلْفِي أَمْرُ
 دَخَلَتْ السَّقَّ إِلَى حِصْنِي - وَدَلَّتْ قَصِيرَ عَمْرَأَ عَلَى بَابِ السَّقَّ ، فَلَمَّا حَرَحَتْ لِرِجَالِ مِنَ الْعِرَاقِ صَاحِبًا بِأَهْلِ
 الدَّبِيَّةِ وَوَصَّوهُمُ بِهِمُ السَّلَاحَ ، وَفَاءَ عَمْرُو عَلَى بَابِ السَّقَّ ، وَأَمَلَتْ الرِّبَا تَرِيدُ السَّقَّ ، فَأَصْرَتْ عَمْرَأَ صَرَفَتْ
 بِالْصُّورَةِ الَّتِي صَوَّرَتْ لَهَا - فَصَبَّتْ حَامَتُهَا وَكَانَ فِيهِ السَّمُّ ، وَقُلْتُ : « بَيْدِي لِابْنِ عَمْرُو » فَدَسَّ سِتْلًا ،
 وَتَقَالَّهَا عَمْرُو خَلْفَهَا بِالسَّيْفِ وَقَتَلَهَا ، وَأَصَابَ مَا أَصَابَ مِنَ الدَّبِيَّةِ وَخَلْفَهَا ، وَكَأَنَّهَا رَاحِلَةٌ إِلَى الْعِرَاقِ .

[١] مَرَامٌ . جَمْعُ مَرَمٍ ، وَفَصِيحَةٌ : مَبْدَأٌ .

[٢] وَرَبُّ الظِّلِّ : اتَّسَعَ وَطَأَ وَامْتَدَّ . [٣] الْهَلْ : انْتَشَرَتِ الْأَوَّلُ ، وَالْعَلَى وَالْعَلَى : انْتَشَرَتْ
 الثَّانِي أَوْ انْتَشَرَتْ بَعْدَ انْتِشَارِهَا [٤] أَصْحَاحَ لَهُ : اسْتَعَانَ . [٥] صَدْرُ خَذَلِهِ : أَمَالُهُ كَبِيرًا

تَفْشِي فِي الْأَرْضِ مَرَحًا، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خُنَّالٍ خَفُورٍ، وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ،
وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ، إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ » ، وأُعيد وصية
خليل الله وإسرائيل ، حُكْمُ^(١) مَا تَصْنَعُونَ حُكْمُ تَنْزِيلِهِ : « يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ أَصْطَفَى
لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُوا إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ » والدين الذي ارتضاه واصطفاه ،
وأكمله ووفاه ، وقرره مصطفاه ، من قبل أن يتوفاه ، إذا أُنْهِمِلَ فيه انتقاد ،
فهو عمل واعتقاد ، وكلاهما مُقَرَّرٌ ، ومستمدٌّ من عقل أو نقل محرر ، والعقل
متقدِّمٌ ، وبناءؤه مع رَفَضِ أَخِيهِ مُتَهَدِّمٌ ، فالله واحد أحد ، فَرَدَّ صَدَّ^(٢) ،
ليس له والد ولا ولد ، نَزَّهَ عَنِ الزَّمَانِ وَالْمَكَانِ ، وَسَبَقَ وجودُهُ وجودَ الْأَكْوَانِ ،
خَالِقُ الْخَلْقِ وَمَا يَعْمَلُونَ ، الذي لَا يُسْأَلُ عَنْ شَيْءٍ ، وَمُؤَسَّلُونَ ، الْحَيُّ الْعَلِيمُ الْمُدَبِّرُ
الْقَدِيرُ ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ، أَرْسَلَ الرِّسْلَ رَحْمَةً لِنَدْعُو النَّاسَ
إِلَى النِّجَاحِ مِنَ الشَّقَاءِ ، وَتَوَجَّهَ الْحُجَّةُ فِي مَصِيرِهِمْ إِلَى دَارِ الْبَقَاءِ ، مُؤَيَّدَةً بِالْمُعْجَزَاتِ
الَّتِي لَا تُصِفُ أَنْوَارُهَا بِالْإِخْتِفَاءِ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَى تَوَاتُرِهَا دَعْوَى الْإِتْفَاءِ ، ثُمَّ
خَتَمَ دِيْوَانَهُمْ بِبَنِيِّ مِلَّتِنَا الْمَرْعِيَةِ الْهَمَلِ ، الشَّاهِدَةِ عَلَى الْمَلَلِ ، فَتَلَخَّصَتْ الطَّاعَةُ ،
وَتَعَيَّدَتِ الْأَمْرَةَ الطَّاعَةَ ، وَلَمْ يَبْقَ بَعْدَهُ إِلَّا ارْتِقَابُ السَّاعَةِ ، ثُمَّ إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَبَضَهُ
إِذْ كَانَ بَشَرًا ، وَتَرَكَ دِينَهُ يَضُمُّ مِنَ الْأُمَّةِ نَشْرًا^(٣) ، فَنَ بَيْعُهُ لِحَقِّ بِهِ ، وَمَنْ تَرَكَ
نُوطَ^(٤) عَنْهُ فِي مَنْسَبِهِ ، وَكَانَتْ نَجَاتُهُ عَلَى قَدَرِ سَبَبِهِ ، رُؤِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ
وَالسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ : « تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَمْسَكْتُمْ بِهِ لَمْ تَضِلُّوا بَعْدِي ، كَتَابَ اللَّهِ
وَسُنِّي » ، فَمَضَوْا عَلَيْهِمَا بِالنَّوَاجِدِ^(٥) .

[١] لإسرائيل : يعقوب عليه السلام ، والحكم : الحكمة ، وهو دليل من وصية .

[٢] الصمد : السيد ، لأنه يصمد أي يقصد في قضاء الحاجات . [٣] النضر : المنع ، ومنه :

« اللَّهُمَّ اصْنَعْ لِي » . [٤] أي أمدعه وطرده ، يقال ناطت الدار : أي مدت .

[٥] أَهْوَى الْأُمْرَاسِ .

فاعملوا يَا بَنِي بَصِيَّةٍ من ناصح جاهد ، وَمُشْفِقٍ شَفِيقٍ والد ، واستشعروا حُبَّه الذي توافرت دواعيه ، وَعُوا مَرَّاشِدَ هَدْيِهِ ، فَيَا فَوْزَ وَاعِيهِ ! وَصَلُوا السَّبَبَ بسببه ، وَآمَنُوا بِكُلِّ مَا جَاءَ بِهِ ، مُجْتَمِلًا أَوْ مُفَصَّلًا عَلَى حَسَبِهِ ، وَأَوْجِبُوا التَّجَلَّةَ لِمَصْحَبِهِ ، الَّذِينَ اخْتَارَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى لِمَصْحَبِهِ ، واجعلوا محبتكم إِيَّاهُمْ من تَوَابِعِ محبته ، واشملوهم بالتوقير ، وَفَضَّلُوا مِنْهُمْ أُولَى الْفَضْلِ الشَّهِير ، وتبرءوا من المصيبة التي لم يَدْعُكُمْ إِلَيْهَا دَاعٍ ، وَلَا تَعْرِ التَّشَاوُرَ بَيْنَهُمْ أَذُنُ وَاعٍ ، فهو عنوان السَّدَاد ، وعلامة سلامة الاعتقاد ، ثم اسحبوا فضل تمظيمهم على فقهاء المِلَّةِ ، وَأَعْتَمُوا الْحِلَّةَ ^(١) ، فهم صَقَلَةُ نُصُوحِهِمْ ، وفروعُ ناشئة من أصولهم ، وَوَرَثَتِهِمْ وورثة رسولهم ، واعلموا أَنِّي قَطَعْتُ فِي الْبَحْثِ زَمَانِي ، وجعلتُ النَظْرَ شَانِي ، منذ براني الله تَعَالَى وَأَنْشَانِي ، مع ثُبُل ^(٢) يَعرِفُ بِهِ الشَانِي ، وإِدْرَاكِ يَسْلَمُهُ الْعَقْلُ الْإِسْأَنِي ، فلم أَجد خَائِطَ وَرَقٍ ، وَلَا مُصَبِّبَ عَرَقٍ ، وَلَا نَارِعَ خِطَامٍ ، وَلَا مُتَكَلِّفَ فِطَامٍ ، وَلَا مُقْتَحِمَ بَحْرِ طَامٍ ، إِلَّا وَغَايَتُهُ التي يَقْصِدُهَا قَدْ نَفَضْتُهَا الشَّرِيعَةُ وَسَبَقَهَا ، وَفَرَعَتْ ^(٣) نَبْتَهَا وَارْتَفَعَتْهَا ، فعليكم بِالْإِزَامِ جَادَّتْهَا ^(٤) السَّالِبَةُ ، ومصاحبة رَفَقَتْهَا الْكَامِلَةُ ، والاهتداء بِأَقْمَارِهَا غَيْرِ الْآفَلَةِ ، والله تَعَالَى يَقُولُ . وهو أَصْدَقُ الْقَائِلِينَ : « وَمَنْ يَنْتَهِرْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ » ، وقد غَلَّتْ شَرَائِعُهُ . وراعِ الشُّكُوكَ رَائِعُهُ ، فلا تَسْأَلُكُمْ الدُّنْيَا عَنِ الدِّينِ ، وَابْذُلُوا دُونَهُ النُّفُوسَ فِعْلُ الْمُهْتَدِينَ ، فلنْ يَنْفَعَ مَتَاعُ بَعْدِ الْخُلُودِ فِي النَّارِ أَبَدَ الْآبِدِينَ ، وَلَا يَضُرُّ مَفْقُودُ مَعَ الْفَوْزِ بِالسَّعَادَةِ وَاللَّهُ أَصْدَقُ الْوَاعِدِينَ .

[١] جمع حليل . [٢] الل : الذكاء والعبارة ، والثاني : المعنى .

[٣] مرحة : علاه ، والنبية : الفقة ، أو الخلل أو الطريقة فيه أو يايه .

[٤] المجادة : الطريق الواضح ، والسالطة من الطرق . للسوكة .

ومتاع الحياة الدنيا أَحْسَنُ مَا وَرِثَ الأولاد عن الوالدين ، اللهم قد بَلَغْتُ فانت
خير الشاهدين ، فاحذَرُوا المَعَاظِبَ الَّتِي توجب في الشقاء الخلود ، وتستدعي
شَوَّةَ الوجوه وَتُضَيِّجُ الجلود ، واستعينوا برضا الله من سُخْطِهِ ، وادَّبُوا بنفوسكم
عن تَحْمِطِهِ ، وارفسوا آمالكم عن القنوع بِغُرُورٍ قد خَدَعَ أسلافكم ، ولا تَحْمَدُوا
على جِيفَةِ المَرَضِ الزائلِ اثْلَافَكُمْ ، واقنعوا منه بما تيسر ، ولا تأسُوا ^(١) على
ما فات وتعدر ، فإنما هي دُجَّةٌ ^(٢) ينسخها الصَّبَاحُ ، وَصَفْقَةُ يعاقبها الحَسَارُ أو
الرَّيَّاحُ ، ودونكم عقيدة الإيمان فَشُدُّوا بالنواجذ عليها ، وَكَفِّفُوا الشُّبَّةَ أن
تَذُوبَ إليها ، واعلموا أن الإخلال بشيء من ذلك خَرَقٌ لَا يَرْفُوه ^(٣) عمل ، وكلُّ
ما سوى الراعي هَمَلٌ ، وما بعد الرأس في صلاح الجسم أَمَلٌ ، وتَمَسَّكُوا بكتاب
الله تعالى حِفْظًا وَبِلَاوَةٍ ، واجعلوا حَمْلَهُ على حَمْلِ التَّكْلِيفِ علاوة ، وتفكروا في
آيَاتِهِ ومعانيه ، وامثَلُوا أَوَامِرَهُ ونَوَاهِيَهُ ، ولا تتأولوه ولا تَمَلُّوا فيه ، وأَشْرِبُوا
قلوبكم حُبَّ مَنْ أنزل على قلبه ، وأَكثِرُوا من بواعث حُبِّهِ ، وصونوا شعائرَ
الله صونَ المحترَمِ ، واحفظوا القواعد التي يَبْنِي عليها الإسلام حتى لا يَنْخَرَمَ ،
أَللَّهُ اللهُ في الصلاة ذريعةَ التَّجَلُّةِ ، وَخاصَّةَ المِلَّةِ ، وحاقنةَ الدم ، وَغِيَى المستأجرِ
المستخدم ، وأمَّ العبادة ، وحافظة اسم المراقبة لعالمِ الغَيْبِ والشَّهَادَةِ ، والناحية
عن الفحشاء والمنكر ، إن عَرَضَ الشَّيْطَانُ عَرَضَهَا ، ووطأ للنفس الأَمَارَةَ سَمَاءَهَا
وَأَرْضَهَا ، والوسيلة إلى بَلِّ الجوانحِ يَبْرُودُ الدَّكْرُ ، وإيصال ثُخْفَةِ اللهِ إلى مَرِيضِ
الفكر ، وضامنة حَمْسِ العشرة من الجار ، وداعية للمسالمة من الفجَّار ، والواسمة

[١] ولا تحروا . [٢] الدجة : الطلعة .

[٣] وفقًا للتوب كتح : لأم حرقة ، وصمَّ حصه إلى صس .

Checked
1987
الطبع

بِسْمَةِ السَّلاَمَةِ ، وَالشَّاهِدَةِ لِلْعَبْدِ بَرَفِ الْمَلَامَةِ ، وَغَسُولِ^(١) الطَّلَعِ إِذَا تَلَّحَّظَ ،
وَالْخَيْرِ الَّذِي كُلُّ مَسَاوَاهُ لَهُ تَبَعٌ ، فَاصْبِرُوا النَّفْسَ عَلَى وِطَائِفِهَا ، بَيْنَ بَدْءٍ وَإِعَادَةٍ ،
فَالْخَيْرُ عَادَةٌ ، وَلَا تَفْضَلُوا عَلَيْهَا الْأَشْفَالَ الْبَدِيَّةَ ، وَتَوَثَّرُوا عَلَى الْعَلِيَّةِ الدِّينِيَّةِ ،
فَإِنْ أَوْقَاتِهَا الْمَعِينَةُ بِالْإِنْقِلَابِ تَنْبَسُّ^(٢) ، وَالْفَلَكَ بِهَا مِنْ أَجْلِكُمْ لَا يُجْتَنَسُ ،
وَإِذَا قُورِنَتْ بِالشَّوَاغِلِ فَلَهَا الْجَاهُ الْأَصِيلُ ، وَالْحُكْمُ الَّذِي لَا يَغْيِرُهُ الْغُدُوُّ
وَلَا الْأَصِيلُ ، وَالْوِطَائِفُ بَعْدَ أَدَائِهَا لَا تَقُوتُ ، وَأَيْنَ حَقٌّ مِنْ يَمُوتُ مِنْ حَقِّ
الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ ؟ وَأَحْكُمُوا أَوْضَاعَهَا إِذَا أَقْتَمْتُمُوهَا ، وَأَتَّبِعُوهَا النُّوَافِلَ
مَا أَطَقْتُمُوهَا ، فَبِالْإِتْقَانِ تَقَاصَلَتْ الْأَعْمَالُ ، وَبِالْمُرَاعَاةِ اسْتَحَقَّتِ السَّكَالُ ، وَلَا
شَكَرَ مَعَ الْإِهْمَالِ ، وَلَا رَنَجٌ مَعَ إِضَاعَةِ رَأْسِ الْمَالِ ، وَذَلِكَ أُخْرَى بِإِقَامَةِ
الْفَرَضِ ، وَأَدْعَى إِلَى مُسَاعَدَةِ الْبَعْضِ الْبَعْضَ .

وَالطَّهَارَةُ الَّتِي هِيَ فِي تَحْصِيلِهَا سَبَبُ مَوْصِلٍ ، وَشَرْطُ لِمَشْرُوطِهِ مَحْصُلٍ ،
فَاسْتَوْفُوهَا ، وَالْأَعْضَاءَ نَظَّفُوهَا ، وَمِيَاهَهَا بَنِيهِ أَوْصَافُهَا الْحَمِيدَةُ فَلَا تَصْفُوهَا ،
وَالْحُجُوبَ وَالْفُرُورَ^(٣) فَاطْلُوهَا ، وَالنِّيَّاتِ فِي كُلِّ ذَلِكَ فَلَا تُهْمِلُوهَا ، فَالْبِنَاءُ
بِأَسَاسِهِ ، وَالسَّيْفُ بِمِرَاسِهِ ، وَعَاطِلُوا أَنَّ هَذِهِ الْوُضُوفَ مِنْ صَلَاةٍ وَطُحُورٍ ، وَذَكَرَ
مَجْهُورٌ وَخَيْرٌ مَجْهُورٌ ، تَسْتَفِرِقُ الْأَوْقَاتُ ، وَتَنَازِعُ شَيْئَ الْخَوَاطِرِ الْمَفْتَرَقَاتِ ،

[١] السَّوْلُ كَمَجْهُورٍ وَتَوَرُّدُ الْمَاءِ يَسْتَلِبُهُ ، وَفِي الْأَصْلِ « طَسُولٌ » وَهُوَ تَحْرِيمٌ ، وَالطَّلَعُ :
الَّذِينَ وَالْيَبِ . [٢] أَيْ تَذَهَبُ وَتَصْبِيحٌ ، يُقَالُ : أَمْسَ الْجَزَلُ إِذَا ذَهَبَ ، وَفِي الْأَصْلِ « نَتَسَ »
وَأَرَاهُ مَجْرُومًا .

[٣] الْمَجْهُولُ جَمْعُ حَجَلٍ مَالِكٍ وَالْفَتْحُ : وَهُوَ الْحُلَعَالُ ، وَالرَّادُّهَا هِيَ الْأَطْرَافُ ، وَبِاطْنِهَا
اسْتِحْبَابُ عِشْمِهَا ، وَالرَّحْمُ جَمْعُ عَرَّةٍ بِالنَّصْبِ وَفِي الرَّوْحَةِ ، وَالرَّادُّهَا تَطَوُّلُهَا فِي الْوُضُوءِ : غَسَلَ مَقْدَمَ الرَّأْسِ
مَعَ الرَّوْحَةِ ، وَغَسَلَ صِمَّةَ الصَّقِ ، وَحَمَلَةَ الْمَسِي : أَنَّهُ يَأْمُرُ بِإِسْبَاحِ الْوُضُوءِ ، وَفِي الْمَدِيثِ الشَّرِيفِ :
« أَمَّنِي الْعَرُّ الْمُحْصَلُونَ » وَالرَّحْمُ جَمْعُ الْأَمْرِ مِنَ الرَّحْمَةِ ، وَفِي بَيَانِ فِي حَبَّةِ الْبَرَسِ مَوْقِ الدَّرَمِ ،
يُقَالُ : مَرَسَ أَغْرًا وَعَرَّاهُ ، وَالْمَحْصِلُ : الْفَرَسُ الَّذِي يَرْتَعِ الْبَيَاسُ فِي قَوَائِمِهِ فِي مَوْصِلِ الْبَيْدِ ، أَيْ يَبْسُ
مَوَاصِعَ الْوُضُوءِ مِنَ الرَّوْحَةِ وَالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ ، اسْتِئْذَانُ أَثَرِ الْوُضُوءِ فِي الرَّوْحَةِ وَالْبَيْدِ وَالرَّحْلِ مِنَ الْبَيَاسِ
الَّذِي يَكُونُ فِي وَجْهِ الْفَرَسِ وَبَيْدِهِ وَرَحْلِهِ .

فلا يضبطها إلا مَنْ ضَبَطَ نَفْسَهُ بِعِقَالٍ ، واستعاض صدأه بصِقَالٍ^(١) ، وإن تراخى قَهَقَرُ^(٢) الباع ، وسرَقته الطَّبَاع ، وكان لما سواها أضياع ، فشيل الضياع . والزكاة أختها الحبيبة ، ولدتها القرية ، مفتاح السعادة بالعرض الزائل ، وشكران المستول على الضد من درجة السائل ، وحق الله تعالى في مال من أغناه ، لمن أجهد في المعاش وعَنَاه^(٣) ، من غير استحقاق ملء يده وإخلاء يد أخيه ، ولا علة إلا القدر الذي يُخْفِيهِ ، وما لم ينله حظ الله تعالى فلا خير فيه ، فاصمحو بتفريقها للحاضر لإخراجها ، في اختيار عَرَضِهَا وتَاجِهَا ، واستحيوا من الله تعالى أن تبخلوا عليه ببعض ما بَدَل ، وخالفوا الشيطان كلما عَذَل ، واذكروا خروجكم إلى الوجود لا تملكون ، ولا تدرون أين تسلكون ، فوهب وأقدر ، وأورد بفضلَه وأصدر ، ليرتب بكرمه الوسائل ، أو يقيم الحجج والدلائل ، فابتغوا إليه الوسيلة بماله ، واعتَمُوا رضاه ببعض نَوَالِهِ . وصيام رمضان عبادة السرِّ المقرَّبة إلى الله زُلْفَى ، المحبوسة^(٤) لمن يعلم السرَّ وأخفى ، مؤكدة بصيام الجوارح عن الآثام ، والقيام ببرِّ القيام ، والاجتهاد وإثارة الشهاد ، على المهاد ، وإن وسِمَ الاعتكاف فهمون سنَّته المرعية ، ولو اُحِقَّه الشرعية ، فبذلك تحسَّن الوجوه ، وتحصَّل من الرقة على ما ترجوه ، وتذهب قسوة الطباع ، ويمتد في ميدان الوسائل الباع ، والحجج مع الاستطاعة الركن الواجب ، والفرض على العين لا يحجبُه الحاجب ، وقد بين رسول الله صلى الله عليه وسلم قدره فيما فرض عن ربه وسنَّه ، وقال : « ليس له جزاء عند الله إلا

[١] صواب العبارة « واستعاض صدأه بصقال » يقال : استبدل الشيء بغيره إذا أجدد مكانه (ومه

تري أن الله داحلة على التروك) واعتاضه به واستعاضه (والباء كس).

[٢] قهقر وهقر : رجع القهقرى . [٣] أقامه . [٤] الخالصة .

الجنة » ويلحق بذلك الجهاد في سبيل الله تعالى إن كانت لكم قوة عليه ، وغنى لديه ، فكفونا ممن يسمع تغييره ويظلمه ، وإن عجزتم فأعينوا من يستطيعه . هذه محمد الإسلام وفروضه ، ونقود مهره وعروضه ، حافظوا عليها تعيشوا مبرورين ، وعلى من يؤاويكم ^(١) ظاهرين ، وتلقوا الله لامبديلين ولا مغيين ، ولا تضيعوا حقوق الله فتهلكوا مع الخاسرين .

واعلموا أن بالعلم تستعمل وظائف هذه الألقاب ، وتجلى محاسنها من بعد الانتقاب ^(٢) ، فليكن بالعلم النافع دليلا بين يدي السامع ، فالعلم مفتاح هذا الباب ، والموصل إلى الباب . والله عز وجل يقول : « قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ » والعلم وسيلة النفوس الشريفة ، إلى المطالب النيفة ، وترطه الخشية لله تعالى والخيفة ، وخاصة الملأ الأعلى ، وصفة الله في كتبه التي تتلى ، والسبيل في الآخرة إلى السعادة ، وفي الدنيا إلى النجاة ^(٣) عادة ، والتضر الذي قليله يشفع ، وكثيره ينفع ، لا يغلبه الناصب ، ولا يسلبه العدو المناصب ، ولا يبتزه الدهر إذا نال ، ولا يستأثر به البحر إذا هال ، من لم ينله فهو ذليل ، وإن كثرت آماله ، وقليل ، وإن جم ماله ، وإن كان وقته قد فات اكتسابكم ، وتخطى حسابكم ، فالتمسوه لبنكم ، واستدرِكوا منه ما خرج عن أيديكم ، واحملوهم على تجهه ودزسه ، واجعلوا طباعهم ترى لغرضه ، واستسهلوا ما ينالهم من تعب من جراه ^(٤) ، وسهر بهجر له الجفن كراه ، تمعدوا لهم ولاية عز لا تمزل ، وتحملوهم متابة رفعة لا تحط فارغها ولا يستنزل ، واختاروا العلوم التي يتعمقها الوقت ، فلا ينالها

[١] ياديبكم ، وظاهرين : قالين . [٢] أي بعد الاختفاء ، من اضئت المرأة لست القاب .
[٣] محله : أعطاه ، والاسم المحلة . [٤] يقال : فملت ذلك من جراه ومن جرأه بالنفديد ويحفن ، ومن جريره : أي من أجله ، والكبرى : النوم .

في غيره^(١) المقت ، وخير العلوم علوم الشريعة ، وما نَجَمَ بِمَنَاجِهَا الرِّبَا^(٢) ،
من علوم لسان لا تستغرق الأعمارَ فصولها ، ولا يضائق ثمراتِ المعاد حصوؤها ،
فإنها هي آلاتُ لِفَيْزٍ ، وأسبابُ إلى خير منها وخير ، فمن كَانَ قابلاً للازدياد ،
وَأَلْقَى فهمه ذا انقياد ، فليخصَّ تجويد القرآن بتقديمه ، ثم حفظ الحديث ومعرفة
محيحه من مَقْبِبه ، ثم الشروع في أصول الفقه فهو العلم العظيم المِنَّة ، المَهْدَى
كنوز الكتاب والسُّنَّة ، ثم المسائل المنقولة عن العلماء الجِلَّة ، والتدرج في
طرق النظر بصحيح الأدلَّة ، وهذه هي العاية القصوى في المِلَّة ، ومن قصر
إدراكه عن هذا المرزى ، وتقاعد عن التي هي أسمى ، فَلْيَزِرِ الحديثَ بعد تجويد
الكتاب وإحكامه ، وليقرأ المسائل الفقهية على مذهب إمامه ، وإياكم والعلوم
القديمة ، والفنون المهجورة النسيمة ، فأكثرُها لا يُفيد إلا تشكيكاً ، ورأياً
ركيكاً ، ولا يثمر في العاجلة إلا افتحامَ العيون ، وتطريقَ الظنون ، وتطويق
الاحتقار ، ورسمة الصُّمَام ، وخمول الأقدار ، والخسْف من بعد الإبدار ، وجادة
الشريعة أعزق في الاعتدال ، وأوفق من قطع العمر في الجدال ، هذا ابن
رُشد^(٣) قاضي المصرومُفْتِيه ، وملتَمِسُ الرشد ومُؤَلِّيه ، عادت عليه بالسُّخْطَة

[١] غير النهر : أحداثه البيرة ، والصغير فيه يعود على الوقت . [٢] المحصة .

[٣] هو أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن رشد ، أعظم دلاسة الأندلس وأطالها ، ولد سنة ٥٢٠ هـ
ودرس علوم الدين والفلسفة والطب ، واتصل بيوسف بن عبد المؤمن رعم للوحدين ، وشرح له دليعة
أرسطو ، وقد ولاء قضاء إشبيلية ، ثم استدعاه إلى مراكش ، وحط عليه الحاس ، ثم حله قاضي القضاة
قرطبة ، ولما ولي بعده ابنه المنصور بالله علت مكاة ابن رشد عده ، فأثار ذلك حسد حصوره ، فكادوا
له عند السلطان واتهموه أنه يمجّد القرآن ، ويشط الفلسفة وعلوم الأوائل بدلا من علوم الدين ، ويصر
منهجه القدماء في القول بألوهية بعض الكواكب ، فعزل المنصور من قضاء قرطبة ، ثم دعا عنه ،
واستدعاه إلى مراكش ، ولم يطل مقامه بها ، فمات سنة ٥٩٥ هـ ، وقد ترجم أكثر كتبه إلى اللغات
الأجنبية ، وعليها عول الأوروبيون في نهجهم الحديثة .

الشيعة ، وهو إمام الشريعة ، فلا سبيل إلى اقتحامها ، والتورط في ازدحامها ، ولا تخلطوا جامك^(١) بجامها ، إلا ما كان من حساب ومِساحة ، وما يمود يجذوى فلاحه ، وعلاج يرجع على النفس والجسم براحة ، وما سوى ذلك فحجور ، وضرم^(٢) مسجور ، وممقوت مهجور ، وأمرؤا بالمعروف أمراً رفيقاً ، وانتهوا عن المنكر نهيًا حرّياً بالاعتدال حقيقة ، وأغبطوا من كان من مينة الغفلة مضيعاً ، واجتنبوا ما تنهون عنه حتى لا تسسكوا منه طريقاً ، وأطيعوا أمر من ولّاه الله تعالى من أموركم أمراً ، ولا تقربوا من الفتنه جبراً ، ولا تدخلوا في الخلاف زيداً ولا عمراً ، وعليكم بالصدق فهو شعار المؤمنين ، وأهم ما أصرى^(٣) عليه الآباء السنة النبين ، وأكرم منسوب إلى مذهبه ، ومن أكثر من شيء عرف به ، وإياكم والكذب ، وهو العورة التي لا تُؤارى ، والسوءة التي لا يُرتاب في عارها ولا يُتمارى ، وأقل عقوبات الكذاب ، بين يدي ما أعد الله له من العذاب ، أن لا يُقبل صدقه إذا صدق ، ولا يعول عليه إن كان بالحق نطق ، وعليكم بالأمانة فالحيانة لوم ، وفي وجه الديانة كلوم^(٤) ، ومن الشريعة التي لا يُعذر بجهلها ، أداء الأمانات إلى أهلها ، وحافظوا على الحشمة والصيانة ، ولا تجزؤوا من أقرضكم دين الحيانة ، ولا توجدوا للندرقبولا ، ولا تقرؤا عليه طبعاً محببولا ، وأؤفؤوا بالهد إن الهد كان مستؤولا ، ولا تستأثروا بكنز ولا خزن ، ولا تذهبوا لغير مناصحة المسلمين في سهل ولا خزن ، ولا تبصسوا الناس أشياءهم في كيل أو وزن ، والله الله أن تُعينوا في سفلك الدماء

[١] الحام - إناء من دعة . [٢] جمع صرمة بالتحريك وهي الحرة والدار ، وسحر التنور : أحام

[٣] صرى بالياء كتب : اعتاده وأولج به ، ويدي بالهمز والتضعيف ، يقال : أصرته وصرته :

لئ أقرته به . [٤] الكلوم جمع كلم بالفتح وهو المرح .

ولو بالإشارة أو الكلام ، أو ما يرجع إلى وظيفة الأقلام ، واعلموا أن الإنسان في
فُسْحَةٍ ممتدة ، وَسُئِلَ اللهُ تعالى غير مُتَسَدِّة ، ما لم يُنْذِرْ إلى الله تعالى بأمانه ،
وَيَمَسَّ الدَّمِ الحرام بيده أو لسانه ، قال الله تعالى في كتابه : الَّذِي هَدَىٰ بِهِ
سَنًّا قَوِيًّا ، وَجَلَّىٰ مِنَ الْجَهْلِ والضلال ليلًا بهيًّا : « وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا
فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ، وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا » ،
واجتناب الزنا وما تعلق به ، مِنْ أَخْلَاقٍ مَنْ كَرُمَتْ طِبَاعُهُ ، وامتد في سبيل
السعادة باؤه ، لو لم تنلق نور الله الذي لم يند شعاعه ، فَالْحَالُ لم تَضِقْ عن
الشهوات أنواعه ، ولا عُدِمَ إقناعه ، ومن غَلَبَتْ غَرَائِزُ جهله ، فلينظر : هل
يجب أن يُرَىٰ بأهله ؟ والله قد أعدَّ للزاني عذابًا ويلا ، وقال : « وَلَا تَقْرُبُوا
الزَّوَائِرَ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَمَقْتًا وَسَاءَ سَبِيلًا » ، والحرَامُ الكبائر ، ومفتاح الجرائم
والجرائر ^(١) ، والله لم يجعله الله في الحياة شرطًا ، والمحرم قد أعنى عنه بالحلال
الذي سَوَّغَ وأعطى ، وقد تركها في الجاهلية أقوام لم يرضوا لعقولهم بالفساد ،
ولا لنفوسهم بالمفسدة في مَرَضَةِ الأجساد ، والله تعالى قد جعلها رَجَسًا محرَّمًا
على العباد ، وَقَرَّبَهَا بِالْأَنْصَابِ والأزلام في مُبَايَنَةِ السَّدَادِ ^(٢) ، ولا
تَقْرَبُوا الرِّبَا ، فإنه من مناهي الدين ، والله تعالى يقول : « وَذَرُوا مَا بَقِيَ
مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ » . وقال : « فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِمَحْزَبٍ مِّنَ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ » في الكتاب المبين ، ولا تأكلوا مَالَ أَحَدٍ بِغَرِّ حَقِّهِ ، وانزعوا

[١] المرائر جمع حريرة : وهي الحرقة .

[٢] يشير إلى قوله تعالى : « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْحَرَمُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ
رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ »

الطَّعْمُ^(١) عن ذلك حتى تذهب ريحُه ، والتمسوا الحلال يَسْتَعْنَى فِيهِ س م ي
قَدَمَهُ ، وَلَا يَكِلُ خِيَارَهُ إِلَّا لِلْفَقْرِ مِنْ خَدَمِهِ ، وَلَا تَلْجَأُوا إِلَى التَّشَابُهِ إِلَّا عِنْدَ
عَدَمِهِ ، فَهُوَ فِي السُّلُوكِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَصْلُ مُشْرُوطٍ ، وَالْحَافِظُ عَلَيْهِ مَقْبُوطٌ ، وَإِيَّاكُمْ
وَالظُّلْمَ ، فَالظُّلْمُ مَحْقُوتٌ بِكُلِّ لِسَانٍ ، مُجَاهِدٌ لِلَّهِ تَعَالَى بِصَرْحِ الْعَصِيَّانِ ، « وَالظُّلْمُ
ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ » كما ورد في الصَّحاحِ الْحَسَنِ ، وَالنِّيمَةُ فُسَادٌ وَشَتَاتٌ ،
لَا يَبْقَى عَلَيْهِ ثَنَاتٌ^(٢) ، وَفِي الْحَدِيثِ : « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَتَاتٌ^(٣) » وَاطَّرَحُوا
الْحَسَدَ ، فَمَا سَادَ حَسُودٌ ، وَإِيَّاكُمْ الْفِيئَةَ : فَبَابِ الْخَيْرِ مَعَهَا مَسْدُودٌ ، وَابْخُلْ ، فَارْزُقْ
الْبَخِيلُ وَهُوَ مَوْدُودٌ ، وَإِيَّاكُمْ وَمَا يُتَدَرَّ مِنْهُ ، فَوَاقِعُ الْخُرَى لَا تُسْتَقَالُ عَثَرَاتُهَا ،
وَمَطَّيْنَاتُ الْفَضَائِحِ لَا تَوْمُنُ غَمَرَاتُهَا ، وَتَفْقَدُوا أَنْفُسَكُمْ مَعَ السَّاعَاتِ ، وَأَفْشُوا
السَّلَامَ فِي الصَّرَفَاتِ وَالْجَمَاعَاتِ ، وَرِقُّوا عَلَى ذَوِي الزَّمَانَاتِ^(٤) وَالْعَاهَاتِ ، وَتَاجَرُوا
مَعَ اللَّهِ بِالصَّدَقَةِ يُرَبِّحُكُمْ فِي الْبَضَاعَاتِ ، وَعَوَّلُوا عَلَيْهِ وَحْدَهُ فِي الشَّدَائِدِ ، وَادْكُرُوا
الْمَسَاكِينَ إِذَا نَصَبْتُمْ الْمَوَائِدَ ، وَتَقَرَّبُوا إِلَيْهِ بِالْيَسِيرِ مِنْ مَالِهِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الْخَلْقَ
عِيَالُ اللَّهِ ، وَأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيْهِ الْمُحْتَاطُ لِعِيَالِهِ ، وَارْعَوْا حَقُوقَ الْجَارِ ، وَادْكُرُوا
مَا وَرَدَ فِي ذَلِكَ مِنَ الْآثَارِ ، وَتَمَاهَدُوا أَوْلَى الْأَرْحَامِ ، وَالْوَشَائِحِ^(٥) الْبَادِيَةِ
الْإِتِحَامِ ، وَاحْذَرُوا شَهَادَةَ الزُّورِ : فَإِنَّمَا تَقْطَعُ الظُّهْرَ ، وَتُقْسِدُ السَّرَّ وَالْجَهْرَ ،
وَالرِّشَاءَ ، فَإِنَّمَا تَحْطُ الْأَقْدَارَ ، وَتَسْتَدْعِي الْمَذَلَّةَ وَالصُّغَارَ ، وَلَا تَسْأَلُوا فِي لُغْبَةٍ
قَمَرٌ^(٦) . وَلَا تَنْسَارِكُوا أَهْلَ الْبَطَالَةِ فِي أَمْرِ ، وَصَوْتُوا الْمَوَاعِيدَ مِنَ الْإِخْلَافِ ،
وَالْإِيمَانَ مِنْ حِنْثِ الْأَوْغَادِ وَالْأَجْلَافِ . وَحَقُوقُ اللَّهِ تَعَالَى مِنَ الْإِزْدِرَاءِ

[١] الطعم : الضميمة . [٢] للثبات : ما يعتصم به أي يثبت . [٣] الثنات : الثناء .

[٤] الرماة : العاهة .

[٥] الوشائح : جمع وشيعة : وهي اشتراك القرابة . [٦] قمره : غله في لعب القمار .

والاعتساف، ولا تلهَّجُوا بِالْأَمَالِ الْعِجَافِ^(١) ولا تَكْلَفُوا بِالْكِهَانَةِ وَالْإِرْجَافِ،
 واجملوا العمرين معاشٍ ومعاد ، وخصوصيةً وابتعاد ، واعلموا أن الله سبحانه
 بالمرصاد ، وأن الخلق بين زرع وحصاد ، وأقلُّوا بغير الحالة الباقية المهموم ، واحذروا
 القواطع عن السعادة كما تحذّر السموم ، واعلموا أن الخير أو الشر في الدنيا محالٌ
 أن يدوم ، وقابلوا بالصبر أذيةً المؤذنين ، ولا تعارضوا مقالات الظالمين ، فأنه لمن
 بُني عليه خيرٌ الناصرين ، ولا تستعظموا حوادث الأيام كلما زلت ، ولا تضجُّوا
 للأمراض إذا أعضلت ، فكلُّ مُنْقَرِضٍ حقير ، وكلُّ مُنْقَضٍ وإن طال قصير ،
 وانتظروا الفرج ، وانتشقوا من جناب الله تعالى الأريج^(٢) ، وأوسموا بالرجاء
 الحوايح ، واجنحوا إلى الخوف من الله تعالى فطوبى لعبداً إليه جانح ، وتضرعوا
 إلى الله تعالى بالدعاء ، وأجثوا إليه في التأساء والضراء ، وقابلوا نعم الله تعالى
 بالشكر الذي يقيّد به الشارد ، ويعذب الوارد ، وأسهموا^(٣) منها للمساكين
 وأفضّلوا عليهم ، وعيّنوا الخطوط منها لديهم ؛ فن الآثار : « باعائشة أحسن جوار
 نعم الله ، فإنها قلما زالت عن قوم فعادت إليهم » ، ولا تطعوا في النعم وتقصروا
 عن شكرها ، وتغلبكم^(٤) الجهالة بسكرها ، وتنوهموا أن سعيكم جلبها ، وجِدَّكم
 حَلَبها ، فأنه خير الرازقين ، والمأقبة للمتقين ، ولا فِئِل إلا لله إذا نُظِرَ بعين
 اليقين ، والله الله لا تنسوا الفضل بينكم ، ولا تذهبوا بذهابه زينكم ، وليترم
 كل منكم لأخيه ، ما يشتد به تواخيه ، بما أمكنه من إخلاص وير ، ومراعاة
 في علانية وسر ، وللإنسان مزية لا تُجْهَل ، وحق لا يُهْمَل ، وأظهروا التعاضد

[١] العجاف جمع مجام : وهي المهرولة . [٢] الأريج : توهج رخ الطيب .

[٣] أسهم له : أعطاه سهماً . [٤] في الأصل : « وتغلبكم » ، وأراد محرمًا عن « وتغلبكم » .

والتناصر، وصَلُوا التَّعَاهِدَ وَالزَّوَارَ، تُرْغِمُوا بِذَلِكَ الْأَعْدَاءَ، وَتَسْتَكَثِرُوا الْأَوْدَاءَ،
وَلَا تَتَنَافَسُوا فِي الْحُظُوظِ السَّخِيفَةِ، وَلَا تَهَارِشُوا تَهَارُشَ السَّبَاعِ عَلَى الْحَيْقَةِ،
وَاعْلَمُوا أَنَّ الْمَعْرُوفَ يَكْتَدِرُ بِالْأَمْتَانِ، وَطَاعَةُ النِّسَاءِ شَرٌّ مَا أَفْسَدَ بَيْنَ الْإِخْوَانِ،
فَإِذَا أُسْدِيتُمْ مَعْرُوفًا فَلَا تَذْكُرُوهُ، وَإِذَا بَرَزَ قَيْحٌ فَاسْتُرُوهُ، وَإِذَا أَعْظَمَ النِّسَاءُ
أَمْرًا فَاحْقِرُوهُ، وَاللَّهُ اللَّهُ لَا تَنْسَوْا مُقَارَصَةَ مَسْجَلِي^(١)، وَبَرُّوا أَهْلَ مَوْدِقِي مِنْ
أَجَلِي، وَمَنْ رُزِقَ مِنْكُمْ مَالًا بِهَذَا الْوَطَنِ الْفَلَقِ الْمُهَادِ، الَّذِي لَا يَصْلُحُ لِنِيرِ الْجِهَادِ،
فَلَا يَسْتَهْلِكُهُ أَجْمَعُ فِي الْعَقَّارِ، فَيَصْبِحُ عُرْضَةً لِمَذَاةٍ وَالْإِحْتِقَارِ، وَسَاعِيًا لِنَفْسِهِ
- إِنْ تَغَلَّبَ الْعَدُوُّ عَلَى بَلَدِهِ - فِي الْإِفْتِضَاحِ وَالْإِفْتِقَارِ، وَمَعْوَقًا عَنِ الْإِنْتِقَالِ،
أَمَامَ الثُّوبِ الثَّقَالِ، وَإِذَا كَانَ رِزْقُ الْعَبْدِ عَلَى الْمَوْلَى، فَالْإِجْمَالُ فِي الطَّلَبِ أَوْلَى،
وَإِذَا هَدَّوْا جَهْدَكُمْ فِي مَصَاحِبَةِ أَهْلِ الدُّنْيَا، تَغَيَّرْهَا لَا يَقُومُ بِشَرِّهَا، وَنَفْعُهَا لَا يَقُومُ
بِضَرِّهَا، وَأَعْقَابُ مَنْ تَقَدَّمَ شَاهِدَةٌ، وَالتَّوَارِيخُ لِهَذِهِ الدَّعْوَى عَاضِدَةٌ، وَمَنْ
بُلِيَ بِهَا مِنْكُمْ فَلْيَسْتَظْهِرْ بِسَمَةِ الْإِحْتِمَالِ، وَالتَّقَلُّلِ مِنَ الْمَالِ، وَلْيَحْذَرْ مُعَادَاةَ
الرِّجَالِ، وَتَمَزَّلَاتِ الْأَدْلَالِ - وَفَسَادِ الْخِيَالِ، وَمُدَاخَلَةِ الْغِيَالِ، وَإِفْشَاءِ السَّرِّ،
وَسُكْرِ الْإِعْتِرَارِ، فَإِنَّهُ دَابُّ الْغَرِّ، وَلْيَصْنِ الدِّبَانَةَ، وَلْيُؤَثِّرِ الصَّمْتَ وَيَلَارِمِ
الْأَمَانَةَ، وَيَبْرِزْ مِنْ رِضَا اللَّهِ عَلَى أَوْضَحِ الطَّرِيقِ، وَمِمَّا اشْتَبَهَ عَلَيْهِ أَمْرَانِ قَصْدَةٌ
أَقْرَبُهُمَا إِلَى الْحَقِّ، وَلْيَقِفْ فِي التَّمَاسِ أَسْبَابَ الْجَلَالِ دُونَ الْكَمَالِ عِوَاذَ النِّقْصَانِ -
وَالزَّعَارِجِ تَسْلَامُ اللَّذَنِ^(٢) الْإِطِيفِ مِنَ الْأَعْصَانِ، وَإِنَّا كَمْ وَطَلَبَ الْوَلَايَاتِ وَرَغْبَةً
وَاسْتِجْلَابًا، وَاسْتَظْهَارًا عَلَى الْخَطُوبِ وَعِلَالًا، فَذَلِكَ صَرَرُ بِالْمُرُوءَاتِ وَالْأَقْدَارِ،
دَاخِعٌ إِلَى الْفَضِيحَةِ وَالْعَارِ، وَمَنْ أُمْتُحِنَ بِهَا مِنْكُمْ اخْتِيَارًا، أَوْ جُبِرَ عَلَيْهِ إِكْرَاهًا

[١] السَّجَلُ : الْمَصِيبُ . وَالْحَي : إِسْمٌ مَدِينِيٌّ لَمْ يَمَّا قَدَّمَتْ لَكُمْ مِنْ مَعْرُوفٍ ، وَلَا تَسُوا أَنْ تَرُدُّوه
لِي بِإِكْرَامٍ مِنْ أَوْدَةٍ . [٢] الْإِطِيفُ الْإِطِيفُ .

وإثارة ، فليتلق وظائفها بسعة صدره ، ويبدل من الخير فيها ما يشهد أن قدرها دون قدره ، فالولايات فتنة وحنة ، وأسر وإحنة ، وهى بين إخطاء سعادة ، وإخلال بمباداة ، وتوقع عزل ، وإدالة ^(١) بإزاء بيع جد بهزل ، ومزلة قدم ، واستنباع ندم ، ومآل المعركة موت ومعاد ، واقتراب من الله وإشهاد ، جعلكم الله ممن نفعه بالتبصير والتنبيه ، ومن لا ينقطع بسببه عمل أبيه ، هذه - أسعدكم الله - وصيتى التى أصدرتها ، وتجارتى التى ربحكم أدرتها ، فتلقوها بالقبول لنصحها ، والاهتداء بضوء صبحها ، وبقدر ما أمضيت من فروعها ، واستنشيت من دروعها ، اقتنيت من المناقب الفاخرة ، وحصلتم على سعادة الدنيا والآخرة ، وبقدر ما أضعت لآلتها النفيسة القيم ، استكثرتم من بواعث الندم ، ومهما ستمت إطالتها ، واستغزرت مقالها ، فاعلموا أن تقوى الله فذلك ^(٢) الحساب ، وضابط هذا الباب ، كأن الله خليفى عليكم فى كل حال ، فالدنيا مئناخ ارتحال ، وتأميل الإقامة فرض محال ، فالموعد للالتقاء ، دار البقاء ، جعل الله من وراء خطته النجاه ، وتفق بضائعها المزجاء ^(٣) ، بلطائفه المرتجاة ، والسلام عليكم من حبيكم المودع ، والله سبحانه يثمه ^(٤) حيث شاء من شمل متصدع ، والدكم محمد بن عبد الله بن الخطيب ورحمة الله وبركاته . (مع الطيب : ٤ : ١٩)

١٨ - خطبة وعظية له

وصدرعنه على لسان واعظ :

« الحمد لله الولي الحميد ، المبدئ المعيد ، البعيد في قربه من العبيد ، القريب

[١] الإدالة : البلية . [٢] ذلك حساب كدحرج : أنباء وفع من منه ، محترجة من قوله إذا أجل حساب : وذلك كذا وكذا . [٣] ساعة مرخاة : رديئة أرذلية يردوها ويدعونها من رآها رغبة عنها ، وفق السلة تميماً : روحها . [٤] لأم المرح والصديق كقطع والأوه : سده .

في بعده وهو أقرب من حبل الوريد ^(١) ، مُخَي رُبوعِ المارفين بَحِيَّاتِ حياة التوحيد ، وَمُفَنِّي قُومِ الزاهدين بكنوز احتقار الافتقار إلى العَرَض الزهيد ، وَمُخَالَصِ خَوَاطِرِ الْمُحَقِّقِينَ من سجون دُجُون ^(٢) التقييد ، إلى فُسْحِ التجريد ، نَحْمَدُه وله الحمد المنتظمة دُرَرُه في سُلوِك الدوام ، وَصُموط ^(٣) التأييد ، حَمْدٌ من نَرَه أحكام وَحْدَانِيَّتِه ، وَأَعْلَامُ فَرْدَانِيَّتِه ، عن مَرَابِطِ التقييد ، وَمَخَابِطِ الطَّبْعِ البليد ، ونشكره شكرَ من افتتح بشكره أبوابَ المزيد ، ونشهد أنه الله الذي لا إله إلا هو شهادة تَنُغْطِي بها مَعَالِمُ الخَلْقِ ، إلى حضرة الحق ، على كَيْدِ التَفْرِيدِ ، وَنَشْهَدُ أن محمداً عبده ورسوله قِلَادَةُ الحَيْدِ المَجِيدِ ، وهلال العيد ، وَقَدْ لَكُمُ الحساب ويبت القَصِيدُ ، المخصوص بنشور الإِدْلَالِ ^(٤) ، وإقطاع السكال ، بين مقام المراد ومقام المرید ، الذي جعله السبب الأوصلَ في نَجَاةِ الناجي وسعادة السعيد ، ومخاطب الخلائق على لسانه الصادق بِحُجَّتِي الوعد والوعيد ، فكان مما أوحى به إليه ، وَأَنْزَلَ الْمَلَكُ به عليه ، من الذكر الحميد ، لِیَأْخُذَ بِالْحَبْزِ ^(٥) والأطواق من العذاب الشديد : « وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ ، وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ، إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشَّمَالِ قَعِيدٌ ، مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ، وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ، وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَنَهِيدٌ ، لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا

[١] عرق في العنق . [٢] أي طائفة التقييد ، والنعون جمع دخن مانع : وهو الناس الميع الأروا وأفطار السباء . [٣] صموط جمع صمط بالكسر : وهو حيط العظم . [٤] أدل إليه : وثق بعنته . [٥] المجر جمع حجرة كعصرة : وهي مقعد الإدرار ، ومن السراويل موضع التمسكة .

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ» ، صلى الله عليه وعلى آله صلاة
تقوم ببعض حقه الأكيد ، وتَسْرَى إلى تَرْبَتِهِ الزَّكِيَّةِ من ظهور المَواجِدِ الجائِيَةِ
على البَرِيدِ :

قعدتُ لتذكير ، ولو كنتُ مُنصِيفًا لَدَكَّرْتُ نَفْسِي فِيهِ أَحْوَجُ لِلذِّكْرِ
إِذَا لَمْ يَكُنْ مِنِّي لِنَفْسِي وَعَظُ فَيَالَيْتَ شَعَرِي كَيْفَ أَفْعَلُ فِي الْآخِرَى ؟
آه ، أَيُّ وَعْظٍ بَعْدَ وَعْظِ اللَّهِ تَعَالَى يَا أَحِبَّائِي بَنَاتِي سَمِعَ ، وَفِي مَاذَا - وَقَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ
مِنَ الْغَيِّ - يُطْمَعُ ؟ يَأْمَنُ يُعْطَى وَيَمْنَعُ ، إِذَا لَمْ تُقِمَّ الصَّنِيعَةُ فَاذَا نَصْنَعُ ؟ أَتَجْمَعُنَا
بِقُلُوبِنَا يَا مَنْ يُفَرِّقُ وَيَجْمَعُ ، وَكَيْفَ حَدِيدُهَا بِنَارِ خَشْيَتِكَ ، فَقَدْ اسْتَعَاذَ نَبِيُّكَ
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْ قَلْبٍ لَا يَخْشَعُ ، وَمِنْ عَيْنٍ لَا تَذْمَعُ : اعْمَلُوا رَحِمَكُمُ اللَّهُ أَنْ
الْحِكْمَةَ ضَالَّةَ الْمُؤْمِنِ يَأْخُذُهَا مِنَ الْأَقْوَالِ وَالْأَحْوَالِ ، وَمَنِ الْجَلْدُ وَالْحَيَوَانُ ، وَمَا
أَمْلَاهُ الْمَلَوَانُ ^(١) ، فَإِنَّ الْخَفَى نَوْرًا لَا يَضِيءُهُ أَنْ صَدَرَ مِنَ الْخَامِلِ ، وَلَا يَقْصُرُ
بِمَحْمُولِهِ احْتِقَارُ الْخَامِلِ ، وَأَنْتُمْ تَدْرُونَ أَنْكُمْ فِي أَطْوَارِ سَفَرٍ لَا تَسْتَقِرُّ لَهَا دُونَ
الْغَايَةِ رَحِلَةٌ ، وَلَا تَنَاقُثُ مَعَهَا إِقَامَةٌ وَلَا مُثَلَّةٌ ، مِنَ الْأَصْلَابِ إِلَى الْأَرْحَامِ إِلَى
الْوُجُودِ ، إِلَى الْقُبُورِ إِلَى النُّشُورِ إِلَى إِحْدَى دَارَيِ الْبَقَاءِ ، أَفَى اللَّهِ شَكٌّ ؟ فَلَوْ
أَبْصَرْتُمْ مُسَافِرًا فِي الْبَرِّيَّةِ يَبْنِي وَيَقْرِشُ ، وَيُمَهِّدُ وَيَعْرِشُ ، أَلَمْ تَكُونُوا تَضْحَكُونَ
مِنْ جَهْلِهِ ، وَتَتَعَجَّبُونَ مِنْ رَكَاكَةِ عَقْلِهِ ؟ وَوَاللَّهِ مَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ ،
وَشَوَاءُ لَكُمْ عَنِ اللَّهِ ، الَّتِي فِيهَا اجْتِهَادُكُمْ ، إِلَّا بَقَاءُ سَفَرٍ ^(٢) فِي قَفَرٍ ، أَوْ إِعْرَاسُ فِي
لَيْلَةٍ نَفَرٍ ^(٣) ، كَأَنَّكُمْ بِهَا مُطَرَّحَةٌ تَعْبُرُ فِيهَا الْمَوَاتِي ، وَتَنْبُو الْعَيُونُ عَنْ خَبَرِهَا

[١] اللَّوَانُ : اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ .

[٢] السَّفَرُ : جَمَاعَةُ الْمَافِرِينَ . [٣] أَعْرَسَ الْقَوْمُ وَعَرَسُوا : رَلَوْا فِي آخِرِ اللَّيْلِ لِلِاسْتِرَاحَةِ ،

وَمِنْ الْحَاجِّ مَنْ مَيَّ كَعَرَسَ بَعْدَ رَفْعِ الْفَجْرِ . انظر ج ٣ ص ١٢١ .

المتلاشى « إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ، وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ » ما بعد
المقييل إلا الرحيل ، ولا بعد الرحيل إلا المنزل الكريم ، أو المنزل الويل ، وإنكم
تستقبلون أهوالا ، سكرات الموت بواكر حسابها ، وعتب أبوابها ، فلو
كشفت الغطاء عن ذرة منها ، لذهبت العقول وطاشت الأبواب ، وما كل
حقيقة يشرها الكلام ، « يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ، فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا ، وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ » ، ألا أعددت هذه الوزلة حيلة ، وأظهرتم
للاهتمام بها خيلة ^(١) ؟ أنمويلا على عفوه مع المقاطعة ؟ وهو القائل في مقام
التهديد : « إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ » ، أأمننا من مكروه المنازمة ؟ « وَلَا يَأْمَنُ
مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » أطمعنا في رحمته مع المخالفة ؟ وهو يقول :
« فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ » ، أمشاقة ومائدة ؟ « وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ
شَدِيدُ الْعِقَابِ » ، أشكنا في الله ؟ فعمالوا نعيم الحساب ، ونقرر العقد ، وننصف
بدعوة الحق ^(٢) (أو غيرها) من اليوم ، يفقد عقد العقائد عند التساهل بالوعيد ^(٣) ،
فالعالم يذبح الأصبع الوجعة ، والعارف يضمها مبدء العصب .

هكذا هكذا يكون النعمى هكذا هكذا يكون الغرور

« يَا حَسْرَةَ عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ » وما عدا
مما بدا ، ورسولكم الحريص عليكم الرؤف الرحيم يقول لكم : « أَلَيْسَ
مِنْ دَانِ نَفْسِهِ ، وَنَحْمِلُ لَهَا بَعْدَ الْمَوْتِ : وَالْأَحْمَقُ مِنْ أَتَّبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا ، وَتَمَتَّى
عَلَى اللَّهِ الْأَمَانِي » ، فعلام بعد هذا المعول ، وماذا يتأول ؟ اتقوا الله تعالى في

[١] الحيلة الطلى . [٢] أى أن المرء إذا لم يحب لوعيد الله حسابا ، واستمر على اقتراف لماسى
واللغات ، أفضى به ذلك إلى زللة المفيدة ، ولو أنه كان حالم الإيمان لارعوى عما بهى عنه .

نفوسكم وَأَنْصَحُوا ، وَاعْتَنِمُوا فُرْصَ الْحَيَاةِ وَارْتَجِعُوا ، « أَنْ تَقُولَ نَفْسُ
يَا حَسْرَتًا عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ ، وَإِنْ كُنْتُ لِمِنَ السَّاهِينَ » ، وتنادى
أخرى : « هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ؟ » ، وتستغيث أخرى : « يَا لَيْتَنَّا نُرَدُّ
فَنَعْمَلْ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ » ، وتقول أخرى : « رَبِّ ارْجِعُونِ » ، فَرَحِمَ
اللَّهُ من نظر لنفسه ، قبل غُرُوبِ شمسهِ ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ مِنْ أَمْسِهِ ، وَعَلِمَ أَنَّ الْحَيَاةَ
تَجْرُ إِلَى الْمَوْتِ ، والغفلة تقود إلى الفُوتِ ، والصحة زَكَبَ الألمَ ، والشببية
سفينة تَقْطَعُ إلى ساحلِ المَرَمِ .

وإن شاء قال بعد الخطبة :

« إخواني ، ما هذا التواني ؟ والكَلَفُ بالوجود الفاني ، عن الدائم الباقي ،
والدهر يقطع الأمانى ، وهادمُ الذات قد شرع في نقض المباني ، ألا معتبر في
عالم هذه المعاني ، ألا مرتحل عن معانٍ هذه المعاني ^(١) ؟

أَلَا أُذُنٌ تُصْنِي إِلَى سَمِيعَةٍ أَحَدَهَا بِالصَّدْقِ مَا صَنَعَ الْمَوْتُ

مَدَدْتُ لَكُمْ صَوْتِي فَأَوَاهُ حَسْرَةً عَلَى مَا بَدَأَ مِنْكُمْ فَلَمْ يُسْمَعْ الصَّوْتُ

هُوَ الْقَدَرُ الْآتِي عَلَى كُلِّ أُمَّةٍ فَتَوَبُوا سِرَّاءَ قَبْلِ أَنْ يَقَعَ الْقَوْتُ

يَا كَلِيفًا بَمَا لَا يَدُومُ ، يَا مَفْتُونًا بِمُرُورِ الْوُجُودِ الْمَدُومِ ، يَا صَرِيحَ جِدَارِ الْأَجَلِ
الْمَهْدُومِ ، يَا مُسْتَعْلًا بَيْنَانِ الطَّرِيقِ قَدْ ظَهَرَ الْمُنَاخُ وَقَرُبَ الْقُدُومُ ، يَا غَرِيقًا فِي
فِي بَحَارِ الْأَمَلِ مَا عَسَاكَ تَعُومُ ! يَا مُعَلَّلَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، وَلَمَعَ السَّرَابِ ^(٢) ،
لَا يَدَأُ تَهْجُرُ الشَّرُوبِ وَتَتْرَكُ الْمَطْعُومِ ، دَخَلَ سَارِقُ الْأَجَلِ بَيْتَ عَمْرٍ ،
فَسَلَبَ الدَّشَاطَ وَأَنْتَ تَنْظُرُ ، وَطَوَى الْبَسَاطَ وَأَنْتَ تُكْرَبُ ^(٣) ، واقطع جواهر

[١] الداعي جمع دعى وهو القدر .

[٢] السراب : ما يرى وسط النهار كأنه ماء . [٣] كره الهم كنعن : اشتد عليه .

الجوارح ، وقد وقع بك التنب ، ولم يبق إلا أن يجعل الوسادة على أنفك ويقعد .
 لو خُفِّفَ الوجْدُ عني دعوتُ طالبِ ناري
 « كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَاتِلُهَا » ، كيف التَّراخى والقوتُ مع الأنفاس يُنتظر ،
 كيف الأمان وهاجم الموت لا يُبقي ولا يذر ، كيف الركون إلى الطمع الفاضح
 وقد صيَّحَ الخبر ؟ من فكر في كَرْبِ الخُمار ^(١) تنمَّصت عنده لذَّةُ النبيذ ، من
 أحسنَ بلفظ ^(٢) الحريق فوق جذاره ، لم يُصنَعِ بصوته لِنِغْمَةِ العود ، من يَيقَنُ
 بذلَّ العُرْلة ، هان عليه ترك الولاية .

ما قامَ خيرُك يا زمانُ بشرِّه أُولَى لنا ما قُلَّ منك وما كُنِيَ
 أوحى الله سبحانه إلى موسى صلوات الله وسلامه عليه : أَنْ ضَعَّ يَدَكَ عَلَى مَتْنِ ثَوْرٍ ،
 فَيَعْدُدَ مَا حَادَثَتْهُ مِنْ شَعْرَةٍ تَعِيشُ سَنِينَ ، فقال : يارب وبعد ذلك ؟ قال :
 تموت ، قال : يارب فالآن .

رأى الأمرُ يُفْضَى إلى آخِرٍ ففسِّرَ آخِرُهُ أَوَّلًا
 إذا شَعَرْتَ نفسَكَ بالليل إلى تىءٍ فَأَعْرِضْ عَلَيْهَا غُصَّةَ فِرَاقِهِ « لِيَهْلِكَ مَنْ
 هَلَكَ عَنْ يَتْنَةٍ ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ يَتْنَةٍ » فالمفروح به هو المحزون عليه ، أين
 الأحياء مرؤا ؟ فياليت شعري أين استقروا ؟ استكانوا والله واضطَّروا ،
 واستغاثوا مَنْ سَبَقَتْ ^(٣) بأوليائهم فقرؤا ، وليتهم إذ لم ينعفوا ما صرُّوا ، فالمنازل
 من بعدهم خالية خاوية ، والعروش ذابلة ذاوية ، والمعظام من بعد التفاصيل
 متشابهة متساوية ، والمساكن تَنُذِبُ في أَطْلَافِهَا الذَّنَابُ العاوية

[١] الحمار : صداع الجحر وأذاها . [٢] أي رمية . [٣] هكذا في الأصل ، وكان يمكن أن
 يقول : « واستنعت من سفك أوليائهم » إلا أن يرح على أن « من » متما مؤخر كما في قوله تعالى :
 « ثُمَّ تَحْمَوُا صَدْرُكُمْ أَكْثَرُ مِنْهُمْ » وقوله : « وَأَسْرَوْا النَّجْوى الَّذِينَ طَبَّوْا » أو « من »
 بدل من واو الجملة .

حِصَّتْ بِالرَّيْبِ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَيْتَ شِعْرِي أَيْنَ يَمُضِي الْغَرِيبُ ؟
وَيَحْتَبِ الدَّارَ قَبْرُهُ جَدِيدٌ مِنْهُ يَسْتَسْقِي الْمَكَانَ الْجَدِيدُ
غَاثَ قَلْبِي فِيهِ عِنْدَ النَّجَاحِ قُلْتُ : هَذَا الْقَبْرِ فِيهِ الْحَيِّبُ ^(١)
لَا نَسَلُ عَنْ رَجَعَتِي كَيْفَ كَانَتْ إِنَّ يَوْمَ الْيَتِيمِ يَوْمَ عَصِيبُ
بِاقْتِرَابِ الْمَوْتِ عَلَّتْ نَفْسِي بَعْدَ إِلْفِي ، كُلُّ آتٍ قَرِيبُ

أَيْنَ الْمَعْرُ الْخَالِدَ ، أَيْنَ الْوَلَدَ أَيْنَ الْوَالِدَ ، أَيْنَ الطَّارِفَ أَيْنَ التَّالِدَ ، أَيْنَ الْمَجَاوِلَ أَيْنَ
الْمُجَالِدَ ؟ هَلْ تَحْسِبُ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْرَآءَ ^(٢) وَجْوهَ عَلَاهُنَّ التَّرَى ،
وَصَحَائِفُ نَفْسٍ ، وَأَعْمَالُ عَلَى اللَّهِ تُعْرَضُ ، بَحَثَ الزُّهَادَ وَالْمُبَادَ ، وَالْعَارِفُونَ
وَالْأَوَادَ ، وَالْأَنْبِيَاءَ الَّذِينَ يُهْدَى بِهِمُ الْعِبَادَ ، عَنْ سَبَبِ الشَّقَاءِ الَّذِي لَا سَعَادَةَ
بَعْدَهُ ، فَلَمْ يَجِدُوا إِلَّا الْبَعْدَ عَنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَسَبَبِهِ حُبُّ الدُّنْيَا ، « لَنْ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي
عَلَى ضَلَالَةٍ » .

هَجَرْتُ حَبَائِي مِنْ أَجْلِ لَيْلِي فَأَلَى بَعْدِ إِلْفِي مِنْ حَيِّبِ
وَمَاذَا أُرْتَجِي مِنْ وَصْلِ لَيْلِي سَتَجْزِي بِالْقَطِيعَةِ عَنْ قَرِيبِ

وَقَالُوا : مَا أُوْرِدَ النَّفْسَ الْمَوَارِدَ ، وَفَتَحَ عَلَيْهَا بَابَ الْخَنْفِ إِلَّا الْأَمْلَ ، كُلَّمَا قَوَّمتَهَا
مُنَاقِفُ الْحُدُودِ ، فَنَحَ لَهَا أَرْكَانَ الرُّخَصِ كُلَّمَا عَقَدَتْ صَوْمَ الْعَزِيمَةِ ، أَهْدَاهَا
طُرْفَ الْغُرُورِ فِي أَطْبَاقِ « حَتَّى وَإِذَا وَلَكِنْ وَرُبَّمَا » فَأَفْرَطَ الْقَلْبُ فِي تَقْلِيلِهَا
حَتَّى أَفْطَرَ :

مَا أَوْبَقَ الْأَنْفَسَ إِلَّا الْأَمْلُ وَهُوَ غَرُورٌ مَا عَلَيْهِ عَمَلُ
يَفْرُضُ مِنْهُ الشَّخْصُ وَفَهْمًا مَالَهُ حَالٌ ، وَلَا مَاضٍ ، وَلَا مُسْتَقْبَلُ

ما فوق وجه الأرض نفس حية
لَوْ أَنَّهُمْ مِنْ غَيْرِهَا قَدْ كُونُوا
مَا نَمَّ إِلَّا لَقَمٌ قَدْ هَيَّجَتْ
وَالْوَعْدِ حَقٌّ، وَالْوَرَى فِي غَفَلَةٍ
أَيْنَ الدِّينِ شَيْدُوا وَاغْتَرَسُوا
أَيْنَ ذَوِ الرَّاحَاتِ زَادَتْ حَسْرَةٌ
لَمْ تَدْفَعْ الْأَحْبَابُ عَنْهُمْ غَيْرَ أَنْ
اللَّهُ فِي نَفْسِكَ أَوْلَى مِنْ لَهُ
لَا تَرَكْنَهَا فِي عَمَى وَحَيْرَةٍ
حَقَرَهَا الْفَانِي، وَحَاوَلَ زُهْدَهَا
وَفِئْذٍ إِلَى اللَّهِ بِهَا مَضْطَرَةٌ
هُوَ الْفَنَاءُ، وَالْبَقَاءُ بِمَدِّهِ
يَا قُرَّةَ الْعَيْنِ وَيَا حَسْرَتَهَا
يَوْمَ يُؤْتَى النَّاسُ مَا قَدْ عَمِلُوا

يَا طُرْدُ^(١) المخالفة، أنكم مُذْرَكُونَ فاستبقوا باب التوبة، فإن رب تلك الدار يُخبر ولا يُحَارِكُ عليه « فَإِذَا أَمِنْتُمْ » فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَمَا هَدَاكُمْ^(٢)، يا طُفَيْلِيَّةُ الهمَّة، دُسُّوا أنفسكم بزمر التائنين، وقد دُعُوا إِلَى اللَّهِ دَعْوَةَ الْحَبِيبِ، فإن لم يكن أكلٌ فلا أَقَلٌّ مِنْ طَيْبِ الْوَلِيَّةِ، قال بعض العارفين: إِذَا عَقَّةَ التَّائِبُونَ الصَّلَحَ مَعَ اللَّهِ تَعَالَى، انتشرت رعايا الطاعة فِي عِمَالَةِ الْأَعْمَالِ، « وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا »

[١] حبه : دمه . [٢] أي اتق الله في نفسك التي هي أولى . . . الخ .

[٣] فد : أمر من ود أي اقدم . [٤] الطريدة : ما طردت من صيد أو غيره .

وَوَضَعَ الْكِتَابُ « معاني هذا المجلس والله نَسِيمُ سَحَرٍ ، إذا أَسْتَشَقَهُ مَخُور
الْعَفْلَةِ أَفَاق ، سَعُوطٌ ^(١) هذا الوعظ يَنْقُضُ ^(٢) إِنْ شَاءَ اللَّهُ زَكْمَةَ الْبَطَالَةِ ، إِنْ
الَّذِي أَتَزَلُ الدَّاءُ أَتَزَلُ الدَّوَاءُ ، إِكْسِيرٌ ^(٣) هذا الكتاب يَلْقَبُ بِحِكْمَةِ جَابِرٍ ^(٤) ،
الْقُلُوبِ الْمُنْكَسِرَةِ عَيْنٍ مِنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ « إِنَّمَا يَسْتَحِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى
يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ » إلهي ذُلْنَا مِنْ حَيْرَةٍ يَفِضِلُ فِيهَا - إِلَّا إِنْ هَدَيْتَ - الدَّلِيلُ ،
وَأَجْرُنَا مِنْ عَمْرَةٍ ^(٥) وكيف - إِلَّا بِإِغَاثَتِكَ - السَّبِيلُ ، نفوسُ صَدِيقٍ مِنْ مَرَّ
الْأَزْمَانِ مِنْهَا الصَّقِيلُ ، وَتَبَا يَجْنُبُنَا عَنْ الْحَقِّ الْمَقِيلُ ، وَأَذَانُ أَنْهَضَهَا الْقَوْلُ
الثَّقِيلُ ، وَعَثَرَاتُ لَا يَقْبَلُهَا إِلَّا أَنْتَ يَا مُقِيلَ الْعَثَرَاتِ يَا مُقِيلَ ، أَنْتَ حَسَبْنَا
وَنَعْمَ ^(٦) الْوَكِيلُ . (مع الطب ٤ : ٨٥)

١٩ - وصية موسى بن سعيد العنسي ^(٧) لابنه

قال أبو الحسن علي بن موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي :

لما أردت النهوض من نهر الإسكندرية إلى القاهرة ، أول وصولي إلى

[١] في الأصل « سوط » وأراه محرفاً عن « سعوط » كما يدل عليه سياق الكلام ، والسعوط : الدواء

يصب في الألف . [٢] في الأصل « يعص » وأراه « يقص » أي يذهب .

[٣] الإكسير : الكينياء .

[٤] يريد حار بن حيان . قال ابن القفطي في تاريخ الحكماء في ترجمته : « هو حار بن حيان الصوري الكوفي ، وكان متقدماً في العلوم الطبيعية ، وفي صناعة الكينياء . . . الخ » وذكره ابن ريدون في رسائله الهزلية ، حال : « وأظهرت حار بن حيان على سر الكينياء » قال ابن مائة في شرح البيون : « وأما حار بن حيان المذكور فلا أعرف له ترجمة صحيحة في كتاب يتنبد عليه ، وهذا دليل على قول أكثر الناس إنه اسم موضوع وصحه للصنعون في هذا الفن » وروى عنه أنه كان في زمن حمزة الصادق ، وأنه إذا قال في كتبه : قال في سيدي ، وصحمت من سيدي ، فإنه يعني به حمزة الصادق « وقد قدما لك أن حمزة الصادق توفي سنة ١٤٨ هـ .

[٥] العمرة : الشدة . [٦] أورد القرطبي في معج الطب لسان الدين عقب ذلك كلاماً آخر في الوعظ وهو على نخط ما أوردناه لك فاطره هناك إن شئت .

[٧] هو الكاتب الشهير أبو عمران موسى بن محمد بن عبد الملك بن سعيد العنسي ، من سلالة عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه ، وقد توفاه به ابن هود ملك الأندلس ، وولاه الجزيرة الحمراء ، وهو

الإسكندرية، رأى أبي أن يكتب لى وصية أجعلها إماماً فى الغربية ، فبقى فيها
أياماً إلى أن كتبها عنه ، وهى هذه :

أودعك الرحمن فى غربتك	مرتباً رُحماء فى أوتيتك
وما اختياري كان طوع النوى	لكننى أجرى على بُعيتك ^(١)
فلا تطل حبل النوى ، إننى	والله أشتاق إلى طلعك
من كان مفتوناً بأبنائى	فإننى أمنت فى خبرتك
فاختصر التوديع أخذاً ، فما	لى ناظر يقوى على فركك
واجمل وصائى نصب عين ، ولا	تبرح مدى الأيام من فكرتك
خلاصة العمر التى خُصت	فى ساعة زُفت إلى فطنتك ^(٢)
فلتجارب أمور إذا	طالمتها تشخذ من غفلتك
فلا تنم عن وغيباً ساعة	فإنها عوز إلى يقظتك ^(٣)
وكل ما كابدته فى النوى	إياك أن يكسر من همك
فليس يدرى أصل ذى غربته	وإنما تُعرف من شيمتك

من رحل من علماء الأندلس إلى الشرق ، وتوفى بالإسكندرية سنة ٦٤٠ هـ ص ٦٧ طما . وكان أبوه
مجد وزيراً لحليلا عبد الصيت ، طالى الذكر ، ربيع الهمة ، كثير الأموال ، وكان ذا حظوة لدى الموحدين ،
وولى لهم أعمالاً كثيرة بمراتش وإشبيلية ومرنطة ، واتصلت ولايته على أعمال عرطاة ، وكان من
شيوخها وأعيانها .

وكان حده عبد الملك بن سعيد صاحب قلعة بنى سعيد تحت طاعة على بن يوسف بن تاشفين ملك الجبر ،
إلى أن أسقطها سنة ٥٣٩ هـ .

وابنه أبو الحسن على هو متهتم كتاب : « العرب فى أحبار العرب » ، وكان اللبب و تأيحه هو
حده عبد الملك بن سعيد ، ثم تبعه ابنه عبد الملك ، ثم تم ما فى مسه اده موسى بن مجد ،
ثم أربى على الجميع فى إتقانه على بن موسى ، وقد ذكر فى حطته أنه بدئ فيه من سنة ٥٣٠ هـ ،
ومتهام إلى عرسه سنة ٦٤١ هـ ، وكان مولد أبى الحسن مرطاة سنة ٦١٠ هـ ، ووفاته بتونس سنة ٦٨٥ هـ
[١] التوى : المد . [٢] حكى : أحكى . [٣] اللقطة بالتحريك وسكه للشر .

وكل ما يُنْفِي إِسْذِرَ فلا
ولا تجالس مَنْ فَشَا جَهْلُهُ
ولا تجادلَ أَبَدًا حاسِدًا
وامشِ الهَوْنِي مظهرًا عَفَّةً
أَفْشِ النِّجَاتِ إِلَى أَهْلِهَا
وَانْطِقْ بِحَيْثُ الْعِيُ مُسْتَقْبَحٌ
ولا تَزَلْ مُجْتَمَعًا طَالِبًا
وَكَلِمَا أَبْصَرْتَهَا أَمَكَنْتَ
وَرَجَّحْ عَلَى رِزْقِكَ مِنْ بَابِهِ
وَأَيَّاسُ مِنَ الْوَدَى حاسِدٍ
وَوَفِّرِ الْجَهْدَ ، فَزَنْ قَصْدُهُ
وَوَفِّ كَلًّا حَقَّةً ، وَلَتَكُنْ
وَلَا تَكُنْ تَحْقِرُ ذَا رُتَبَةٍ
وَحَيْثَمَا خَيَّمْتَ فَاقْصِدْ إِلَى
وَالرَّزَايَا وَنَيْبَةً ، مَا لَهَا
وَلَا تَقُلْ : (أَسْلَمْتُ لِي وَحْدَتِي)
وَالْتَزِمِ الْأَحْوَالَ وَزَنَا وَلَا
وَلتَجْعَلِ الْعَقْلَ عِمَكًا ، وَخُذْ
واعتبرِ النَّاسَ أَلْفَاظَهُمْ

تجمله في الغربة من إزبتك^(١)
وأقصِدْ لِمَنْ يَرْغَبُ فِي صُنْعِكَ
فإنه أَدْعَى إِلَى هَيْبَتِكَ
وَأَبْغِ رِضَا الْأَعْيُنِ عَنْ هَيْبَتِكَ
وَتَبَوَّ النَّاسَ عَلَى رُتَبَتِكَ
وَاصْبِرْ بِحَيْثُ الْخَيْرِ فِي سَكَنَتِكَ
من دهرِكَ الْفُرْصَةِ فِي وَثْنَتِكَ
ثَبِّ وَاثِقًا بِاللَّهِ فِي مَكْنَتِكَ^(٢)
وأقصِدْ لَهُ مَا عِشْتَ فِي بُكْرَتِكَ
صِدِّ ، وَنَافِئَةً عَلَى خُطْبَتِكَ^(٣)
قَصْدُكَ لَا تَعْتَبِهِ فِي بَقِصَتِكَ
تَكْمِرْ عِنْدَ الْفَضْرِ مِنْ حَدَثِكَ
فإنه أَنْفَعُ فِي غُرْبَتِكَ
مُخْتَبَةً مِنْ تَرْجُوهُ فِي نُصْرَتِكَ
إِلَّا الَّذِي تَذَخَّرُ مِنْ عُدَّتِكَ
فَقَدْ تُقَاسِي الذَّلَّ فِي وَحْدَتِكَ
تَرْجِعْ إِلَى مَا قَامَ فِي شَهْوَتِكَ
كَلًّا بِمَا يَظْهَرُ فِي تَقْدَرَتِكَ
وَأَصْحَبْ أَخَا يَرْغَبُ فِي مُخْتَبَتِكَ

[١] الإربة : الحاجة . [٢] الكلمة بفتح مكسر : التمكن والقدرة ، وسكنه للشر .

[٣] في الأصل « وأس من الود . . . » وقد أصلحه « وأياس » وهه يسقيم للمعنى .

بعد اختبار منك يَقْضِي بما
يَحْسُنُ فِي الْآخِذِ مِنْ خِلَاطِكَ^(١)
كَم مِنْ صَدِيقٍ مُظْهِرٍ نُصْحَهُ
وَفِكْرُهُ وَقَفَّ عَلَى عَثْرَتِكَ
إِيَّاكَ أَنْ تَقْرَبَهُ ، إِنْهُ
عَوَّنَ مَعَ الدَّهْرِ عَلَى كَرْبَتِكَ
وَأَقْنَعُ إِذَا مَا لَمْ تَجِدْ مَطْمَعًا
وَأَنْتُمْ نَحْوُ النَّبْتِ قَدْ زَارُهُ
وَإِنْ نَبَا دَهْرٌ قَوَّطُنٌ لَهُ
غَيْبُ النَّدَى ، وَاسْمُ إِلَى قَدْرَتِكَ
وَأَنْظُرْهُ إِلَى مَدَّتِكَ
فَكُلْ ذِي أَمْرٍ لَهُ دَوْلَةٌ
جَاشَكَ ، وَانْظُرْهُ إِلَى مَدَّتِكَ
فَقَوْفٌ مَا وَافَاكَ فِي دَوْلَتِكَ
وَلَا تُضَيِّعْ زَمَنًا مُمَكِّنًا
تَذَكَّرُهُ يُدْكِي لَفْظِي حَسْرَتِكَ
وَالشَّرَّهْمَا أَسْطَعَتْ لَا تَأْتِيهِ
فَإِنَّهُ حَوَزَ عَلَى مُهْجَتِكَ^(٢)

* *

يَا مَبْنِيَّ الذِّي لَا نَاصِحَ لَهُ مِثْلِي ، وَلَا مَنْصُوحَ لِي مِثْلُهُ ، قَدْ قَدِمْتُ لَكَ فِي هَذَا
النَّظْمِ مَا إِنْ أَخْطَرْتَهُ بِخَاطِرِكَ فِي كُلِّ أَوَانٍ ، رَجَوْتُ لَكَ حَسَنَ الْعَاقِبَةِ إِنْ شَاءَ
اللَّهُ تَعَالَى ، وَإِنْ أَخَفَّ مِنْهُ لِلْحِفْظِ ، وَأَعْلَقَ بِالْفِكْرِ ، وَأَحَقَّ بِالْتَقَدُّمِ قَوْلِ الْأَوَّلِ :

يَزِينُ الْغَرِيبَ إِذَا مَا اعْتَرَبَ ثَلَاثٌ ، فَمِنْهُنَّ : حُسْنُ الْأَدَبِ

وَرِثَانَةُ : حُسْنُ أَخْلَاقِهِ وَثَلَاثَةٌ : اجْتِنَابُ الرِّيبِ

وَإِذَا اعْتَبَرْتَ هَذِهِ الثَّلَاثَةَ ، وَلَزِمْتَهَا فِي الْغَرِيبَةِ ، رَأَيْتَهَا جَامِعَةً نَافِعَةً ، لَا يَلْحَقُكَ

إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَعَ اسْتِعْمَالِهَا نَدَمٌ ، وَلَا يَفَارِقُكَ بَرٌّ وَلَا كَرَمٌ ، وَفِي دَرِّ الْقَائِلِ :

يُعَذِّرُ رَفِيعَ الْقَوْمِ مَنْ كَانَ عَاقِلًا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِي قَوْمِهِ بِحَسْبِيبٍ

[١] الحِلْطَةُ مِثْلُ الْعِصْرَةِ وَرَنَاءُ وَهِيَ ، وَالْحِلْطَةُ نَاصِحٌ : اسْمٌ مِنَ الْإِحْلَاطِ ، مِثْلُ الْفَرْقَةِ مِنَ الْإِتْرَاقِ .

[٢] حَازَهُ حَوَزًا : جَمَعَهُ وَضَعَهُ وَأَمْلَكَهُ كَمَا خَتَرَهُ اخْتِيَارًا ، وَالْمَعْنَى : أَمْلَكَ أَنْ أَتَيْتُ الشَّرَّ اسْتَحْوَذَ عَلَى

عَمَلِكَ وَعَمَلُكَ .

إذا حلَّ أرضاً عاشَ فيها بقله وما عاقلٌ في بلدةٍ بغيرِ
وما قصَّر القائل حيث قال :

واضربْ على خلقٍ من نعاشره ودَارِهِ ، فالليبُ من دَارِي
وانخذِ الناسَ كلَّهم سَكَنًا ومثَلِ الأرضِ كلَّها دَارًا
وأصغرُ يا بُنَيَّ إلى البيتِ الذي هو يَتيمة الدهر^(١) ، وسَلِّم الكرم والصبر :
وَلَوْ أَنَّ أَوطَانَ الدِّيارِ نَبَتْ بِكُمْ لَسَكَنْتُمْ الْأَخْلَاقَ وَالْآدَابَ^(٢)

إذ حُسِنُ الخلقِ أكرم نزيل ، والأدبُ أرحبُ منزل ، ولتكن كما قال بعضهم
في أدبٍ متغرب : « وكان كلما طرأ^(٣) على ملك ، فكأنه معه ولد ، وإليه قصد ،
غير مُستريب بدهره ، ولا مُشكر شيئاً من أمره » ، وإذا دعاك قلبك إلى
صحبةٍ من أخذ بمجامع هواه^(٤) ، فاجعل التكلف له سُلماً ، وهُبْ في روض
أخلاقه هبوبَ النسيم ، وحُلْ بطرفه حلولَ الوَسَنِ^(٥) ، وانزل بقله نزولَ المسرة ،
حتى يتمكن لك وداده ، ويخلص فيك اعتقاده ، وطهر من الوقوع فيه لسانك ،
وأغلق سمعك ، ولا تُرخص في جانبه لحسود لك منه ، يريد إبعادك عنه لمنفعته ،
أوحسود له يفار لتجمله بصحبتك ، ومع هذا فلا تغترَّ بطول صحبته ، ولا تتمهّد
بدوام رقدته ، فقد يذهب الزمان ، ويُغيّر منه القلبُ واللسان ، ولذا قيل : « إذا
أحييت فأحبيب هو تائماً ، ففي الممكن أن ينقلب الصديق عدواً ، والعدو صديقاً »
وإنما العاقل من جعل عقله معياراً ، وكان كالمرآة يلتقي كل وجه بمناله ، وجعل
نُصب ناظره قول أبي الطيّب :

[١] يقال : حرة يتيمة أي لا نظير لها ، وكل شيء مرمود يمر بطيره فهو يقيم .
[٢] ما به بمره : إذا لم يوافقه . [٣] طرأ عليهم كعب : أتاهم من مكان ، أو حرج عليهم منه حاجة .
[٤] الصبر فيه يعود على « قلبك » . [٥] الوَسَن : العباس .

ولما صار ودّ الناس خُبّاً جزيتُ على ابتسام بابتسام^(١)

وفي أمال العامة : « من مَبَقَّك يوم فقد سبقك بِعَقْل » ، فاحْذَرِ بِأَمْثَلَةٍ من جَرَبٍ ، واستمعِ إلى ما خَلَّدَ الماصون بعد جَهْدِهِمْ وَتَعَبِهِمْ من الأقوال ، فإنها خُلَاصَةُ عَمَرِهِمْ ، وَزُبْدَةُ تِجَارِهِمْ ، وَلَا تَتَكَلَّ عَلَى عَقْلِكَ ، فَإِنَّ النَظَرَ فِيمَا تَعِبَ فِيهِ النَّاسَ طَوِيلُ أَعْمَارِهِمْ ، وَابْتَاوَهُ غَالِبًا بِتِجَارِهِمْ ، يُزِيحُكَ وَيَقَعُ عَلَيْكَ رُخِصًا ، وَإِنْ رَأَيْتَ مَنْ لَهُ مَرُوءَةٌ وَعَقْلٌ وَتَجَرِبَةٌ ، فَاسْتَفِدْ مِنْهُ ، وَلَا تَضِيعْ قَوْلَهُ وَلَا فِعْلَهُ ، فَإِنَّ فِيمَا تَلْقَاهُ تَلْقِيحًا لِعَقْلِكَ ، وَحِثًّا لَكَ وَاهْتِدَاءً .

وإياك أن تعمل بهذا البيت في كلِّ موضع : وَالْحُرُّ يُخَذِّعُ بِالْكَلَامِ الطَّيِّبِ : فقد قال أحدُهم : ما قِيلَ أَضْرُ مِنْ هَذَا الْبَيْتِ عَلَى أَهْلِ التَّجَمُّلِ ، وَلَيْسَ كُلُّ مَا تَسْمَعُ مِنْ أَقْوَالِ الشُّعْرَاءِ يَحْسُنُ بِكَ أَنْ تَتَّبِعَهُ حَتَّى تَتَذَكَّرَهُ ، فَإِنْ كَانَ مُوَافِقًا لِعَقْلِكَ ، مُصْلِحًا لِحَالِكَ ، فَرَاغَ ذَلِكَ عِنْدَكَ ، وَإِلَّا فَانْبِذْهُ تَبَذُّلَ النَّوَاةِ ، فَلَيْسَ لِكُلِّ أَحَدٍ يُتَبَسَّمُ ، وَلَا كُلِّ شَخْصٍ يُكَلَّمُ ، وَلَا الْجُودُ مِمَّا يُعَمُّ بِهِ ، وَلَا حُسْنُ الظَّنِّ وَطِيبُ النَّفْسِ مِمَّا يَعامِلُ بِهِ كُلُّ أَحَدٍ ، وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ :

وَمَالِي لَا أُوْفِي الْبَرِيَّةَ فِسْطَها عَلَى قَدْرِ مَا يُعْطَى وَعَقْلِي مِيزَانُ

وإياك أن تُعْطِيَ مِنْ نَفْسِكَ إِلَّا بِقَدَرٍ ، فَلَا تَعامِلِ الدُّونَ بِعَامِلَةِ الْكَفِّ ، وَلَا الْكَفِّ بِعَامِلَةِ الْأَعْلَى ، وَلَا تَضِيعَ عَمْرُكَ فِيمَنْ يَعامِلُكَ بِالْمُطَامَعِ ، وَيُثْبِتُكَ عَلَى مُصْلَحَةٍ حَاضِرَةٍ عَاجِلَةٍ ، بِنَائِبَةِ آجَلَةٍ ، وَاسْمَعْ قَوْلَ الْأَوَّلِ :

وَبِعَ آجِلًا مِنْكَ بِالْعَاجِلِ : وَأَقْلِيلِ مِنْ زِيَارَةِ النَّاسِ مَا اسْتَطَعْتَ ، وَلَا تَجْفُفْهُمُ بِالْجَمَلَةِ ، وَلَكِنْ يَكُونُ ذَلِكَ بِحَيْثُ لَا يَتَلَحَّقُ مِنْهُ مَتَلَكٌ وَلَا صَجَرٌ وَلَا جَفَاءٌ ،

ولا تَقُلْ أيضاً : أَفْعُدُّ في كِسْرِيَّتِي ، ولا أَرى أحداً ، وأَسْتَرِيحُ مِنَ النَّاسِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كَسَلٌ دَاجِعٌ إِلَى الدَّلِّ وَالْمَهَانَةِ ، وَإِذَا عَلِمَ عَدُوْلُكَ أَوْ صَدِيقُكَ مِنْكَ ذَلِكَ ، مَآلُكَ بِحَسْبِهِ ، فَازْدِرَاكَ الصَّدِيقُ ، وَجَسَرَ عَلَيْكَ الْعَدُو ، وَإِيَّاكَ أَنْ يَمُرَّكَ صَاحِبٌ عَنْ أَنْ تَدَّخِرَ غَيْرَهُ لِلزَّمَانِ ، وَتَطْيِئَهُ فِي عَدَاوَةٍ سَوَاءٍ ، فِيهِ الْمُمْكِنُ أَنْ يَتَغَيَّرَ عَلَيْكَ ، فَتَطْلُبُ إِعَانَةَ غَيْرِهِ عَلَيْهِ ، أَوْ اسْتِغْنَاءَ عَنْهُ ، فَلَا تَجِدُ ذَخِيرَةً قَدَّمَتَهَا ، وَكَانَ هُوَ فِي أَوْسَعِ حَالٍ ، وَأَعْلَى رَأْيٍ ، بِمَا دَبَّرَهُ بِحِيلَتِهِ فِي انْقِطَاعِكَ عَنْ غَيْرِهِ ، فَلَوْ اتَّفَقَ لَكَ أَنْ تَصْحَبَ مِنْ كُلِّ صِنَاعَةٍ وَكُلِّ رِيَاةٍ ، مَنْ يَكُونُ لَكَ عُدَّةً ، لَكَانَ ذَلِكَ أَوْلَى وَأَصْنَبَ ، وَسَلْنِي فَإِنِّي خَيْرٌ ، طَال - وَاللَّهِ - مَا تَحَبَّبْتُ الشَّخْصَ أَكْثَرَ عَمَرِي ، لَا أَعْتَمِدُ عَلَى سِوَاهُ ، وَلَا أَعْتَدُ إِلَّا بِإِيَّاهُ ، مِنْخُدمًا بِسَرَّابِهِ ، مُوْتَوِّقًا فِي حِبَائِلِ خِطَابِهِ ، إِلَى أَنْ لَا يَحْصُلَ لِي مِنْهُ غَيْرُ الْعُضِّ عَلَى الْبَنَانِ ، وَقَوْلٌ : لَوْ كَانَ وَلَوْ كَانَ ! وَلَا يَحْمِلُكَ أَيْضًا هَذَا الْقَوْلُ أَنْ تَظُنَّ فِي كُلِّ أَحَدٍ ، وَتَعَجَّلَ الْمُسْكَافَاةَ ، وَلِيَكُنْ حَسَنُ الظَّنِّ بِمُقْدَارٍ مَا ، وَاصْبِرْ بِمُقْدَارٍ مَا ، وَالْفَطْنُ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ تَحَايِلُ الْأَحْوَالِ ، وَفِي الْوُجُوهِ دَلَالَاتٌ وَعَلَامَاتٌ ، وَأَصْغَرُ إِلَى الْقَائِلِ :

لَيْسَ ذَا وَجْهِ مَنْ يَضِيفُ وَلَا يَقْدِرُ - رِيٌّ وَلَا يَدْفَعُ الْأَذَى عَنْ حَرِيمٍ ^(١)
فَمَنْ يَكُنْ لَهُ وَجْهٌ مِثْلُ هَذَا الْوَجْهِ قَوْلٌ وَجَّهَكَ عَنْهُ رِبْلَةٌ تَرْضَاهَا ، وَلْتَحَرِّصْ
جَهْدَكَ عَلَى أَنْ لَا تَصْحَبَ أَوْ تَخْدُمَ إِلَّا رَبَّ حِشْمَةٍ وَنِعْمَةٍ ، وَمَنْ نَشَأَ فِي
رِفَاهِيَةٍ وَمُرُوءَةٍ ، فَإِنَّكَ تَنَامُ مَعَهُ فِي مَهَادِ الْعَافِيَةِ ، وَإِنْ الْجِيَادُ عَلَى أَعْرَاقِهَا ^(٢)
تَجْرِي ، وَأَهْلُ الْأَحْسَابِ وَالْمُرُوءَاتِ يَتَرَكُونُ مَنَافِعَهُمْ مَنِ كَانَتْ عَلَيْهِمْ فِيهَا

[١] صَافَهُ يَضِيفُهُ : رَلَّهُ بِهِ صَيْغًا ، وَرِيٌّ الصَّيْفُ كَرِيٌّ : أَحْسَنُ إِلَيْهِ .

[٢] الْأَعْرَاقُ جَمْعُ عَرَقٍ مَالِكُ الْكُفْرِ وَهُوَ الْأَصْلُ .

وَصْنَةٌ ، وقد قيل في مجلس عبد الملك بن مروان : أَشْرَبَ مُصْعَبُ الْحَجَرِ ؟ فقال عبد الملك - وهو عدو له محارب له على الملك - : لَوْ عَلِمَ مُصْعَبُ أَنَّ الْمَاءَ يُفْسَدُ مِرْوَةً مَا شَرِبَهُ ؛ وَالْفَضْلُ مَا شَهِدَتْ بِهِ الْأَعْدَاءُ .

يا بني ، وقد علمت أن الدنيا دار مفارقة وتغيير ، وقد قيل : « أَصْحَبُ مِنْ شُدَّتْ فَإِنَّكَ مُفَارِقُهُ » ، فتى فارقت أحداً فَعَلَى حُسْنَى فِي الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ ، فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي : هَلْ أَنْتَ رَاجِعٌ إِلَيْهِ ؟ فَلِذَلِكَ قَالَ الْأَوَّلُ :

« وَلَمَّا مَضَى سَلَمٌ بِكَيْتٍ عَلَى سَلَمٍ » ، وَإِلَيْكَ وَالْبَيْتَ السَّائِرُ :

وَكَنتَ إِذَا حَلَلْتَ بَدَارَ قَوْمٍ رَحَلْتَ بِحِزْبِيَّةٍ وَتَرَكْتَ عَارَا

واحرص على ما جمع قول القائل : « ثَلَاثَةٌ تُبْنِي لَكَ الْوَدَّ فِي صَدْرِ أَخِيكَ : أَنْ تَبْدَأَ بِالسَّلَامِ ، وَتَوْسِعَ لَعْنَى الْمَجْلِسِ ، وَتَدْعُوهُ بِأَحَبِّ الْأَسْمَاءِ إِلَيْهِ » ، واحذر كل ما بينه لك القائل : « كُلُّ مَا تَقْرُسُهُ تَجْنِيهِ إِلَّا ابْنَ آدَمَ ، فَإِنَّكَ إِذَا غَرَسْتَهُ يَقْلَعُكَ » وقول الآخر : « ابْنَ آدَمَ يَتَمَسَّكُنُ حَتَّى يَتَمَكَّنَ » وقول الآخر : « ابْنَ آدَمَ ذُئِبَ مَعَ الضَّعْفِ ، أَسَدُهُ مَعَ الْقُوَّةِ » .

وإناك أن تبث على ضجة أحد قبل أن تُطِيلَ اخْتِبَارَهُ ، فيحكى أن ابن المقفع خطب من الخليل مُحَبَّتَهُ ، فجاوبه : « إِنْ الصَّحْبَةُ رِقٌّ ، وَلَا أَضْعُ رِقٌّ فِي يَدِكَ حَتَّى أَعْرِفَ كَيْفَ مَلَكَتُكَ ^(١) » ، وَأَسْتَمِلُ ^(٢) مِنْ عَيْنِ مَنْ تَعَاشَرَهُ ، وَتَقَعَّدُ فِي فَلَتَاتِ الْأَلْسُنِ وَصَفَحَاتِ الْأُجُوهِ ، وَلَا يَحْمِلُكَ الْحِيَاءُ عَلَى السَّكُوتِ عَمَّا

[١] ملكة بالتحريك ، وملكاً مثلك للام ، وملكة ملك الام : احتواء قادراً على الاستعداد به .

[٢] من استملته الكتاب : سأله أن يملكه عن ، وللمى : استرضه وتبين من نظرات عينه بأحب لك هو أم عدو .

يضرّك أن لا تبينه ، فإن الكلام سلاح السِّلْم ، وبالأُنين يُعرّف ألم الجُرْح ،
واجعل لكل أمر أخذت فيه غاية تجعلها نهاية لك .

وَأكْذُ ما أُوصيك به أن تطرح الأفكار ، وتسلم للأقدار .

وَاقْبَلْ من الدهر ما أتاك به مَنْ قَرَّ عَيْنًا بعيشه نعمة

إذ الأفكار تَجْلِبُ الهموم ، وتضاعف النجوم ، وملازمة القُطوب ، غنوان
المصائب والخطوب ، يستريب به الصاحب ، ويشمت العدو المُجَانِب ، ولا
تضالّ بالوساوس إلا نفسك ، لأنك تنصر بها الدهر عليك ، والله درّ القائل :

إِذَا ما كُنْتَ للأحزان عَوْنًا عليك مع الزمان فَنَ تَلُومُ ؟

مع أنه لا يردُّ عليك الفائتَ الحَزَنُ ، ولا يرفعى بطول عَتَبِكَ الزَمَنُ ، ولقد
شاهدتُ بغيرِ ناطة شخصاً قد أَلِفَتْهُ الهموم ، وعشيقته النوم ، من صغره إلى
كبره ، لا تراه أبداً خَلِيًّا من فكره ، حتى ثَقُبَ بصدر الهم ، ومن أعجب ما
رأيتُه منه أنه يَنكُذُ في الشدة ، ولا يتعلل بأن يكون بعدها فرج ، ويتنكّذ في
الرخاء خوفاً من أن لا يدوم .

وَيُنشِدُ : تَوَقَّعْ زَوَالًا إِذَا قَبِلَ نَجْمٌ ، وَيُنشِدُ : وعند التناهي يَقْصُرُ الْمُتَطَاوِلُ .

وله من الحكايات في هذا الشأن عجائب ، ومثل هذا عُمره مخسور يمرّ ضياعا .
ومتى رفعك الزمان إلى قوم يدُمُّون من العلم ما تُحسِنُهُ حَسَدًا لك ، وَقَصْدًا
لتصغير قدرك عندك ، وتزهيدًا لك فيه ، فلا يَحْمِلُكَ ذلك على أن ترهّد في عامك ،
وَتَرْكَنَ إلى العلم الذي مدحوه ، فتكون مثلَ الغراب الذي أعجبه مَشْيُ الْحَبَلَةِ (١)

[١] المحرّ - فالتعريك : طائر على قدر الحمام كالقطا أحمر المقار والرحلين ، والواحدة حطة ، واسم جمعه
حتى بكسر ميمون "حج ولا غير له سوى طري (ومفرده طريان) يتبع فكر وهو درية مدقة الريح)

فَرَامَ أَنْ يَتَعَلَّمَ فَصَصَّبَ عَلَيْهِ ، ثُمَّ أَرَادَ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى مَشِيهِ فَنَسِيَهُ ، فَبَقِيَ مُجَلِّدٌ
الْمَشَى ، كَمَا قِيلَ :

إِنَّ الْغَرَابَ (وَكَانَ يَمْشِي مَشِيَّةً) فِيَا مَضَى مِنْ سَالِفِ الْأَجْيَالِ^(١)
حَسَدَ الْقَطَا ، وَأَرَادَ يَمْشِي مَشِيَّتَهَا فَأَصَابَهُ ضَرْبٌ مِنَ الْقُمَّالِ^(٢)
فَأَضَلَّ مَشِيَّتَهُ ، وَأَخْطَأَ مَشِيَّتَهَا فَلِذَاكَ مَمْنُوءُ أَبَا بَرْقَالِ^(٣)

وَلَا يُفْسِدُ خَاطِرُكَ مَنْ جَعَلَ يَدُومَ الزَّمَانِ وَأَهْلَهُ ، وَيَقُولُ : « مَا بَقِيَ فِي الدُّنْيَا
كَرِيمٌ وَلَا فَاضِلٌ ، وَلَا مَكَانٌ يُرْتَاخُ فِيهِ » ، فَإِنَّ الَّذِينَ تَرَاهُمْ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ ،
أَكْثَرُ مَا يَكُونُونَ مِنْ تَحِيَّةِ الْحَرَمَانِ ، وَاسْتَحَقَّتْ طَلْعَتُهُ لِلْهَوَانِ ، وَأُزْمُوا^(٤)
عَلَى النَّاسِ بِالسُّؤَالِ فَقَتَوْهُمْ ، وَعَجَزُوا عَنْ طَلَبِ الْأُمُورِ مِنْ وَجْهِهَا ، فَاسْتَرَاخُوا
إِلَى الْوُقُوعِ فِي النَّاسِ ، وَإِقَامَةِ الْأَعْذَارِ لِأَنْفُسِهِمْ بِقَطْعِ أَسْبَابِهِمْ ، وَتَعْذِيرِ أُمُورِهِمْ ،
وَلَا تُزَلُّ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ فِكْرِكَ :

لِنْ إِذَا مَا نِلْتَ عِزًّا فَأَخُو الْعِزِّ يَلِينُ
فَإِذَا نَابَكَ دَهْرٌ فَكَمَا كُنْتَ تَكُونُ

وقول الآخر :

تِهْ وَارْتَفِعْ إِنْ قِيلَ أَقْسَرُ ، وَانْخَفِضْ إِنْ قِيلَ أَمْزَى^(٥)
كَالْفَصْنِ يَسْقُلُ مَا أَكْتَسَى تَمَرًّا ، وَيَعْلُو مَا تَعَرَّى

[١] هذا البيت ليس شتأ في الأصل ، وقد أورده الدميري مع البيتين بعده في حياة الحيوان
الكبرى ٢ : ٢٤٤ . [٢] القفال : داء في رجل العادة إذا مشى طلع ساعة ثم انسلط .
[٣] من أزلت العادة إذا أسرع . [٤] أورد الصل لارما وهو ممتد ، جاء في كنف اللغة :
« أمره هدم كرمه وترم : أهله قتل » . [٥] أنتر : انصرف .

ولا قول الآخر :

والخير يَبْقَى وإن طال الزمانُ به والشرُّ أَخْبَثُ ما أُوْعِيَتْ مِنْ زَادِ
واعْتَقَدَ فِي النَّاسِ ما قَالَهُ الْقَائِلُ :

وَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدِ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَفْعَلْ لَا يَعْتَمِدُ عَلَى النَّاسِ لَأَمْنِهِ
وَقَرِيبٌ مِنْهُ قَوْلُ الْقَائِلِ :

بِقَدْرِ الصُّعُودِ يَكُونُ الْمَهْوَطُ فَإِيَّاكَ وَالرَّتَبَ الْعَالِيَةَ
وَكُنْ فِي مَكَانٍ إِذَا مَا سَقَطَتْ تَقُومُ وَرَجْلَاكَ فِي عَاقِبَتِهِ
وَتَحْفَظُ بِمَا تَضَمَّنَهُ قَوْلُ الْآخَرِ :

وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى دَمِهِ دَمُّهُ بِالْحَقِّ وَبِالْبَاطِلِ
وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ .

ما كلُّ ما فوق البسيطة كافياً فإذا قَنِعْتَ فَسَكَلْ شَيْءٌ كَافِي
وَالْأَمْثَالُ يَضْرِبُهَا لِذِي الثَّبَرِ الْحَكِيمِ ، وَذُو الْبَصَرِ يَمْشِي عَلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ،
وَالْفِطْنُ يَقَعُ بِالْقَلِيلِ ، وَيَسْتَدِلُّ بِالْيَسِيرِ ، وَاللَّهُ سَبْحَانَهُ خَلِيفَتِي عَلَيْكَ ،
لَا رَبُّ سِوَاهُ » . (مع الطب ١ : ٤٩٣)

٢٠ - خطبة ابن الزيات المزروعة الألف (توفي سنة ٧٢٨ هـ)
وخطب أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات ^(١) خطبة ألغيت الألف من
حروفها على كثرة تردها في الكلام ، وهي :

[١] هو أحمد بن الحسن بن علي بن الزيات الخطيب النحوي ، من أهل بلخ مائة ولد سنة ٦٤٩ هـ ،
وتوفي سنة ٧٢٨ هـ . قال فيه لسان الدين بن الخطيب : « كان يفتح مجالسه أكثر الأحيان محطت عربية ،
يطلق بها معاصِلُ الأعراس التي يشرع فيها ، ويظم الشعر دائماً في مراحته ومحابته وإجارتته من غير
تأن ولا ردية ، حتى اعتاده ملكه ، واستعمل في العارات بين الملوك لحسن السماع ، وإصلاح الأئور ،
فكانوا يوحون حقه ، ويتسبون بركته ودعاه » وله تصانيف كثيرة ذكرها ابن الخطيب .

« حِذْتُ رَبِّي جَلَّ مِنْ كَرِيمٍ مُحَمَّدٌ ، وَشَكَرْتُهُ عَزَّ مِنْ عَظِيمٍ مَعْبُودٌ ، وَتَزَهَّيْتُ عَنْ جَهْلٍ كُلِّ مُلْحِدٍ كُفُورٌ ، وَقَدَّسْتُ عَنْ قَوْلِ كُلِّ مُفْسِدٍ غُرُورٌ . كَيْبَرُ لَوْ تَقَوَّمُ فِي فَهْمٍ لِحْدٌ ^(١) ، قَدِيرُ لَوْ تَصَوَّرَ فِي رَسْمٍ لِحْدٌ ^(٢) ، لَوْ عَزَّ ^(٣) فِكْرُهُ تَصَوُّرُ تَصَوُّورٍ ، وَلَوْ حَذَّ ^(٤) فَكْرُهُ لَتَقَدَّرَ ^(٥) ، وَلَوْ فَهِمْتُ لَهُ كَيْفِيَّةً لِبَطَلٍ قِدْمُهُ ، وَلَوْ عَلِمْتُ لَهُ كَيْفِيَّةً لَحَصَلَ عَدَمُهُ ، وَلَوْ حُصِرَ فِي ظَرْفٍ لَقُطِعَ بَتَجْسُّمِهِ ، وَلَوْ فَهَرُ وَصَفَ لَصُدَّعَ ^(٦) بَتَقْسُّمِهِ ، وَلَوْ فُرِضَ لَهُ شَيْخٌ كَرِهَقُهُ ^(٧) كَيْفٌ . عَظِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْكِيبٍ قَطْرٌ ، عَلِيمٌ مِنْ غَيْرِ تَرْتِيبٍ فِكْرٌ ، مَوْجُودٌ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ يُمْسِكُهُ ، مَعْبُودٌ مِنْ غَيْرِ وِجْهِ يُدْرِكُهُ ، كَرِيمٌ مِنْ غَيْرِ عِوَضٍ يُلْحَقُهُ ، حَكِيمٌ مِنْ غَيْرِ عَرَضٍ يُلْحَقُهُ ^(٨) ، قَوِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَحْمِلُهُ ، عَلِيٌّ مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ يَرْفَعُهُ ، لَوْ وُجِدَ لَهُ جِنْسٌ لَمُورِضٌ فِي قِيُومِيَّتِهِ ^(٩) ، وَلَوْ بُنِيَ لَهُ حِسٌّ لَنُوزَعٌ فِي دَيْمُومِيَّتِهِ ^(١٠) .

وَمِنْهَا : نَقَدَّسَ وَعَزَّ فَعْلُهُ ، وَتَزَهَّى عَزَّ اسْمُهُ وَفَضَّلَهُ ، جَلَّ فَاهَرُ قَدْرَتِهِ ، وَعَزَّ بَاهَرُ عِزَّتِهِ ، وَعَظُمْتَ صِفَتُهُ ، وَكَثُرَتْ مِثْلُهُ ، فَتَقَى وَرَتَقَ ، وَصَوَّرَ وَخَلَقَ ، وَقَطَعَ وَوَصَلَ ، وَانْصَرَّ وَخَذَلَ ، حَمَذَتْهُ حَمْدٌ مِنْ عَرَفَ رَبَّهُ ، وَرَهَبَ ذَنْبَهُ . وَصَفَتْ حَقِيقَةً يَقِينَهُ قَلْبُهُ . وَزَكَّتْ ^(١٠) بَصِيرَةً دِينَهُ لُبُّهُ ، رَبَطَ سَلَكُ سَلُوكِهِ

[١] أَيْ لَعَرَفَ ، مِنْ الْحَدِّ : وَهُوَ التَّعْرِيفُ . [٢] مِنَ التَّجْدِيدِ ، أَيْ لَصَارَتْ لَهُ وَاتَّ مَعْدُودَةٌ ، وَلَوْ أَنَّهُ قَالَ : « قَدِيمٌ » بَدَلَ « قَدِيرٍ » لَأَسْبَغَ أَنْ يَقُولَ عَدَمُهُ : « لِحْدٌ » تَالِمْ الْمَفْتُوحَةُ أَيْ لَعَارَ حَدِيدًا حَادَةً . [٣] عَزَّ : أَيْ اعْتَرَتْهُ وَتَنَاوَلَتْهُ ، وَفِي الْأَصْلِ « عَدَتْ » تَالِدَالًا وَأَرَادَ مَعْرَدًا ، وَتَصَوَّرَ أَيْ تَمَثَّلَ فِي صُورَةٍ ، يَتَلَفَّ : صُورُهُ وَتَصَوُّورٌ . [٤] لَتَقَدَّرَ : أَيْ صَارَ لَهُ قَدْرٌ بِحَسَبِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ « لَتَعَدَّرَ » وَأَرَادَ مَعْرَدًا . [٥] صَدَّعَ بِهِ : حَمَرُ . [٦] رَهَقَ : عَشِيَ وَخَلَفَ .

[٧] يُلْحَقُهُ الْأَوَّلُ : أَيْ يَأْتِيهِ وَيُحَادِدُهُ ، وَيُلْحَقُهُ الثَّانِي بِمَعْنَى يَتَصَفَّ بِهِ .

[٨] الْغَيْبُومُ : مِنَ أَسْمَاءِ تَمَالٍ ، أَيْ الَّذِي لَا يَدُّ لَهُ . [٩] الدَّيْمُومَةُ : الدَّوَامُ .

[١٠] رَكَتْ : طَهَّرَتْ .

وَشَدَّ^(١)، وَهَدَمَ صَرْحَ عُنُودِهِ وَهَدَّ، وَحَرَسَ مَعْقِلَ عَقْلِهِ وَحَدَّ، وَطَرَدَ غُرُورَ غِرَّتِهِ^(٢) وَرَذَلَهُ^(٣)، عِلْمٌ تَحْقِيقٌ فَنَحَا نَحْوَهُ، ثَقَرَّ لَهُ عِزٌّ وَجَلَّ بِنُبُوتِ رُبُونِهِ وَقَدِّمَهُ، وَنَمَتَدَّ صُدُورَ كُلِّ جَوْهَرٍ وَعَرَضِيَّ عَنْ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، وَنَشَهَدَ بِتَبْلِيغِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتِهِ وَسَلَامِهِ عَلَيْهِ، رَسُولِهِ وَخَيْرِ خَلْقِهِ، وَتَعَلَّنَ بِهَوَاضِهِ فِي تَبْيِينِ فَرْصَتِهِ، وَتَبْلِيغِ شَرَعِهِ، ضَرْبَ قُبَّةٍ شَرَعَهُ فَنَسَخَتْ كُلَّ شَرْعٍ، وَجَدَّدَ عِزَّتَهُ فَقَطَعَ عُدُوَّهُ خَيْرَ قَطْعٍ، قَوْمٌ كُلُّ مَقْوَمٍ بِقَوْمٍ سَنَتْهُ، وَكَرِيمٌ هَدَّيَهُ، وَأَوَّيَّسَ لِقَوْمِهِ كَيْفَ يَرْكَوْنُونَ^(٤)، فَفَازُوا بِقَصْدِهِ وَسَدِيدِ سَعْيِهِ، بِشَرِّ مُطِيعِهِ فَقَطَّرَ بُرَحَتَهُ، وَحَدَّرَ حَاصِيَهُ فَشَقَّى بِنِقْمَتِهِ .

وبعد : فقد نصحتكم لو كنتم تَعْلَمُونَ ، وهديتكم لو كنتم تَعْلَمُونَ ، بُصِّرْتُمْ لو كنتم تُبْصِرُونَ ، وَذُكِّرْتُمْ لو كنتم تَذْكُرُونَ ، ظَهَرَتْ لَكُمْ حَقِيقَةُ نَشْرِكُمْ ، وَبَرَّرَتْ لَكُمْ حَقِيقَةَ حَشْرِكُمْ ، فَكَمْ تَرْكُضُونَ فِي طَلْقِ^(٥) عَفْطِكُمْ ، وَتَنُفَلُونَ عَنْ يَوْمِ بَعْثِكُمْ ، وَلِلْمَوْتِ عَلَيْكُمْ سَيْفٌ مُسَلُولٌ ، وَحُكْمٌ عَزِيزٌ غَيْرُ مَعْلُولٍ ، فَكَيْفَ بِكُمْ يَوْمَ يُؤْخَذُ كُلُّ بَذْنَبَةٍ ، وَيُخْبَرُ بِجَمِيعِ كَسْبِهِ ، وَيَفْرَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ صَحْبِهِ ، وَيَعْدَمُ نُصْرَةَ حِزْبِهِ ، وَيَسْتَنْغِلُ بِهِمَهُ وَكَرْبَهُ ، عَنْ صَدِيقِهِ وَزَيْبِهِ ، وَتَنْتَشِرُ لَهُ رُقْعَةٌ ، وَتَعْلَمُ لَهُ بُقْعَةٌ ؟ قَرِيبٌ عَبْدٌ نَظَرَ وَهُوَ فِي مَهَلٍ لِنَفْسِهِ ، وَتُرْسُلُ فِي رَضَى عَمَلِ جَنَّةٍ لِحُلُولِ رَمْسِهِ^(٦) ، وَكَاسَرَصْتُمْ سُهُونَهُ ، لِيَقَرَّ فِي بُحْبُوحَةٍ^(٧) قُدْسِهِ .

[١] في الأصل « وشيد » وأراه عرماً عن « شدَّ » إدمي التي تلائم قوله قبلها « وربط » .

[٢] المرة السابعة . [٣] رذله وأرذله : عدَّه ردلاً .

[٤] ركن إلى الشيء : ركننا : مل إلىه وإطمان ، أي إن لهم كيف يركبون إلى الحق والمصواب ، وقد كانوا من قبل يسهون في صلاتهم ويمحطون .

[٥] يقال : جرى الرمس طائفاً أو طلقين : أي شوطاً أو شوملين . [٦] الرمس : الغبر .

[٧] بحوحة المكان : وسطه .

ومنها : قَتَبَةٌ - وَيَحْكُ - مِنْ سِنِّكَ وَنَوْمِكَ ، وَتَفَكَّرَ فِيمَنْ هَلَكَ مِنْ مُجْتَمَعِكَ
 وَقَوْمِكَ ، هَتَفَ بِهِمْ مَنْ تَعْلَمُ ، وَشَبَّ عَلَيْهِمْ مِنْهُ حَرَقٌ ^(١) مُظْلِمٌ ، نَغَرِبَتْ
 بِصَيْحَتِهِ رُبُوعُهُمْ ، وَتَفَرَّقَتْ لَهْوُهُ جُمُوعُهُمْ ، وَذَلَّ عَزِيزُهُمْ ، وَخَسِيَ رَفِيعُهُمْ ، وَصَمَّ
 سَمِيعُهُمْ ، نَخَرَجَ كُلُّ مِنْهُمْ عَنْ قَصْرِهِ ، وَرَمَى غَيْرَ مُوسَدٍ فِي قَبْرِهِ ، فَهُمْ بَيْنَ سَعِيدٍ
 فِي رَوْحَةٍ مُتَرَبِّبٍ ، وَبَيْنَ شَقِيٍّ فِي حُفْرَةٍ مُعَذِّبٍ ، فَانْشَوْبُ مِنْهُ عَزَّ وَجَلَّ
 عِصْمَةً مِنْ كُلِّ خَطِيئَةٍ ، وَخُصُوصِيَّةً تَبْقَى مِنْ كُلِّ نَفْسٍ جَرِيئَةٍ .

(الإطالة ، في أخبار غرطاة ١ : ١٥٤)

٢١ - خطبة القاضي عياض التي ضمنها سور القرآن

وخطب القاضي أبو الفضل عياض ^(٢) خطبة ضمنها سور القرآن ، فقال :
 « الحمد لله الذي افْتَحَ بالحمد كلامه ، وَبَيَّنَّ في سورة البقرة أحكامه ، وَمَدَّ
 في آل عمرانَ والنساء مائدة الأنعامِ لِيَتِمَّ إنعامه ، وجعل في الأعراف أقال
 توبة يونس وألر كتابَ أُحْكِمْتَ آيَاتُهُ ، بمجاورة يوسف الصديق في دار
 الكرامة ، وَسَبَّحَ الرعدُ بحمده ، وجعل النارُ بَرْدًا وسلامًا على إبراهيم ، لِيُؤْمِنَ
 أَهْلُ الْجُبْرِ ^(٣) أَنَّهُ إِذَا أَمَرَ اللَّهُ سَبْحَانَهُ فَلَا كَهْفَ وَلَا مَلْجَأَ إِلَّا إِلَيْهِ ، وَلَا يَظْلَمُونَ
 قُلَامَهُ ، وجعل في حروف كهين مص سرًّا مكنونا ، قَدَّمَ بسببه طه صلى الله عليه
 وسلم على سائر الأنبياء ، لِيُظْهَرَ إِجْلَالُهُ وَإِعْظَامُهُ ، وَأَوْضَحَ الْأُمُورَ حَتَّى حَاجَّ الْمُؤْمِنُونَ

[١] الحرق : النار ولهبها .

[٢] هو القاضي أبو الفضل عياض بن موسى بن عياض ولد سنة ٤٧٦ هـ ، سنة - ولد بمراكش على
 الساحل الشمالى - ودخل الأندلس طالبا للعلم ، وأخذ فخرطبة عن جماعة ، وجمع من الحديث كثيرا ، وكان
 له به كبير عاية ، وكان إمام وقته فيه ، وفي العو والامة ، واستمعى ببلده سنة ، ثم هجر منها إلى قضاة
 غرطاة ، وتوفي بمراكش سنة ٥٤٤ هـ ، قل القري بعد أن أورد هذه الخطبة : هـ وفي هـ من
 لبثها له شيء ، لأن هـ من القاضي في اللاحه أعلى من هـ الخطبة ، والله تعالى أعلم .

[٣] وأد بين المدينة والنام ، وهو منازل ثمود .

بَنُورِ الْفِرْقَانِ ، والشعراء صاروا كالتلّ ذُلًّا وَصَنَارًا لِمَعْظَمَتِهِ ، وظهرت قَصَصُ
الْمَكْشُوتِ فَأَمَّنَ بِهِ الرُّومُ ، وأيقنوا أَنَّهُ كَلَامُ الْحَيِّ الْقَيُّومِ ، نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ
عَلَى زَيْنٍ مِّنْ وَآفَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وأوضح لقمانُ الْحِكْمَةَ بِالْأَمْرِ بِالسُّجُودِ لِرَبِّ
الْأَحْزَابِ ، فَسَبَّحَ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ أَهْلَ الطَّاغُوتِ ، وَأَكْسَبَهُمْ ذُلًّا وَخِزْيًا وَحَسْرَةً
وَنَدَامَةً ، وَأَمَدَّ يَسَى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَأْيِيدَ الصَّافَّاتِ ^(١) ، فَصَادَ الزُّمَرُ يَوْمَ
بَذَرِهِ ، وَأَوْقَعَ بِهِمْ مَا أَوْقَعَ صَنَادِيدُهُمْ فِي الْقَلْبِ ^(٢) مَكْدُوسٌ وَمَكْبُوبٌ ، حِينَ
شَأَلَتْ بِهِمُ النَّعَامَةُ ^(٣) ، وَغَفَرَ غَايِرُ الذَّنْبِ وَقَابِلُ التَّوْبِ الْبَدْرَيْنِ رَضَى اللَّهُ عَنْهُمْ
مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ حِينَ فَصَّلَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ، فَذَلَّ مِنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ
وَأَيْسَ مِنَ السَّلَامَةِ ، ذَلِكَ أَنَّ أَرْحَمَ شُورَى بَيْنَهُمْ ، وَشَمَلَهُمْ زُخْرُفُ الْآخِرَةِ
عَنْ دُخَانِ الدُّنْيَا ، لَجُّوا أَمَامَ الْأَحْقَافِ ^(٤) لَقْدَالِ أَعْدَاءِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَمِينِهِ
وَرِشْمَالِهِ وَخَلْفِهِ وَأَمَامَتِهِ ، فَأَعْطُوا الْفَتْحَ وَبَوَّأُوا حُجُرَاتِ الْجِنَانِ ، وَحِينَ تَلَّوْا :
قَ وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ ، وَتَدَبَّرُوا جَوَابَ قَسَمِ النَّارِيَّاتِ ^(٥) وَالطُّورِ ، لَاحَ لَهُمْ نَجْمُ
الْحَقِيقَةِ ، وَاشْتَقَّ لَهُمْ قَرَالِيقِينَ ، فَنَافَرُوا السَّامَةَ ، ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أُمْنَهُمُ الرَّحْمَنُ
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَاعْتَرَفَ بِالضَّعْفِ لَهُمُ الْحَدِيدُ ، وَهَزَمَ الْمُجَادِلُونَ ، وَأَخْرَجُوا
مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ ، يُخْرِبُونَ يُؤْوَتُهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَيَأْتِي الْمُؤْمِنِينَ ، حِينَ
نَافَرُوا السَّلَامَةَ .

أَحْمَدُهُ حَمْدًا مِنْ أَمْتَحَنَتِهِ صَفُوفُ الْجَمْعِ فِي تَفَقُّ التَّنَابُثِ ، فَطُلَّقَ الْحُرُمَاتُ
حِينَ اعْتَبَرَ الْمُلْكُ وَعَامَتِهِ ، وَقَدَّ مَعَ صَرِيفِ الْقَلَمِ وَكَأَنَّهُ بِالْحَافَّةِ ^(٦) وَالْمَارِجِ يَمِينِهِ

[١] اللاتكة تصب عوسها للمادة . [٢] القلب : الشئ .

[٣] شالت دانتهم : خعت مارلهم منه ، أو تحرفت كلمتهم ، أو دعب عزم .

[٤] واد دالمى به مارل عاد . [٥] الناريات : الرياح تدرو النار وعيره .

[٦] الحافة : البامعة التي بها محتى ما أنكر من البعث والحراء .

وَرِشْمَالِهِ وَخَلْفِهِ وَأَمَامِهِ ، وَقَدْ نَاحَ نُوحٌ الْجَنِّ فَتَزَلَّ (١) وَتَذَرَتْ فَرَقًا مِنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَأَنَسَ بِمُرْسَلَاتِ النَّبَأِ ، فَزَرَعَ الْعُبُوسَ مِنْ تَحْتِ كُورِ الْعِمَامَةِ ، وَظَهَرَ لَهُ بِالْإِنْفِطَارِ التَّطْفِيفُ ، فَانْشَقَّتْ بُرُوجُ الطَّارِقِ بِتَسْبِيحِ الْمَلِكِ الْأَعْلَى وَغَشِيَتْهُ الشَّهَامَةُ ، قَرِيبَ الْفَجْرِ وَالْبَلَدِ وَالشَّمْسِ وَاللَّيْلِ وَالضُّحَى ، لَقَدْ انْشَرَحَتْ صُدُورُ الْمُتَّقِينَ ، حِينَ تَلَوْا سُورَةَ التِّينِ ، وَعَلِقَ الْإِيمَانُ بِقُلُوبِهِمْ ، فَكَلَّ عَلَى قَدَرِ مَقَامِهِ يُبَيِّنُ ، وَلَمْ يَكُونُوا بِمَنْفَكَيْنِ دَهْرَهُمْ ، لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ وَصِيَامَهُ وَقِيَامَهُ ، إِذَا ذَكَرُوا الزَّلْزَلَةَ رَكَبُوا الْعَادِيَاتِ (٢) لِيُطْفِئُوا نَوْرَ الْقَارِعَةِ ، وَلَمْ يُلْهِمِهِمُ التَّكَاتُرُ حِينَ تَلَوْا سُورَةَ الْعَصْرِ وَالْمُهَزَّزَةَ ، وَتَمَلَّوْا بِأَصْحَابِ الْفِيلِ فَلْيَمْبِذُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ ، وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ، أَرَأَيْتَهُمْ كَيْفَ جَعَلُوا عَلَى رءُوسِهِمُ مِنَ الْكُورِ عِمَامَةً ؟ فَالْكُورُ (٣) مَكْتُوبٌ لَهُمْ ، وَالْكَافِرُونَ خُذِلُوا ، وَهُمْ نُصِرُوا ، وَعَدِلَ بِهِمْ عَنْ هَبِّ الطَّائِمَةِ ، وَبِسُورَةِ الْإِخْلَاصِ قَرُّوا وَسَعِدُوا ، وَبِرَبِّ الْفُلُقِ (٤) وَالنَّاسِ اسْتَعَاذُوا فَأُعِيدُوا مِنْ كُلِّ حُزْنٍ وَهُمْ وَغَمٍّ وَنَدَامَةٍ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ، شَهَادَةٌ تُنَالُ بِهَا مَنَازِلُ الْكِرَامَةِ ، صَلَّى اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا غَرَّدَتْ فِي الْأَيْكِ حِمَامَةٌ . (مَجْمَعُ الطَّبِيبِ : ٤ : ٣٩١)

٢٢ - خطبة سعيد بن أحمد المقرئ التي ضمنها سور القرآن

وخطب سعيد بن أحمد المقرئ (٥) خطبة على هذا النمط نصها :

« الحمد لله الذي افتتح بفاتحة الكتاب سورة البقرة ، ليصطفى من آل عمران

[١] تزل شابه : تلف بها ، وكذا تذر .

[٢] الخيل تمدو في العرو ، والنارعة التي تحرق القلوب بأهوالها .

[٣] الكور : نهر في الحقة . [٤] الفلق : الصبح .

[٥] هو سعيد بن أحمد المقرئ عم أحمد المقرئ صاحب مَجْمَعِ الطَّبِيبِ .

رجالاً ونساء، وفضلهم تفضيلاً، ومَدَّ مائدة إنعامه ورزقه، ليعرف أعراف أنفال كرمه وحقه على أهل التوبة، وجعل ليونس في بطن الحوت سبيلاً، ونجى هوداً من كربه وحزنه، كما خلص يوسف من جبّه وسجنه، وسبّح الرعدُ بحمده ويُمنه، واتَّخَذَ اللهُ إبراهيم خليلاً، الذي جعل في حجر الحِجْرِ من النحل شراباً نوع باختلاف ألوانه، وأوحى إليه بخفي لطفه سبحانه، واتَّخَذَ مِنْهُ كَهْفًا قد شيد بنيانه، وأرسل روحه إلى مريم فتَمَلَّ لها تمثيلاً، وفضل طه على جميع الأنبياء، فأثى بالمحج والكتاب المكنون، حيث دعا إلى الإسلام قد أفلح المؤمنون، إذ جعل نور الفرقان دليلاً، وصدق محمداً صلى الله عليه وسلم الذي تجرّت الشعراء في صيدق نعمته، وتشهدت النملُ بصدق بعثه، ويثني قصص الأنبياء في مَدَّة مكنيته، ونسج المنكبوت عليه في الغار سِتْرًا مسدولاً، ومثلت قلوب الروم رُعباً من هيئته، وتعلم لقمان الحكمة من حكيمته، وهدى أهل السجدة للإيمان بدعوته، وهزَمَ الأحزاب وسبّاهم وأخدم أخذاً ويلاً، فلَقِبَهُ فَاطِرُ السموات والأرض يسى، كما نفذ حكمه في الصافات، ويثني صيدقه بإظهار المعجزات، وفرّق زمر المشركين، وصبر على أقوالهم وهجرهم هجراً جميلاً، ففقر له غافر الدنّب ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وقُصِّلَت رقابُ المشركين إذ لم يكن أمرهم شورى بينهم، وزخرف منار الإسلام، وخفي دخان الشرك، وخرت المشركون جاثية، كما أنذر أهل الأحقاف فلا يهتدون سبيلاً، وأذلّ الدين كفروا بشده الفتال، وجاء الفتح للمؤمنين والنصر العزيز، وحجّر الحجرات الحريز، وبقّ القدرة قتل الحراصون^(١) تقيلاً، كلم موسى على جبل

الطُّور، فارتقى نجم محمد صلى الله عليه وسلم، فاقتربت بطاعته مبادئ السرور، وأوقع الرحمن واقعة الصبح على بساط النور، فتعجب الحديد من قوته، وكثرة المجادلة في أمته، إلى أن أُعيد في الحشر بأحسن مَبِيلًا، امتحنه في صفِّ الأنبياء وصلى بهم إمامًا، وفي تلك الجمعة مُثِّت قلوبُ المنافقين من التغابن خُسْرًا وإِزْغَامًا، فطلَّق وحرَّم، تبارك الذي أعطاه المُلْك، وعَلَّمَ بالقلم، ووَقَّلَ القرآن ترتيلًا، وعن علم الحاقَّة كم سأل سائل فسأل الإيمان، ودعا به نوح فنجاه الله تعالى من الطوفان، وأنت إليه طائفة الجن يستمعون القرآن، فأُنزل عليه: «يَا أَيُّهَا الْمُرْسَلُ قُمْ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا»، فكم من مُدَّتْ رِجْمُ القيامة شفقةً على الإنسان إذا أرسل مُرْسَلَاتِ الدِّمَعِ، فعمَّ يتساءلون أهل الكتاب، وما تقبل من نازعات المشركين إذا عَبَسَ عليهم مالك وتولَّاهم بالعذاب، وَكَوَّرَتِ الشَّمْسُ وانفطرت السماء، وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَّيَلًا، قَوْلُ الْمُطَفِّفِينَ إذا انشقت السماء بالغمم، وَطُوِيَتْ ذات البروج، وَطَرَقَ طارقُ العُشُورِ بالنفخ للقيام، وعزَّ اسم ربك الأعلى لغاشية الفجر، فيومئذ لا بلدَ ولا شمسَ ولا ليلَ طويلاً، فَطُوبَىٰ لِلْمَصْلِينَ الضحى عند انشراح صدورهم، إذا عاينوا التين والزيتون وأشجار الجنة، فسجدوا بِأَقْرَأِ اسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ هَذَا النِّعَمِ الْأَكْبَرَ لِأَهْلِ هَذِهِ الدَّارِ مَا أَحْيَا لِيْلَةَ الْقَدْرِ، وَتَبَتَّلُوا تَبْتِيلًا، ولم يكن للذين كفروا من أهل الكتاب من أهل الزلزلة من صديق ولا حميم، وتسوقهم كآلِمَادِيَاتٍ إِلَى سِوَاءِ^(١) الْجَحِيمِ، وزلزات بهم قارعة العقاب، وقيل لهم: أَهْلَاكُمْ التَّكَاثُرُ، هذا عصر العقاب الأليم، وَخَشِرَ الْهَمَزَ وَأَصْحَابَ الْفِيلِ إِلَى النَّارِ فَلَا يَظْلُمُونَ فِتِيلًا، وقالت قريش ما أمتم من

هول الحشر، أرايت الذى يكذبُ بالدين كيف طُرد عن الكوثر ؟ وسيق الكافرون إلى النار، وجاء نصر الله والفتح، فَبَتَّ يَدَا أَبَى لَهَبٍ : إذ لا يجد إلى سورة الاخلاص سبيلا ، فنمودُ ربِّ الفلقِ مِنْ شَرِّ ما خَلَقَ ، ونمودُ ربِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ إِلَهِ النَّاسِ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ الذى فَسَقَ ، وتوب إليه وتوكل عليه وَكَفَى بالله وكيلا . (ملح الطب : ٤ : ٢٩٢)

٢٣ — خطبة الكفعمى التى ضمنها سور القرآن أيضا

وخطب الكفعمى ^(١) خطبة على هذا النمط أيضا نصها :

« الحمد لله الذى شرف النى العربى بالسبع المتانى وخواتيم البقرة ، من بين الأنام ، وفضل آل عمران على الرجال والنساء ، بما وهب لهم من مائده الأنعام ، ومنحهم بأعراف الأنفال ، وكتب لهم براءة من الآنام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الذى نجى يوسف وهودا ويوسف من قومهم ، برعد الانتقام ، وغذى إبراهيم فى الحجر بلعاب النحل ذات الإسرار ، فضاهى كهف مريم عليها السلام ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذى هو طه الأنبياء ، وحج المؤمنين ، ونور فرقان الملك العلام ، فالشعراء والنمل بفضلهُ تُخْبِر ، ولقصص العنكبوت الروم تذكُر ، ولقمان فى سحذته يشكُر ، والأحزاب كأياذى سبّا تُقَهَر ، وفاطريس لصافاته يُنصَر ، وصاد مقلّة زمره تنظر الأعلام ، قال خم' بقتال فتحه فى حُجرات قافه قد ظَهَرَت ، وذاريات طوره ونجمه وقره قد عَطِرَت ، وبالرحمن واقعة حديده يوم المجادلة قد نُهِرَت ، وأبصار معانديه فى الحشر يوم

[١] ذل صاحب ملح الطب فى ترجمته : « هو إبراهيم بن على بن حسن بن محمد بن صالح سبى إلى كفر عما غرية من فرى أعمال سوء كما تقول فى النسبة لى بن عبد الله بن عبرى ، وإلى حص كفا : حصكى » .

الامتحان حَسَرَتْ^(١) ، وَصَفَ جَمْعُهُ فَأَثَرُ إِذْ أَجْسَادُ الْمُنَافِقِينَ بِالتَّغَابُنِ اسْتَعْرَتْ ،
 وَهُوَ الطَّلَاقُ وَالتَّحْرِيمُ وَمَقَامُ الْمَلِكِ وَالْقَلَمُ ، فَذَاهِيكَ بِهِ مِنْ مَقَامٍ ، وَفِي الْحَافَةِ ،
 أَعْلَى اللَّهِ لَهُ الْمَارِجُ نَوْحُ الْمُطَهَّرِ ، وَخَصَّهُ مِنْ بَيْنِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ بَيَّأَتْهُمُ الزُّمْلُ ،
 وَيَأْيَتْهُمُ الْمُدْتَرُّ ، وَشَفَعُهُ فِي الْقِيَامَةِ إِذَا دُمِيعَ الْإِنْسَانِ مُرْسَلَاتُ كَلَمَاءِ الْمُتَفَجَّرِ ،
 وَوَجْهُهُ عِنْدَ نَبَاِ النَّازِعَاتِ وَقَدْ عَبَسَ الْوَجْهَ كَالْهَلَالِ الْمُتَوَّزِ ، وَيَوْمَ التَّكْوِيرِ
 وَالْإِنْفِطَارِ وَهَلَاكِ الْمُطْفِقِينَ وَانْشِقَاقِ ذَاتِ الْبُرُوجِ بِشَفَاعَتِهِ غَيْرِ مُتَضَجِّرٍ ، وَقَدْ
 حُرِّسَتْ لِمَوْلَاهُ السَّمَاءُ بِالطَّارِقِ الْأَعْلَى ، وَتَمَّتْ غَاشِيَةُ الْمَذَابِ إِلَى الْقَجَرِ عَلَى الْمَرَدَّةِ
 اللَّثَامِ ، فَهُوَ الْبَلَدُ الْأَمِينُ وَشَمْسُ اللَّيْلِ وَالضُّحَى الْخُصُوصُ بِانْشِرَاحِ الصَّدْرِ ،
 وَالْمُفَضَّلُ بِالْتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ، الْمُسْتَخْرِجُ مِنْ أَمْشَاجِ^(٢) الْعَلَقِ ، الطَّاهِرُ الْعَلِيُّ الْقَدَرِ ،
 شَجَاعُ الْبَرِيَّةِ يَوْمَ الزَّلْزَالِ ، إِذْ عَادِيَاتُ الْقَارِعَةِ تَدُوسُ أَهْلَ التَّكَاثُرِ وَمَشْرُكِي الْعَصْرِ ،
 أَهْلَكَ اللَّهُ بِهِ الْهَمَزَةَ وَأَصْحَابَ الْفِيلِ إِذْ مَكَرُوا بِقُرَيْشٍ وَلَمْ يَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَلَمْ
 يَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ، الْخُصُوصُ بِالْدِينِ الْحَنِيفِيِّ وَالْكَوْثَرِ السَّلْسَلِ ، وَالْمُؤَيَّدُ عَلَى أَهْلِ
 الْجَحْدِ بِالنَّصْرِ ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ مَا تَبَتَّ يَدَا مُعَاذِيهِ ، وَنِعَمَ بِالتَّوْحِيدِ
 مُوَالِيهِ ، وَمَا أَفْصَحَ فَلَئِنْ الصَّبْحَ بَيْنَ النَّاسِ وَامْتَدَّ الطَّلَامُ .

(هج الطيب ٤ : ٣٩٥)



[١] - حصر العصر كعصر : كلّ فهو حجير . [٢] مشج بينهما كعصر : حلط ، والثني مشج ،
 والجمع أشتاح كقيم وأيتام .

البَابُ الثَّانِي

فِي

خطب ووصايا مجهول عصرها أوقائلها

١ - خطبة أبي بكر بن عبد الله بالمدينة

لما وَلِيَ أبو بكر بن عبد الله المدينة ^(١) وطال مُكُنْتُهُ عليها ، كَانَ يَبْلُغُهُ عَنْ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ يَنَالُونَ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَإِسْعَافٌ مِنْ آخِرِينَ لَهُمْ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَمَرَ أَهْلَ الْبُيُوتَاتِ وَوُجُوهَ النَّاسِ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ أَنْ يَقْرَأُوا مِنَ الْمَنْبَرِ ، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ قَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي قَائِلٌ قَوْلًا ، فَمَنْ وَعَاهُ وَأَدَّاهُ فَعَلِيَ اللَّهُ جَزَاؤُهُ ، وَمَنْ لَمْ

[١] لَا أَعْرِفُ صَاحِبَ هَذَا الْاِسْمِ وَالْيَا عَلَى الْمَدِينَةِ ، وَإِنَّمَا الَّذِي قَرَأْتَهُ فِي تَارِيخِ الطُّبَرِيِّ أَنَّ أَبَا نَكْرَ بْنَ جَعْدِ بْنِ عَمْرٍو بْنَ حَرَمِ الْأَصْطَرِيِّ وَلِيَ الْمَدِينَةَ مِنْ سَنَةِ ٩٦ إِلَى سَنَةِ ١٠٠ فِي حِلَافَةِ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَعَمَرَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ « أَنْطَرُ تَارِيخِ الطُّبَرِيِّ ، الْمَرَّةُ الثَّامِنَةُ ، حَوَادِثُ السِّنِّ مِنْ ٩٦ إِلَى ١٠٠ » وَذَكَرَ أَيْضًا الْقَاسِمِيُّ فِي صَبِيحِ الْأَعْنَى « ح : ٤ : س ٢٩٦ » أَنَّ أَبَا نَكْرَ بْنَ جَعْدِ هَذَا وَلِيَ الْمَدِينَةَ أَلِيمَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ صَاحِبُ هَذِهِ الْخُطْبَةِ ، وَإِنِّي لَأَسْتَأْذِنُ فِي ذَلِكَ قَوْلَهُ . « وَطَالَ مَكُنْتُهُ عَلَيْهَا » فَقَدْ تَوَلَّاهَا حَمْسُ سِنِينَ ، وَالْمَعْرُوفُ الَّذِي قِيلَ فِيهِ الْخُطْبَةُ ، وَأَمَّا تَذَكُّرُ مَا كَانَ فِي الْبَهْدِ الْأُمَوِيِّ مِنْ اتِّسَاعِ دَائِرَةِ الْاِحْتِلَافِ الْخِزْيِ ، وَالْعِصَالِ السِّيَاسِيِّ الْعَبِيدِ الَّذِي ، وَرَعَا كُنَّ « عَدَدُ اللَّهِ » اِسْمًا آخَرَ لِأَيِّهِ جَعْدُ ، تَسْمَى بِهِ تَوَاصُفًا ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْ طَائِفَةِ الْمَلِكِ الصَّالِحِ رِصْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ كَثِيرًا ، اِنْطَرُ مَثَلًا كِتَابِ عَمْرِو بْنِ صَالِحٍ أَهْلَ إِيلِيَا « هَذَا مَا أُعْطِيَ عَدَدُ اللَّهِ عَمْرُؤَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ أَهْلَ إِيلِيَا مِنَ الْأَمَانِ » . (الطُّبَرِيُّ : ٤ : ١٥٩) .

يَمَهُ فَلَا يَمُدُّ مِنْ ذِمَامِهَا ^(١) إِنْ قَصَرْتُمْ عَنْ قَصْبِهِ ، فَلَنْ تَعْجِزُوا عَنْ تَحْصِيلِهِ ،
فَارْغَوْهُ أَبْصَارَكُمْ ، وَأَوْغَوْهُ أَسْمَاعَكُمْ ، وَأَشْمِرُوهُ ^(٢) قُلُوبَكُمْ ، فَاَلْمَوْعِظَةُ حَيَاةٌ ،
وَالْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ « وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ ^(٣) السَّبِيلِ » ، « وَلَوْ شَاءَ لَهَذَا كُمْ أَتَّجِعِينَ »
فَاتُوا الْهَدَى تَهْتَدُوا ، وَاجْتَنِبُوا النَّبَى تَرْشُدُوا ، « وَتَوَبُّوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا
الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » ، وَاللَّهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ ، وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُهُ ، أَسْرَمَ
بِالْجَمَاعَةِ ، وَرَضِيهَا لَكُمْ ، وَنَهَاكُمْ عَنِ الْفُرْقَةِ ، وَسَخَطَهَا مِنْكُمْ ، فـ « سَأَتَّقُوا اللَّهَ
حَقَّ تَقَاتِهِ ^(٤) وَلَا يَخَافُونَ إِلَّا وَاتَّخَذُوا مُسْلِمُونَ ، وَأَغْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا
تَفَرَّقُوا ، وَاذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ ،
فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا ^(٥) حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ
مِنْهَا » ، جَعَلَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ مِنْ تَبِيعِ رِضْوَانِهِ ، وَتَجَنَّبَ سُخْطَهُ ، فَإِنَّمَا
نَحْنُ بِهِ وَلَهُ .

وإن الله بئس محمدًا صلى الله عليه وسلم بالدين ، واختاره على العالمين ، واختار
له أصحابًا على الحق ، وَوُزَّرَ آءُ دُونَ الْخَلْقِ ، اخْتَصَمَ بِهِ ، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ ، فَصَدَّقُوهُ
وَنَصَرُوهُ ، وَعَزَّرُوهُ ^(٦) وَوَقَرُّوهُ ، فَلَمْ يَقْدِمُوا إِلَّا بِأَمْرِهِ ، وَلَمْ يُخْجِمُوا إِلَّا عَنْ رَأْيِهِ ،
وَكَانُوا أَعْوَانَهُ بِمَهْدِهِ ، وَخُلَفَاؤُهُ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَصَفَهُمْ فَأَحْسَنَ صِفَتِهِمْ ، وَذَكَرَهُمْ
فَأَثْنَى عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ - وَقَوْلُهُ الْحَقُّ - : « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ
عَلَى الْكُفَّارِ رَحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ، تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا ، يَدْتَخِرُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ

[١] أَى لَا يَمْرَحُ عَنْ حَرَمَتِهِ ، وَأَثْبَتَ الصِّيرَ فِي « ذِمَامِهَا » بِاعْتَارِ الْمَوْعِظَةِ أَوْ الْمَقَالَةِ .

[٢] أَى الرِّقَابَ . [٣] الْقَصْدُ : اسْتِغَامَةُ الطَّرِيقِ ، أَى بَانَ الطَّرِيقِ السَّيِّئِ الْمَوْصِلِ إِلَى الْحَقِّ .

[٤] التَّفَاضُلُ : الْغَوَى ، وَجَمْعُهُ تَفَاضُلٌ وَطَبْ ، وَأَصْلُهَا وَفِيَّةٌ قَلَّتْ وَأَوْدَاهَا الْمَضْبُوتَةُ تَاءٌ كَأَى كُودَةٍ
وَتَحْمَةٍ ، وَالْيَاءُ أَلْفًا . [٥] الشَّفَا : حُرُوفٌ كُلُّ شَيْءٍ .

[٦] التَّنْبِيهُ : التَّحْذِيرُ وَالْعَظِيمُ « وَهُوَ أَيْضًا أَشَدُّ الْعَرَبِ . صَد » .

وَرِضْوَانَا ، سَيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوَارَةِ ،
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ ^(١) ، كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى
عَلَى سَوْفِهِ ، يُعْجِبُ الزَّرَّاعَ ، لِيَنْظُرَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ
آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ، « فَنَ غَاظَهُ كُفْرُ
وَحَابٍ ، وَجَرَّ وَخَسِرَ ، وَقَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : « لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ
أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَنْتَقُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ، وَيَنْصُرُونَ
اللَّهُ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ، وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ
يُحْيُونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ، وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا ، وَيُؤْثِرُونَ
عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ^(٢) ، وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ
الْمُفْلِحُونَ ، وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ
سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ ، وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا ، رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ
رَحِيمٌ » فَنَ خَالَفَ شَرِيعَةَ اللَّهِ عَلَيْهِ لَهْم ، وَأَمَرَهُ إِيَّاهُ فِيهِمْ ، فَلَا حَقَّ لَهُ فِي الْفِي
وَلَا سَهْمَ لَهُ فِي الْإِسْلَامِ ، فِي آيٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ .

فَرَقَتْ مَارِقَةً مِنَ الدِّينِ ، وَفَارَقُوا الْمَسَامِينَ ، وَجَمَلُوهُمُ عِضِينَ ^(٣) ، وَتَشَمَّبُوا
أَحْزَابًا ، أَشَابَاتٍ وَأَوْشَابًا ^(٤) ، خَالَفُوا كِتَابَ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَثَنَاءَهُ عَلَيْهِمْ ، وَأَذَوْا
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِمْ ، نَخَبَاوْا وَخَسَرُوا الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ « ذَلِكَ هُوَ
الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ » . « أَفَمَنْ كَانَ عَلَى يَمِينِهِ مِنْ رَبِّهِ كَمَنْ زَيْنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ

[١] أَيْ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي الْكُتُبِ ، وَالشَّطْأُ : فَرَاغُ الرُّوعِ ، فَآزَرَهُ أَيْ فَتَوَّاهُ ، فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ :
أَيْ فَاسْتَقَامَ عَلَى أَصُولِهِ وَسِيْقَانِهِ . [٢] يُؤْثِرُونَ : يَصَالُونَ وَيَقْدِمُونَ ، وَالْخَصَاصَةُ : الْحَاجَةُ وَالْفَقْرُ .
[٣] جَمْعُ عِضَةٍ كَعِدَّةٍ : وَهِيَ الْعُرْقَةُ وَالْقِطْعَةُ . [٤] أَشَابَاتُ جَمْعُ أَشَابَةٍ : وَهِيَ الْأَحْلَاطُ ، وَأَشَبَهُ
كَعَرَبِهِ : خَالَفَهُ ، وَالْأَوْشَابُ جَمْعُ وَشَبٍ كَمِثْلٍ ، وَالْأَوْشَابُ جَمْعُ وَشَبٍ كَسَبَ : الْأَحْلَاطُ وَالسَّعَلَةُ .

وَاتَّبِعُوا أَهْوَاءَ هُمْ ؟ « مالى أرى عيوننا خُزراً ^(١) ، ورقابنا صُغراً ^(٢) ، وبطوننا بُجْراً ^(٣) ، شَجَا لا يُسِفُه الماء ^(٤) ، وداء لا يُشْرِب فيه الدواء ، « أَفْتَضِرُّ عَنْكُمْ اللَّهُ كَرَّ صَفْحًا أَنْ كُتِّمْتُمْ قَوْمًا مُضِرِّينَ ؟ « كلا والله ، بل هو الهِنَاءُ ^(٥) والظَّلَاءُ ، حتى يظهر المَذَرُ ، وَيَبْصَحَ الْغَيْبُ ، وَيُسْوَسَ الْجَنْبُ ^(٦) ، فَإِنَّكُمْ لَمْ تَخْلُقُوا عَبَثًا ، وَلَمْ تُتْرَكُوا سُدًى ، وَيَحْكُمَ الْإِنِّي لَسْتُ أَنَاوِيًا ^(٧) أَعْلَمُ ، وَلَا بَدْوِيًا أَفْقَه ، قَدْ حَلَبْتُمْ أَشْطَرًا ^(٨) ، وَفَلَبْتُمْ أَبْطَنًا وَأَظْهَرًا ، فَعَرَفْتُمْ أَنْهَاءَكُمْ وَأَهْوَاءَكُمْ ، وَعِلِمْتُ أَنَّ قَوْمًا أَظْهَرُوا الْإِسْلَامَ بِالسُّتَهْمِ ، وَأَسْرَأُوا الْكُفْرَ فِي قُلُوبِهِمْ ، فَضَرَبُوا بِمَعْضِ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِبَعْضٍ ، وَوَلَدُوا الرِّوَايَاتِ فِيهِمْ ، وَضَرَبُوا الْأَمْثَالَ ، وَوَجَدُوا عَلَى ذَلِكَ مِنْ أَهْلِ الْجَهْلِ مِنْ أَبْنَائِهِمْ أَعْوَاءًا يَأْذَنُونَ ^(٩) لَهُمْ ، وَيُضْغَوْنَ إِلَيْهِمْ ، مَهْلًا مَهْلًا قَبْلَ وَقْعِ الْقَوَارِعِ ^(١٠) ، وَطُولِ الرِّوَايَةِ ، هَذَا لِهَذَا مَعَ هَذَا ^(١١) ، فَلَسْتُ أَعْتِشُ ^(١٢) آتِيًا وَلَا نَاتِيًا ، « عَفَا اللَّهُ عَنْمَا سَلَفَ وَمَنْ عَادَ فَيَنْتَقِمِ اللَّهُ مِنْهُ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ » ،

[١] جمع خُزَاءَ مؤنث أحمر وصف من الخُزْدِ بالتحريك ، وهو الطَّرَفُ في أحد الشَّعْبِ .

[٢] الأصغر بالتحريك ميل في أوجهه ، أو في أحد الشَّعْبِ ، أو داء في البحر يلوى عقه منه ، صغر كمرح بهو أصغر . [٣] بحر يظه كمرح أيضاً فهو أعرج - عظم ، وأبلم بحر كمر .

[٤] الشَّعْبُ : ما اعتصم من الخلق من عظم ونحوه ، لا يسبحه : أى لا يجعله سائماً سوا المدخل في الخلق .

[٥] الهِنَاءُ : الضَّطْر ، يريد أنه يبالغهم كما تنطق الإبل الغرى باقطن لمداواتها .

[٦] مَخِ السَّرِّ : طهر ، ولاح سره : أظهره ، ووضح يصح وانضح واحد ، وبسوس : أى يروم ويدل ، مصعب ساسه بسوسة . يقال : سوست له أسراً إذا روضته ودلته ، والحب : الصب الذي لا يقاد . [٧] الْأَثْوَى : العريب عن القوم . [٨] اقتبس من النثر المشهور : « حلب الدهر أشطره » ولما قد شغران ، قادمان وآحرام ، فكل حبيب شطر متح الشين - والحب لمائة كالمرع لبقرة - وأشطره مصوب على البدل ، فكأنه قل : حلب أشطر الدهر ، ونسبى : احتبر الدهر وعرف خيره وهره . [٩] أدله وإليه كمرح : استمتع . [١٠] اغوارع جمع فارعة : وهي الداهية العائمة ، والروائع جمع رائمة ، وهي للفرعة . [١١] أى هذا الذى أتهددكم به من القوارع والزوائع لهذا الذى تحمسون فيه ، ومغروى به . [١٢] اعتشته : طعمه .

فَأَسْرُوا خَيْرًا وَأَظْهَرُوا ، وَأَجْهَرُوا بِهِ وَأَخْلَصُوا ، فَطَالَمَا مَشَيْتُمْ الْقَهْقَرَى
نَاكِسِينَ ، وَلَيْعَلَّ مِنْ أَدْبَرِ وَأَصْرٍ أَنَّهَا مَوْعِظَةٌ بَيْنَ يَدَيِ نِقْمَةٍ ، وَلَسْتُ أَدْعُوكُمْ
إِلَى أَهْوَاءِ تُتَّبَعُ ، وَلَا إِلَى رَأْيٍ يُتَّبَعُ ، إِنَّمَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الطَّرِيقَةِ الْمَثَلِيِّ ، الَّتِي
فِيهَا خَيْرُ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى ، فَمَنْ أَجَابَ فَإِلَى رَشْدِهِ ، وَمَنْ تَعَمَّى فَعَنْ قَصْدِهِ ، فَهَلُمَّ
إِلَى الشَّرَائِعِ الْجَدَائِعِ ^(١) ، وَلَا تَوَلَّوْا عَنْ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَلَا تَسْتَبْدِلُوا الَّذِي هُوَ
أَذْنَى ^(٢) بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ « بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا » .

إِيَّاكُمْ وَبُيَّاتِ ^(٣) الطَّرِيقِ ، فَمَعْنَاهَا التَّرْنِيقُ وَالرَّهَقُ ^(٤) ، وَعَلَيْكُمْ بِالْجَادَةِ ،
هِيَ أَسَدٌ ^(٥) وَأَوْرَدُ ، وَدَعَا الْأَمَانِيَّ فَقْدَارَدَتْ مِنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَيْسَ لِلْإِنْسَانِ
إِلَّا مَاسَعَى ، وَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ، وَ « لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ » ^(٦)
بِعَذَابٍ ، وَقَدْ خَابَ مَنْ أَفْتَرَى . « رَبَّنَا لَا تُرِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا ،
وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ » .

(نهایة الأرب ٧ : ٢٥٦ ، وصحیح الأعشى ١ : ٢٢٠)

[١] الذي في كتب اللغة : « حذاء كحجاب وقظام : السمة الشديدة تحذع للبلل وتذهب به » وهذه
الكلمة هي التي يسوع أن تجمع على حذائهم ، ولكنها لا تناسب المقام هنا ، فحمل الأصل « الحراذع »
جمع حادة : وهي القاطعة ، يريد الشرائع الصحيحة الملقاة لأنها تقطع المائل وترهقه كأنه يقول : اتبعوا
الحظوة الخاضعة ، أو الحذائح جمع حذوع كحذور صيغة مبالغة من حادة ، وفي التطبيق على نهاية الأرب
« وله الخواص : أي التي تجمع الناس على اتباعها ، كما يدل عليه ما بعده » .
[٢] أي أحسن وأدون قدرا ، وأصل الذنوّ : القرب في المكان اسمير لقحة كما استعير البعد للشرف
والرافعة ، أو هو سهل عن أدنا من العداوة ، وقد قرئ في الآية الكريمة : « أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي
هُوَ أَذْنَى بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ » . [٣] بيّات الطريق : الترهات (جمع ترهة كفرّة وهي الطريق
الصغيرة للمشاة من الجادة ، أي اسلكوا الطريق العام طريق الجماعة ، ولا ترحوا في سواه .
[٤] التريق : الصعب في الأمر « وفي الصر والدن أيضا » ، والرهق : السعة والجنح واللمعة ،
وركوب الصرّ والعظم ، وعشيان الخمار . [٥] أصل ، من السداد . [٦] أسحته : استأصله .

٢ - وصية أعمى من الأزدي لشاب يقوده

عن هشام بن محمد بن السائب عن أبيه قال : رأيت بيشة^(١) رجلاً من أزدي السراة أعمى ، يقوده شاب جميل ، وهو يقول له : « يا سمي ، لا يفركك أن فسح الشباب خطوك ، وخلى سربك ، وأزفة وردك^(٢) ، فكانك بالكبر قد أرب خطوك ، وأثقل أوزك ، وأوهن طوك^(٣) ، وأتعب سوك ، فهدجت بعد المهملجة ، ودجت بعد الدعلجة^(٤) ، غخذ من أيام الترفيه لأيام الإنزعاج ، ومن ساعات المهملجة لساعة الإعجال^(٥) ، يابن أخي : إن اغترارك بالشباب ، كأنذاذك بساير^(٦) الأحلام ، ثم تنفيس ، فلا تمسك منها إلا بالحسرة عليها ، ثم تُعزى راحلة الصبا ، وتشرب سلوة^(٧) عن الهوى ، واعلم أن أغنى الناس يوم الفقر من قدّم ذخيرة ، وأشدّهم اغتباطاً يوم الحسرة من أحسن سيرة^(٨) .

(الأمالي : ٢ : ٢١٦)

٣ - وصية رجل لآخر وقد أراد سفرأ

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يوصي آخر وأراد سفرأ ، فقال :

[١] بيشة : واد طريق التيمامة . [٢] السرب : الطريق والوحه ، ورويت الأمل كنع : وردت للماء متى شاءت ، وقد أُرهِمها ورهتها بالتشديد . [٣] أرب القد : شدّه ، والأربة بالهم : القعدة ، وطاف المير يطوفه : إذا داني بين يديه ، وانقيان منح القاف موصفاً القيد من الوظيف ، والأوق : الثقل ، والطوق : التوسع والطاقة . [٤] المدحان تحفان وعراب : مشية الشيخ ، حدح كغرب ، والمهملجة : سرعة في المشي ، ودح كغرب دحياً ، سر مرأ صعباً ، والدعلجة : ضرب من المشي ، والتردد في الذهاب والجيء ، والدحرحة . [٥] ره عيشه ككرم بهو ربه وراه : مستريح شتم ، وأرهبه الله ورهبه ترفياً ، ومن ساعات المهملجة أي الدنيا المهملجة : أي التي ستهلها وتعاددها ، وربما كانت « المهملجة » [٦] الساير : ما يتردى للإنسان في يومه من الأباطيل ، وما يترده الكران في سكره . [٧] السلوة : اسم يمي السلوان . قال الأصمعي : يقول الرجل لصاحبه : « سقيني سلوة (بالفتح) وسلوة (بالضم) » أي طبت عني عك ، ودكروا أيضاً أن السلوة والسلوانة : خرة شعامة تدفن في الرمل فتسودّ يبعث عنها ، ويقفها الإنسان فقلبه .

« أَتَرَى بِعَمَلِكَ مَعَادَكَ ، وَلَا تَدَّعِ لَشَهْوَتِكَ رِشَادَكَ ، وَلِيَكُنْ عَقْلُكَ وَزِيرُكَ
الَّذِي يَدْعُوكَ إِلَى الْهُدَى ، وَيَقْصِبُكَ مِنَ الرَّدَى ، أَلْجَمَ هَوَاكَ عَنِ الْفَوَاحِش ،
وَأَطْلَقَهُ فِي الْمَكَارِمِ ، فَإِنَّكَ تَبْرُ بِذَلِكَ سَلَفَكَ ، وَتَشِيدُ شَرَفَكَ » .

(الأمل ١ : ٢٠٠)

٤ - وصية رجل لابنه وقد أراد الزواج

وقال بعضهم لولده وقد أراد الزواج :

« يَا ابْنِي : لَا تَسْخِذْهَا حَنَانَةً ، وَلَا أَثَانَةً ، وَلَا مَنَانَةً ^(١) ، وَلَا عُشْبَةَ الدَّارِ ^(٢) ،
وَلَا كَبَّةَ الْقَفَا ^(٣) » .

(الأمل ٢ : ٢٦٠)

٥ - وصية بعض العلماء لابنه

وأوصى بعض العلماء ابنه فقال :

« أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللَّهِ ، وَلَيْسَتُكَ يَتُّكَ ، وَأَمْلِكْ عَلَيْكَ لِسَانُكَ ، وَأَبِكْ
عَلَى خَطِيئَتِكَ » .

(البیان والتبيين ٢ : ١٦١)

٦ - وصية لبعض الحكماء

وقال بعض الحكماء :

« لَا يَكُونَنَّ مِنْكَ الْمُحَدَّثُ وَلَا يُنْصَتُ لَهُ ، وَالْمُدَاخِلُ فِي سِرِّ اثْنَيْنِ لَمْ يُدْخِلَاهُ ،

[١] الحنانة : التي لها ولد من سواء هي تحسن عليهم ، والأثانة : التي مات عنها زوجها ، هي إذا
رأت الزوج الثاني أتت ، وقالت : رحم الله فلانا ، لروحها الأول ، والمنانة : التي لها مال ، هي تسمى
على زوجها ، كلما أهوى إلى شيء من ماله . [٢] عشب الدار : يريد الهبة ، وعشبة الدار : التي
تنت في دمة الدار ، وحوها عشب في يباس الأرض ، فهي أجمل منه وأضخم ، لأنها غدتها البعثة ، وذلك
(أي العشب) أغيب للأكل رميا ويسأ ، لأنه بنت في أرض طيبة ، وهذه بنت في دمة ، فهي منتنة
رطبة ، وإذا يست صارت حننا (ماله) ودعب فيها في الدمة فلم يمكن جمعه ، وذلك يجمع فيه لأنه في
أرض طيبة (وتنجف بالهم : ما ينس من البقل) وسقط على الأرض في موضع ماله .
[٣] كبة غفا : هي التي يأتي روحها أو أسبا القوم ، فإذا انصرف من خدمهم ، قال رجل من حساء
القوم : قد وافقه كان يبني وجه امرأه هذا للثوري أو أمه أس .

ولا آتَى الدعوةَ لم يُدْعَ إليها، ولا الجالسُ المجلسَ لا يستحقُّه، ولا الطالبُ الفضلَ من أيدي اللئام، ولا المتمرّضُ للخير من عند عدوّه، ولا المتحمقُ في الدلالة^(١) . (الياد والتبيين ٢ : ٥٨)

٧ - وصية أخرى

وقال بعض الحكماء :

« إياك والمجلة ، فإن العرب كانت تكتنيتها « أمّ الندامة » لأن صاحبها يقول قبل أن يعلم ، ويحيب قبل أن يفهم ، ويعزم قبل أن يفكر ، ويقطع قبل أن يقدر ، ويتمد قبل أن يحرب ، ويدم قبل أن يخبر ، ولن يصحب هذه الصفة أحدٌ إلا صيب الندامة ، واعتزل السلامة » . (زمر الآداب ٣ : ١٩٧)

٨ - وصية أخرى

وقال ابن دُرَيْد : أوصى بعض الحكماء رجلاً ، فقال :

« آءرك بمجاهدة هواك ، فإنه يقال : إن الهوى مفتاح السيئات ، وخصيم الحسنات ، وكل أهوائك لك عدو ، وأهواها^(٢) هوى يكتُمك في نفسه ، وأعداها هوى يمتل لك الإثم في صورة التقوى ، ولن تفصل بين هذه الحصوم إذا تناظرت لديك إلا بحزم لا يشوبه وهن ، وصدق لا يقطع فيه تكذيب ، ومضاه لا يقاربه التنبط^(٣) ، وصبر لا يغتاله جزع ، ونية لا يتسمها التضييع » . (زمر الآداب ٣ : ١٢٩)

[١] الدالة : ما تدلّ به على حريك .

[٢] أي وأشدّها . [٣] اتزقب والإحطاء .

٩ - عظة لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : بلغني أن بعض الحكماء كان يقول :

« إني لأعظمكم ، وإني لكثير الذنوب مُسْرِفٌ على نفسي ، غيرُ حامدٍ لها ، ولا حاملٍ لها على المكروه في طاعة الله عزَّ وجل ، قد بَلَوْتُهَا فلم أجِدْ لها شُكْرًا في الرِّخَاء ، ولا صَبْرًا على البَلَاء ، ولو أن المرءَ لَا يَعْطِ أَخَاهُ حَتَّى يُحْكِمَ أَمْرَ نَفْسِهِ ، تَثْرِيكَ الْأَمْرُ بِالْخَيْرِ وَالنَّهْيُ عَنِ الشَّرِّ ، وَلَكِنْ مَحَادَثَةُ الْإِخْوَانِ حَيَاةٌ لِلْقُلُوبِ ، وَجَلَاءُ لِلنَّفُوسِ ، وَتَذَكِيرٌ مِنَ النَّسِيَانِ ، وَاعْلَمُوا أَنَّ الدُّنْيَا سُرُورٌ وَأُحْزَانٌ ، وَإِقْبَالُهَا إِدْبَارٌ ، وَآخِرُ حَيَاتِهَا مَوْتٌ ، فَكَمْ مِنْ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَا يَسْتَكْبِلُهُ ، وَمُسْتَظَرٍّ غَدًا لَا يَتَلَقَّه ، وَلَوْ تَنْظُرُونَ إِلَى الْأَجَلِ وَمَسِيرِهِ ، لَا بُدَّ لَكُمْ مِنَ الْأَمَلِ وَغُرُورِهِ . »

(الأمال ٢ : ٥٧)

١٠ - نصيحة لبعض الحكماء

وَحَذَرُ بَعْضِ الْحُكَمَاءِ صَدِيقًا لَهُ صَحْبَةً رَجُلٌ فَقَالَ :

« اخْذَرْ فَلَانًا ، فَإِنَّهُ كَثِيرُ الْمَسْأَلَةِ ، حَسَنُ الْبَحْثِ ، لَطِيفُ الْاسْتِدْرَاجِ ، يَحْفَظُ أَوَّلَ كَلَامِكَ عَلَى آخِرِهِ ، وَيَعْتَبِرُ مَا أَخَّرْتَ بِمَا قَدِمْتَ ، فَلَا تُظْهِرَنَّ لَهُ الْخَافَةَ ، فَيَرَى أَنَّكَ قَدْ تَحَرَّرْتَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ يَقْظَةِ الْفِطْنَةِ إِظْهَارَ الْغَفْلَةِ مَعَ شِدَّةِ الْحَذَرِ ، فَإِنَّهُ مِبَاثَةٌ الْآمِنِ ، وَتَحْفَظُ مِنْهُ تَحْفَظُ الْخَائِفَ ، فَإِنَّ الْبَحْثَ يُظْهِرُ الْحَقَّ الْبَاطِنَ ، وَيُيَبِّدُ الْمُسْتَكْبِرَ الْكَامِنَ . »

(زهر الآداب ٣ : ١٦٤)

١١ - كلمات شتى لبعض الحكماء

عن الأصمعي قال : قال بعض الحكماء :

« مَنْ كَانَتْ فِيهِ سِتْعٌ خِصَالٌ لَمْ يَعْتَدَمْ سَبْعًا : مَنْ كَانَ جَوَادًا لَمْ يعدم الشرف ،

ومن كان ذا وفاء لم يعدم المقة ، ومن كان صدوقاً لم يعدم القبول ، ومن كان شكوراً لم يعدم الزيادة ، ومن كان ذا رعاية للحقوق لم يعدم الشؤدد ، ومن كان منصفاً لم يعدم العافية ، ومن كان متواضعاً لم يعدم الكرامة .

(الأمال : ٢ : ٣٩)

وقيل لبعض الحكماء : كيف ترى الدهر ؟ قال : يُخْلِقُ الأبدان ، وَيُجَدِّدُ الآمال ، وَيُقَرِّبُ الآجال ، قيل له : فما حال أهله ؟ قال : من ظَفَرِ به نَصَب ، ومن فاته حَزَن ، قيل : فأى الأصحاب أبر ؟ قال : العمل الصالح ، قيل : فأيهم أضر ؟ قال : النفس والهوى ، قيل : ففيم المخرج ، قال : فى قطع الراحة وبذل المجهود . (الأمال : ٢ : ٥٩)

وأخبر عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت رجلاً يقول :
« الحسد ماحقُ الحَسَنَات ، والزَّهْوُ جالبُ لِقَةِ اللَّهِ ومقت الصالحين ،
والعُجْبُ صَارِفٌ عن الزَّيَادِ من العلم ، دافعٌ إلى التَّخَطُّبِ^(١) والجَهْل ، والبخلُ
أَذَمُ الأخلاق ، وأَجْلَبُهَا لِسُوهُ الأَحْدُوثَةُ » . (الأمال : ١ : ٢٠٠)

وقال : قال بعض العرب :

« أَوَّلَى النَّاسِ بِالْفَضْلِ أَعُوذُكُمْ بِفَضْلِهِ ، وَأَعُوذُ الْأَشْيَاءَ عَلَى تَذَكِّيَةِ الْعَقْلِ
التَّعَلُّم ، وَأَدْلَى الْأَشْيَاءَ عَلَى عَقْلِ الْعَاقِلِ حَسَنُ التَّيْدِيرِ » . (الأمال : ١ : ٢١٧)
وقال الأصمى : العرب تقول :

« لَا تَنَاءُ مَعَ الْكِبَرِ ، وَلَا صَدِيقَ لَدَى الْحَسَدِ ، وَلَا شَرَفَ لِسَيِّئِ الْأَدَبِ .
قال : وَكَانَ يُقَالُ : « شَرُّ خِصَالِ الْمُلُوكِ الْجُبْنُ عَنِ الْأَعْدَاءِ ، وَالْقَسْوَةُ عَلَى
الضُّعْفَاءِ ، وَالْبَخْلُ عِنْدَ الْإِعْطَاءِ » . (الأمال : ١ : ٢٠١)

وقال أبو عليّ القالى : وأملى علينا أبو عبد الله قال : من كلام العرب ووصاياها :
« جالس أهل العلم ، فإن جهلت علموك ، وإن زللت قوموك ، وإن أخطأت
لم يُفندوك ^(١) » ، وإن صحبت زانوك ، وإن غبت تفقدوك ، ولا تجالس أهل
الجهل ، فإنك إن جهلت عفتوك ، وإن زللت لم يقوموك ، وإن أخطأت لم
يُنبتوك » . (الأمال ٢ : ٧٢)

١٢ - رجل من العرب والحجاج

سأل الحجاج رجلا من العرب عن عشيرته قال : أى عشيرتك أفضل ؟
قال : أنقاهم الله ، بالرغبة فى الآخرة ، والزهد فى الدنيا ، قال : فأيهم أسود ؟
قال : أرزئهم حِلما حين يُستجهل ، وأسخام حين يُسأل ، قال : فأيهم أدهى ؟
قال : من كتم سره من أحب ، مخافة أن يُشاره يوما ، قال : فأيهم أكيس ؟
قال : من يُصلح ماله ويقتصد فى معيشته ، قال : فأيهم أرفق ، قال : من يعطى
بشر وجهه أصدقاءه ، ويتلطّف فى مسأله ، ويتماهد حقوق إخوانه ، فى إجابة
دعواتهم ، وعبادة مرّضام ، والتسليم عليهم ، والمشى مع جنازهم ، والنصح لهم
بالغيّب ، قال : فأيهم أفطن ؟ قال : من عرّف ما يوافق الرجال من الحديث
حين يحالسه ، قال : فأيهم أصلب ؟ قال : من اشتدت عارضته ^(٢) فى اليقين ،
وحزم فى الحوكل ، ومنع جاره من الظلم . (مجم الأمثال ٢ : ١٧٨)

١٣ - أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز

ووفد وافد على عمر بن عبد العزيز رحمه الله ، فقال له : كيف تركت
الناس ؟ قال :

[١] صم : صب رأيه وحده . [٢] المارضة : الخلد والصرامة واللس .

« تركت غنيهم موفوراً ، وققيم غنيوراً ، وظالمهم مقهوراً ، ومظلومهم منصوراً » ، فقال : « الحمد لله ، لو لم تتم واحدة من هذه الخصال إلا بعض من أعضائي ، لكان يسيراً » . (الأمال ٢ : ٣٩)

١٤ - كاتب وأمير

ودخل بعض الكتاب على أمير بعد نكبة نابتة ، فرأى من الأمير بعض الازدراء ، فقال له :

« لا يصنني عندك تحول النبوة ، وزوال الثروة ، فإن السيف المتيق إذا مسه كثير الصدا استغنى بقليل الجلاء ، حتى يعود حده ، ويظهر فرنده ، ولم أصف نفسي مجبياً ، لكن شكراً ، قال صلى الله عليه وسلم : « أنا أشرف ولد آدم ولا خفر » . فجهز بالشكر ، وترك الاستطالة بالكبر » . (زهر الآداب ٣ : ٩١)

١٥ - وصف الهلباجة

من أمال العرب : « أعجز من هلباجة » وهو النثوم الكسلان العطل^(١) الجافي ، وقد سار في وصف الهلباجة فصل لبعض الأعراب المتفصحين ، وفصل آخر لبعض الحضريين ، فأما وصف الأعرابي ، فقد سئل ابن أبي كبشة بن القُبَيْرَي عنده فقال : « الهلباجة : الضعيف العاجز ، الأخرق الأحمق ، الجلف^(٢) الكسلان ، الساقط لا معنى فيه . ولا عناء^(٣) عنده ، ولا كيفية معه ، ولا عمل لديه » .

[١] عطل كعرج : عظم بدنه ، ومن لذل والأدب : حلا وهو عطل كقول وعق .

[٢] الجافي . [٣] لاعاء : لا كفاية .

وأما وصف الحضري فإن بعض ثلغاء الأمصار سئل عن الهلباجة فقال :
 « هو الذي لَا يَزْعَوِي لِعَدْلِ الماذل ، ولا يُصْنِي إلى وعظ الواعظ ، ينظر
 بعين حسود ، وَيُضْرِضْ إِعْرَاضَ حَقُود ، إن سَأَلَ الْخَفَّ (١) ، وإن سُئِلَ سَوِّفَ ،
 وإن حَدَّثَ حَلْفَ ، وإن وَعَدَ أَخْلَفَ ، وإن زَجَرَ عَنَّفَ ، وإن قَدَّرَ عَسَفَ (٢) ،
 وإن احْتَمَلَ أَسَفَ (٣) ، وإن اسْتَعْنَى بَطِرَ ، وإن افْتَقَرَ قَنَطَ ، وإن فَرِحَ أَشِيرَ (٤) ،
 وإن حَزَنَ يُمِسَ ، وإن ضَحِكَ زَارَ ، وإن بَكَى جَارَ (٥) ، وإن حَكَمَ جَارَ ، وإن
 قَدَّمَتْهُ تَأَخَّرَ ، وإن أَخَّرَتْهُ تَقَدَّمَ ، وإن أَعْطَاكَ مَنْ عَلَيْكَ ، وإن أُعْطِيَتْهُ لَمْ
 يَشْكُرْكَ ، وإن أَسْرَرَتْ إِلَيْهِ خَانُكَ ، وإن أَسَرَّ إِلَيْكَ ابْنُكَ ، وإن صَارَ فَوْقَكَ
 قَهْرُكَ ، وإن صَارَ دُونَكَ حَسَدُكَ ، وإن وَثِقَتْ بِهِ خَانُكَ ، وإن انْبَسَطَتْ إِلَيْهِ
 شَانُكَ ، وإن أَكْرَمَتْهُ أَهَانُكَ ، وإن غَابَ عَنْهُ الصَّدِيقُ سَلَاةٌ ، وإن حَفَرَهُ
 قَلَاةٌ (٦) ، وإن فَاتَحَتْهُ لَمْ يُجِبْهُ ، وإن أَمْسَكَ عَنْهُ لَمْ يَبْدَأْهُ ، وإن بَدَأَ بِالْوَدِّ هَجَرَ ،
 وإن بَدَأَ بِالْبِرِّ جَفَا ، وإن تَكَلَّمَ قَضَحَهُ الْبُيْءُ ، وإن عَمِلَ قَصَرَ بِهِ الْجَهْلُ ، وإن
 اؤْتُمِنَ غَدَرَ ، وإن أَجَارَ أَخْفَرَ (٧) ، وإن عَاهَدَ نَكَثَ ، وإن حَلَفَ حَنَثَ ،
 لَا يَصُدُّرُ عَنْهُ الْآمِلُ إِلَّا بَخِيلِيَّةٌ ، ولا يَضْطَرُّ إِلَيْهِ حُرٌّ إِلَّا بِمِخْنَةٍ .

قال خلف الأحمر : سألت أعرابيا عن الهلباجة ، فقال : « هو الأحمق
 الصَّغْمُ الْقَدَمُ (٨) الْأَكُولُ الَّذِي وَالَّذِي ... ثم جعل يلقاني بعد ذلك ، ويريد

[١] لُح . [٢] طَلَم . [٣] من أصف الطائر : دنا من الأرض في طيرانه ، أى لم يستطع
 النورس بما حمل . [٤] أشر : مزح . [٥] صاح واستعان . [٦] أبذمه وكرهه غاية الكراهة .
 [٧] أحمره وخبره : شمس مهده وعلمه . [٨] العلم : الشيء عن الكلام في نقل وخطوة ،
 وقلة فهمه ، والميلط : الأحمق الجاني .

في التفسير كل مرة شيئاً ، ثم قال لي بعد حين - وأراد الخروج - هو الذي جمع كل شرّ .
(مجم الأمثال ١ : ٢٢٦)

١٦ - بعض البلغاء يصف رجلاً

ووصف بعض البلغاء رجلاً فقال :

« إنه بسيط^(١) الكف ، رَحْب الصدر ، مُوطَّأ الأَكْناف ، سهل الخلق ، كَرِيم الطَّبَاع ، غِيْثٌ مُعَوِّثٌ^(٢) ، وبحرٌ زَخُورٌ ، صَحُوكُ السِّن ، بِشِيرُ الْوَجْهِ ، بادئُ الْقَبُولِ^(٣) غير عبوس ، يَسْتَقْبِلُكَ بِطَلَّاقَةٍ ، وَيَحْيِيكَ بِبِشْرٍ ، وَيَسْتَدْبِرُكَ بِكَرَمٍ غِيْثٍ ، وَجَمِيلِ بَشَرٍ ، تُبْهِجُكَ طَلَّاقَتُهُ ، وَيَرْضِيكَ بِشَرُهُ ، ضَحَّاكٌ عَلَى مَا دَنَتْهُ ، عَبْدٌ لِفَضِيحَانِهِ ، غَيْرُ مُلَاحِظٍ لِأَكِيلِهِ ، بَاطِنٌ^(٤) مِنَ الْعَقْلِ ، خَجِصٌ^(٥) مِنَ الْجَهْلِ ، رَاجِحُ الْحِلْمِ ، ثَاقِبُ الرَّأْيِ ، طَلِيْبُ الْخَلْقِ ، مُحَصِّنُ الصَّرِيَّةِ^(٦) ، مِعْطَاةٌ غَيْرُ سَاكِلٍ ، كَأْسِيٌّ^(٧) مِنْ كُلِّ مَكْرُمَةٍ ، عَارٍ مِنْ كُلِّ مَلَأَمَةٍ ، إِنْ سَتَلَ بِذَلِكَ ، وَإِنْ قَالَ فَعَلَ . »
(زهر الآداب ٢ : ٢٠٥)

١٧ - خمس جوار من العرب يصفن خيل آبائهن

عن ابن الكلبي عن أبيه قال :

اجتمع خمسُ جَوَارٍ مِنَ الْعَرَبِ ، فَقُلْنَ : هَلُمُّنَّ نَصِيفَ خَيْلِ آبَائِنَا .
فَقَالَتِ الْأُولَى :

« فَرَسٌ أَبَى وَرَدَّةٌ ، وَمَا وَرَدَةُ ؟ ذَاتُ كَفَلٍ مَرَّخَلَقٍ ، وَمَتْنٌ أَخْلَقَ ،

[١] أي بسيط الكف سحي . [٢] عوّث تعوثاً : قتل واغتره .

[٣] القول بالفتح وقد يعم : الحسن . [٤] أي مبتلى وأصله : عظيم البطن .

[٥] خجص : جلد ، وأصله : الخائض . [٦] الصرية : الطليعة ، ومحسن : عفا .

[٧] أي مكسو .

وَحَوْفُ أَخَوَيْ^(١) ، وَنَفْسُ مَرْوُوحٍ ، وَعَيْنُ طَرْوُوحٍ ، وَرِجْلُ ضَرْوُوحٍ ، وَيَدُ سَبُوحٍ^(٢) ، بُدَاهَتُهَا إِهْدَابٌ ، وَعَقَبُهَا غِلَابٌ^(٣) .

وقالت الثانية :

« فرسُ أبي اللَّعَابِ ، وما اللَّعَابُ ؟ غَيْبَةُ سَحَابٍ ، واضْطِرَامُّ قَابٍ ، مُتَرَصُّ الْأَوْصَالِ ، أَشْمُ الْقَذَالِ ، مُلَاَحَظُ الْحَالِ^(٤) ، فَارِسُهُ مُجِيدٌ ، وَصَيْدُهُ عَتِيدٌ ، إِنْ أَقْبَلَ فَظَبْيُ مَعَاجٍ ، وَإِنْ أَدْبَرَ فَظَلِيمٌ هَدَاجٍ ، وَإِنْ أَخْصَرَ فَلَيْلُجٌ هَرَجٍ^(٥) . »

وقالت الثالثة :

« فرسُ أبي حُذَمَةٍ ، وما حُذَمَةٌ ؟ إِنْ أَقْبَلَتْ فَقَنَاءٌ مُقَوِّمَةٌ ، وَإِنْ أَدْبَرَتْ فَأُثْفِيَةٌ مُلْسَمَةٌ ، وَإِنْ أَعْرَضَتْ فَذَنْبَةٌ مُعْجِرِمَةٌ^(٦) ، أَرْسَاعُهَا مُتَرَصَّةٌ ، وَفُصُوصُهَا مُمَحَصَّةٌ ، جَرِيئُهَا انْتِرَارٌ ، وَتَقَرُّيُّهَا انْكِدَارٌ^(٧) . »

[١] المرحلق : اللبس الذي كأنه رطوبة (بالصم) وهي آثار تخرج الصبيان من فوق إلى أسفل ، والأحلق : الأملس ، وأخوق : واسع . [٢] مروح : كثيرة الريح ، طروح سيدة موقع الظار ، صروح : دوع ، يريد أنها تصرح المحارة رجلها إذا عدت ، سسوح : كأنها تسبح في مدوها من سرعتها . [٣] بداهتها : غادتها ، والبداهة والندبة واحد ، والإهداب : السرعة ، والعقب : جرى مد جرى ، وعقاب مصغر ، طالته معالة وعلا ، كأنها تعال الجري .

[٤] الصية : الدفعة من المطر ، والماب جمع جاية وهي الأداة ، مترص : محكم ، أترمت الشيء : أحكمته أتم : مرتفع ، القذال : معقد العذار (والعذار من اللحام ككتبات : ماسل على خد الفرس) ، ملاحك مناحل (ينح الخاء) كأنه دوخل حصه في حص ، وإذالك جمع غائلة : وهي غار الطائر (كسحاب جمع غارة) وذكر الأسيامي أنه رأى غار فرس ميت ، فإذا ثلاث فقر من عظم واحد ، وكذا تكون الغراب فيما ذكروا . [٥] مجيد : صاحب جياد ، عتيد : حاصر ، معج في سيده ومعج : إذا أسرع ، والمحدح كشمس : الشيء الزويد ويكون الريح ، والملح : حار الوحش للسين القوي ، وهرج الفرس كضرب : إذا كان كثير الجري . [٦] حذمة : صلة من الحدم وهو السرعة أو القطع ، فضاء مقومة تريد أنها ذققة للقدم ، وهو مدح في الإيآت ، والأثمية : الحبر توصع عليه القدر ، ملهله : محنمة ، تريد أنها مدورة المؤخر ، لأن الأذى تختار مدورة ، مصجرة تكسر الراء اسم فاعل من المحرمة ، وهي إسرار في مقارعة خطو . قال الشاعر :

أَمَا إِذَا يَدُو قُتْلِبُ حَرِّيَةٍ أَوْ دُئِبُ تَادِيَةٍ يَعْجِرِمُ

ويقال ذقة معجومة صنع الراء : أي شديدة . [٧] محصنة : قليلة الاسم قليلة الشعر ، محم الجلد

وقالت الرابعة :

« فرسُ أبى خَيْفَق ، وما خَيْفَق ؟ ذاتُ ناهِقٍ مُعَرِّق ، وَشِدْقُ أَشْدَق ،
وأديمٌ مُمَلَّقٌ ^(١) ، لها خَلْقُ أَشْدَف ، وَدَمِيعٌ مُنْفَتَق ، وَتَلِيلٌ مُسَيَّفٌ ^(٢) ،
وَنَابَةٌ زُلُوج ، خَيْفَانَةٌ رَهْجُج ، تَقْرِيبُهَا إِنْجَاج ، وَخَضْرُهَا ارْتِجَاجٌ ^(٣) . »

وقالت الخامسة :

« فرسُ أبى هُذُلُول ، وما هُذُلُول ؟ طَرِيدُهُ مَحْبُول ، وَطَالِبُهُ مُشْكُول ،
رقيقُ المَلَاغِم ، أمينُ المَعَاقِم ^(٤) ، عَبَلُ المَحْزَم ، مَحْدُودُ رَجَم ^(٥) ، مُنِيفُ الحَارِك ،
أشَمُ السَّنَابِك ، مَحْدُولُ الخَصَائِل ، سَبَبُ النِّفَالِ ^(٦) ، غَوَجُ التَّلِيل ، صَلَصالُ
الصَّيْل ، أَدِيمُهُ صَافٍ ، وَسَيِّبُهُ ضَافٍ ^(٧) ، وَخَفْوَه كَافٍ . (الأملأ : ١ : ١١٠)

كفرح ، إذا سقط شعره وأملأ ، انثر ، أصاب ، كأنه يثره ثراً ، والتفريق : صرب من العدو
أو أن يرمع يده ماً ويصمها ماً ، وانكسر : أسرع وانقص ، وانكسر عليه القوم : انصبوا .

[١] خَيْفَق : بعل من الحقيق كشمس : وهو السرعة ، المادقان : المطمان الشاحقان في حدى الفرس
مروق : قليل اللحم ، أَشْدَق : واسع الشدق ، مَلَق : ملس . [٢] الأَشْدَف : العظيم الشخص ،
والشَدَف : محرّك ، الشَّص : الدسمع . ممر الفتق في السكاهل ، مدفع : واسع ، من الفتح كعمر :

وهو افواء بم السماء والأرض ، التليل : البقي ، سيب : كانه سيب .

[٣] زُلُوج : سرية ، الرليج وارلجان بالتحريك : السرعة ، الخيفانة : الحرادة التي فيها نقص سود
تخالل سائر لونها ، وإعاقيل للفرس : حيلة لسرعتها لأن الحرادة إذا طهر فيها تلك الفقدان أسرع
لطيرانها ، رهوج : كثيرة الرمح ، (والرمح بالتحريك . الصار) أجمع الفرس إجماعاً : إذا اجتهد في
عدوه ، والمخسر : ارتفع الفرس في عدوه ، الارتجاع : كثرة البرق وتناحه .

[٤] محلول : في حالة ، مشكول : موقوف في شكل (الشكل ككتاب : أجل تشد به قوائم الغاية)
اللامع من الإنسان : ماحول الفم ، أرادت هاهنا الحمايل (والحمايل جمع حصة ففتح بحذرة الذمة للخل
والغال والخير) وللغنى : الفاصل . [٥] عل : عليل ، وانحرم موضع الحرام ، محد : محد الأرض
أى يحصل فيها الأحاديث (والأحاديث : الشقوق جمع أحودود) ، مرحم : يرسم الخيبر بالخيبر ، أو يرجم
الأرض بخوافره . [٦] ميب : مرتفع ، والحارِك : منت أدنى الريف إلى الظهر الذى يأخذ به من
بركه ، والسالك : أطراف المواير جمع سلك كقعد ، محلول : مغلول ، انخبال جمع خبيلة : وهي
كل قطعة من اللحم مستطيلة أو ممتعة ، اللليل : الشعر المتجمع ، ويقال لفظة من الشعر : اللليلة ،
سببط : مسترسل . [٧] الموج : الذين المطف ، والصلصلة صوت الحديد ، وكل صوت حاد ،
والسبب : شعر اللاصية ، صاف : سابع .

١٨ - رجل من العرب يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

سئل رجل من العرب عن مطر كان بعد جذب فقال :

«نشأ حملا^(١) سدا متقاذف الأحضان ، محموي الأركان ، ملمع الأقارب ،
مكفهر الرباب ، تحين رعوده حنين اضطراب ، وتزجر زجيرة الليوث الفضا ،
لبوارقه التهاب ، ولرواعده اضطراب ، فحافت^(٢) صدور الشعاف ، وركبت
أعجازه القفاف ، ثم ألقى أعبائه ، وخط أنقاله ، فتألق وأصعق^(٣) ، وانجس
وابتمق ، ثم أنجم فانطلق ، فنادر النباء^(٤) مثرعة ، والفيضان ممرعة ، حياه
للبلاد ، ورزقا للمباد .» (بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٠)



[١] الحمل : السحاب الكثير الماء ، والد : الذي قد سد الأفق ، اجموي : اسود ، والأقارب جمع قرب كفعل وعق وهو المحاصرة ، والراب : السحاب الأبيض . [٢] حاحه : راحه وداناه ، والشفاف جمع شمة كربة : وهي رأس الحمل ، والفاف جمع تف فالصم وهو ماغلط من الأرض وارتفع لم يبلغ أن يكون حلا . [٣] أصعقتهم البهاء وأصعقتهم : ألقت عليهم صاعقة ، وانجس : اغمر بالماء واسبق السحاب : اسبح بالمطر واندمع ، والاسحاق : أن يدفع عليك الشيء فجاء وأنت لا تنزع ، وأنجمت البهاء : أسرع مطرها . [٤] البهاء جمع بهي بالكسر والفتح : العدير ، ومثرعة : مملوءة ، والفيضان جمع فائط : وهو للفتش أو اسع من الأرض ، ممرعة : محصة ، حياه : عطاء .

الباب الثالث

في

نثر الأعراب

قولهم في الوعظ والتوصية

١ - مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

قام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك ، فقال :

« إني مُكَلِّمُكَ يا أمير المؤمنين بكلامٍ فيه بمض الغِلْظَة ، فاحمِلْهُ إن كَرِهْتَهُ ، فَإِنَّ وِراءَهُ ما تُحِبُّهُ إن قَبِلْتَهُ » ، قال : هاتِ يا أعرابي : إنا نجود بِسَعَةِ الاحتمال على من لا نرجو نُصَحَهُ ، ولا نأمنُ غِشَّهُ ، وأرجو أن تكون الناصحَ جَيِّبًا ، المأمونَ غَيِّبًا ، قال : « يا أمير المؤمنين أما إذ أمنت بِادِرَةِ غضبك ، فأني سأُطِيقُ لسانِي بما خَرَسَتْ عنه الألسُنُ من عِظَتِكَ ، تأديَةً لحَقِّ اللَّهِ وحقِّ أمانتِكَ . إنه قد اكَتَنَّفَكَ رجالٌ أساءوا الاختيارَ لأُتْسَهُم ، فابتاعوا دينيكَ بدينهم ، ورضاك بِسُخْطِ ربهِم ، خافوك في اللَّهِ ، ولم يخافوا اللَّهَ فيكَ ، فهم حربٌ لِلآخِرَةِ ، سَلِمَ لِلدُّنْيَا ، فلا تُأْمِنُهُم على ما ائْتَمَنْتَ اللَّهُ عليه ، فإنهم

لَا يَأْتُونَكَ^(١) خَبَالًا ، وَالْأَمَانَةَ تَضِييْعًا ، وَالْأَمَّةَ عَسْفًا وَخَسْفًا^(٢) ، وَأَنْتَ
مَسْتَوِلٌ عَمَّا اجْتَرَحُوا^(٣) ، وَلَيْسُوا مَسْتَوِلِينَ عَمَّا اجْتَرَحْتَ ، فَلَا تُصْلِحْ دِيَارَهُمْ
بِفَسَادِ آخِرَتِكَ ، فَإِنْ أَخْسَرَ النَّاسَ صَفْقَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَأَعْظَمَهُمْ غَنًّا مِنْ بَاعِ
آخِرَتِهِ بِدُنْيَا غَيْرِهِ « قَالَ سَلِيَانُ : « أَمَّا أَنْتَ يَا أَعْرَابِي ، فَقَدْ سَلَّتَ لِسَانَكَ ،
وَهُوَ أَقْطَعَ سَيْفِيكَ » ، فَقَالَ : « أَجَلٌ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَ لَا عَلَيْكَ » .

(مبرور الأخبار ٢ : ص ٣٣٧ ، والقصد المريد ١ : ٣٠٧ ، وروج الذهب ٢ : ١٦٤ ،
وزهر الآداب ١ : ٢٧٧)

٢ - أعرابي يعظ هشام بن عبد الملك

وَدَخَلَ أَعْرَابِي عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقَالَ لَهُ : عِظْنِي يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ :
« كُنْ بِالْقُرْآنِ وَاعِظًا ، أَعُوذُ بِاللَّهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ،
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ : « وَيْلٌ لِلطَّافِقِينَ^(١) الَّذِينَ إِذَا أَكْتَبَلُوا عَلَى النَّاسِ
يَسْتَوْفُونَ ، وَإِذَا كَالَوْهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ، أَلَا يَبْظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ
لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ » ، ثُمَّ قَالَ : « يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
هَذَا جَزَاءُ مَنْ يُطْفَفُ فِي الْكَيْلِ وَالْمِيزَانِ ، فَمَا ظَنُّكَ بِمَنْ أَخَذَهُ كُلُّهُ^(٢) ؟ » .

(القصد المريد ٢ : ٨٤)

٣ - خطبة أعرابي^(٣)

وَوَلَّى جَعْفَرُ بْنُ سَلِيَانَ^(٤) أَعْرَابِيًّا بَعْضَ مَيَاهِمِهِمْ^(٥) فخطبهم يوم الجمعة فقال :

[١] الْأَيَّامُ : فَصْرٌ وَأَبْطَأُ ، وَالْجِبَالُ : السَّادُ . [٢] الصَّف : الظُّلْمُ ، وَالْخَسْفُ : الْهَلَاكُ .

[٣] أَكْتَسَبُوا ، وَفِي رِوَايَةٍ : « أَحْتَرَمُوا » .

[٤] طَعَفَ : مَعَسَ الْمَكْيَالُ . [٥] وَرَوَى صَاحِبُ الْعَقْدِ أَيْضًا هَذِهِ الْمِطْلَةَ (ح ١ ص ٣٠٦)
وَدَكَرَ أَنَّهَا لِابْنِ أَبِي بَكْرٍ وَعَظَ بِهَا الرَّشِيدُ .

[٦] فَدَنَايَ الْحِزْمِ لِنَتَانِي ص ٦٣ : أَنَّ هَذِهِ الْمِطْلَةَ مِتَارَعٌ فِيهَا ، هِيَ تَنْزِي تَارَةً إِلَى الْإِلَهِ عَلَى
كَرَمِ اللَّهِ وَجْهِهِ ، وَأُخْرَى إِلَى سَحَابٍ وَائِلٍ ، وَثَلَاثَةٌ إِلَى أَعْرَابِي . [٧] هُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِي جَعْفَرٍ
الْمَصُورِ ، وَكَانَ وَالِيًّا لَهُ عَلَى الدَّيْنَةِ سَنَةَ ١٤٦ - ١٥٠ هـ . [٨] فِي عَمِّ الْأَمْثَالِ : « عَنِ الْأَصْمَعِيِّ
قَالَ : حَدَّثَنِي شَيْخٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ قَالَ : شَهِدْتُ الْجُمُعَةَ بِالْقُرْبَةِ « صَرِيَّةً كَمَنِيَّةً : قُرْبَةً مِنَ الصَّرَةِ وَمَكَّةَ »

« الحمد لله رب العالمين ، والعاقبة للمتقين ، وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين ، أما بعد : فإن الدنيا دارٌ بِلَاغٌ ^(١) ، والآخرة دار قرار ، نخذوا بِقُرْآنِكُمْ مِنْ تَمَرِّكُمْ ، ولا تَهْتِكُوا أَسْطَارَكُمْ عند من لا تَخْفَى عليه أسرارُكُمْ ، وأُخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ ، قبل أن تُخْرِجَ مِنْهَا أَبْدَانَكُمْ ، ففيها حَيَاتُكُمْ ، ولنغيرها خُلُقَتُمْ ، اليوم عملٌ بلا حساب ، وغداً حسابٌ بلا عمل ، إن الرجل إذا هَلَكَ ، قال الناس ما ترك ؟ وقالت الملائكة : ما قَدَّمَ ؟ فقله آباؤُكُمْ ! قَدَّمُوا بَعْضًا ، يكون لكم قَرْضًا ، ولا تَخْلَفُوا كُلًّا ، يكون عليكم كَلًّا ^(٢) ، أقول قولي هذا وأستغفر الله العظيم لى ولكم ، والحمد لله ، والمصلّى عليه محمد ، والمَدْعُو له الخليفة ، ثم إمامكم جعفر بن سليمان ، قُومُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ » .

(الأمل : ١ : ٢٤٨ ، والقند العريد : ٢ : ١٦٤ ، وتهذيب الكمال : ١ : ٢٨ ،

ومح الأثرال : ١ : ٣١٨ ، وعبود الأُخار م : ٢ : ٢٥٣ وزهر الآداب : ٢ : ٤٤)

٤ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي فقال :

« الحمد لله الحميد المستحمد ، وصلى الله على النبي محمد . أما بعد : فإن التمسُّق فى اربحال الخطب لِمُمْكِن ، والكلام لا يَنْتِى حَتَّى يُنْتِى عنه ، والله تبارك وتعالى لا يُذَرِّكُ واصفٌ كُنْهَ صِفَتِهِ ، ولا يَبْلُغُ خُطِيبٌ مُتَهَيِّ مِذْحَتَهُ : له الحمد كما مدح نفسه ، فانهَضُوا إِلَى صَلَاتِكُمْ » ثم نزل فصلى . (القند العريد : ٢ : ١٦٤)

وأبهرها رجل من الأعراب ، فخرج وحط ، وامتّ ثيابه على رأسه ، وبه قوس فقال وأورد هذه الحيلة » ، وفى الكامل للهرد : « قال الأصمى فيما لحنى خطبا أعرابي بالبادية حمد الله . . . » .

[١] وفى رواية الميداني ، وعبود الأُخار « بلاء » وفى رواية القند « دار مرّ والآخرة دار مقرّ »

[٢] الكل : التعل .

٥ - خطبة أخرى

وخطب أعرابي قومه فقال :

« الحمد لله ، وصلى الله على النبي المصطفى وعلى جميع الأنبياء ، ما أقيح بمنى
أن ينهى عن أمرٍ ويرتكبه ، ويأمر بشيءٍ ويحْتَنَبُه ، وقد قال الأول :
وَدَعِ مَا لُمْتَ صَاحِبَه عَلَيْهِ فَذَمُّ أَنْ يُلُومَكَ مَنْ تَلُومُ
أَلْهَمَنَا اللَّهُ وَإِيَّاكُمْ تَقْوَاهُ ، وَالْعَمَلُ بِرِضَاهُ » . (المقد الفريد ٢ : ١٦٤)

٦ - أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

قال أَبَانُ بْنُ تَمْلِبٍ - وَكَانَ عَابِداً مِنْ عِبَادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ تَوَفَّى سَنَةَ ١٤١ هـ -
شَهِدْتُ أَعْرَابِيَةً وَهِيَ تُوصِي وَلَدًا لَهَا يَرِيدُ سَفَرًا وَهِيَ تَقُولُ لَهُ :
« أَيُّ مُبْنَى اجْلِسْ أَمْتَحَكَ وَصِيتِي ، وَبِاللَّهِ تَوْفِيقُكَ ، فَإِنَّ الْوَصِيَّةَ أَجْدَى ^(١)
عَلَيْكَ مِنْ كَثِيرِ عَقْلِكَ ، أَيُّ مُبْنَى : إِيَّاكَ وَالنِّيمَةَ فَإِنَّهَا تَرْعِ الضَّغِينَةَ ، وَتَفَرِّقُ
بَيْنَ الْمُحِبِّينَ ، وَإِيَّاكَ وَالتَّعَرُّضَ لِلْعُيُوبِ فَتُخَذَّ غَرَضًا ^(٢) ، وَخَلِيقُ أَنْ لَا يَثْبُتَ
الْفَرَضُ عَلَى كَثْرَةِ السَّهَامِ ، وَقَلَمَا اعْتَوَرَتِ ^(٣) السَّهَامُ غَرَضًا إِلَّا كَلَمَتْهُ ^(٤) حَتَّى
يَهْمِي ^(٥) مَا اسْتَدَّ مِنْ قُوَّتِهِ ، وَإِيَّاكَ وَالْجُودَ بِدِينِكَ ، وَالبُخْلَ بِمَالِكَ ، وَإِذَا هَزَزْتَ
فَاهْزُزْ كَرِيحًا يَلِينُ لَهْزَتِكَ ، وَلَا تَهْزُزْ اللَّثِيمَ فَإِنَّهُ صَخْرَةٌ لَا يَنْفَجِرُ مَاؤُهَا ، وَمِثْلُ
لِنَفْسِكَ مِثَالُ مَا اسْتَحْسَنْتَ مِنْ غَيْرِكَ فَاعْمَلْ بِهِ ، وَمَا اسْتَقْبَحْتَ مِنْ غَيْرِكَ
فَاجْتَنِبْهُ ، فَإِنَّ الْمَرْءَ لَا يَرَى عَيْبَ نَفْسِهِ ، وَمَنْ كَانَتْ مَوَدَّتُهُ بِشَرِّهِ ، وَخَالَفَ ذَلِكَ
مَنْهُ فَلَهُ ، كَانَ صَدِيقُهُ مِنْهُ عَلَى مِثْلِ الرِّيحِ فِي تَصَرُّفِهَا » ثُمَّ أَمْسَكَتْ ، فَذَنُوتُ

[١] أُنْفِجَ [٢] هَذَا . [٣] تَدَاوَلَتْ . [٤] حَرَجَتْ وَحَطَّتْ .

[٥] وَهِيَ يَهْمِي : صَعِبَ .

منها ، فقلت : بالله يا أعرابية ، إلا زِدْتِه في الوصية ، فقلت : أَوْ قد أعجبتك كلام العرب يا عراقى ؟ قلت : نعم ، قالت : والعذرُ أَمَج ما تَعَامَل به الناس بينهم ، ومن جمع الحِلْم والسَّخَاء فقد أجَاد الحُلَّة^(١) : رَظَّتْهَا وَسَرَّهَا .
(الأملال : ٢ : ٨١ ، والفرد الرید : ٢ : ٨٥ ، وبلغات النساء ص ٥٧ ، والبيان والنبين ٣ : ٢٢١)

٧ - أعرابية توصي ابنها

وقالت أعرابية لابنها :

« يَا بُنَيَّ ، إن سَأَلَكَ النَّاسَ مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنْ أَشَدِّ الْاِفْتِقَارِ إِلَيْهِمْ ، وَمِنْ اِفْتِقَرَتْ إِلَيْهِ هُنْتَ عَلَيْهِ ، وَلَا تَزَالْ تُحْفَظُ وَتُكْرَمُ ، حَتَّى تَسْأَلَ وَتَرْغَبُ ، فَإِذَا أَلَحَّتْ عَلَيْكَ الْحَاجَةُ ، وَلِزِمَكَ سُوءُ الْحَالِ ، فَاجْعَلْ سَأْلَكَ إِلَى مَنْ إِلَيْهِ حَاجَةُ السَّائِلِ وَالْمُسْتَوِلِ ، فَإِنَّهُ يُعْطَى السَّائِلَ » . (الفرد الرید : ٢ : ٨٥)

٨ - أعرابي يوصي ابنه

ووصى أعرابي ابنه فقال :

« ابْدُلْهُ الْمَوَدَّةَ الصَّادِقَةَ تَسْتَفِدْ إِخْوَانًا ، وَتَتَخَذْ أَعْوَانًا ، فَإِنَّ الْعِدَاةَ مَوْجُودَةَ عَتِيدَةَ ، وَالصَّدَاقَةَ مُسْتَعْرَظَةً^(٢) بَعِيدَةَ ، جَنِّبْ كِرَامَتَكَ اللَّثَامَ ، فَإِنَّهُمْ إِنْ أَحْسَنَتْ إِلَيْهِمْ لَمْ يَشْكُرُوا ، وَإِنْ نَزَلَتْ شَدِيدَةً لَمْ يَصْبِرُوا » . (الأملال : ١ : ٢٠١)

٩ - أعرابي ينصح لابنه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :
« لَا يَغُرُّكَ مَا تَرَى مِنْ خَفَضِ الْعِشِ ، وَلَيْلِنِ الرَّيَاشِ^(٣) ، وَلَكِنْ فَاقْظِرْ إِلَى سُوءِ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ الْمُتَّقَلِّبِ » . (الأملال : ٢ : ٥٩)

[١] الحلة لا تكون إلا من ثوبين لأزهر ورداء ، والريطة : اللاعة كلها سح واحد وقطة واحدة ، والرهال : القبيس . [٢] مستعززة : مقضة شديدة : [٣] وليلن الرياش : ولكن فاقظر

١٠ - أعرابي ينصح لابنه

وقال : سمعت أعرابياً يقول لابنه :

« كن للعاقل المذبر أرجى منك للأحمق المقبل » ، ثم أنشد :

عَدُوُّكَ ذُو الْحِلْمِ أَقْبَى عَلَيْكَ وَأَرْغَى مِنَ الْوَامِقِ الْأَحْمَقِ ^(١)

(ديل الأملال ص ٣٤)

١١ - أعرابي ينصح لأخيه

ونصح أعرابي لأخيه ، فقال :

« اعلم أن الناصح لك ، المشفق عليك ، مَنْ طالع لك ما وراء العواقب
برؤيته ونظره ، وَمَثَلُكَ الْأَحْوالُ الْمُخْوَفَةُ عَلَيْكَ ، وَخَلَطَ الْوَعْرَ بِالسَّهْلِ مِنْ
كَلَامِهِ وَمَشُورَتِهِ ، لِيَكُونَ خَوْفُكَ كِفَاءً ^(٢) رَجَائِكَ ، وشكرك إزاء النعمة عليك ،
وَأَنْ الْفَاشِئَ لَكَ ، وَالْحَاطِبَ ^(٣) عَلَيْكَ ، مَنْ مَدَّ لَكَ فِي الْإِغْتِرَارِ ، وَوَطَأَ لَكَ مِهَادَ ^(٤)
الظُّلْمِ ، تَابِعاً لِمَرْضَاتِكَ ، مُنْعَاداً لِهَوَاكَ » . (الأملال ١ : ١٩٨)

١٢ - أعرابي يعظ أخاه

ووعظ أعرابي أخاه له أفسد ماله في الشرب ، فقال :

« لَا الدَّهْرُ يَعْظُكَ ، وَلَا الْأَيَّامُ تُنْذِرُكَ ، وَلَا السَّيِّبُ يَرْجُرُكَ ، وَالسَّاعَاتُ
تُخَفِّصُ عَلَيْكَ ، وَالْأَنْفَاسُ تُمَدُّ مِنْكَ ، وَالْمَنَایَا تُقَادُ إِلَيْكَ ، أَحَبُّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ ،
أَعُوذُهَا بِالْمُضَرَّةِ عَلَيْكَ » .

(القفد العريد ٢ : ٨٥ ، والأملال ١ : ١٩٨ ، وزهر الآداب ٣ : ١١٥)

[١] الوامق : ائحم . [٢] مَكُوناً .

[٣] هو حاطب لين : أى يخلط ويكلمه . [٤] المهاد : العرائش .

١٣ - أعرابي يعظ صاحبه

وقال أعرابي لصاحبه :

« والله لئن هَمَلَجْتَ ^(١) إلى الباطل ، إنَّكَ لَقَطُوفٌ ^(٢) عن الحق ، ولئن أبطأتَ لَيَسْرَعَنَّ بِكَ ، وقد خسر أقوام وهم يظنون أنهم رابحون ، فلا تفرِّك الدنيا ، فإن الآخرة من ورائك » . (الباق والتبيين ٢ : ١٥٨ ، والعقد العريد ٢ : ٨٦)

١٤ - أعرابي يعظ أخاه

وقال أعرابي لأخيه :

« يا أخى : أنت طالب ومطلوب ، يَطْلُبُكَ ما لا تَقْوُهُ ، وتطلُّب ما قد كُفِّيتَه ، فكأن ما غاب عنك ، قد كُشِفَ لك ، وما أنت فيه قد نُقِلَتْ عنه ، فامهِّد ^(٣) لنفسك ، وأعدِّ ذلك ، وخذ في جهازك » . (العقد العريد ٢ : ٨٤)

١٥ - أعرابي يعظ رجلا

وقال أعرابي لرجل :

« أى أخى : إنَّ يَسَّارَ النفسِ أَفْضَلُ من يسار المال ، فإن لم تُرْزَقْ عَنِّي فلا تُخْزِمَ تقوى ، فَرُبَّ شَبَعَانَ من النِّعم ، عُرْيَانٍ من الكرم ، واعلم أن المؤمن على خَيْرٍ : تَرَحَّبَ به الأرض ، وتُسْتَبَشِّرُ به السماء ، ولن يُسَاءَ إليه في بطنها وقد أَحْسَنَ على ظهرها » . (العقد العريد ٢ : ٨٥)

[١] من هملج التردود : متى مشى سهلة في سرعة .

[٢] من قطعت الباب كعمر وصرب : ضيق متعباً ، وهي قنوف .

[٣] أى مهد وأعد .

١٦ - أعرابي يعظ رجلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يعظ رجلا وهو يقول :
« وَيَحْك ! إِنْ فَلَانًا وَإِنْ ضَحِكَ إِلَيْكَ ، فَإِنَّهُ يَضْحَكُ مِنْكَ ، وَلَئِنْ أَظْهَرَ
الشَّفَقَةَ عَلَيْكَ ، إِنْ عَقَّارِبُهُ لَتَسْرِي إِلَيْكَ ، فَإِنْ لَمْ تَتَّخِذْهُ عَدُوًّا فِي عِلَانِيَتِكَ ، فَلَا
تَجْمَلُهُ صَدِيقًا فِي سِرِّيَّتِكَ » . (دُررُ الْأَدَبِ ٣ : ١٦٤)

١٧ - أعرابي يعظ رجلا

وسمع أعرابي رجلا يقع في السلطان ، فقال :
« إِنَّكَ غَفْلٌ لَمْ تَسْمَعْ النِّجَارِبُ ، وَفِي النَّصِيحِ لَسَعُ الْمُقَارِبِ ، كَأَنِّي
بِالضَّاحِكِ إِلَيْكَ ، وَهُوَ بِالكَرِّ عَلَيْكَ » . (دُررُ الْأَدَبِ ٣ : ١٦٤)

١٨ - كلام أعرابي لابن عمه

وشاور أعرابي ابنَ عَمِّهِ لَهُ ، فَأَشَارَ عَلَيْهِ بِرَأْيٍ ، فَقَالَ :
« قَدْ قُلْتَ بِمَا يَقُولُ بِهِ النَّاصِحُ الشَّفِيقُ الَّذِي يَخْلُطُ خُلُوقُهُ بِكَلَامِهِ بِمُرَّةٍ ،
وَحَزَنُهُ بِسَهْلِهِ ، وَيَحْرُكُ الْإِسْفَاقُ مِنْهُ مَا هُوَ سَاكِنٌ مِنْ غَيْرِهِ ، وَقَدْ وَعَيْتُ
النَّصِيحَ مِنْهُ وَقَبِلْتَهُ ، إِذْ كَانَ مَصْدَرُهُ مِنْ عِنْدِ مَنْ لَا شَكَّ فِي مُوَدَّتِهِ ، وَصَافِي
عَيْبِهِ ، وَمَا زِلْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ إِلَى الْخَيْرِ مِنْهُجًا وَاضِحًا ، وَطَرِيقًا مَهِيمًا ^(١) » .
(الْأَمَالِيُّ ٢ : ٨٢)



١٩- كلمات حكيمة للأعرابي

قيل لأعرابي : مَالَكْ لَا تَشْرَبُ الْبَيْدَ ؟ قَالَ : « لثَلَاثِ خِلَالٍ فِيهِ : لِأَنَّهُ مُتَلَفٌ لِلْمَالِ ، مُذْهَبٌ لِلْعَقْلِ ، مُسْقِطٌ لِلْمَرْوَةِ » .

وقال أعرابي : « الدِّرَاهِمُ مَيْسِمٌ ^(١) ، تَسِيمٌ حَمْدًا وَذَمًّا ، فَمَنْ حَبَسَهَا كَانَ لَهَا ، وَمَنْ أَنْفَقَهَا كَانَتْ لَهُ ، وَمَا كُلُّ مَنْ أُعْطِيَ مَالًا أُعْطِيَ حَمْدًا ، وَلَا كُلُّ عَدِيمٍ ذَمِيمٌ » .
وقال أعرابي لأخ له : « يَا أَخِي إِنَّ مَالَكَ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَكَ كُنْتَ لَهُ ، وَإِنْ لَمْ تُفْنِهِ أَفْنَاكَ ، فَكُلْهُ قَبْلَ أَنْ يَأْكُلَكَ » .

وقال أعرابي : « إِنَّ الْمَوْفِقَ مَنْ تَرَكَ أَرْفَقَ الْحَالَاتِ بِهِ ، لِأَصْلَاحِهَا لِدِينِهِ ، نَظَرًا لِنَفْسِهِ ، إِذَا لَمْ تَنْظُرْ نَفْسُهُ لَهَا » .

وقال أعرابي : « إِنَّ اللَّهَ تُخْلِفُ مَا تُتْلَفُ النَّاسُ ، وَالْدهرُ مُتْلِفٌ مَا أُخْلِفُوا ، وَكَمْ مِنْ مَيِّتَةٍ عَلَيْهَا طَلَبَ الْحَيَاةَ ، وَكَمْ مِنْ حَيَاةٍ سَبَبَهَا التَّمَرُّضُ لِلْمَوْتِ » .
وقال أعرابي : « إِنْ الْآمَالَ قَطَعْتَ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ، كَالشَّرَابِ عَرٍّ مِنْ رَأْيِهِ ، وَأَخْلَفَ مِنْ رَجَائِهِ » .

وقال أعرابي لصاحب له : « أَتُحِبُّ مِنْ يَتَنَاسَى مَعْرُوفَةَ عَلَيْكَ ، وَيَنْدَكِرُ حَقُوقَكَ عَلَيْهِ » .

وقال أعرابي : « لَا تَسْأَلْ مَنْ يَفِرُّ مِنْ أَنْ تَسْأَلَهُ . وَلَكِنْ سَلْ مَنْ أَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ ، وَهُوَ اللَّهُ تَعَالَى » .

[١] ميسم جمع ميسم بالكسر : وهو الكوة .

وقال أعرابي : « ما بقاءُ عُمرٍ تقطعهُ الساعاتُ ، وسلامةُ بدنٍ مُعرضٍ للآفاتِ ؟ ولقد عجبتُ من المؤمنِ كيف يكره الموتَ ؟ وهو ينقله إلى الثواب الذي أحيا له ليله ، وأظلماً له نهاره » .

وذكر أهلُ السلطان عند أعرابي فقال : « أما والله لئن عَزَّوا في الدنيا بالجور ، لقد ذَلَّوا في الآخرة بالعدل ، ولقد رضُّوا بقليلٍ فإن ، عِرَضاً عن كثيرٍ باقٍ ، وإنما تزلُّ القدمُ حيث لا ينفع الندم » .

وقال أعرابي : « من كانت مطيته الليل والنهار ، سارا به وإن لم يَمِرْ ، وبلغنا به وإن لم يبلغ » .

وقال أعرابي : « الزهادة في الدنيا مفتاح الرغبة في الآخرة ، والزهادة في الآخرة مفتاح الرغبة في الدنيا » .

وقيل لأعرابي وقد مرض : إنك تموت ا قال : « وإذا مُتُ فإلى أين يذهب بي ؟ » قالوا : « إلى الله تعالى » ، قال : « فما كراحتي أن يذهب بي إلى من لم أر الخير إلا منه ؟ » .

وقال أعرابي : « من خاف الموتَ بادر الموتَ ، ومن لم يُنَجِّ النفسَ عن الشهوات ، أسرعَ به إلى الهلكات ، والجنة والنار أمامك » .

وقال أعرابي : « خيرٌ لك من الحياة ما إذا فقدته أبفضت له الحياة ، وشرُّ من الموت ما إذا نزل بك أحييت له الموت » .

وقيل لأعرابي : من أحقُّ الناس بالرحمة ؟ قال : « الكريمُ يُسلِّط عليه اللئيم ، والعاقِلُ يُسلِّط عليه الجاهل » .

وقيل له : أيُّ الداعين أحقُّ بالإجابة ؟ قال : المظلوم ، وقيل له : فأى الناس أغنى عن الناس ؟ قال : « من أفرد الله بحاجته » .

وقال الأصمى : سمعت أعرابياً يقول : « إذا أشكل عليك أمران ، فانظر أيهما أقرب من هواك نخالفه ، فإن أكثر ما يكون الخطأ مع متابعة الهوى » .
وقال أعرابي : « الشرُّ عاجله لذيد ، وآجله وخيم » .

وقال أعرابي : « من ولد الخير أتبع له فراخاً تطير بأجنحة السرور ، ومن غرس الشر أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه ، وقُضْبائُه الفيض ، وثمرته الندم » .

وقال أعرابي : « من كساه الحياء ثوبه ، خفي على الناس عيبه » وقال : « بئس الزاد، التَّعَدَّى على العباد » ، وقال : « التلطُّف بالحيلة ، أنفع من الوسيلة » ، وقال : « من ثقل على صديقه ، خفَّ على عدوه ، ومن أسرع إلى الناس بما يكرهون ، قالوا فيه ما لا يعلمون » .

وقال أعرابي : « أمجُرُ الناس مَنْ قَصَّرَ في طلب الإخوان ، وأمجز منه مَنْ ضَيَّعَ من ظَفَرِهِ منهم » .

وقال أعرابي لابنه : « لا يسرك أن تغلب بالشرِّ ، فإن الغالب بالشرِّ هو المغلوب » .

وقال أعرابي لأخ له : « قد نهيتك أن تُريقَ ماء وجهك عند من لا ماء في وجهه ، فإن حطَّكَ مِنْ عَطِيَّتِهِ السُّؤَالُ » .

وقال أعرابي : « إن حبَّ الخير خير وإن عجزت عنه المقدرة ، وبنفض الشرِّ خير وإن فعلت أكثره » .

وقال أعرابي : « والله لولا أن المرومة ثقيل تحمّلها ^(١) ، شديدة مؤثمتها ، مازك اللثام للكرام شيئا » .

واحتضر أعرابي ، فقال له بنوه : عِظْنَا يَا أَبَتِ ، فقال : « عاشروا الناس معاشرَةً ، إن غبتم حنّوا إليكم ، وإن متمّ بكّوا عليكم » .

ودخل أعرابي على بعض الملوك في شملة ^(٢) شعر ، فلما رآه أعرض عنه ، فقال له : « إن الشملة لا تكلمك ، وإنما يكلمك مَنْ هو فيها » .

وقال أعرابي : « رَبِّ رَجُلٍ سِرُّهُ مَقْشُورٌ عَلَى لِسَانِهِ ، وَآخِرُ قَدِّهِ التَّحَفُّ عَلَيْهِ قَلْبُهُ التَّعَافُ الْجَنَاحُ عَلَى الْخَوَافِ » .

وقيل لأعرابي : كيف كتمانك للسرّ؟ قال : « ما جوفى لَهُ إِلَّا قَبْرٌ » .

ومرّ أعرابيان برجل صلبه بعض الخلفاء ، فقال أحدهما : أُبَيِّتُهُ الطَّاعَةَ ، وَحَصَدْتُهُ الْمَعْصِيَةَ ، وقال الآخر : « مَنْ طَلَّقَ الدُّنْيَا فَلَا آخِرَةَ صَاحِبَتِهِ ، وَمَنْ فَارَقَ الْحَقَّ فَلْجِذْعُ رَاحِلَتِهِ » .

وقال أعرابي : « إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ وَفَاءَ الرَّجُلِ ، وَدَوَامَ عَهْدِهِ ، فَانْظُرْ إِلَى حَنِينِهِ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَشَوْقِهِ إِلَى إِخْوَانِهِ ، وَبُكَائِهِ عَلَى مَا مَضَى مِنْ زَمَانِهِ » .

وقال أعرابي : « إِذَا كَانَ الرَّأْيُ عِنْدَ مَنْ لَا يُقْبَلُ مِنْهُ ، وَالسَّلَاحُ عِنْدَ مَنْ لَا يَسْتَعْمَلُهُ ، وَالْمَالُ عِنْدَ مَنْ لَا يَنْفِقُهُ ، ضَاعَتِ الْأُمُورُ » .

(البغد العربي ٢ : ٨٥ - ٨٧)

وقال أعرابي : « إِنْ الدُّنْيَا تَنْطَقُ بِغَيْرِ لِسَانٍ ، فَتُخْبِرُ عَمَّا يَكُونُ بِمَا قَدْ كَانَ » .

(البغد العربي ٢ : ٨٠)

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « غَفَلْنَا وَلَمْ يَفُتِّلِ الدَّهْرُ عَنَّا ، فَلَمْ

[١] الخمل في الأصل : شغل على العير يحمل فيها العديلات . [٢] كساء دون اعطيفة يشتمل به .

تَعِظْ بغيرنا ، حتى وَعِظَ غَيْرُنَا بِنَا ، فقد أدركت السعادة مِنْ تَنْبِهِ ، وأدركت الشقاوة من غَفْلٍ ، وكفى بالتجربة واعظاً . (زمر الآيات ٢ : ٥٠)

وقال أعرابي لرجل : « اشكُرْ للنعيم عليك ، وَأَنْعِمْ على الشاكر لك ، تستوجب من ربك زيادته ، ومن أخيك مُناصحته . » (زمر الآيات ٢ : ٦٠)

وتذاكر قوم صِلَةَ الرَّجِيمِ ، وأعرابي مُجَالِسٍ ، فقال : « مَنْسَأَةٌ ^(١) في العمر ، مَرَضَاتٌ للرب ، محبةٌ في الأهل . » (الأمل ١ : ٢١٧)

وقال أعرابي : « لأعرف ضراً أَوْصَلَ إلى نياط القلب ، من الحاجة إلى من لم تَتَّقِ بإسعافه ، ولا تَأْمَنَ رَدُّه ، وَأَكْثَمُ المصائب فَقْدُ خليل لا عِوضَ منه . »

وقيل لأعرابي : أى شيء أمتع ؟ فقال : « مُمَازِحَةُ المُحِبِّ ، ومحادثة الصديق ، وأمانى تقطع بها أياملك . »

وقال أعرابي : « من لم يَرْضَ عن صديقه إلا بإيتاره على نفسه ، دام سَخَطُهُ ، ومن عاتب على كل ذنب كثر عدوه ، ومن لم يؤاخِ من الإخوان إلا مَنْ لا عِيبَ فيه قَلَّ صَدِيقُهُ . » (الأمل ١ : ٢١٨)

عن عبدالرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي ما تقول في المراء ؟ قال : « ما عسى أن أقول في شيء يُفْسِدُ الصداقة القديمة ، وَيَحُلُّ المَقْدَةَ الرِثِيَّةَ ، أَقَلُّ ما فيه أن يكون دُرْبَةٌ للمغالبة ، والمغالبةُ مَنْ أَمْتَرَ أسباب الفتنة . » (الأمل ١ : ٢٥٨)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « لا يوجَدُ المُجُولُ محموداً ، ولا المَنصُوبُ مَسْرُوراً ، ولا المَلُولُ ذا إخوان ، ولا الحرُّ حريصاً ، ولا الشرُّ عنيّاً . »

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « سُنْ عقلك بالحلم ، وَمُرْ وتك بالعفاف ، ونجدتك بجانية الخيلاء ، وَخَلَّتْكَ ^(١) بالإجمال في الطلب » (الأمل ٢ : ٢٢) وقال : سمعت أعرابياً يقول : « أَقْبِحْ أعمال المقتدرين الانتقام ، وما اسْتُنْبِطَ الصوابُ بمثل المشاورة ، ولا حُصِّلَتِ النعم بمثل المواساة ، ولا اكتسِبَتِ البفضاءُ بمثل الكبير » . (الأمل ٢ : ٢٢ ، وزمر الآداب ٢ : ٢)

وقال أعرابي : « خير الإخوان من يُبَيِّلُ عُرْفًا ، أو يدفع ضُرًّا » .
(الأمل ٢ : ٤١)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابياً يقول : « العاقل حقيقٌ أن يُسَخِّيَ بنفسه عن الدنيا ، لعله أن لا ينال أحد فيها شيئاً إلا قَلَّ إِمْتَاعُهُ به ، أو كَثُرَ عَنَاؤُهُ فيه ، واشتدت مَرَزِئَتُهُ ^(٢) عليه عند فراقه ، وَعَظُمَتِ التَّبِعَةُ فيه بعده » . (الأمل ٢ : ٤١)

وقال أعرابي : « حَصَلَتَانِ مِنَ الكرم : إِنْصَافُ الناسِ مِنْ نَفْسِكَ ، ومُوَاسَاةُ الإخوان » . (الأمل ٢ : ٧٣)

وقال أعرابي : « مَا غُبِنْتُ قَطُّ حَتَّى يُغَيَّبَنَ قَوْمِي » ، قيل : وكيف ذلك ؟ قال : « لَا أَفْعَلُ شَيْئاً حَتَّى أَشَاوِرَهُمْ » . (البيان والتبيين ٢ : ١٦١)

وقال أعرابي لرجل مَطْلَه في حاجة : « إِنْ مِثْلُ الظفر بالحاجة تمجيل اليأس منها ، إِذَا عَسُرَ قَضَاؤُهَا ، وَإِنْ اطْلَبَ وَإِنْ قَلَّ ، أعظمُ قدراً مِنَ الحاجة وَإِنْ عَظُمَتْ ، والمطلُ مِنْ غيرِ عُمُرٍ آفَةُ الجود » . (البيان والتبيين ٣ : ٢٢١)

وقال أعرابي : « وَعْدُ الكَرِيمِ تَقْدُّ وَتَمْجِيلُ ، وَعْدُ اللِّيمِ مَطْلٌ وَتَعْلِيلُ » .
(البيان والتبيين ٣ : ٢٣١)

وقال أعرابي : « اعتذارٌ من متع ، أنجلُ من وعْدٍ تمطول » .

(الأمل : ٢ : ١٩٨)

وقال أعرابي : « عودٌ لسانك الخير ، تسلم من أهل الشر » .

(فيل الأمل : ٢٩)

وقال أعرابي : « خرجت ليلة حين انحدرت أيدي النجوم ، وشالت ^(١) أرجلها ، فما زلت أصدع الليل حتى انصدع الفجر ، فإذا بجارية كأنها علم فجعلت أغازلها ، فقالت : يا هذا ، أمالك ناه من كرم ، إن لم يكن لك زاجر من عقل ؟ قال : والله ما يراني إلا الكواكب ! قالت : فأين مكوكبها ؟ »

(الفد المريد : ٢ : ٩٤ ، والبيان والبيان : ٢ : ٥١ ، وزهر الآداب : ٢ : ٦)

أجوبة الأعراب

٢٠ - مجاوبة أعرابي للحجاج

خرج الحجاج ذات يوم فأفصح ^(٢) ، وحضر غداؤه ، فقال : اطلبوا من يتعدى ممي ، فطلبوا ، فإذا أعرابي في شملة : فأتي به ، فقال السلام عليكم ، قال : هلم أيها الأعرابي ، قال : قد دعاني من هو أكرم منك فأجبتُه ، قال : ومن هو ؟ قال : دعاني الله ربي إلى الصوم ، فأنا صائم ، قال : وصوم في مثل هذا اليوم الحار ؟ قال : صمت ليوم هو أحر منه ، قال : فأفطر اليوم وصم غداً ، قال : ويضمن لي الأمير أني أعيش إلى غد ؟ قال : ليس ذلك إلي ، قال : فكيف تسألني عاجلاً بأجل ، ليس إليه سبيل ؟ قال : إنه طعام طيب ، قال : والله

[١] ارتفعت : من شالت الياقة بدنها وأشالته : رفعته ، وشال هو .

[٢] أصغر : برز في الصحراء .

ما طيَّبه خَبَازُكَ ولا طَبَّاخُكَ ، قال : فَفَنَ طَيَّيْهِ ؟ قال : العافية ، قال الحجاج :
تالله إن رأيت كاليوم ! أخرجوه عني . (البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤ ، والنقد الفريد ٢ : ٨٧)

٢١ - مساءلة الحجاج أعرابيا فصيحاً

وقال الحجاج لأعرابي كلمه فوجده فصيحاً : كيف تركت الناس وراءك ؟ فقال :
« تركتهم - أصلح الله الأمير - حين تفرقوا في الفيطان ، وأخذوا النيران ،
ونشكت النساء ، وعرض الشاء ، ومات الكلب » ، فقال الحجاج لجلسائه :
أخِصْباً نَمَتَ أم جَدْباً ؟ قالوا : بل جَدْباً ، قال : بل خِصْباً ، قوله : تفرقوا في
الفيطان^(١) ، معناه : أنها أعشبت ، فلم يلهم وغنمهم تَرَعى ، وأخذوا النيران ، معناه :
استغنوا باللبن عن أن يشتروا لحوم إبلهم وغنمهم ويأكلوها ، ونشكت النساء
أعضاءهن ، من كثرة ما يَمْتَحِضُنَ^(٢) الألبان ، وعرض الشاء : استن^(٣) من كثرة
النشب والمرعى ، ومات الكلب : لم تَمُتْ أغنامهم وإبلهم فإكل جيفها .
(دبل الأمالي ص ٨٧)

٢٢ - مجاوبة أعرابي لعبد الملك بن مروان

ودخل أعرابي على عبد الملك بن مروان ، فقال له : يا أعرابي صف الخمر ، فقال :
تَمُولُ إِذَا شَجُبْتَ ، وفي الكأس مُرَّةٌ لها في عظام الشارين دَيْبٌ^(٤)
تُربك القَدَى من دونها وهي دُونُهُ لوجه أخيها في الإناء قُطُوبٌ^(٥)

[١] جمع طائط : وهو اللطيف الواسع من الأرض . [٢] يحس الابل من دُب قطع وسهر ومرب
أخذ ربه . [٣] استن : سمن ، سن الإبل كنصر : إذا رطها فأمسها .

[٤] التمول : الخمر أو الباردة منها ، لأنها تشعل ريحها الناس ، أو لأن لها عصفة كعصفة النمل ،
وشح الصراب : مرجه . [٥] القدى : ما يقع في الصراب ، قط كمر قطاً وقطوا : زوى ما بين
عبيد وكلج ، وأحوها : هو سيد الرب ، واللى : أل الثارين يعملونها عليه بشر بونها دونه ، فهو
يقطب من أجل ذلك ، ولأخيها يقول الشاعر :

فقال : ويحك يا أعرابي ! لقد اتهمك عندي حُسْنُ صفتك لها ، قال : « يا أمير المؤمنين ، واتهمك عندي معرفتك بحسن صفتي لها » .

(عيون الأخبار ٢٢ : ص ٢١٥)

٢٣ - مجاوبة أعرابي لخالد بن عبد الله القسري

وخطب خالد بن عبد الله القسري فقال :

« يا أهل البادية : ما أخشن بلدكم ، وأغلظ معاشكم ، وأجنى أخلاقكم ، لا تشهدون الجمعة ، ولا تجالسون عالماً ، فقام إليه رجل منهم دميم ، فقال : « أما ما ذكرت من خشونة بلدنا ، وعِلْظ طماننا ، فهو كذلك ، ولكنكم معشر أهل الحضر ، فيكم ثلاث خصال ، هي سَرٌّ من كلِّ ما ذكرت » ، قال له خالد : وما هي ؟ قال : « تَنْقُبُونَ الدُّورَ ، وَتَنْبُشُونَ الْقُبُورَ ، وَتَنْكِحُونَ الذَّكَورَ » ، قال : « قَبِّحْتُكَ اللَّهُ ، وَقَبِّحَ مَا جِئْتَ بِهِ » . (القد العريد ٢ : ١٢٧)

٢٤ - أجوبة شتى

وَقَدَّمَ أعرابي إلى السلطان ، فقال له : قل الحق ، وإلَّا أَوْجَعْتُكَ ضرباً ، قال له : « وَأَنْتَ قَاتِلٌ بِهِ ، فوالله ما أَوْعَدَكَ اللَّهُ عَلَى تَرْكِه ، أعظم مما تُوعِدُنِي بِهِ » .

ونظر عثمان إلى أعرابي في شملة ، غائر العينين ، مُشْرِفِ الحاجبين ، نَائِي الجبهة ، فقال له : أين ربك ؟ قال : بِالْمُرْصَادِ !

وقيل لأعرابي : إنك تُحْسِنُ الشَّارَةَ ^(١) ، قال : « ذَلِكَ غُنْوَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدِي » .

دع آخر يضرها الواة طوي رأيت أحدا معياً يمكنها
فلا يكنها أو تكنه مئة أحوها عدته أمه يلبانها

[١] الشارة : اللبس والمهينة والريبة .

وقيل لأعرابي : « كيف أنت في دينك ؟ قال : أخرقه بالمعاصي »
وأرغمه بالاستغفار .

وسئل أعرابي عن القدر فقال : « الناظر في قدر الله كأنناظر في عين الشمس »
يعرف ضوءها ، ولا يقف على حدودها .

وسئل آخر عن القدر ، فقال : « علم اختصمت فيه العقول ، وتناول فيه
المختلفون ، وحق علينا أن يرد إلينا ما التبس علينا من حكمه ، إلى ما سبق علينا
من علمه » . (المقدم الفريد ٢ : ٨٦ - ٨٧)

وقيل لأعرابي : من أبلغ الناس ؟ قال : « أحسنهم لفظاً وأسرعهم بديهة » .
وقيل لأعرابي : مالك لا تطيل الهجاء ؟ قال : « يكفيك من القلادة
ما أحاط بالعتق » .

وقال معاوية لأعرابية : هل من قرى ؟ قالت : نعم ، قال : وما هو ؟ قالت :
« خبز خير ، ولبن فطير ، وماء نعيم ^(١) » .

وقيل لأعرابي : فيم كنتم ؟ قال : « كنا بين قدر تفور ، وكأس تدور ،
وحديث لا يحور ^(٢) » .

وقيل لأعرابي : ما أعددت للبرد ؟ قال : « شدة الرعدة ، وقرفصاء القعدة ،
وذرب المعدة ^(٣) » .

وقيل لأعرابي : « مالك من الولد ؟ قال : قليل خبيث ، قيل له : ما معناه ؟

[١] الخمر : الذي احتسره ، وماء نعيم : ناعم ، عذبا كان أو غير عذب .

[٢] أى لا ينقص ، وربما كان لا يحور بالميم . [٣] القرفةاء : أن يجلس على أليته ، ويلصق
خفيه سطة ، ويعتني بديه بضمها على ساقيه ، أو يجلس على ركبتيه مكأ ، ويلصق سطة بجمده ،
ويتأبط كفيه ، والذرب : الحدة ، والمعدة ككلمة وكسرة .

قال : « إنه لأقل من واحد ، ولا أخبت من أئى » .

وقيل لأعرابي - وقد أدخل ناقته في السوق لبيعها - صف لنا ناقةك ، قال :
ما طلبت عليها قط إلا أدركت ، ولا طلبت إلا فئت ، قيل له : فلم تبيعها ؟
قال : لقول الشاعر :

وقد تُخْرِجُ الحاجاتُ يا أمَّ عامِرٍ كرائمَ من رَبِّ بهنٍ ضنِينِ
وقيل لأعرابي : ما عندكم في البادية طيب ؟ قال : « مُهر الوحش لا تحتاج
إلى يَنطَار » .

وقيل لِشُرَيْحِ القاضى : هل كلك أحد قط فلم تُطِقْ له جواباً ؟ قال : ما أعلمه
إلا أن يكون أعرابياً ، خاصم عندى وهو يشير يديه ، فقلت له : أَمْسِك ، فإن
لسانك أطول من يدك ، قال : « أَسَامِرِي أَنْتَ لَا تُحْسِ؟ ^(١) » .

(العقد المرید ٢ : ٩٧)

وقيل لأعرابي : أى الألوان أحسن ؟ قال : « قصورٌ يبيضُ ، في
حدائقٍ خُضر » .

[١] يشير إلى قوله تعالى : « قَالَ قَدْ خَطَبُكَ يَسَافِرِي ، قَالَ صُرْتُ بِمَا لَمْ يَنْصُرُوايِدْ ،
فَقَبَضْتُ قَمِيصَةً مِنْ أَثَرِ الرُّسُولِ فَنَمَذْتُهَا ، وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي ، قَالَ فَادْهَبْ فَإِنَّ لَكَ
فِي الْحَيَاةِ أَنْ تَقُولَ لَا مِسَاسَ » .

والسامرة : هو موسى بن طغر السامري دسبه إلى قبيلة من بني إسرائيل يقال لها : السامرة ، وكان
من قوم يهودى الغر ، وقع في مصر ، فدخل في بني إسرائيل ، وآمن بموسى ، وكان سابقاً لا يزال في قلبه
عبادة الفجر ، فلما ذهب موسى لمحاكاة ربه فاق بني إسرائيل ، وكانوا حين خرجوا من مصر حموا معهم من
حلى القبط التى أحبوها معهم وهاتن على ما يقدر صوبهم من المال - فاتخذ لهم منها عملاً حسداً له حوار . . .
إلى آخر ما هو معروف في القصة ، من أثر الرسول : أى من أثر حذر الرسول وهو حذريل ، والأثر :
التراب الذى تحت حماره ، والمساس مصدر مسس ، وهز بي أريد به انتهى ، أى لا تسمى ولا أمسك .

وقيل لآخر : أى الألوان أحسن ؟ قال : « يَبْضَة ^(١) » ، فى رَوْضَة ، عن
غَيْب سَارِيَّة ، والشمس مُكْبَدَة . (القدر العريد ٢ : ٩٦)
وخطب أعرابي إلى قوم فقالوا : ما تبذل من الصداق ؟ وارتفع السَّجْف ^(٢)
فَرَأَى شَيْئاً كَرِهَهُ فَقَالَ : « والله ما عندى نقد ، وإنى لأكره أن يكون
على دين » . (جيون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٠)

وقيل لأعرابية مات ابنها : « ما أحسن عَزَاءِكَ عن ابنك ا » ، قالت :
« إن مصيبتى آمَنَتْنِي من المصائب بعده » .
وقال محمد بن حرب الهلالي : قلت لأعرابي : « إني لك لَوَادٌّ » ، قال :
« وإن لك من قلبى لِرَأْدٌ » . (الياد والتبيين ١ : ١٤٦ ، والبيان والتبيين ٢ : ٩٢)
وقال الأصمى : رأيت أعرابياً أمامه شاة ، فقلت : لِمَنْ هذه الشاة ؟ قال :
« هى لله عندى » . (القدر العريد ٢ : ٨٦ ، وحيون الأخبار م ٢ : ص ٢٠٩)

قولهم فى الاستمناح والاستجداء

٢٥ - أعرابى يحتدى عتبة بن أبى سفيان

اعترض أعرابى لعتبة بن أبى سفيان ، وهو على مكة ، فقال : أيها الخليفة ،
فقال : لستُ به ، ولم تُبْعِدْ ، قال : يا أخاه ، قال : أَسَمِعْتَ فقل ، قال :
« شيخ من بنى عامر يتقرب إليك بالهُمُومَة ، ويختص بالْحُمُولَة ، ويشكو
إليك كثرة العيال ، وَوَطْأَة الزمان ، وشدة فقر ، وترادف صُرٌّ ، وعندك ما يَسَمَهُ

[١] البضة : سادة القوم ومحترميهم ، والساوية : السماعة تسمى ليلا ، وكادت الشمس السباء : صارت
فى كدما أى وسطها ، روى الأصل « مكيدة » بإيلاء وهو تصحيف .
[٢] السجف بالفتح والكسر : الستر .

وَيَصْرِفُ عَنْهُ بَوْمَهُ ، قَالَ : « أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ مِنْكَ ، وَأَسْتَغْنِيهِ عَلَيْكَ ، قَدْ أَمَرْتُ لَكَ بِنَيْكَ ، فَلَيْتَ إِمْرَاعِنَا إِلَيْكَ ، يَقُومُ بِإِطَائِنَا عَنْكَ » .

(البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والقصد الفريد ٢ : ٨١)

٢٦ — أعرابي يجتدي عمر بن عبد العزيز

وَأُتِيَ أَعْرَابِي عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ ، فَقَالَ :

« رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ ، سَأَلْتُهُ إِلَيْكَ الْحَاجَةَ ، وَبَلَنْتُ بِهِ النَّايَةَ ، وَاللَّهِ سَأَلْتُكَ عَنْ مَقَامِي غَدًا » ، فَقَالَ عُمَرُ : « وَاللَّهِ مَا سَمِعْتُ كَلِمَةً أُبَلِّغُ مِنْ قَائِلٍ ، وَلَا أَوْعِظُ لِمَقُولٍ لَهُ مِنْهَا » .

(القصد الفريد ٢ : ٨٣ ، والأمل ٢ : ١٧٤ ، والبيان والتبيين ٣ : ٢٣١)

٢٧ — خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك

وَكَانَتْ الْأَعْرَابُ تَتَجَبَّعُ هِشَامَ بْنَ عَبْدِ الْمَلِكِ بِالْخُطْبِ كُلِّ عَامٍ ، فَتَقْدَمُ إِلَيْهِمُ الْحَاجِبُ بِأَرْحَمِ الْإِيحَازِ ، فَيَقَامُ أَعْرَابِي ، يَخْدُمُ اللَّهَ وَأَتْنِي عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى جَعَلَ الْعَطَاءَ حُجَّةً ، وَالْمَنَعَ مَبْغِضَةً ، فَلَآنَ نَحْبُكَ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يُبْفِضَكَ ^(١) » ، فَأَعْطَاهُ وَأَجْزَلَ لَهُ . (القصد الفريد ٢ : ٨٣)

٢٨ — مقام أعرابي بين يدي هشام

وَقَامَ أَعْرَابِي بَيْنَ يَدَيِ هِشَامٍ فَقَالَ .

« يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَيْتُ عَلَى الْإِنْسَانِ ثَلَاثَ سِنِينَ ، أَمَّا الْأُولَى . فَلَحَّتْ ^(٢)

اللَّحْمُ . وَأَمَّا الثَّانِيَةُ : فَأَكَلْتُ الشَّحْمَ . وَأَمَّا الثَّالِثَةُ : فَهَاصَتْ ^(٣) الْعَظْمُ ، وَعِنْدَكَ

[١] يروى هذا لخدم بن أبي الهمم المدوني ، قال في حصة هشام أيماً . انظر الجزء الثاني ص ٤٠٦ .
[٢] من خا الشعرة : أحد لحاهما (الكسر) وهو قشرها . [٣] هاس العظم : كسره عند الجور وهو مبيس ، وفي رواية : « وعاء ألقى العظم » أي وصل إلى قعره (الكسر) وهو من العظم .

فُضُولُ أُمُوالٍ ، فَإِنْ كَانَتْ لَهِ فَاقْسِمُوا بِإِيْنِ عِبَادِهِ ، وَإِنْ كَانَتْ لَهُمْ قَقِيمٌ ^(١) تُخْطَرُ عَنْهُمْ ؟ وَإِنْ كَانَتْ لَكُمْ قَصْدٌ قُوا عَلَيْهِمْ بِهَا ، إِنْ أَفَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ » ، قَالَ هِشَامُ : هَلْ مِنْ حَاجَةٍ غَيْرِ هَذِهِ يَا أَعْرَابِي ؟ قَالَ : « مَا ضَرَبْتُ إِلَيْكَ أَكْبَادَ الْإِبِلِ ، أَذْرِعُ الْهَجِيرَ ، وَأَخْوِضُ الدُّجَى لِحَاصِّ دُونَ عَامٍ » ، فَأَمَرَ هِشَامُ بِمَالٍ ، فَقَسَّمَهُ بَيْنَ النَّاسِ ، وَأَمَرَ لِلْأَعْرَابِيِّ بِمَالٍ ، فَقَالَ : « أَكُلُ الْمُسْلِمِينَ لَهُ مِثْلُ هَذَا ؟ » قَالُوا : « لَا ، وَلَا يَقُومُ بِذَلِكَ بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ » ، قَالَ : « فَلَا حَاجَةَ لِي فِيمَا يَبْعَثُ لَأَمَّةَ النَّاسِ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ » .

(عيون الأحارم ٢ : ص ٣٣٨ والقند العريد ٤ : ٨٢)

٢٩ — أَعْرَابِي يَسْتَجِدِي عُبَيْدَ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ

وَقَالَ الْمُتَنَبِّئِيُّ : وَقَفَ أَعْرَابِي بِبَابِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَقَالَ :

« يَا أَهْلَ النُّصَارَةِ ^(٢) ، حَقِيبَ ^(٣) السَّحَابِ ، وَأَنْقَشِعَ الرَّيَّابُ ، وَاسْتَأْسَدَتِ الدَّهَابُ ، وَرُدِّمَ التَّمَدُّ ^(٤) ، وَقُلِّ الْحَفْدُ ^(٥) . وَمَاتَ الْوَلَدُ ، وَكُنْتُ كَثِيرَ الْعُمَاةِ ^(٦) ، صَخِيبَ ^(٧) السَّقَاةِ ، عَظِيمَ الدَّلَاةِ ^(٨) لَا تَصَالُ الزَّمَانُ ، وَعَقْلَ ^(٩) الْحِدْثَانِ ، حَتَّى جَلَّالَ ^(١٠) ، وَعَدَدِ وَمَالٍ ، فَتَفَرَّقْنَا أَيَّدِي سَبَا ^(١١) ، بَيْنَ فَقْدِ الْأَبْنَاءِ وَالْآبَاءِ ،

[١] تَجِبَ وَتَمَعَ . [٢] النُّصَارَةُ : النِّمَّةُ وَالسَّعَةُ وَالنَّصَبُ ، وَفِي الْأَصْلِ : « النُّصَارَةُ » وَهُوَ مَحْرُوبٌ - وَالنُّصَارَةُ الْبَلَّةُ وَالْمَقْعَةُ ... [٣] حَقِيبُ الْمَطَرِ وَغَيْرِهِ : احْتَسَسَ ، وَالرَّيَّابُ : السَّحَابُ الْأَبْيَضُ . [٤] التَّمَدُّ كَتَمَسَ وَسَبَّ : الْمَاءُ الْغَلِيلُ لِأَمَادَةِ لَهُ . [٥] الْحَفْدُ : الْأَعْوَانُ جَمْعُ حَادٍ . [٦] الْعُمَاةُ جَمْعُ طَافٍ . وَهُوَ الْوَارِدُ وَالْغَرِيبُ ، وَكُلُّ طَالٍ فَضِلٍ أَوْ رَرَقٍ . [٧] وَصَفَ مِنَ الصَّخْبِ بِالتَّحْرِيكِ وَهُوَ شِدَّةُ الصَّوْتِ ، وَالسَّقَاةُ جَمْعُ سَاقٍ كَقَفَاضٍ ، وَفِي الْأَصْلِ « صَحْبُ الْعَمَاءِ » وَأَرَاهُ مَحْرُومًا . [٨] فِي الْأَصْلِ : « عَظِيمُ الزَّلَاتِ » وَأَرَاهُ مَحْرُومًا فِي « الدَّلَاةِ » ، وَالِدَلَاةُ كَقَفَاضَةٍ جَمْعُ دَالٍ كَقَفَاضٍ ، وَهُوَ الْبَارِعُ فِي الْغُلُوِّ الْمُسْتَقِي بِهِ الْمَاءُ مِنَ الثَّرِّ . يُقَالُ : أَدْلَيْتُ الْغُلُوَّ وَدَلَيْتُهَا : إِذَا أَرْسَلْتُهَا فِي الثَّرِّ . وَدَلَوْنِيَا أَدْرَاهَا فَأَنَا ذَالٌ : إِذَا أَحْرَجْتَهَا . [٩] الْعَقْلُ بِالتَّحْرِيكِ : الْعِلَّةُ ، وَالْحِدْثَانُ : بَوْبُ الدَّمْرِ وَجَرَادَتِهِ ، وَفِي الْأَصْلِ : « وَلَا أَعْقِلُ الْحِدْثَانَ » وَأَرَاهُ مَحْرُومًا ، وَرِعْمًا كَانَ الْأَصْلُ « وَلَا يَعْمَالُ الْحِدْثَانَ » تَكَرَّرَ لَامُ الْحَرْفِ . [١٠] الْحَلَّةُ بِالْكَسْرِ : الْقَوْمُ الْبَالُغُونَ ، وَالْمَجْعُ حَالٌ وَحُلٌّ كَكِتَابٍ وَعَبٌّ ، وَتَطْلُقُ الْحَلَّةُ عَلَى الْبُيُوتِ بِمَجَارَاحِ تَحْمِيَةِ الْعِلْجِ بِاسْمِ الْحَالِ ، وَهِيَ مَائَةٌ بَيْتٍ هَذَا فَوْقَ ذَلِكَ . [١١] يُقَالُ : دَهَبُوا أَيَّدِي سَبَا ، وَتَهَرَّقُوا أَيَّدِي سَبَا ، وَأَيَّدِي سَبَا : أَيَّ تَدَدُوا ، شَبَّهُوا أَهْلَ سَبَا لِمَا

وكنْتَ حَسَنَ الشَّارَةِ^(١) ، خَصِيبَ الدَّارَةِ^(٢) ، سَلِيمَ الْجَارَةِ^(٣) ، وَكَانَ عَمَلِي
يَحْيَى ، وَقَوِي أَسَى^(٤) ، وَعَزِي جَدًّا^(٥) ، قَضَى اللَّهُ - وَلَا رُجْعَانَ لِمَا قَضَى - بِسَوَافِ^(٦)
الْمَالِ ، وَشَتَاتِ الرِّجَالِ ، وَتَغْيَرِ الْحَالِ ، فَأَعِينُوا مَنْ شَخَّصَهُ شَاهِدُهُ ، وَلِسَانُهُ
وَأَفِيدُهُ ، وَفَقَرُهُ سَائِقُهُ وَهَادِيُهُ . (زهر الآداب ٣ : ٣٠٧)

٣٠ - أعرابية تستجدي عبد الله بن أبي بكر

ودخلت أعرابية على عبد الله بن أبي بكر بالبصرة ، فوقفت بين
السَّمَّاطِينَ^(١) فقالت :

« أوصَلحَ اللهُ الأميرَ وأَمْنَعَ به ، حَدَرْنَا إِلَيْكَ سَنَةً اشْتَدَّ بِلَاؤُهَا ، وَانْكَشَفَ
غِطَاؤُهَا ، أَقُوذُ صَبِيئَةٍ صَغَارًا ، وَآخِرِينَ كِبَارًا ، فِي بِلْدَةِ شَاسِعَةٍ ، تَحْفِضُنَا خَاطِبَةً ،
وَتَرْفَعُنَا رَافِعَةً ، لِمِلْمَاتٍ مِنَ الدَّهْرِ ، بَرِيْنٍ عَظْمِي ، وَأَذْهَبِيْنِ لِحْيِي ، وَتَرْكُتِي
وَالْهَيْمَةَ ، أَذُورُ بِالْحَضِيضِ ، وَقَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ الْعَرِيضُ ، فَسَأَلْتُ فِي أَحْيَاءِ
الْعَرَبِ : مَنْ الْكَامِلَةُ فُضَاءُ لَهُ ، الْمُعْطَى سَائِلُهُ ، الْمُسْكِنُ نَائِلُهُ ؟ فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ
- أَصْلَحَكَ اللهُ تَعَالَى - وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِينَ ، قَدْ مَاتَ الْوَالِدُ ، وَغَابَ الرَّاهِدُ ،

مِنْهُمْ اللهُ فِي الْأَرْضِ كُلِّ مَرَقٍ ، فَأَحْدُكُلُ طَائِفَةٍ مِنْهُمْ طَرِيقًا عَلَى حِدَةٍ ، وَالْيَدُ : الطَّرِيقُ . يَقَالُ : أَحَدُ
الْقَوْمِ يَدُ بَحْرٍ ، قَبِيلُ الْقَوْمِ إِذَا تَعَرَّفُوا فِي حِمَاتٍ مُخْتَلَفَةٍ : دَهْوًا أَيْدَى سَا : أَيْ رَفَاتِهِمْ خِزْفُهُمُ الْيَ
سَلَكُوها كَمَا تَفْرُقُ أَهْلُ سَأَى فِي مَذَاهِبٍ شَتَّى ، وَالْعَرَبُ لَا تَهْمُرُ سَأَى فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، لِأَنَّهُ كَثُرَ فِي كَلَامِهِمْ
فَاسْتَقْبَلُوا فِيهِ الْمَهْمَةَ ، وَإِنْ كَانَ أَصْلُهُ مَهْمُورًا ، وَقَدْ دَهْوًا أَيْدَى سَا ، وَأَيْدَى سَا عَلَى الْكَسْرِ لِكَوْنِهِ
مَرْكَبًا تَرْكِيبُ حِمَّةٍ عَمَرَ .

[١] الشَّارَةُ : الْهَيْمَةُ وَالْمَنَاسِ وَالرِّبَةُ وَالْجُلُوسُ . [٢] الدَّارَةُ : الْمَدَارُ .

[٣] الْجَارَةُ : مِنَ الْمَنَاسِ : الرُّوحَةُ . [٤] الْأَمْسَى جَمْعُ أَسْوَةٍ : وَهِيَ تَعْدُوَةُ .

[٥] الْهَيْمَةُ : الْعَطِيَّةُ ، وَالطَّرِيقُ الَّذِي لَا يَمُرُّ أَقْصَاهُ . [٦] السَّوَافِ : نَهْمٌ وَجَعٌ : مَرَسٌ لِلْإِسْ ،

وَسَوَافِ الْمَالِ يَسُوفُ وَيَسَافُ : هَيْتُ ، أَوْ وَقَعَ فِي السَّوَافِ .

[٧] السَّمَّاطَانِ مِنَ الْبَاسِ : الْخُفَّائِ .

وَأَنْتَ بَعْدَ اللَّهِ غِيَاثِي ، وَمُنْتَهَى أَمَلِي ، فَاغْلِبْ بِي إِحْدَى ثَلَاثِ خِصَالٍ : إِمَّا أَنْ
تُرَدِّدَنِي إِلَى بَلَدِي ، أَوْ تُحَسِّنَ صَفْدِي ^(١) ، أَوْ تَقِيمَ أَوْدِي ، فَقَالَ : بَلْ أَجْمَعُنْ
لَكَ ، فَلَمْ يَزَلْ يُجَرِّي عَلَيْهَا كَمَا يُجَرِّي عَلَى عِيَالِهِ حَتَّى مَاتَتْ .
(زهر الآداب ٣ : ٣٠٦)

* *

وروى صاحب العقد قال :
قال الأصمعي : وقفت أعرابية على عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق رضى
الله تعالى عنهما فقالت :

« إِنِّي أَتَيْتُ مِنْ أَرْضٍ شَاسِعَةٍ ، تُخَفِّضُنِي خَافِضَةً ، وَتَرْفَعُنِي رَافِعَةً ، فِي
بَوَادِي بَرِّي لَحْمِي ، وَهَيْضُنْ ^(٢) عَظْمِي ، وَتَرَكْتَنِي وَالْهَمَّةَ ، قَدْ ضَاقَ بِي الْبَلَدُ ،
بَعْدَ الْأَهْلِ وَالْوَلَدِ ، وَكَثُرَتْ مِنَ الْمَدَدِ ، لَا قَرَانَةَ تُؤْوِيَنِي ، وَلَا عَشِيرَةَ تَحْمِيَنِي ،
فَسَأَلْتُ أَحْيَاءَ الْعَرَبِ ، مَنْ الْمُرْتَجَى سَيِّئُهُ ^(٣) ، الْمَأْمُونُ عَيْنُهُ ، الْكَثِيرُ نَائِلُهُ ،
الْمَكْنِيُّ سَائِلُهُ ، فَذَلَّلْتُ عَلَيْكَ ، وَأَنَا امْرَأَةٌ مِنْ هَوَازِنَ ، فَقَدْتُ الْوَلَدَ وَالْوَالِدَ ،
فَاصْنَعْ فِي أَمْرِي وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : إِمَّا أَنْ تُحَسِّنَ صَفْدِي ، وَإِمَّا أَنْ تَقِيمَ أَوْدِي ،
وَإِمَّا أَنْ تُرَدِّدَنِي إِلَى بَلَدِي » ، قَالَ : بَلْ أَجْمَعُنْ لَكَ ، فَفَعَلَ ذَلِكَ بِهَا .

(العقد الجديد ٢ : ٨٢)

٣١ - أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري

ودخل أعرابي على خالد بن عبد الله القسري ، فقال :
« أَصْلَحَ اللَّهُ الْأَمِيرَ : شَيْخٌ كَبِيرٌ ، حَدَّثَنِي إِيَّاكَ بِأَرِيَّةِ الْعِظَامِ ^(٤) ، وَمُؤَرَّةِ

[١] الصعد : العطاء . [٢] هاض : كسره صد الحصور . [٣] السبب : العطاء .
[٤] حدته : ساقته ، وبارية : العظام : أي الكسكسات التي تبرى العظام ، مؤرئة : مبيحة ، من التأريت ،
وهو إيقاد النار .

الأسقام ، ومُطَوَّلَةُ الأعوام ، فَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُ ، وَذُعِدَتْ ^(١) آيَالُهُ ، وَتَغَيَّرَتْ أحواله ، فَإِنْ رَأَى الْأَمِيرَ أَنْ يَحْبِيزَهُ بِفَضْلِهِ ، وَيَنْعَشُهُ بِسَجَلِهِ ^(٢) ، وَيُرِدُّهُ إِلَى أَهْلِهِ ! » فَقَالَ : كُلُّ ذَلِكَ ، وَأَمْرُهُ بِعَشْرَةِ آلَافِ دِرْهَمٍ . (الأمالي ٢ : ٤٩)

٣٢ - أعرابي يستجدي معن بن زائدة

وَقَدِمَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ عَلَى مَعْنِ بْنِ زَائِدَةَ وَهُوَ بِالْمِينِ فَقَالَ :
« إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَعْرِفُ سَبَبًا بَعْدَ الْإِسْلَامِ وَالرَّحِمِ ، أَقْوَى مِنْ رِحْلَةٍ مَتَى مِنْ أَهْلِ السَّنِّ وَالْحَسَبِ إِلَيْكَ مِنْ بِلَادِهِ ، بَلَا سَبَبٍ وَلَا وَسِيلَةَ ، إِلَّا دَعَاءُكَ إِلَى الْمَكَارِمِ ، وَرَغْبَتُكَ فِي الْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ رَأَيْتَ أَنْ تَضَعْنِي مِنْ نَفْسِكَ بِحَيْثُ وَضَعْتَ نَفْسِي مِنْ رَجَائِكَ فَافْعَلْ » فَوَصَلَهُ وَأَحْسَنَ إِلَيْهِ . (المقدِّم الرد ٢ : ٨٠)

٣٣ - خطبة الأعرابي السائل في المسجد الحرام

عَنْ أَبِي زَيْدٍ قَالَ : يَتَنَا أَنَا فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِذْ وَقَفَ عَلَيْنَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ :
« يَا مُسْلِمُونَ ، إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ ، وَالصَّلَاةَ عَلَى نَبِيِّهِ ، إِنِّي أَمْرٌ مِنْ أَهْلِ هَذَا الْمِلْطَاطِ الشَّرْقِيِّ الْمَوَاحِشِ أَسْيَافَ تِهَامَةٍ ^(١) ، عَكَفَتْ عَلَى سِنُونٍ مُحْشٍ ^(٢) ، فَاجْتَنَبَتِ الدَّرْزَى ، وَهَشَمَتِ الْعُرَى ^(٣) ، وَجَشَّتِ النَّجْمَ ، وَأَنْجَحَتِ الْبَهْمَ ^(٤) ،

[١] دُعِدَتْ : فُرِغَتْ ، وَأَكْلَ حَمَلٌ . [٢] السَّجَلُ : الْأَمَلُ : الْمَدَى الطَّيِّبَةُ مَلُودَةٌ .

[٣] الْمِلْطَاطُ : كُلُّ شَعِيرٍ مِنْ أُرُودٍ ، وَالنَّوْصَى وَالنَّوْاصِلُ وَاحِدٌ ، يَقَالُ : نَوْصَى بَسْتِ . مَرَّ بِنَصْلِ بَعْضِهِ بَسَسَ ، وَأَسْيَافٌ حَمَلٌ سَيْبٌ فَالْكُورُ . وَهُوَ سَائِلُ الْبَحْرِ . [٤] عَكَفَتْ : انْقَعَتْ ، وَلَسُوهُ الْحُدُودُ ، وَحَشَّ حَمَلٌ حَمُوشٌ كَصُورٍ ، وَهُوَ الَّذِي تَحْشَى (بِهِمُ لُغَاءً) : كَلَامًا أَوْ تَحَرُّقًا

[٥] احْتَمَتْ : قَطَعَتْ وَاسْتَأْصَلَتْ ، وَهَشَمَتْ : كَسَرَتْ ، وَالْأَرَى حَمَلٌ عُرْوَةٌ ، وَالْعُرْوَةُ : الْقَائِمَةُ مِنَ الشَّجَرِ لَا يَرَاهُ دَاخِيًا عَلَى الْخُذِّ تَرَاهُ أَمْوَالَهُمْ . [٦] حَشَّتْ : احْتَمَتْ ، وَالْحَمَلُ : مَشْعَرٌ وَلَمْ يَسْتَقِلْ عَلَى سَائِقٍ ، وَأَنْجَحَتْ : تَنَى حَمَلَهَا غَنَاءً ، وَالْمَحْيَى : السَّيْفُ الْعَلَاءُ الْمَهْرُونُ .

وَهَمَّتِ الشَّحْمَ ، وَالتَّجَبَّتِ اللَّحْمَ ، وَأَحْجَنَتِ الْعُظْمَ ^(١) ، وفادرت التراب مَوْرًا ،
والماء غَوْرًا ، والناسَ أَوْزَاعًا ^(٢) ، وَالتَّبَطَّ قُمَاعًا ، وَالضَّهْلُ جُزَاعًا ، وَالْقَامَ
جَمْعًا ^(٣) ، يُصَبِّحُنَا الْهَاوِي ، وَيَطْرُقُنَا الْعَاوِي ^(٤) ، فَرَجْتُ لَا أَتْلُقُ بَوْصِيدَةً ،
وَلَا أَتَقَوِّتُ هَبِيدَةً ^(٥) ، فَالْبَخَصَاتُ وَقِمَةٌ ، وَالرُّكْبَاتُ زَلَامَةٌ ، وَالْأَطْرَافُ
قَفْعَةٌ ^(٦) ، والجسم مُسْلَمٌ ، والنظر مُدْرَهَمٌ ^(٧) ، أَعْشُو فَاغْطِشُ ، وَأَضْحَى
فَاخْفِشُ ^(٨) ، أَشْهَلُ ظَالِمًا ، وَأُخْزِنُ رَاكِمًا ^(٩) ، فَهَلْ مِنْ أَمْرِ عَمِيرٍ ^(١٠) ، أَوْ دَاعٍ
يُخِيرُ ؟ وَقَاكُمُ اللَّهُ سَطْوَةً الْقَادِرِ ، وَمَلَكَهَ الْكَاهِرِ ^(١١) ، وَسُوءَ الْمَوَارِدِ ، وَقُضُوحَ
الْمَصَادِرِ ، قال : فَأَعْطَيْتُهُ دِينَارًا وَكُتِبَتْ كَلَامُهُ ، وَاسْتَفْسَرْتُهُ مَا لَمْ أَعْرِفْهُ .

(الأمل ١ : ١١٣)

٣٤ - خطبة الأعرابي السائل في المسجد الجامع بالبصرة

وروى الجاحظ قال :

قال أبو الحسن : سمعت أعرابياً في المسجد الجامع بالبصرة بعد العصر سنة

[١] هت : أدت ، والعرب تقول : « هك ما هك » أي أدأك ما هك ، والتجت اللحم : أوى
مرقته من العظم ، وأحجنت العظم : أوى عودته فصرته كالحص . [٢] مار موراً : اضطرب وماج ،
والعور : العائر ، أوزاع : فرق . [٣] البط : اللاء الذي يستخرج من البئر أول ما تحفر ، والقمام
اللاء الملح للز : والصيل : القليل من الماء ، والجزاع : أشد اللياء مرارة ، والخبج : السكك الذي
لا يطعم من قده عليه . [٤] الهاوي : الحراد ، والعاوي : الدب .

[٥] التمع : الاشتاء ، والوصيدة : كل سبيبة ، والهند : حب الحطل يخالج حق يطيب فيبتز .
[٦] الجمات جمع حصاة ، ومن لم يابل القدم ، ووقمة : من قولهم : وقع الرجل كمرح إذا اشتكى
لم يابل قدمه ، ورامة : متشققة ، وقمة وقمة واحد : وهي التي قد تقبضت وبست .

[٧] السليم : الضائر المجر ، والدروم : الصيرب الصر الذي قد صعب نصره من حوح أو مرس .
[٨] أعشو : أطر : فأعطش : أصير عطشاً (بكر الماء) والبطش بحركة : صف في البصر ، وبطي
للتشم كمرح وسى : بر لها ، والطمش بالتحريك : ضعب الدهر حلقة ، أو فساد في الجفون ، لا وبع
أو أن يصير ناليل دون البار . [٩] أسهل طالماً : أي إذا مثيت في السهول طلعت ، وطل كبع :
عمر في شبه ، وأخزى راكمًا : أي إذا علوت الحزن وكمت أي كبرت لوحى .

[١٠] اللير : الخطية ، من قولهم : مارم يجرم ميراً . [١١] الكاهر والقاهر : واحد ، وقد قرأ
معهم : « فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَكْهَرْ » .

ثلاث وخمسين ومائة، وهو يقول :

« أما بعد : فإننا أبناء سبيل ، وأنصاء^(١) طريق ، وقُلْ^(٢) سَنَةِ ، تَصَدَّقُوا علينا ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، أما والله إننا لنقوم هذا المقام ، وفي الصدر حَزَازَةٌ^(٣) ، وفي القلب غُصَّةٌ .

(البيان والبيان ٢ : ٤٦)

٣٥ - صورة أخرى

وروى أبو علي القالي هذه الخطبة بصورة أخرى ، وهما كما :

عن يونس قال : وقف أعرابي في المسجد الجامع في البصرة فقال :

« قُلِّ الثَّيْلُ^(١) ، وَتَقَصَّ الكَيْلُ^(٢) ، وَتَحَقَّتْ^(٣) الخيل ، والله ما أصبحنا ننفخ في وَصَحٍ^(٤) ، وما لَنَا في الديوان وَشْمَةٌ^(٥) ، وإنا لِعِيَالٌ جَرَبَةٌ^(٦) ، فهل من مُعِين ، أماته الله ، يُعِين ابن سبيل ، وَنِصْوُ طريق ، وقُلْ سَنَةٌ ؟ فلا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت . » (الأمان ٢ : ١٩٧)

٣٦ - صورة أخرى

ورواها صاحب العقد فقال : وقف أعرابي على حَلَقَةٍ يونس فقال :

« الحمد لله ، وأعوذ بالله ، أن أذكُرَّ به وأنساه ، إنا أناس قَدِمْنَا المدينة ثلاثون رجلاً لاندفين ميتاً ولا نتحول من منزل وإن كَرِهناه ، فرحم الله عبداً

[١] أسماء جمع اضطر كقرد وهو الهرول ، أي قد هزلنا وأصنامنا سلوك الطريق .

[٢] السة : الخلب والتمحض ، وفوه قل : مهزموه ، واتخ طول وأفلل ، أي هزلنا الفعط .

[٣] الحرارة : وجع في القلب من غيب ونحوه . [٤] هزلت . [٥] الوصح : اللبس ، مسمى ومخماً لياصه . [٦] الوشمة : مثل الوشم في الدراع ، يريد الخط .

[٧] المجربة : الكثير ، أو العيال يأكلون ولا يتقون .

تصدق على ابن سبيل ، ونضو طريق ، وَقَلَّ سَنَةٌ ، فإنه لا قليل من الأجر ، ولا غنى عن الله ، ولا عمل بعد الموت ، يقول الله عز وجل : « مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا » إن الله لا يستقرض من عوزٍ ، ولكن يُبَلِّغُ خِيَارَ عِبَادِهِ .
(القصد العريد ٢ : ٨٢)

٣٧ - أعرابي يستجدي

وقال المدائني : سمعت أعرابياً يسأل وهو يقول :
« رحم الله امرأاً لم تَمُجَّ أَذُنُهُ كَلَامِي ، وَقَدَّمَ لِنَفْسِهِ مَعَاذَةً ^(١) مِنْ سُوءِ مَقَامِي ،
فَإِنْ الْبِلَادَ مُجْدِيَّةً ، وَالْأَدَارَ مُضَيِّعَةً ، وَالْحَالَ سَيِّئَةً ^(٢) ، وَالْحَيَاءَ زَاجِرَ يَنْهَى عَنِ
كَلَامِكُمْ ، وَالْعَدَمَ عَازِرٌ يَحْمِلُنِي عَلَى إِخْبَارِكُمْ ، وَالِدَعَاءَ إِحْدَى الصَّدَقَتَيْنِ ، فَرَحِمَ
اللهُ امْرَأاً أَمَرَ بِمَخِيرٍ ^(٣) ، أَوْدَعَا بِخَيْرٍ » ، فقال له بمض القوم : يَمْنُ الرِّجُلُ ؟
فقال : « يَمْنُ لَا تَتَفَكَّرُ مَعْرِفَتَهُ ، وَلَا تَضُرُّكُمْ جَهَالَتُهُ ، ذَلِكَ الْاِكْتِسَابُ ، يَمْنَعُ
مِنْ عَزِّ الْاِنْتِسَابِ » .

(البيان والتبيين ٣ : ٢١٢ ، والقصد العريد ٢ : ٨١ ، والأمل ١ : ١٣٨)

٣٨ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : أصابت الأعراب أعوام جَذْبَةٍ وَشَدَّةٍ وَجَهْدٍ ، فَدَخَلَتْ
طَائِفَةٌ مِنْهُمْ الْبَصْرَةَ وَبَيْنَ يَدَيْهِمْ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ يَقُولُ :
« أَيُّهَا النَّاسُ ، إِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ ، وَشُرَكَاءُكُمْ فِي الْإِسْلَامِ ، حَابِرُ وَسَبِيلٍ ،
وَأَقْلَالُ بُؤْسٍ ، وَصَرَعِي جَذَبٍ ، تَنَابَعُ عَلَيْنَا سِنُونَ ثَلَاثَةٌ ، غَبَرَتْ ^(٤) الذُّعَمُ ،

[١] للطفة واللحاد والحاد : الاعتداء . [٢] وفي الأمل « والحاء مسعة » أي جمعة .

[٣] ما رعاياه مبرأ : حلب له الميرة (ما لكسر) وفي الطعام ، وفي القصد : « فرحم الله امرأاً يبيع ،

وداعياً يبيع » . [٤] عثره لطفه بالعار ، أو هي « عيرت » بالياء .

وأهلكك النعم ، فأَكُنَّا ما بقي من جلودها فوق عظامها ، فلم نزل نعلل بذلك أنفسنا ، ونَعْنَى بالعيش قلوبنا ، حتى عاد مُخَنَّا عِظَامًا ، وعاد إشرافنا ظلامًا ، وأقبلنا إليكم يَصْرَعنا الوعر ، وَيَكِنُّنا ^(١) السهل ، وهذه آثار مصائبنا لألمح في سببنا ، فرحم الله متصدقًا من كثير ، ومؤاسيًا من قليل ، فلقد عظمت الحاجة ، وكسف البال ، وبلغ المجهود ، والله يَمْجِزِي الْمُتَصَدِّقِينَ .

٣٩ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : كنت في حلقة بالبصرة إذ وقف علينا أعرابي سائلًا ، فقال : « أيها الناس ، إن الفقر يهتك الحجاب ، وَيُزِيلُ الكُمَابَ ^(٢) ، وقد حَمَلْنَا سِنُو المصائب ، وَنَكَبَات الدهور ، على مَرْكَبِهَا الوعر ، فواسوا أبا أيتام ، وَنَضَوْ زَمَانَ ، وَطَرِيدَ فَاقَةٍ ، وَطَرِيحَ هَلَكَةٍ ، رحمكم الله »

٤٠ - أعرابي يستجدي

وقال الأصمعي : وقف أعرابي علينا فقال :

« يا قوم : تنابست علينا سِنُونَ بتغير وانقاص ، فاستركت لنا هُبَمًا ولا رُبَمًا ^(٣) ، ولا عافطة ولا نافطة ^(٤) ، ولا ناعية ولا راعية ، فأما تب الزرع ، وقتلت الضرع ، وعندكم من مال الله فضلُ نعمة ، فأعينوني من عطية ما آتاكم الله ، وارحوا أبا أيتام ، وَنَضَوْ زَمَانَ ، فلقد خَلَفْتُ أقوامًا يَرْضُونَ ولا يكفونون

[١] أي يسترنا . [٢] حارة كمام : جدها .

[٣] الهب : اعصيل ينتج في آخر الناح ، والرب : العصيل ينتج في اربع ، وهو أول الناح .

[٤] العافطة : النعمة ، من اعطى وهو اعطى ، عطف كعرب : صرحت هي عافطة ، والعطف أيضاً : تثير الشأن تثير ، وبها كما يثر الحمار ، والنافطة : العبر ، من العطف ، عطف كعرب : وثرت بأهها أو عطفت هي دفة ، أو لأنها تعطف سولها . أي تدسه دسماً ، أو النافطة : إماع للماظفة ، أو العافطة . الأمة الزراعية ، والنافطة : الشاة .

ميتهم ، ولا ينتقلون من منزل وإن كرهوه ، ولقد مشيتُ حتى اتعلتُ الدماء ، وَجُئْتُ حتى أَكَلْتُ التُّرَى .

٤١ — أعرابية تستجدى

وقال الأصمعي : وقفت أعرابية فقالت :

« يا قوم سَنَةِ جَرَدَت ، وأيدٍ جُمُدَت ، وحال جَهَّدَت ^(١) ، فهل من فاعلٍ خَير ، وأمرٍ يَمَيِّرُ؟ رَحِمَ اللهُ من رَحِمَ ، فأقرضَ من لا يظلم .

(المعجم الفريد ٢ : ٨٠ - ٨٤)

٤٢ — أعرابي يستجدى

ووقف أعرابي بقوم فقال :

« أَشْكُو إِلَيْكُمْ أَيُّهَا الْمَلَأُ زَمَانًا ، كَلَحَ فِي وَجْهِهِ ، وَأَنَاخَ عَلَى بَيْكَلِكَلِهِ ، بعد نعمة من المال ، وَزُرَّةٍ من المَالِ ، وَغِيْطَةٍ من الحَالِ ، اعتورنني جَدَائِدُهُ ^(٢) ، بِبَنْبَلٍ مصائبه ، عن قِصِيْ نَوَائِبِهِ ، فَا تَرَكَا لِي نَاغِيَةً ^(٣) أَجْتَدِي صَرْعَهَا ، وَلَا رَاغِيَةً اِرْتَجِي نَفْعَهَا ، فهل فيكم من مُبِينٍ على صَرَفِهِ ، أو مُمَدِّ ^(٤) على حَتْفِهِ ؟ » ، فرد القوم عليه ، ولم يُدِيلُوهُ شَيْئًا ، فَأَنْشَأَ يَقُول :

قد ضاع من يأكل من أمتالكُم جودًا ، وليس الجودُ من فِعالِكُم
لا بَارِكَ اللهُ لَكُم في مالِكُم ولا أزاح السوء عن عِيَالِكُم
فالفقر خيرٌ من صلاح حالِكُم

[١] جهده للرش كبح : هزله .

[٢] سنة جدّاه : محنة محددة ، والجداء من كل حلوة : الداهية الابن من عيب ، والحدودة : انقلبة الابن من غير عيب ، والجمع جدائد وحداد . [٣] الناعية : الناة من العاء بالهم ، وهي صوت الغم ، والراعية : الناقة ، من الرعاء ، وهو صوت الابل .

[٤] ممدد ، أعداه عليه : سره وأطاه وقواه .

٤٣ - أعرابي يستجدي

وَسَمِعَ عَدِيَّ بْنَ حَاتِمٍ رَجُلًا مِنَ الْأَعْرَابِ وَهُوَ يَقُولُ :

« يَا قَوْمَ تَصَدَّقُوا عَلَيَّ شَيْخَ مُعِيلٍ ، وَعَابِرَ سَبِيلٍ ، شَهِدَ لَهُ ظَاهِرُهُ ، وَسَمِعَ شَكْوَاهُ خَالِقُهُ ، بَذَلَهُ مَطْلُوبٌ ، وَثَوْبُهُ مَسْلُوبٌ » ، فَقَالَ لَهُ : مَنْ أَنْتَ ؟ قَالَ :

رَجُلٌ مِنْ بَنِي سَعْدِ فِي دِيَّةٍ لَزِمَتْنِي ، قَالَ : فَكَمْ هِيَ ؟ قَالَ : مِائَةٌ بَعِيرٍ ، قَالَ :

دُونَكُمَا فِي بَطْنِ الْوَادِي . (القدر المريد ٢ : ٨٧ - ٨٨)

٤٤ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَوْمٍ فَقَالَ :

« إِنَّا - رَحِمَكُمُ اللَّهُ - أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْضَاءُ طَرِيقٍ وَقَاسِيَةٍ ^(١) ، رَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا أُعْطِيَ مِنْ سَعَةٍ ، وَوَأَسَى مِنْ كِفَافٍ » .

فَأَعْطَاهُ رَجُلٌ دَرَاهِمًا فَقَالَ : « آجَرَكَ اللَّهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَيْتَلِيكَ » .

٤٥ - أعرابي يستجدي

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ بِقَوْمٍ فَقَالَ :

« يَا قَوْمَ : تَتَابَعْتُ عَلَيْنَا سِنُونَ جَمَادٍ ^(٢) شِدَادًا ، لَمْ يَكُنْ لِلسَّمَاءِ فِيهَا رِخْمٌ ^(٣) ، وَلَا لِلْأَرْضِ فِيهَا صَدْعٌ ^(٤) ، فَتَضَبَّ الْعِدُّ ^(٥) ، وَاشْتَفَّ الْوُشْلُ ، وَأَحْمَلُ الْخِصْبُ ،

[١] أَيُّ وَحَالٍ قَاسِيَةٍ ، وَرَبِّمَا كَانَ الْأَصْلُ « وَحَلَّ سَعَةٍ » . [٢] الْجَمَادُ : الْمَسَّةُ الَّتِي لَا مَطَرُ فِيهَا .

[٣] الرَّخْمُ : الطَّارُ ، لِمَوَدِّهِ كُلِّ حَيٍّ . [٤] أَيُّ الشَّقَاقِ عَنِ الشَّاتِ ، أَقْسَمَ مِنَ الْآيَةِ الْكُرْمِيَّةِ :

« وَالسَّمَاءُ ذَاتُ الرِّخْمِ وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّدْعِ » .

[٥] الْعِدُّ : الْبَاءُ الْحَارِيَّةُ الَّتِي لَهَا مَادَّةٌ لَا تَنْقَطِعُ كَمَا الْبَاءُ ، وَغَضَبُ اللَّهِ : حَرْبٌ ، وَنُوشِلُ : اللَّهُ أَنْفَعِلُ يَتَعَلَّبُ مِنْ حُلٍّ أَوْ صَحْرَةٍ ، وَلَا يَتَعَلَّبُ قَطْرُهُ ، وَشَفَّ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ : دَهَبَ « وَشَفَّ الْخَوْضُ اللَّهُ شَرَّهُ » وَأَحْمَلُ : أَحْدَبَ .

وَكَلَّحَ الْجَذْبَ، وَشَفَّ^(١) الْمَالَ، وَكَسَفَ الْبَالَ، وَشَطَفَ الْمَعَاشَ، وَذَهَبَ
الرَّيَاشُ، وَطَرَحَنِي الْأَيَّامَ الْيَكْمَ غَرِيبَ الدَّارِ، نَأَى الْحَلَّ، لَيْسَ لِي مَالٌ أَرْجِعُ
إِلَيْهِ، وَلَا عَشِيرَةَ أُلْحَقُ بِهَا، فَزَحِمَ اللَّهُ أَمْرًا رَحِمَ اغْتِرَابِي، وَجَعَلَ الْمَعْرُوفَ
جَوَابِي . (المقد الرید ٢ : ٨٠)

٤٦ — أعرابية تستجدي

وخرج المهدي يطوف بعد هذا^(٢) من الليل ، فسمع أعرابية من جانب
المسجد ، وهي تقول :

« قوم متظلمون ، بَنَتْ^(٣) عَنْهُمْ الْعِيُونَ ، وَقَدَحَتْهُمْ الدِّيُونَ ، وَعَصَّثَهُمُ
السَّنُونَ ، بَادَتْ رَجَالَهُمْ ، وَذَهَبَتْ أَمْوَالُهُمْ ، وَكَثُرَ عِيَالُهُمْ ، أَبْنَاءُ سَبِيلٍ ، وَأَنْصَاءُ
طَرِيقٍ ، وَصِيَّةُ اللَّهِ وَوَصِيَّةُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَهَلْ مِنْ أَمْرٍ يُجِيرُ ؟
كَلَّاهُ اللَّهُ فِي سَفَرِهِ ، وَخَلَّفَهُ فِي أَهْلِهِ . »

فأمر نَصِيرًا الخادم ، فدفع إليها خمسمائة درهم .

(المقد الرید ٢ : ٨٠ ، وهر الآداب ٣ : ٢٤٤)

٤٧ — أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي في شهر رمضان على قوم فقال :

« يا قوم : لقد خَسَمْتُ هذه الفريضة على أفواهنا من صُبْحِ أَمْسٍ ، وَمَعِيَ
بَنْتَانِ لِي ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُهَا تَحْلُلَتَا بِحِلَالٍ ، فَهَلْ رَجُلٌ كَرِيمٌ يَرْحَمَ الْيَوْمَ مَقَامَنَا ،
وَيُرِدَ حُسْنًا شَدْنَا^(١) ؟ مَنَعَهُ اللَّهُ أَنْ يَقُومَ مَقَامَهُ ، فَإِنَّهُ مَقَامُ ذُلٍّ وَعَارٍ وَصَغَارٍ . »

[١] شَفَّ : رَقَّ ، وَالشَّطَفَ بِالتَّحْرِيكِ : بَعَسَ الْعَيْشَ وَشَدَّتْهُ ، وَالرَّيَاشُ : الْمَالُ وَالْمَنْصَبُ وَالْمَعَاشُ

[٢] أَيَّ حِينَ هَذَا الْيَمِيلُ ، أَوْ هُوَ أَوَّلُ الْيَمِيلِ إِلَى ثَلَاثَةِ .

[٣] اقْتَصَبَهُمْ وَازْدَحَمَهُمْ ، وَمَدَحَهُمْ : أَتَقَاتَمَهُمْ .

[٤] الْحُسْنَةُ : نَفِيسَةُ الرُّوحِ فِي الْإِبْرَةِ ، وَالْعَارُ : الْإِلْهَ .

فافترق القوم ولم يعطوه شيئاً ، فالتفت إليهم حتى تأملهم جميعاً ، ثم قال :
« أَشَدُّ وَاللَّهِ عَلَيَّ مِنْ سُوءِ حَالِي وَفَاقَتِي ، تَوْفَّيْ فِيكُمْ الْمَوَاسَّةَ ، ائْتَمِلُوا الطَّرِيقَ ،
لَا تَحْبِكُمُ اللَّهُ ! » . (المقدس العزير ٢ : ٨٢)

٤٨ - أعرابي يستجدي

وقام أعرابي ليسأل فقال :
« أَيْنَ الْوُجُوهُ الصُّبَاحِ ^(١) ، وَالْعُقُولُ الصُّبَاحِ ، وَالْأَلْسُنُ الصُّبَاحِ ،
وَالْأَنْسَابُ الصُّرَاحِ ^(٢) ، وَالْمَكَارِمُ الرِّبَاحِ ، وَالصُّدُورُ الْفَسَاحِ ؟ تُعِيزُنِي مِنْ
مَقَامِي هَذَا » . (البيان والتبيين ٣ : ٢٣٢)

٤٩ - أعرابي يستجدي

ودعا أعرابي في طريق مكة ، فقال :
« هَلْ مِنْ عَائِدٍ بِفَضْلٍ . أَوْ مُؤَسٍّ مِنْ كِفَافٍ ؟ ^(٣) » ، فَأَمْسِكَ عَنْهُ
فَقَالَ : « اللَّهُمَّ لَا تَكِلْنَا إِلَى أَنْفُسِنَا فَتَنْجِزَ ، وَلَا إِلَى النَّاسِ فَتَضْمِجَ » .
(البيان والتبيين ٣ : ٢٣٤)

٥٠ - أعرابي يستجدي

وقف أعرابي فسأل قوماً فقالوا له : عَلَيْكَ بِالصَّيَارِفَةِ . قَالَ : هُنَاكَ وَاللَّهِ
قَرَارَةُ التَّوْمِ ! (البيان والتبيين ٢ : ٤٨)

٥١ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ناساً فقال : « جَمَلُ اللَّهِ حَظُّكُمْ فِي الْخَيْرِ ، وَلَا جَمَلُ حَظِّ
السَّائِلِ مِنْكُمْ عِذْرَةٌ ^(٤) » . (البيان والتبيين ١ : ٢١٥)

[١] جمع صبيحة وهي الجيلة من الصباحة كصباحة أي جمل . [٢] جمع صبيحة وهي النخلة الخاصة

[٣] الكفاف من الرزق : ما كفى عن الناس وأعطى . [٤] العذرة : اسم من العذر .

٥٢ - أعرابي يستجدي

وسأل أعرابي ، فقال له صبي من جوف الدار : « بُورك فيك ، فقال :
فَبِحَ اللَّهِ هَذَا الْقَم ، لقد تَعَلَّم الشَّرَّ صَغِيرًا » . (البيان والبيان ٣ : ١٣٦)

٥٣ - أعرابي يستجدي

ووقف أعرابي على قوم فتعوه ، فقال :
« اللَّهُمَّ اشْفَلْنَا بِذِكْرِكَ ، وَأَعِزَّنَا مِنْ سُخْطِكَ ، وَأُولِنَا إِلَى عَفْوِكَ ، فَقَدْ
صَنَعَ خَلْقَكَ بَرَزَكَ ، فَلَا تَشْفَلْنَا بِمَا عِنْدَهُمْ عَنْ طَلَبِ مَا عِنْدَكَ ، وَآتِنَا مِنْ
الدُّنْيَا الْقَتْمَانِ »^(١) ، وَإِنْ كَانَ كَثِيرَهَا يُسْخِطُكَ ، فَلَا خَيْرَ فِيمَا يُسْخِطُكَ » .
(البيان والبيان ٣ : ٢٢٤)

٥٤ - أعرابي يستجدي

وقال أبو الحسن : وقف علينا أعرابي فقال :
« أَخْ فِي كِتَابِ اللَّهِ ، وَجَارِي بِلَادِ اللَّهِ ، وَطَالِبُ خَيْرٍ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ ، فَهَلْ
فِيكُمْ مِنْ مُوَاسٍ فِي اللَّهِ ؟ » .
وسأل أعرابي رجلا ، فاعتلَّ عليه فقال : « إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا ، فَجْعَلْتُ
اللَّهُ صَادِقًا » . (العقد المرید ٢ : ٨٤)

٥٥ - أعرابي يسأل رجلا حاجة له

أتى أعرابي رجلا (لم تكن بينه وبينه حُرْمَةٌ) في حاجة له ، فقال :
« إِنِّي امْتَطَيْتُ إِلَيْكَ الرَّجَاءَ ، وَسِرْتُ عَلَى الْأَمَلِ ، وَوَقَدْتُ بِالشُّكْرِ ،
وَتَوَسَّلْتُ بِحَسَنِ الظَّنِّ ، فَحَقَّقْتُ الْأَمَلَ ، وَأَحْسِنِ الْمَثُوبَةَ ، وَأَكْرِمِ الْقَصْدَ ، وَأَتِمِّ
الْوَدَّ ، وَتَجَلَّ الْمُرَادُ » . (العقد المرید ٢ : ٨٢ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥)

قولهم في بكاء الموتى

٥٦ - أعرابية تبكي ابنها

وَحَبَّتْ أَعْرَابِيَّةٌ وَمَعَهَا ابْنُهَا فَأَصَابَتْ بِهِ ، فَلَمَّا دُفِنَ قَامَتْ عَلَى قَبْرِهِ وَهِيَ وَجَعَةٌ فَقَالَتْ :

« وَاللَّهِ يَا بُنَيَّ لَقَدْ غَدَوْتُكَ رَضِيْعًا ، وَفَقَدْتُكَ سَرِيْعًا ، وَكَأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ يَنْ الْحَالِيْنَ مَدَّةَ اللَّتْدِ بَعْدَ بَعْدِشِكَ فِيهَا ، فَأَصْبَحْتَ بَعْدَ النَّصَارَةِ وَالْفُصَارَةِ ^(١) ، وَرَوْنَقِ الْحَيَاةِ ، وَالتَّنَسُّمِ فِي طَيْبِ رَوَائِحِهَا ، تَحْتَ أَطْبَاقِ الثَّرَى جَسَدًا هَامِدًا ، وَرُفَاتًا سَحِيْقًا ، وَصَعِيْدًا جُرُزًا ^(٢) .

أَيُّ بَنِي لَقَدْ سَحَبْتَ الدُّنْيَا عَلَيْكَ أَذْيَالَ الْفَنَاءِ ، وَأَسْكَنْتَكَ دَارَ الْبَلَاءِ ، وَرَمَيْتَنِي بِعَدْلِكَ نَسْكَبَةَ الرَّدَى ، أَيُّ بَنِي لَقَدْ أَسْفَرْتُ لِي عَنْ وَجْهِ الدُّنْيَا صَبَاحَ دَاجٍ ظِلَالُهُ ^(٣) ، ثُمَّ قَالَتْ :

أَيُّ رَبِّ ، وَمِنْكَ الْعَدْلُ ، وَمِنْ خَلْقِكَ الْجَوْرُ ، وَهَبْتَهُ لِي قُرْهُ عَيْنٍ ، فَلَمْ تَتَمَعْنِي بِهِ كَثِيرًا ، بَلْ سَلَبْتَنِيهِ وَشَيْكَأ ^(٤) ، ثُمَّ أَمَرْتَنِي بِالصَّبْرِ ، وَوَعَدْتَنِي عَلَيْهِ الْأَجْرَ ، فَصَدَّقْتُ وَعْدَكَ ، وَرَضَيْتُ قَضَاءَكَ ، فَارْحِمِ اللَّهَ مَنْ تَرَحَّمْ عَلَى مَنْ أَسْتَوْدَعْتَهُ الرِّدْمَ ^(٥) ، وَوَسَدْتُهُ الثَّرَى ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ غُرْبَتَهُ ، وَأَنْسِ وَحْشَتَهُ ، وَأَمْسُتْ عَوْرَتَهُ ، يَوْمَ تَنْكَشِفُ الْهَنَاتُ ^(٦) وَالسُّوَرَاتُ .

[١] البصارة : العمة وأخس وأخى ، والبصارة أيضًا : العمة والسعة والخصب :

[٢] أَضَاقَ جَمْعُ طَقٍ : وَهُوَ وَجْهُ الْأَرْسِ ، وَالرَّدَى : الْخَطَامُ ، وَسَحِيْقًا : مَسْحُورَةٌ ، وَالصَّعِيدُ : التُّرَابُ ، أَوْ وَجْهُ الْأَرْسِ ، وَالرَّدَى حَرَرٌ : لَانْتِ ، أَوْ أَكَلِي مَاتِيًا ، أَوْ لَمْ يَجِبْ مَعْرُ .

[٣] أَسْفَرُ : ائْتَجَعَ وَسُورَ كَسْرَب : أَمْسَ ، وَأَسْفَرُ : دَاجٍ : قَدْ الْأَصْبَى : دَمُ الْبَيْلِ ، لِأَمَّا هُوَ الْأَسْ كُلُّ شَيْءٍ ، وَلَيْسَ هُوَ مِنَ الْعَلَةِ ، قُلْ : وَمَا قَوْلُهُ : دَمُ الْإِسْلَامِ أَيُّ قَوَى ، وَأَسْ كُلُّ شَيْءٍ .

[٤] سَرِيْعًا . [٥] الرَّدَمُ : السَّدُّ ، وَمَا يَقَطُّ مِنَ الْجُدَارِ التَّهْدَمُ . [٦] الْبَيْتَاتُ .

فلما أرادت الرجوع إلى أهلها وقفت على قبره فقالت :
 أى بنى : إني قد ترودت لسفري ، فليت شعري ، ما زادك يُعَد طريقك ،
 ويومِ معادِك ! اللهم إني أسألك له الرضا برضاى عنه ، ثم قالت :
 استودعُك من استودعنيك فى أحشائى جَنِينًا ، وأُسْكُلَ الوالدات !
 ما أمضُ ^(١) حرارة قلوبهن ، وأقلَق مضاجعهن ، وأطولَ ليلهن ، وأقصرَ
 نهارهن ، وأقلَّ أنسهن ، وأشدَّ وحشتهن ، وأبعدهن من السرور ، وأقربهن
 من الأحزان .

فلم تزل تقول هذا ونحوه ، حتى أبكت كل من سمعها ، وحمدت الله عزَّ
 وجل ، واسترجعت وصلت زكّاتٍ عند قبره وانطلقت . (زمر الآداب : ٢ : ٧)

٥٧ - حديث امرأة سكنت البادية قريباً من قبور أهلها

وروى أبو على القالى : عن عبد الرحمن عن عمه قال :
 « دَفَعْتُ يوماً فى تلهسى بالبادية إلى وادٍ خلّاء لا أنيسَ به إلا بَيْتٌ مُمْتَنِرٌ ^(٢) ،
 بفنائِه أَعْرُ ، وقد ظَلِمْتُ فَيَمَّتْهُ ، فسَلَّتُ فإذا عجوزٌ قد بَرَزَتْ ، كأنها نعامَةٌ
 رَاحِمٌ ^(٣) ، فقلت : هل من ماء ؟ فقالت : أو لَبَسَ ، فقلت : ما كانت بُغْيَى إلا
 الماء ، فإذا يَسَّرَ اللهُ اللَّبَنَ فإني إليه فقير ، فقامت إلى قَعْبٍ ^(٤) فأفرغت فيه ماءً ،
 ونظَّمْتُ غَسْلَه ، ثم جاءت إلى الأَعْرُ ، فتمَبَّرْتُهُنَّ ^(٥) حتى احتلبت قُرَابَ ^(٦) »

[١] مضى الشيء : بلغ من قلة الخزن به كأمضه .

[٢] مفرد . [٣] الراحم : التى محض بضعها ، أرحمت الساحة على بضعها ورحمتها ، ورحمت عليه

بعضى مرخه وراحم . [٤] القعب : قدح إلى الصغر ، ويشه به الحمار .

[٥] أى احتلبت اللبن (كغزل) : وهى شبة اللبن فى المخرج ، وجمعه أعمار .

[٦] قراب وقريب واحد ، مثل كارب وكبير وجسام وحسيم .

مِلءَ القَمْبَ ، ثم أفرغت عليه ماء حتى رفا وطفقت ثَمَلَاتِهِ ^(١) ، كَانَهَا نَمَامَةً
يِضَاءً ، ثم ناولتني إياه ، فشربت حتى تَحَيَّيْتُ ^(٢) رِيًّا واطمأننت ، فقلت :
إِنِّي أراك مَعْتَزَةً فِي هَذَا الْوَادِي الْمَوْحِشِ ، وَالْحَلَّةُ ^(٣) مِنْكَ قَرِيبٌ ، فَلَوْ
انضَمَمْتُ إِلَى جَنَابِهِمْ كَأَنْتَ بِهِمْ ! فَقَالَتْ :

« يَا بَنَ أَخِي ، إِنِّي لَأَنْسُ بِالْوَحْشَةِ ، وَأَسْتَرِيحُ إِلَى الْوَحْذَةِ ، وَيَطْمَئِنُّ قَلْبِي
إِلَى هَذَا الْوَادِي الْمَوْحِشِ ، فَأَتَذَكَّرُ مَنْ عَهَدْتُ ، فَكَأَنِّي أَخَاطِبُ أَعْيَانَهُمْ ،
وَأَتَرَاءِي أَشْبَاهَهُمْ ^(٤) ، وَتَتَخَيَّلُ لِي أُنْدِيَّةُ رَجَالِهِمْ ، وَمَلَأَيْبُ وَلَدَانِهِمْ ،
وَمُنْدَى ^(٥) أَمْوَالِهِمْ ، وَاللَّهِ يَا بَنَ أَخِي لَقَدْ رَأَيْتُ هَذَا الْوَادِي بِشَيْعِ اللَّدِيدِينَ ^(٦)
بَاهِلٍ أَذْوَاحٍ وَبِقِبَابٍ ، وَتَمَمَّ كَالْهِضَابِ ، وَخِيلٌ كَالْقَذَابِ ، وَفَتِيَانٌ كَالرِّمَاحِ ،
يَبَارُونَ الرِّيحَ ، وَيَحْمُونَ الصَّبَاحَ ^(٧) ، فَأَحَالُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءُ قَتْلًا بِفَرْقَةٍ ^(٨) ،
فَأَصْبَحَتِ الْآثَارُ دَارِسَةً ، وَالْمَحَالُ طَامِسَةً ، وَكَذَلِكَ سِيرَةُ الدَّهْرِ فِيمَنْ وَثِقَ بِهِ »
ثُمَّ قَالَتْ : ارْزُقْ بَعِيْنَكَ فِي هَذَا الْمَلَأِ الْمَتَبَاطِينَ ^(٩) ، فَفَطَّرْتُ إِذَا قُبُورُ حَوْ
أَرْبَعِينَ أَوْ خَمْسِينَ ، فَقَالَتْ : أَلَا تَرَى تِلْكَ الْأَجْدَاثُ ؟ قُلْتُ نَعَمْ ، قَالَتْ :
مَا انْطَوَتْ إِلَّا عَلَى أَخْرٍ أَوْ ابْنِ أَخْرٍ ، أَوْ عَمٍّ أَوْ ابْنِ عَمٍّ . فَأَصْبَحُوا قَدْ أَلْمَأَتْ ^(١٠)
عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ ، وَأَنَا أَتَقَرَّبُ مَا غَالَمَهُمْ ، انصَرِفْ رَاشِدًا وَرَحِمَكَ اللَّهُ (الأمالي ٢: ٧)

[١] الحلة : الرعدة « وهي مشقة الزاء » . [٢] امتلأت . [٣] الحلة : جماعة بؤت الناس
والجمع حلال ككتاب . [٤] أشباههم جمع شيع كشس وسب .
[٥] الندية : أن يورد الرجل لاه ، ثم يرطها ، ثم يوردها ، ثم يرطها ، والندى : المكان الذي
يبدى فيه الل . [٦] شح : ملأ ، اللديان : الحامان ، والدوحة : الشجرة العظيمة .
[٧] الصباح جمع صبيحة : وهي الجملة من الصبابة كصاية : الجلال .
[٨] قَمَّ الْيَتُ قَا كَمَه « والقامة : الكسة ، والنمامة : الكداسة » و« حرفة أولئحدة من
العرف : وهي صرف من الشعر » . [٩] الا : الأعضاء ، والناتض : اللداس .
[١٠] أي احتوت عليهم ، وغالمهم : أهلكهم .

٥٨ - حديث امرأة مات ابنها بين يديها

عن عبد الرحمن عن عمه قال : دخلتُ على امرأة من العرب بأعلى الأرض في خِباء لها ، وبين يديها بُنْي لها ، قد نزل به الموت ، فقامت إليه فأغمضته وَعَصَبَتْهُ وَسَجَّته ^(١) ، ثم قالت :

« يابن أخى ، قلت : مانشائين ؟ قالت : ما أحقَّ من البسِ النعمة ، وأطيلت له النَّظَرُ ^(٢) ، أن لا يدعَ التوثق من نفسه ، قبل حلِّ عُقْدته ^(٣) ، والحلولِ بِعَقْوته ^(٤) ، والمخالقة بينه وبين نفسه » ، قال : وما يَقْطُر من عينها قطرة صبراً واحساباً ، ثم نظرت إليه فقالت : والله ما كان مالك لبطنك ، ولا أمرك ليرسك ^(٥) ، ثم أنشدت تقول :

رَحِيبُ الدَّرَاعِ بِالْثَى لَا نَشِينُهُ وَإِنْ كَانَتْ الْفَحْشَاءُ ضَاكِبًا ذَرَعًا ^(٦)

(الأماي ٢ : ٢٨٢ ، والبيان والبيان ٣ : ٢٢١)

قولهم في الشكوى

٥٩ - أعرابي يشكو حاله

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

« قَدِمَ علينا البصرة رحل من أهل البادية شيخ كبير ، فقصدته فوجدته يَحْضِبُ لحيته ، فقال : ما حاجتك ؟ فقلت : بلغني ما خَصَّكَ الله به ، فجتاك أقبس من علمك ، فقال : أتيتني وأنا أخضِبُ ، وإن الخِضَابَ لمن علامات السِّكْرِ ، وطَالَ والله ما غَدَوْتُ على صيد الوحوش ، ومشتبُ أمام الجيوش ،

[١] تسجته الميت : تعطيته . [٢] النظرة : الإجمال . [٣] كناية من الموت .

[٤] العقوة : الحلة ، أى بغيره . [٥] العرس : امرأة الرجل .

[٦] ضاكي بأشهر دروا : صفت طاقه ، ولم يعد من السكروه به مخلصاً .

واخْتَلْتُ بِالرَّدَاءِ ، وَهُوَتْ^(١) بالنساء ، وَقَرَيْتُ الضَّيْفَ ، وَأَرَوَيْتُ السَّيْفَ ،
وَشَرِبْتُ الرِّاحَ ، وَنَادَمْتُ الْجَنَاحَ^(٢) ، فَالْيَوْمَ قَدْ حَنَانِي الْكِبَرُ ، وَضَعُفُ
مَنْى الْبَصَرِ ، وَجَاءَ بَعْدَ الصَّفْوِ الْكَدَرُ ، ثُمَّ قَبِضَ عَلَى لَحْيَتِهِ ، وَأَنْشَأَ يَقُولُ :

شَيْبٌ تُنْيِيهِ كَيْمَا تَمُرَّ بِهِ كَبَيْعُكَ النَّوْبَ مَطْوِيًّا عَلَى حَرَقِ
قَدَكُنْتُ كَالْمُضْنِ تَرْتَاخُ الرِّيحُ لَهُ فَصِرْتُ عُودًا بِلَاءِ الْمَاءِ وَلَا وَرَقِ
صَبْرًا عَلَى الدَّهْرِ ، إِنَّ الدَّهْرَ ذُو عَيْبٍ وَأَهْلُهُ مِنْهُ بَيْنَ الصَّفْوِ وَالرَّثَقِ^(٣)
(الأمالي ٢ : ٩٤)

٦٠ - كلمات شتى فى الشكوى

قِيلَ لِأَعْرَابِيَةٍ أُصِيبَتْ بِابْنِهَا : مَا أَحْسَنَ عَزَاءِكَ ! قَالَتْ : « إِنَّ قَلْدِي إِيَاهُ
أَمْتَنِي كُلَّ قَلْدٍ سِوَاهُ ، وَإِنْ مَصِيبَتِي بِهِ هَزَنْتِ عَلَى الْمَصَائِبِ بَعْدَهُ » ، ثُمَّ
أَنْشَأَتْ تَقُولُ :

مَنْ شَاءَ بَعْدَكَ فَلْيَمُتْ فَعَلَيْكَ كُنْتُ أَحَاذِرُ
لَيْتَ النَّازِلَ وَالذَّيَا رَحَقًا رُومًا وَمَقَارِيرُ

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : كَيْفَ حَزَنُكَ عَلَى وَلَدِكَ ؟ قَالَ : « مَا تَرَكْتُ سِوَى الْغَدَاءِ وَالْعِشَاءِ
لِي حُزْنًا » .

وَقِيلَ لِأَعْرَابِيٍّ : مَا أَحَلَّ جِسْمَكَ ؟ قَالَ : « سِوَى الْغَدَاءِ . وَجُدُّوهُ أَرْغَى .
وَاخْتِلَافُ الْمَعْمُومِ فِي صَدْرِي » ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

[١] هَوَتْ : حُرِجَتْ . [٢] الْجَنَاحُ : نَيْد . [٣] الرِّق : الْكَدَرُ .

الهمُّ مالم تُخْضِبه لبيبه دابه تَضَمَّنَه الضلوعُ عَظِيمُ
ولربما استيأستُ ثم أقول : لا إن الذي ضَمِنَ النجاحَ كريمُ

وقيل لأعرابي قد أخذ به السنُّ : كيف أصبحت ؟ قال : « أصبحت
تقيَّدني الشَّعْرَةُ ، وأَغْرُبُ في البَئْرَةِ ، قد أقام الدهرُ صَمْرِي ، بعد أن أقتُصَّعَرَه » .

وقال أعرابي : « لقد كنتُ أنكِرُ البِيضَاء ، فَصِرْتُ أنكِرُ السَّوْدَاء ،
فياخير مبدول ، وياشرَّ بَدَل ا » .

وذكر أعرابي منزلاً بادَّ أهله فقال : « مَنْزِلُ وَاثِقِهِ رَحِلَتْ عَنْهُ رَبَابُ
الْخُدُورِ ، وَأَقَامَتْ فِيهِ رَوَاحِلُ^(١) الْقُدُورِ ، وَقَدْ اكْتَسَى بِالنبَاتِ كَأْنَمَا أَلْبَسَ
الْحَمْلُ ، وَكَانَ أَهْلُهُ يَمْفُونُ^(٢) فِيهِ آثَارُ الرِّيحِ ، وَأَصْبَحَتْ الرِّيحُ تَعْفُو آثَارَهُمْ ،
فَالْمَهْدُ قَرِيبٌ ، وَالْمَلْتَقَى بَمِيد » .

وذكر أعرابي قوما تغيرت أحوالهم فقال : « أُعِينُ وَاللَّهِ كُحِلْتُ بِالْعَبْرَةِ
بعد الحَبْرَةِ^(٣) ، وَأَنْفُسُ لَبَسَتْ الْحَزْنَ بعد السُّرُورِ » .

وذكر أعرابي قوما تغيرت حالهم فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ فِي عَيْشٍ رَقِيقٍ
الْحَوَاشِي ، فَطَوَاهِ الدَّهْرُ بعد سَعَةِ ، حَتَّى لَبَسُوا أَيْدِيَهُمْ مِنَ الْقُرْ^(٤) ، وَلَمْ أَرْ صَاحِبًا

[١] الرواحل جمع واحدة : وهي في الأصل : الناقة الصالحة لأن ترحل ، والمراد بها الحوامل التي تحمل
القدور ، أي الأثافي . [٢] دعا الدرله : درس ، وعنته الريح ، جمعى ويلرم ، وبها عدا ،
وعنته الريح أيضاً بالتحديد والمالفة . [٣] الحبرة : السرور . [٤] القر مثلث القاف : الرد .

أَغْرَ من الدنيا ، ولا ظالماً أَغْشَمَ ^(١) من الموت ، ومن عَصَفَ عليه الليلُ والنهار
أَرْذَاهُ ^(٢) ، وَمَنْ وَكَلْ به الموتُ أَفْنَاهُ .

✽

ووقف أعرابي على دار قباد أهلها فقال : « دارُ اللهِ مُتَّصِرَةٌ للدُّمُوعِ ،
حَطَّتْ بها السحابُ أَثْقَالَهَا ، وَجَرَّتْ يها الرِّيحُ أَذْيَالَهَا . »

✽

وذكر أعرابي رجلاً تنيرت حاله فقال : « طُوِيَتْ صَحيفَتُهُ ، وَذَهَبَ رِزْقُهُ ،
فَالْبَلَاءُ مُسْرِعٌ إِلَيْهِ ، وَالْعَيْشُ عَنْهُ قَابِضٌ كَفَيْهِ . »

✽

وذكر أعرابي رجلاً ضاق عيشه بعد سمة فقال : « كَانَ وَاللهُ فِي ظِلِّ عَيْشٍ
مَمْدُودٍ ، فَقَدِحَتْ عَلَيْهِ مِنَ الدَّهْرِ زَنْدٌ غَيْرُ كَأَيَّةٍ ^(٣) . »

(المقدّم العريد ٢ : ٧٩ - ٨٠)

✽

وذكر أعرابي مصيبة نالته ، فقال : « مُصِيبَةٌ وَاللهُ تَرَكْتَ سُودَ الرِّءُوسِ
يَبِضًا ، وَبَيَضَ الْوُجُوهَ سُودًا ، وَهَوَّنْتَ الْمَصَائِبَ بَعْدَهَا . »

(المقدّم العريد ٢ : ٧٩ ، وثمر الآداب ٢ : ٥٠)

✽

وذكر أعرابي قطيعة بمض إخوانه فقال : « صَفَرْتُ عِيَابَ ^(٤) الْوَدِ بَيْنِي
وَبَيْنَهُ بَعْدَ امْتِلَإِهَا ، وَأَقْفَرْتُ وَجْهَهُ كَأَنَّهُ بِمَآئِهَا ، فَأَذْبَرْتُ مَا كَانَ مُقْبَلًا ،
وَأَقْبَلْتُ مَا كَانَ مُدْبِرًا . »

(المقدّم العريد ٢ : ٧٩ ، وثمر الآداب ٢ : ٤٠)

[١] أَظْلَمَ . [٢] أَهْمَكَ . [٣] الزند : النود لدى يَدُوحِ في النار ، وكذا الرد : لم يجرح
ناره ، وفي الأصل « رد عين كذبة » وهو تعريب .
[٤] صبرت : خلت ، وعجاب جمع عبة دلتج : ما يعمل به الثياب .

وقيل لأعرابي : ما أذهب شبابك ؟ قال : « من طال أمدّه ، وكثر ولده ،
ودفّ عدده ، وذهب جلده ، ذهب شبابه » .

(العقد الفرید ٢ : ٧٩ ، واليان والتبيين ٢ : ٥٧)

وسئل أعرابي عن سقر أ كذى^(١) فيه ، فقال : « ما غنينا إلا ما قصرنا في
صلاتنا ، فأما ما أكلته الهواجر^(٢) ، ولقيته منا الأباغر ، فأمرُ استخفناه لِمَا
أملّناه » .

وقالت امرأة من الأعراب : « أصبحنا ما يرقد لنا فرس ، وما ينام لنا حرس » .
(اليان والتبيين ٢ : ٨٢)

وقال أعرابي : « مضى لنا سلفُ أهل تواصل ، اعتقدوا^(٣) مِنّا ، واتخذوا
الأيادي ذخيرة لمن بعدهم ، يرون اصطناع المعروف عليهم قرصاً لازماً ، وإظهار
البر واجباً ، ثم جاء الزمان بينين ، اتخذوا منهنم بضاعة ، ويرّهم مَرَامِجَةً^(٤) ، وأياديهم
تجارة ، واصطناع المعروف مُقَارَصَةً ، كنفد ، خُذْ مني وهات » .

وقيل لأعرابي في مرضه : ما تشكى ؟ قال : « تمام العِدّة ، وانقضاء المدة » .

ونظر أعرابي إلى رجل يشكو ما هو فيه من الضيق والضرّ فقال : « يا هذا :
أتشكون من يرحمك إلى من لا يرحمك ؟ » .
(العقد الفرید ٢ : ٨٥)

[١] أصله من « حور فأ كدى » أى صادف الكدية - والكدية كمرصة : الأرض المبطلة ،

والصماء المطيبة التديدة . [٢] الهواجر جمع هاجرة ، وهى شدة الحرّ .

[٣] من اعتقد مالا : اقتناه . [٤] رايحه على الساعة : أعطاه رعيّاً .



ووصف أعرابي الدنيا فقال : « هي رَنَقَةٌ ^(١) المشارب ، حَمَّةُ المصائب ، لا تُنَمِّعُكَ الدهرَ بصاحب » .



وقال أعرابي : « حَسْبُكَ من فساد الدنيا أنك ترى أَسْنَمَةً ^(٢) تُوَضَّعُ ، وأخفافاً تُرْفَعُ ، والخير يُطَلَّبُ عند غير أهله ، والفقير قد حلَّ غير محله » .
(القمد العريد ٢ : ٨٦)



وقيل لأعرابي : كيف ابنك - وكان به عاقاً - قال : « عذابٌ لا يقاومه الصَّبْرُ ، وفائدة لا يجب فيها الشكر ، فليتني قد استودعته القبر » .
(القمد العريد ٢ : ٩٧)



عن الأصمعي قال : قيل لأعرابي قَدِمَ الحَفْرة ^(٣) ، ما أقْدَمَكَ ؟ قال :
« الْحَيْنُ ^(٤) ، الذي يُغَطِّي الْعَيْنَ » . (الأمل ١ : ٢٠٢)



وأصيب أعرابي بآبن له ، فقال وقد قيل له أَصْبِرْ : « أَعْلَى الله أَنَجِلَّدُ ، أم في مصيبتني أَتَبَلَّدُ ؟ والله لِلْجَزَعِ من أمره أَحَبُّ إلىَّ الآن من الصبر ، لأنَّ الجزع استكانة ، والصبر قساوة ، ولئن لم أَجْزَعْ من النقص لم أَفْرَحْ بالمزيد » .
(زعر الآداب ٣ : ١٦٤)



وقيل لأعرابي : لم لا تَضْرِبْ في الأرض ؟ فقال : « يَمْنَعُنِي من ذلك ، طِفْلٌ بَارِكٌ ، وَلِصٌّ سَافِكٌ ، ثم إني لست بعد ذلك واثقاً بِنَجْعِ طَلْبَتِي . ولا معتقداً

[١] كدرة . [٢] جمع سمام ، والراد ما يكن هلياً .

[٣] الحفرة : خلاف البادية كالحفر بالحريك . [٤] الهلاك .

قضاء حاجتي ، ولا راجياً عطف قرايى ، لأنى أقدم على قوم أطعام الشيطان ،
واستياهم السلطان ، وساعدم الزمان ، وأسكرهم حدائنة الأسنان .

(زمر الآداب ٣ : ٢٤٤)

وقال بعض الأعراب : « نالنا وشيئاً ^(١) ، وخلفه وليّ ، فالأرض كأنها
وشيئاً ^(٢) عبقريّ ، ثم أتتنا غيوم جرادٍ ، بمناجلٍ حوادٍ ^(٣) ، غرّبت البلاد ،
وأهلك المباد ، فسبحان من يهلك القوى الأئسول ، بالضعيف المأكول . »

(زمر الآداب ٣ : ٣٤٦)

٦١ - قولهم فى العتاب والاعتذار

عاتب أعرابى أباه فقال : « يا أبت ، إن عظيم حقدك على لا يذهب صغير
حقى عليك ، والذي تمت به ^(١) إلى ، أمت بئله إليك ، ولست أزعم أنا سواه ،
ولكنى أقول : لا تحجل لك الاعتداء »

(البيان والنبين ٣ : ٢٣١ ، وزمر الآداب ٣ : ١٠٠)

وقال أعرابى لصديق استبطأه فلأمله : « كانت بى إليك زلةٌ يعنى من
ذكرها ما أملت من تجاوزك عنها ، وليس أعتذر إليك منها إلا بالإقلاع عنها . »

وقال آخر لابن عم له : « والله ما أعرف تقصيراً فأقلىع ، ولا ذنباً فأغيب ،
ولست أقول إنك كذبت ، ولا إنى أدنبت . » (زمر الآداب ٣ : ١٦٣)

[١] الوسمى : مطر الربيع الأول ، والولى : المطر الذى يأتى بعد المطر .

[٢] الوشى : غش الثوب ، والعبقري : القطع الطير ، دسة إلى عقر ، موضع تزعج العرب أنه من
أرس الحر ، ثم نسوا إليه كل شيء تسحوا من حقيقه ، أو حودة صمته .

[٣] الناحل جمع مجل كبير : حديقة يقضى بها الررع ، وحواد جمع حادة : أى قاطعة ، وقى الأصل
« حراد » وقرأه بحرما . [٤] توصل .

✽

وقال آخر لابن عمّ له : « سَأُنْخِطُ ذَنْبَكَ إِلَى عُذْرِكَ ، وَإِنْ كُنْتُ مِنْ أَحَدِهِمَا عَلَى يَمِينٍ ، وَمِنَ الْآخَرِ عَلَى شَكٍّ ، وَلَكِنْ لَيْتِمُ الْمَعْرُوفُ مِنِّي إِلَيْكَ ، وَتَقُومَ الْحُجَّةُ لِي عَلَيْكَ » . (رهر الآداب ٣ : ١٦٤ ، والمقدّم الفريد ٢ : ٨٥)

✽

وَعَدَلْتُ أَعْرَابِيَةَ أَبَاهَا فِي الْجُودِ وَإِتْلَافِ مَالِهِ ، فَقَالَتْ : « حَبَسُ الْمَالُ » أَنْفَعُ لِلْعِيَالِ ، مِنْ بَذْلِ الْوَجْهِ فِي السُّؤَالِ ، فَقَدَلَّ النُّوَالُ ، وَكَثُرَ الْبُخَالُ ، وَقَدْ أَتْلَفْتُ الطَّارِفَ وَالتَّلَادَ ، وَبَقِيَتْ تَطَلُّبُ مَا فِي أَيْدِي الْعِبَادِ ، وَمَنْ لَمْ يَحْفَظْ مَا يَنْفَعُهُ ، أَوْشَكَ أَنْ يَسْأَلَ فِيمَا يَضُرُّهُ » . (رهر الآداب ٣ : ٣٤٦)

٦٢ - قولهم في المدح

دَخَلَ أَعْرَابٍ عَلَى بَعْضِ الْمُلُوكِ فَقَالَ : « رَأَيْتُنِي فِيمَا أَتَعَامَلِي مِنْ مَدْحِكَ ، كَالْمُخْبِرِ عَنْ ضَوْءِ النَّهَارِ الْبَاهِرِ ، وَالْقَمَرِ الزَّاهِرِ ، الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَى النَّاظِرِ ، وَأَيُّقَنْتُ أَنِّي حَيْثُ انْتَهَى بِي الْقَوْلُ ، مَنْسُوبٌ إِلَى الْعَجْزِ ، مُقَصَّرٌ عَنِ الْغَايَةِ ، فَانصَرَفْتُ عَنِ الثَّنَاءِ عَلَيْكَ ، إِلَى الدَّعَاءِ لَكَ ، وَوَكَلْتُ الْإِخْبَارَ عَنْكَ ، إِلَى عِلْمِ النَّاسِ بِكَ » . (الأمل ٢ : ٧٣)

✽

وَأَتْنِي أَعْرَابِي عَلَى رَجُلٍ فَقَالَ : « إِنْ خَيْرُكَ لَمَرِيحٌ ^(١) ، وَإِنْ مَنَعُكَ لَمَرِيحٌ ، وَإِنْ رِفْدُكَ لَرِيحٌ » . (البيان والبيان ٢ : ١٠٥)

✽

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ عَنْ عَمِّهِ قَالَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا مِنْ بَنِي كِلَابٍ يَذْكُرُ رَجُلًا

[١] أي عطاء بلا مطل ولا إبطاء ، ومرح : أي من كدّ الطلب .

فقال : « كَانَ وَاللَّهِ الْفَقَهُمْ مِنْهُ ذَا أَذُنَيْنِ ، وَالْجَوَابُ ذَا لِسَانَيْنِ ، لَمْ أَرِ أَحَدًا كَانَ أَزْتَقَ لِحْلَلِ رَأْيٍ مِنْهُ ، وَلَا أَبْعَدَ مَسَافَةَ رَوِيَّةٍ ، وَمُرَادٌ ^(١) طَرَفٌ ، إِنَّمَا يَرْمِي بِهِمْتَهُ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ الْكَرْمُ ، وَمَا زَالَ وَاللَّهِ يَتَحَسَّى مَرَارَةَ أَخْلَاقِ الْإِخْوَانِ ، وَيُسْقِيهِمْ عُذُوبَةَ أَخْلَاقِهِ » (الأمال : ١٦ : ٢ ، والقصد الفريد : ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب : ٣ : ٢)

وقال : سمعت أعرابياً ذكر رجلاً فقال : « كَانَ وَاللَّهِ لِلْإِخَاءِ وَصُولًا ، وَلِلْمَالِ يَدُولًا ، وَكَانَ الْوَفَاءُ بِهِمَا عَلَيْهِ كَفِيلًا ، وَمَنْ فَاضَلَهُ كَانَ مَفْضُولًا » .
(الأمال : ١ : ١١٦ ، والقصد الفريد : ٨٩ : ٢)

ووصف أعرابياً رجلاً فقال : « ذَاكَ وَاللَّهِ مَنْ يَنْفَعُ سِلْمُهُ ، وَيُتَوَاصَفُ حِلْمُهُ ، وَلَا يُسْتَمْرَأُ ^(٢) ظَلْمُهُ ، إِنْ قَالَ فَعِلْ ، وَإِنْ وَلَّى عَدِلْ » .
(البيان والنبين : ٢ : ١٥٨ ، والقصد الفريد : ٨٩ : ٢ ، وزهر الآداب : ٣ : ٢)

وذكر أعرابياً قوماً فقال : « أَذَبْتَهُمُ الْحِكْمَةُ ، وَأَحْكَمْتَهُمُ التَّجَارِبُ ، وَلَمْ تَقْرُرْهُمُ السَّلَامَةُ الْمَنْطُوبَةُ عَلَى الْمَلَائِكَةِ ، وَجَانَبُوا التَّسْوِيفَ الَّذِي بِهِ قَطَعَ النَّاسُ مَسَافَةَ آجَالِهِمْ ، فَذَلَّتْ أَلْسِنَتُهُمْ بِالْوَعْدِ ، وَانْبَسَطَتْ أَيْدِيهِمْ بِالْإِنْجَازِ ، فَأَحْسَنُوا الْمَقَالَ ، وَشَفَعُوهُ بِالْفَعَالِ » .
(الأمال : ٢ : ٢٣ ، والبيان والنبين : ٣ : ٢٣١ ، والقصد الفريد : ٨٨ : ٢)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : وصفت أعرابية زوجها بكمار الأخلاق عند أمها ، فقالت : « يَا أُمُّهُ ، مَنْ لَشَرَ ثَوْبِ الثَّنَاءِ ، فَقَدْ أَدَّى وَاجِبَ الْجَزَاءِ ، وَفِي

[١] زياد الأمل : احتلاها في الرعي مقبلة ومديرة ، والموضع مراد ومستتراد .

[٢] لا يستمرأ ، من احترا الطعام : وجعه مريضاً أى هيثماً جيداً للمدة .

كَثَانِ الشُّكْرِ جُؤُودٌ لِمَا وَجِبَ مِنَ الْحَقِّ ، وَدُخُولٌ فِي كُفْرِ النَّعَمِ » ، فَقَالَتْ لَهَا أُمُّهَا : « أَيْ بُنَيَّةُ : أَطَبَّتِ النَّهَاءُ ، وَقَتِ بِالْجُزَاءِ ، وَلَمْ تَدْعِ لِلذَّمِّ مَوْضِعًا ، إِنِّي وَجَدْتُ مَنْ عَقَلَ ، لَمْ يَعْجَلْ بِذَمِّ وَلَا ثَنَاءٍ إِلَّا بَعْدَ اخْتِبَارٍ » ، فَقَالَتْ : « يَا أُمُّهُ ، مَا مَدَحْتُ حَتَّى اخْتَبَرْتُ ، وَلَا وَصَفْتُ حَتَّى عَرَفْتُ » .

(الأمل ١ : ٢٢٥)

✽

ووصف بعض الأعراب أميراً فقال : « إِذَا أُوْعِدَ آخَرٌ ، وَإِذَا وُعِدَ تَجَلَّى ، وَعِيْدُهُ عَفْوٌ ، وَوَعْدُهُ إِجْزَارٌ » . (البيان والنبير ٣ : ٢١٧)

✽

ونعت أعرابي رجلاً فقال : « كَأَنَّ الْأَلْسَنَ وَالْقُلُوبَ رِيضَتْ لَهُ ، فَمَا تَنْعَقِدُ إِلَّا عَلَى وَدِّهِ ، وَلَا تَنْتَقِ إِلَّا بِحَمْدِهِ » .

(البيان والنبير ٣ : ٢٣١ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩ ، وهرز الآداب ٢ : ٣)

✽

وذَكَرَ رَجُلٌ عِنْدَ أَعْرَابِيٍّ فَوْقَ فَيْهِ قَوْمٌ فَقَالَ : « أَمَّا وَاللَّهِ إِنَّهُ لَا كَلْمَ لِّلْمَأْدُومِ ، وَأَعْطَاكُمْ الْمَعْرُومَ ^(١) ، وَأَكْسَبَكُمْ لِّلْمَعْدُومِ ، وَأَعْطَاكُمْ عَلَى الْمَحْرُومِ » . (الأمل ٢ : ١٦ ، والبيان والنبير ١ : ١٦٣)

✽

وَأَعْطَى رَجُلٌ أَعْرَابِيًّا فَأَكْثَرَلَهُ ، فَقَالَ لَهُ الْأَعْرَابِيُّ : « إِنْ كُنْتَ جَاوَزْتَ قُدْرِي عِنْدَ نَفْسِي ، فَقَدْ بَلَغْتَ أَمَلِي فِيكَ » . (الأمل ٢ : ٥٠)

✽

وَمَدَحَ أَعْرَابِيٌّ رَجُلًا فَقَالَ : « كَانَ وَاللَّهِ يُعْنَى ^(٢) فِي طَلَبِ الْمَسَاكِمِ ، عَيْرَ صَالٍ فِي مَعَارِجِ طَرَقِهَا ، وَلَا تَشَاغَلُ عَنْهَا بَنِيهَا » .

(الأمل ٢ : ٥٠ ، والمقد الفريد ٢ : ٨٩)

[١] أَيْ لِلْمَالِ الْمَعْرُومِ ، مِنْ لَرْمِهِ عَرَمَ حَلَهُ عَنْهُ . [٢] أَيْ يَصْبُ وَيُصَبُّ .

ودخل أعرابي على رجل من الولاة فقال : « أصلح الله الأمير : اجعلني زمائماً من أزميتك يُجرّ بها الأعداء ، فإني مسرّ حرب^(١) ، وَرَكَابٌ نُجِيبٌ ، شديد على الأعداء ، ليث على الأصدقاء ، منطوى الحَصِيلَة^(٢) ، قليل الثَمِيلَة ، غرار النّوم ، قد غَدَّتني الحرب بأفانيقها^(٣) ، وَحَلَبْتُ الدهرَ أَشْطَرُهُ ، ولا تمنعك مني الدّمامة^(٤) ، فإن تحتها شهامة .

(القند العريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٨٠)



ومدح أعرابي رجلاً فقال : « ذاك والله فسيح الأدب ، مستخكم السبب ، من أي أقطاره أتيت ، تنني عليه بكرم فعال ، وَحُسْنِ مقال .

(زهر الآداب ٢ : ٦ ، والقند العريد ٢ : ٨٩)



ومدح أعرابي رجلاً فقال « كَانَ وَاللَّهِ يَعْمَلُ مِنَ الْعَارِ وَجَوْهًا مُسَوَّدَةً ، ويقتح من الرأي عيوناً مُنْسَدَةً » . (القند العريد ٢ : ٨٩ ، وزهر الآداب ٣ : ١٦٥)



وذكر أعرابي قوماً عبّاداً فقال : « تركوا وَاللَّهِ النِّعَمَ لِيَتَنَمَّوْا ، لهم عِبَرَاتٌ متداقة ، وَزَفَرَاتٌ متتابعة ، لا ترام إلّا في وجهٍ وجهٍ عند الله .



وذكر أعرابي قوماً فقال : « ما رأيت أسرع إلى داجٍ بِلَيْلٍ ، على قَرَسٍ حَسِيبٍ ، وجمل نُجِيبٍ^(٥) ، ثم لا ينتظر الأولُ السابقُ ، الآخرُ اللاحِقُ » .

[١] أي مودعها ، والحب جمع محب . [٢] حصل الشيء تحصيلاً ، منه ، والاسم الحَصِيلَة ، والشيء مكتم السر ، والتميلة في الأصل : ما بقي في بطن الدابة من العلف والماء ، وما يدخره الإنسان من طعام أو غيره ، وفي حديث عبد الملك قال الحجاج : « أما بعد فقد وليتكم الراشدين ، فسر إليهم منطوى الثميلة » والشيء سر إليها معاً ، والعرار : القليل من الدم . [٣] الأفاويق جمع أفواق ، وهو جمع بقعة . بكسر ، والبقعة : اسم القلب يجمع في الصرع بين الخلتين . [٤] الدمامة : قبح اللطير . [٥] اسبيد : سجن ، سريع الخفيف في السير .

وذكر أعرابي قوماً فقال : « جعلوا أموالهم متاديلَ أعراضهم ، فاختير بهم زائد ، والمعروف لهم شاهد ، يُعْطُونَهَا بِطَبِيعَةِ أَنْفُسِهِمْ إِذَا طُلِبَتْ إِلَيْهِمْ ، ويباشرون المعروف بإشراق الوجوه إِذَا بُعِيَ لَدَيْهِمْ .

✽

وذكر أعرابي قوماً فقال : « والله ما أنالوا شيئاً بأطراف أناملهم إلا وطئناه بأخماس^(١) أقدامنا ، وإنْ أَقْصَى هِمِّهِمْ لَا ذَنْيَ فِإِمْالِنَا » .

✽

وذكر أعرابي أميراً فقال : « إِذَا وَلِيَ لَمْ يُطَاقِ بَيْنَ جُفُونِهِ^(٢) ، وأرسل المَيُّونَ عَلَى عِيُونِهِ ، فهو غائب عنهم ، شاهدمهم ، فالحسن راجح ، والمسي وخائف » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً ببراعة المنطق فقال : « كَانَ وَاللَّهِ بَارِعَ النَّطْقِ ، جَزَلَ الْأَلْفَاظَ ، عَرَبِيَّ اللِّسَانِ ، فَصِيحَ الْبَيَانِ ، رَقِيقَ حَوَائِصِ الْكَلَامِ ، بَلِيلَ الرَّبِيقِ ، قَلِيلَ الْحَرَكَاتِ ، سَاكِنَ الْإِشَارَاتِ »

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « رَأَيْتَ لَهُ حِلْمًا وَآزَةً ، يُحَدِّثُكَ الْحَدِيثَ عَلَى مَقَاتِعِهِ ، وَيُنْشِدُ الشَّعْرَ عَلَى مَذَارِجِهِ^(٣) ، فَلَا تَسْمَعُ لَهُ لَحْنًا وَلَا إِحَالَةً^(٤) » .

✽

وذكر أعرابي قوماً فقال : « آتَتْ^(٥) سِيوفُهُمْ إِلَّا تَقْضَى دَيْنًا عَلَيْهِمْ ، وَلَا تَضِيعُ حَقًّا لَهُمْ ، فَمَا أَخَذَ مِنْهُمْ مَرْدُودٌ إِلَيْهِمْ ، وَمَا أَخَذُوا مَتْرُوكٌ لَهُمْ » .

[١] جمع جمع كاجر ، وهو من دخل الفقه ما لم يصح الأثر .

[٢] أي لم يدر عن شئ ولا عيبه ، والمييون : الحراسيس .

[٣] مدارج جمع مدرج ومدرسة : التفت والتفتك . [٤] أحد الكلام إحالة : إذا أصدع ، وإحالة من الكلام : ما عدل به عن وجهه ، وأحد : أتى ، فاحل وتكلم به . [٥] حلفت .

ومدح أعرابي رجلا فقال : « مارأيت عينا قط أخرق لظلمة الليل من عينه ،
ولحظة أشبه بلهب النار من لحظة ، له هزة كهزة السيف إذا طرب ، وجرأة
كجرأة الليث إذا غضب » .

ومدح أعرابي رجلا فقال : « كانت ظلمة ليله كضوء نهاره ، أمرا بارتداد ،
وناها عن فساد ، لحبيب السوء غير منقاد » .

وذكر أعرابي رجلا فقال : « اشترى والله عرضه من الأذى ، فلو كانت
الدنيا له فأفقها ، لرأى بمدحها عليه حقوقا ، وكان منهاجاً للأمور المشككة إذا
تناجز الناس باللائمة » .

وذكر أعرابي رجلا فقال : « يَفُوقُ ^(١) الكلمة على المعنى ، فتمرق مُرُوقَ
السهم من الرمية ، فما أصاب قتل ، وما أخطأ أشوى ^(٢) ، وما غطط ^(٣) له
مهم منذ تحرك لسانه في فيه » .

وذكر أعرابي أخاه فقال : « كَانَ والله رَكُوبًا للأهوال ، غير أَلُوفٍ
لِلصِّجَالِ ^(٤) ، إِذَا أُرْعِدَ ^(٥) لقوم من غير قُرٍّ ، يهين نفسا كريمة على قومها ، غير
مُبْتَقِيَةٍ لِنَدِي مَا فِي يَوْمِهَا » .

[١] يَسُدُّ ويصوب ، والرمية : ما رمى . [٢] أشواه أصاب شواه ، والشوى كعسا : اليدان
والرحلان والأطراف وقدم الرأس وما كان غير مقتل . [٣] المغطية : حكاية صوت القدر في الدليان
وما أشبهها وقد يكون الأصل « وما غطط » أي ما اضطرب من المغطية وهي اضطراب موج البحر .
[٤] المصالح جمع حملة بالتحريك : العبة وموضع برن الثياب والستور للمروس ، والمراد النساء .
[٥] أرعد : أخذ به رعدة .

❦

ومدح أعرابي رجلا فقال : « كَانَ وَاللَّهِ مِنْ شَجَرٍ لَا يُخْلِفُ ثَمَرَهُ ، وَمَنْ
بَحَرَ لَا يُخَافُ كَذْرَهُ » .

❦

وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَلِكَ وَاللَّهِ فَتَى رَمَاهُ اللَّهُ بِالْخَيْرِ نَاشِئًا ، فَأَحْسَنَ
لِبَنَسِهِ ، وَزَيْنَ بِهِ نَفْسَهُ » .

❦

ومدح أعرابي رجلا فقال : « يُصِمْ أَذْنِيهِ عَنْ اسْتِمَاعِ الْخَنَاءِ ، وَيُخْرِسُ
لِسَانَهُ عَنِ التَّكْلِمْ بِهِ ، فَهُوَ الْمَاءُ الشَّرِيبُ ^(١) ، وَالْمِصْقَعُ الْخَطِيبُ » .

❦

وذكر أعرابي رجلا فقال : « ذَلِكَ رَجُلٌ سَبَقَ إِلَى مَعْرُوفِهِ قَبْلَ طَلْبِي إِلَيْهِ ،
فَالْمَرِضُ وَافِرٌ ، وَالْوَجْهُ بِمَآئِهِ ، وَمَا أُسْتَقِيلَ ^(٢) بِنِعْمَةٍ إِلَّا أَقْفَلَنِي بِأُخْرَى » .

❦

وذكر أعرابي رجلا فقال : « دَاكُ رَصِيعِ الْجُودِ وَالْمَفْطُومِ بِهِ ، عَقِيمٍ عَنِ
الْفَحْشَاءِ ، مُتَمَصِّمٍ بِالتَّقْوَى ، إِذَا حَذَفَتْ ^(٣) الْأَلْسُنُ عَنِ الرَّأْيِ ، حَذَفَ
بِالصَّوَابِ ، كَمَا يَحْذِفُ الْأَرْنَبُ ، فَإِنْ طَالَتِ الْغَايَةُ ، وَلَمْ يَكُنْ مِنْ دُونِهَا نِهَايَةً ،
تَهْتَلُ أَمَامَ الْقَوْمِ سَابِقًا »

❦

وذكر أعرابي رجلا فقال : « إِنْ جَلِيسُهُ لَطِيبٌ عِشْرَتُهُ أَطْرَبُ مِنَ الْإِيْنِ
عَلَى الْحَذَاءِ ، وَارْتَجَلٌ عَلَى الْفَنَاءِ » .

[١] الشرب والفراب : ما يهرب ، الضعف : الجمع أو الدل الصوت أو من لا يربح عليه في كلامه
ولا ينتفع . [٢] أي وما أجل ، وأعلى . أرحمى وردني . [٣] حدث : روت .

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ لَهُ عِلْمٌ لَا يَخَالُطُهُ جَهْلٌ ، وَصَدَقَ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ ، كَأَنَّهُ الْوَيْلُ عِنْدَ الْمَخَلِّ ^(١) » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِمَعْرُوفٍ مِنْهُ ، وَمَا رَأَيْتُ الْمُنْكَرَ أَبْغَضَ لِأَحَدٍ يُغْضَهُ لَهُ » .

✽

وقدم أعرابي البادية وقد نال من بَنَى بَرْمَكَ ، فَقِيلَ لَهُ كَيْفَ رَأَيْتَهُمْ ؟ قَالَ : « رَأَيْتُهُمْ وَقَدْ أَسْتَبْتَهُمُ النَّعْمَةَ ، كَأَنَّهُمْ مِنْ ثِيَابِهِمْ » .

✽

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « مَا زَالَ يَذِنِي الْمَجْدَ ، وَيَشْتَرِي الْحَمْدَ ، حَتَّى بَلَغَ مِنْهُ الْجَهْدُ » .

✽

ودخل أعرابي على بعض الملوك فقال : « إِنْ جَهِلْتُ أَنْ يَقُولَ الْمَادِحُ بِخِلَافِ مَا يَعْرِفُ مِنَ الْمَدْحِ ، وَإِنِّي وَاقِعٌ مَا رَأَيْتُ أُعْشِقَ لِلْمَكَارِمِ فِي زَمَانِ اللَّؤْمِ مِنْكَ ، وَأَنْشُدُ :

مَالِي أَرَى أَبْوَابَهُمْ مَهْجُورَةً ؟ وَكَأَنَّ بَابَكَ تَجَمَّعَ الْأَسْوَاقُ
حَابُوكَ أَمْ هَابُوكَ أَمْ شَامُوا النَّدَى يَدِيدُكَ فَاجْتَمَعُوا مِنَ الْآفَاقِ
إِنِّي رَأَيْتُكَ لِلْمَكَارِمِ عَاشِقًا وَالْمَكْرُمَاتِ قَلِيلَةً الْعُشَاقِ

(القيد الفريد ٢ : ٨٨ - ٩٠)



وصل أعرابي الطريق ليلا ، فلما طلع القمر اهتدى ، فرفع رأسه إليه فقال :
 ما أدري ما أقول ؟ أأقول : رَفَعَكَ اللهُ ؟ فقد رَفَعَكَ ، أم أقول : تَوَرَّكَ اللهُ ؟ فقد
 تَوَرَّكَ ، أم أقول : حَسَنَكَ اللهُ ؟ فقد حَسَنَكَ ، أم أقول : عَمَّرَكَ اللهُ ؟ فقد
 عَمَّرَكَ ، ولكني أقول : جعلني اللهُ فِذاكَ . (القدر المريد ٢ : ٩٧)



وذكر أعرابي قومه فقال : « كَانُوا وَاللَّهِ إِذَا أَصْطَفَوْا تَحْتَ الْقَتَامِ ^(١) ،
 خَطَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ ، يَوْفُوذُ الْحِمَامِ ، وَإِذَا تَصَاخَفُوا بِالسُّيُوفِ فَفَرَّتْ ^(٢) الْمَنَابَا
 أَفْوَاهُهَا ، قَرُبَ يَوْمَ عَارِمٍ ^(٣) قَدْ أَحْسَنُوا أَذْبَهُ ، وَحَرِبَ عَبُوسٌ قَدْ صَاحَكَتْهَا
 أَسْنِئَتُهُمْ ، وَخَطَبَ شَتْرٌ ^(٤) قَدْ ذَلُّوا مَنَاكِبَهُ ، وَيَوْمَ عَمَاسٍ ^(٥) قَدْ كَشَفُوا ظِلْمَتَهُ
 بِالصَّبْرِ حَتَّى يَنْجَلِيَ ، إِنَّمَا كَانُوا الْبَحْرَ الَّذِي لَا يُنْكَشُ ^(٦) غِمَارُهُ ، وَلَا يُبْهِنُهُ
 تَيَّارُهُ » . (الأملال ١ : ١٣٩ ، والقدر المريد ٢ : ٨٨ ، ودرر الآداب ٢ : ٤)



ووصف أعرابي رجلا فقال : « هُوَ أَطْهَرُ مِنَ الْمَاءِ ، وَأَرْقُ طِبَاعًا مِنَ الْهَوَاءِ .
 وَأَمْضَى مِنَ السَّيْلِ ، وَأَهْدَى مِنَ النَّجْمِ » . (درر الآداب ٢ : ٣)

[١] القَتَام : الدار ، والحمام : الموت ، ورواية القدر : « كَانُوا إِذَا أَصْطَفُوا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ السَّهَامُ »
 - سفر بين القوم كسرب وهر : أصْلَحَ - . [٢] فَرَّتْ : ضَعُفَتْ .
 [٣] الْعَرَامَةُ : الفتح والبرام بالهمز : العزاة والأذى ، هَرِمَ كَسِرَ وَصَرَبَ وَكَرَمَ وَعَلِمَ .
 [٤] شَتْرٌ : شديد عناق . [٥] الْعَمَاسُ : من الليل : الظلم الشديد وأمر لا يقيم له ولا يندى لوجهه .
 [٦] لَا يُنْكَشُ : لا يَنْزَحُ ، والعَمَاسُ جمع عَمَرَ كَشَسَ : وهو الماء الكثير ، ونَهَبَهُ : كَمَهُ وَحَرَمَهُ وَفَى
 رواية القدر : « إِنَّمَا قَرَى الْبَحْرَ مَا أَتَقَنَّهُ الشَّقْدُ » ، ورواية درر الآداب : « إِذَا أَصْطَفُوا سَفَرَتْ بَيْنَهُمُ
 السَّهَامُ ، وَإِذَا تَصَاخَفُوا بِالسُّيُوفِ هَرِمَ شَهْهَامُهُ » .



: ووصف أعرابي قومه فقال : لِيُوثُ حَرْبٌ ، وَغِيُوثٌ جَذْبٌ ، إِنْ قَاتَلُوا
أَبْلَوْا ، وَإِنْ بَذَلُوا أَغْتَوَا . (رمر الآداب ٤ : ٤٠)



وقال الأصمعي : سمعت أعرابياً يقول : « إِذَا تَهَيْتِ الْأَصُولَ فِي الْقُلُوبِ ،
نَطَقَتِ الْأَلْسِنَةُ بِالْفُرُوعِ ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي لَكَ شَاكِرٌ ، وَلِسَانِي ذَاكِرٌ ، وَمَحَالٌ
أَنْ يَظْهَرَ الْوَدَّ الْمُسْتَقِيمُ ، مِنَ الْفُؤَادِ السَّقِيمِ » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٥)



: وسئل أعرابي عن قومه فقال : « يَقْتُلُونَ الْفَقْرَ ، عِنْدَ شِدَّةِ الْقُرَى ^(١) ،
وَأَرْوَاحَ ^(٢) الشَّيْءِ ، وَهَبُوبِ الْجَزِيَاءِ ^(٣) ، بِأَسْنِمَةِ الْجَزُورِ ، وَمُتَرَعَاتِ ^(٤)
الْقُدُورِ ، تَحْسُنُ وَجُوهَهُمْ عِنْدَ طَائِبِ الْمَرْوُوفِ ، وَتَعْبِسُ عِنْدَ لَمَعَانِ السِّيُوفِ » .



ووصف أعرابي قوماً فقال : « لَهُمْ جُودٌ كَرَامٍ اتَّسَعَتْ أَحْوَالُهَا ، وَبَأْسُ
لِيُوثٍ تَبَنَّمَهَا أَشْبَاهُهَا ، وَهَمٌّ مَلُوكٍ انْقَسَحَتْ آمَالُهَا ، وَغَرُّ صَبِيحِ آبَاءِ
شَرَفَتْ أَحْوَالُهَا » (رمر الآداب ٣ : ١٦٧)



[١] القرى ثلاث الفدادين : البرد . [٢] جمع دج كرايح . [٣] دج الفبال أو روماء .

[٤] جمع مترعة : وهي المملوءة .

عنده يذور الآثام ، مُتَمِّدٍ مِمَّا تَحِبُّ ، مُكْثِرٍ مِمَّا تَكْرَهُ ، وصاحب السوء
قطعة من النار .

وقال أعرابي لرجل : « أنت والله ممن إذا سأل الحَفَّ ، وإذا سُئِلَ سَوَّفَ ،
وإذا حَدَّثَ حَلَفَ ، وإذا وعد أخلف ، تنظر نظر حَسُودٍ ، وتُعْرِضُ
إِعْرَاضَ حَقُودٍ » .

وسافر أعرابي إلى رجل فخرمه ، فقال لِمَا سئل عن سفره : « مارَ بَحْنًا فِي
سَفَرِنَا إِلَّا مَا قَصَرْنَا مِنْ صَلَاتِنَا ، فَأَمَّا الَّذِي لَقِينَا مِنَ الْهَوَاجِرِ ^(١) ، وَلَقِيتُ مِنَّا
مِنَ الْأَبَاعِرِ ، فَمَقُوبَةٌ لَنَا فِيهَا أَفْسَدْنَا مِنْ حَسَنِ ظَنِّنَا » ، ثم أنشأ يقول :
رَجَعْنَا سَالِمِينَ كَمَا خَرَجْنَا وَمَا خَابَتْ سَرِيَّةُ سَالِمِينَا

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « كَانَ إِذَا رَأَى قَرَبًا مِنْ حَاجِبٍ حَاجِبًا ،
فَأَقُولُ لَهُ : لَا تَقْبَحْ وَجْهَكَ إِلَى قَبْحِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا أَتَيْتَكَ لَطْمِيعَ رَاغِبًا ،
وَلَا لُحُوفِ رَاهِبًا » .

وذم أعرابي رجلاً فقال : « عَبْدُ الْفَعَالِ ، حُرُّ الْمَقَالِ ، عَظِيمُ الرِّوَاقِ ،
دَنِيءُ الْأَخْلَاقِ ، الدَّهْرُ يُرْفِعُهُ ، وَنَفْسُهُ تَضَعُهُ » .

وقال أعرابي : « دَخَلْتُ الْبَصْرَةَ ، فَرَأَيْتُ ثِيَابَ أَحْرَارٍ عَلَى أَجْسَادِ عَبِيدَ ،

إِقْبَالَ حَفَّاهُمْ إِدْبَارُ حَفَّ الْكِرَامِ ، شَجَرُ أَصُولُهُ عِنْدَ قُرُوعِهِ ، شَتْلُهُمْ عَنِ الْمَعْرُوفِ رَغْبَتُهُمْ فِي الْمُنْكَرِ .

✽

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَاكَ رُبَّمَا الْجَالِسُ ، أَعْيَا مَا يَكُونُ عِنْدَ جُلُوسَاتِهِ ، أَبْلَغُ مَا يَكُونُ عِنْدَ نَفْسِهِ » .

✽

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « ذَلِكَ إِلَى مَنْ يُدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْجَهْلِ ، أَحْوَجُ مِنْهُ إِلَى مَنْ يُدَاوِي عَقْلَهُ مِنَ الْمَرَضِ ، إِنَّهُ لَا مَرَضَ أَوْجَعُ مِنْ قَلَّةِ عَقْلٍ » .

✽

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَدْرِكُ بَأْرَهُ فَقَالَ : « كَيْفَ يُدْرِكُ بَأْرَهُ مَنْ فِي صَدْرِهِ مِنَ الْبَلَاءِ حَشْوُ مُرَقَّةٍ ، لَوْ دُقَّتْ بِوَجْهِهِ الْحَجَارَةُ كَرَضِهَا (١) ، وَلَوْ خَلَا بِالْكَعْبَةِ لَسَرَقَهَا » .

✽

وَذَكَرَ أَعْرَابِي رَجُلًا فَقَالَ : « تَسَهَّرَ وَأَفْقَهَ زَوْجَتَهُ جُوعًا إِذَا سَهَرِ النَّاسِ شَبَعًا ، ثُمَّ لَا يَخَافُ مَعَ ذَلِكَ عَاجِلَ عَارٍ ، وَلَا آجِلَ نَارٍ ، كَالْبَهِيمَةِ أَكَلَتْ مَا جَمَعَتْ ، وَنَكَحَتْ مَا وَجَدَتْ »

✽

وَسَمِعَ أَعْرَابِي رَجُلًا يَرْعَى فَقَالَ : « وَيَحْكُ ! إِنَّمَا يَسْتَجَابُ لِمُؤْمِنٍ أَوْ مَظْلُومٍ ، وَلَسْتُ بِوَاحِدٍ مِنْهُمَا ، وَأَرَاكَ يَخْفَى عَلَيْكَ ثِقَلُ الذُّنُوبِ . فَيَحْسُرُ عِنْدَكَ مَقَابِحُ الْعُيُوبِ » .

وذكر أعرابي رجلاً بضعف فقال : « سيء الروية ، قليل التقيّة ، كثير السّمايّة ، ضعيف النّكايّة »

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « عليه كلّ يوم من فعله شاهدٌ يفسقه ، وشهاداتُ الأفعال ، أعدل من شهادات الرجال » .

وذكر أعرابي رجلاً بذلّة فقال : « عاش خاملاً ، ومات مؤثوراً » .

وقال أعرابي لرجل شريف البيت ، ذنى الهمة : « ما أحوجك أن يكون عِرْسُكَ لمن يصونه ، فتكون فوق ما أنت دونه » .

وذكر أعرابي رجلاً فقال : « إن حدّثته يُسأَبِّقك إلى ذلك الحديث ، وإن سكّته عنه أخذ في التّرهات^(١) » .

وذكر أعرابي رجلاً راكباً هواه فقال : « والله هو أقصد إلى ما يهواه ، من الطّريق إلى الميَاه ، أفقره ذلك أو أعناه » .

وقال أعرابي : « ليت فلاناً أقالني من حسن ظني به ، فأختم بصواب إذ بدأت بخطأ ، ولكن من لم تُحكِمه التجارب ، أسرع بالمدح إلى من يستوجب النّم ، وبالدم إلى من يستوجب المدح » .

[١] الترهات جمع ترهة : وهي الباطل .

وقال أعرابي لرجل: « هل أنت إلا أنت لم تتغير ؟ ولو كنت من حديد
مُحْمَى ومُوضِعَتَ على عَيْنٍ لم تَذُبْ » .

وقال أعرابي لأخيه: « قد كنتُ نهيئتُك أن تدنُسَ عِرْضَكَ بعرض فلان،
وأُعْلِمَكَ أَنَّهُ سَمِينُ الْمَالِ ، مهزول المروف ، مِنَ الْمَرْزُوقِينَ فَجَاءَ ، قصيرُ عمر
الْفَتَى ، طويل عمر الفقر » .

وقال أعرابي: « لا ترك اللهُ نُحَا في سَلَاتِي ^(١) نَافَةٍ حَمَلَتْنِي إِلَيْكَ ، وَلَدَّاعِي
عَلَيْهَا أَحَقُّ بِالْهَمَاءِ عَلَيْهِ ، إِذْ كَلَّفَهَا الْمَسِيرَ إِلَيْكَ » .

وذكر أعرابي رجلا فقال: « لا يُؤْنَسُ جَارًا ، ولا يُؤْهِلُ دَارًا ،
ولا يَنْعَثُ نَارًا » .

وذكر أعرابي امرأةً قبيحةً فقال: « تُرْخِي ذَيْلَهَا عَلَى عُرْفُوبِي نَمَامَةٍ ،
وَتُسَدِّلُ حَمَارَهَا عَلَى وَجْهِهَا كَالْجُعَالَةِ ^(٢) »

وقال أعرابي لامرأة: « وَاللَّهِ إِنَّكَ لَمُشْرِفَةُ الْأُذُنَيْنِ ، جَاحِظَةُ الْعَيْنَيْنِ ، ذَاتُ
خَلْقٍ مُتَضَائِلٍ ، يُمَجِّبُكَ الْبَاطِلُ ، إِنْ شَبِعْتَ بَطْرَتَ ، وَإِنْ جُمْتَ صَحْبَتَ ^(٣) ،
وإِنْ رَأَيْتَ حَسَنًا دَفَنْتِهِ ، وَإِنْ رَأَيْتَ سَيِّئًا أَذَغْتِهِ ، تَكْرِمِينَ مَنْ حَقَرَكَ ،
وَتُخَفِّرِينَ مَنْ أَكْرَمَكَ » . (المقدّم العدد ٣ : ٩٠ - ٩٣)

[١] السلايات : عظام الأصابع . [٢] الجمالة : خرقعة يقول بها القمحر .

[٣] الصعب : شدة الصوت .

وسأل أعرابي رجلاً غمره ، فقال له أخوه : « نزلتَ واللهِ بوادي غيرِ مَنطُورٍ ،
وأنتَ رجلاً بك غيرِ مسرور ، فلم تُذركَ ما سألتَ ، ولا نلتَ ما أملتَ ،
فارتَحِلْ بِنَدَمٍ ، أو أقيم على عَدَمٍ » . (القصد الفريد ٢ : ٩٢ ، وزهر الآداب ٢ : ٥٠)

ودخلت أعرابية على مَحْدُونَةٍ بنت المهدى ، فلما خرجت سئلت فقالت :
« والله لقد رأيتهما فإريت طائلاً ، كأن بطنها قِرْبَةٌ ، كأن نديها دُبَّةٌ ، كأن
استها رُقْمَةٌ ^(١) ، كأن وجهها وجهُ ديكٍ قد نَفَسَ ^(٢) عَفْرِيتَهُ يَقَاتِلُ دِيكًا » .
(القصد الفريد ٢ : ٩٢ ، والأمال ٢ : ١٥٦)

وذم أعرابي رجلاً فقال : « أَفْسَدَ آخِرَتَهُ بِصَلاحِ دُنْيَاهُ ، فَفَارَقَ مَا أَصْلَحَ
غَيْرَ رَاجِعٍ إِلَيْهِ ، وَقَدِمَ عَلَى مَا أَفْسَدَ غَيْرَ مُنْتَقِلٍ عَنْهُ ، وَلَوْ صَدَّقَ رَجُلٌ نَفْسَهُ
مَا كَذَّبَتْهُ ، وَلَوْ أَلْقَى زِمَامَهُ أَوْطَأَهُ رَاحِلَتُهُ » . (زهر الآداب ٢ : ٦)

قال الأصمى : سمعت أعرابية تقول لرجل تخاصمه : « والله لو صوّر الجهل
لأظلم معه النهارُ ، ولو صوّر العقلُ لأضاء معه الليلُ ، وإنك من أفضلهما لمُعَدِمٌ ،
تَخَفِ اللهَ واعلم أن من ورائك حَكَا لَا يَحْتَاجُ الْمُدْعَى عِنْدَهُ إِلَى إِحْضَارِ يَتْنَةٍ » .
(زهر الآداب ٣ : ١٦٣)

وقال أعرابي يَمِيبُ قوماً : « هُمُ أَقَلُّ النَّاسِ ذُنُوبًا إِلَى أَعْدَائِهِمْ ، وَأَكْثَرُهُمْ
جُرُماً إِلَى أَصْدِقَائِهِمْ ، يَصُومُونَ عَنِ الْمَعْرُوفِ ، وَيَقْطُرُونَ عَلَى الْفَحْشَاءِ » .
(البيان والتبيين ٣ : ٢٣٠ ، والقصد الفريد ٢ : ٩٠)



ووصف أعرابي رجلاً فقال : « صَغِيرُ الْقَدَرِ ، قَصِيرُ الشَّيْرِ ^(١) ، ضَيْقُ الصدر ، لَثِيمُ النَّجَرِ ^(٢) ، عَظِيمُ الْكِبَرِ ، كَثِيرُ الْفَخْرِ » .
(البيان والتبيين ١ : ١٥٧ ، والقند العريد ٢ : ٩١)



وذكر أعرابي أميراً فقال : « يَقْضِي بِالْمَسْوَةِ ، وَيُطِيلُ النَّشْوَةَ ، وَيَقْبَلُ الرِّشْوَةَ ^(٣) » .
(البيان والتبيين ٢ : ٥٠ ، والقند العريد ٢ : ٩١)



وسمع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه أعرابياً يقول : « اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَأُمِّ أَوْفَى » ، قال : « وَمَنْ أُمُّ أَوْفَى ؟ » ، قال : « أُمْرَأَتِي ، وَإِنِّهَا لَحَمَقَاءُ مِنْ قَامَةِ ^(٤) ، أَكُولُ قَامَتَهُ ^(٥) ، لَا تَبْقَى لَهَا حَامَةٌ ^(٦) ، غَيْرَ أَنَّهَا حَسَنَاءُ فَلَا تُفْرَكُ ^(٧) ، وَأُمُّ غِلْمَانٍ فَلَا تُتْرَكُ » .
(البيان والتبيين ٢ : ٤٧)



عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت امرأة من العرب تخاصم زوجها وهي تقول : « وَاللَّهِ إِنْ شَرِبْتَكَ لَأَشْتَفَا ^(٨) ، وَإِنْ ضَجَعْتَكَ لَأَنْجِمَا ^(٩) ، وَإِنْ شِمَلْتِكَ لَأَلْتَفَا ، وَإِنَّكَ لَتَشَجَّ لَيْلَةً تُصَافُ ، وَتَنَامُ لَيْلَةً تُخَافُ » ،

[١] الشر : القدر . [٢] الحر : الأصل . [٣] العشوة والنشوة والرشوة بتثنية الناء في الثلاثة ، العشوة : ركوب الأمر على غير بيان ، والنشوة : السكر ، والرشوة : الجعل والبرطيل « بكسر الناء » . [٤] الرطابة : العضة لعلها . [٥] قامة : اسم دمل ، من قة : أى أكل ما على الخوان كافتحه ، وقته : كفته : [٦] الحامة : الحاصة . [٧] فرك زوجته وفركته كسمع ، وكسر شاد : أعصته ، ورحل مفركه بالتشديد تنفضه النساء وامرأة مفركة : ينفضها الرجل . [٨] اشتفت ما في الإثاء : شربه كله . [٩] الانصاف : الاصرام .

فقال لها: «والله إنك لسكرَاء الساقين^(١)، فمَوَاء الفَحْذِينَ^(٢)، مَقَاء الرُّفْعَيْنِ^(٣)، مَقَاعَةُ الْكُشْحَيْنِ^(٤) ضَيْفُكَ جَائِعٌ، وَشَرُّكَ شَائِعٌ» . . (الأماي ١ : ١٠٤)

عن عبد الرحمن عن عمه قال: مرَّ أعرابي برجل يكنى أبا النمر - وكان ضخماً جسيماً ، وكان بواباً لبعض الملوك - فقال: أعين الفقير الحسير ، فقال: ما ألحف سائلكم ، وأكثر جائمكم ، أراحنا الله منكم ، فقال له الأعرابي: «لو فرَّق قوتُ جسمك في جِسوم عشرة منا ، لكفانا طعامك في يومٍ شهراً ، وإنك لمظيم السَّرَطَةِ^(٥) ، شديد الضَّرَطَةِ ، لو ذرَّيَ مَحَبَّتَكَ يَبْدُرُ ، لكففته ريحَ الجُزْيَاءِ^(٦)» . (الأماي ١ : ٢٢٦)

٦٤ - قولهم في الغزل

سئل أعرابي عن امرأه فقال: «هي أَرْقُ من الهواء ، وأطيبُ من الماء ، وأحسن من النعماء ، وأبعد من السماء» . (الأماي ١ : ٢٠١ ، والمقدِّريد ٢ : ٩٤)

وذكر أعرابي امرأة فقال: «لها جِلْدٌ من لؤلؤ ، مع رائحةِ الْمِسْكِ ، وفي كل عُضْوٍ منها شمسٌ طالمةٌ»

وذكر أعرابي امرأة فقال: «كأد النزال أن يكونها ، لولا ما تَمَّ منها وما نَقَصَ منه» .

[١] الكرواء : الدقيقه السابق .

[٢] المَوَاء : الدقيقه ، أو الدقيقه المحدثين ، وقيل : هي للتباعدة ما بين المحدثين (كلهواء) .

[٣] الرفع : أصل المحدث ، والمقاء : الدقيقه المحدثين ، أو الطويلة من اللق بالتحريك وهو الطول .

[٤] الكشاح : المتريحية ، والكشاح : الحاصران . [٥] الأماة من سرطه كسر وفتح : ابتلع

[٦] الحمة : الحمرنة . واليبدُر : الوضع الذي يداس فيه الحبوب ، والحرياء : ريح النبال الباردة .

وذكر أعرابي نسوة خرجن متزهات فقال : « وجوه كاللدنانير ، وأعناق
كأعناق اليعافير ^(١) ، وأوساط كأوساط الزناير ، أقبلن إلينا بجُجُول ^(٢) تحفُّق ،
وأوشحة تعلق ، وكم أسير لهن وكم مُطْلَق ^(٣) » .

﴿

ووصف أعرابي امرأة حسنة فقال : « تبسم عن خمس ^(٤) اللات ،
كأفاجي النبات ، فالسعيد من ذاقه ، والشقي من راقه »

﴿

وذكر أعرابي امرأة فقال : « هي السثم الذي لا بُرء منه ، والبرء الذي
لا سقم معه ، وهي أقرب من الحشا ، وأبعد من السما » .

﴿

ووصف أعرابي امرأة فقال : « بيضاء جمدة ^(٥) لا ينس الثوب منها
إلا مُشاشة ^(٦) كتفها ، وحلمة نديها ، ورصق ركبتيها ، ورائفتي
أليتيها ، وأشد :

أَبَتْ الرِّوَادِفُ وَالثَّدْيُ لِقَمَصِهَا مَسَّ البطون وأن تمس ظهوراً
وإذا الرياح مع العشي تناوحت نبهن حاسدة وهجن غيوراً

[١] اليعافير جمع يعمور : وهو ولد القرة الوحشية . [٢] الجُجُول جمع جُل بالكر والفتح :
وهو الخملان ، والأوشحة جمع وشاح بالضم والكسر : أديم عرس يرمع بوجهه ، تشبه امرأة بين
عافها وكشحبها . [٣] حش ، والأفحى جمع أفحون بالضم : وهو من ضب الزبح حوله ورق
أيس ، ووسطه أسعر ، ورفقه : أنجمه .

[٤] الحد من الشعر خلاف السط ، أو انحصار منه ، ورجل جمدة الشعر والأنثى جمدة ، والجمدة أيما
المدح احلق الختم يصبه إلى من ، والحد إذا دمر به مدح اللوح لله مميان مستجاب : فحدها أن
يكون مصوب . حوات شديد الأسر والحاق دير مسترح ولا مضطرب ، والندى أن يكون شعره جديداً غير
سيط لأن سدوطة الشعر هي الأنثى على شعور المحم من لوم والمرس ، وجمدة الشعر هي الأنثى على
شعور العرب . [٥] المشاشة : رأس المظم ، والرصب : عقدة في الزكة كالأصابع المصبومة قد أخذ
بصها منها ، ورامة : غسل الألية عند القيام .

✱

وذكر أعرابي امرأة فقال : « تلك شمس باهت بها الأرضُ شمسَ سماءها ،
وليس لي شفيح في اقتضاها ^(١) ، وإن نفسي لكتوم لداها ، ولكنها تفيض
عند امتلائها » .

✱

وقال أعرابي في امرأة ودعها للمسير : « والله ما رأيت دمة ترقرق من
عين يائمد ^(٢) على دياحة خد ، أحسن من عبرة أمطرها عينها ، فأعشت
بها قلبي » .

✱

وقال أعرابي : « إن لي قلباً مروعا ^(٣) ، وعينا دموعاً ، فإذا يصنع كل
واحد منهما بصاحبه ، مع أن داءهما دواؤهما ، وسنةُهما شفاؤهما ؟ » .

✱

وقال أعرابي : « ما أشدَّ جولة الرأي عند الهوى ، وفطام النفس عن الصبا !
ولقد تقطعت كبدي لآلوم العاذلين للعاشقين قرطه في آذانهم ، ولوعات الحب
نيران في أبدانهم ، مع دموع على المعاني ^(٤) ، كثرُوب السواني » .

✱

وذكر أعرابي امرأة فقال : « لقد نعمت عينٌ نظرت إليها ، وشقي قلب
تفجع عليها ، ولقد كنت أزورها عند أهلها ، فيرحب بي طرفها ، وينجمني
لسانها » قيل له فما بلغ من حبك لها ؟ قال : « إني ذاكر لها ويني وبينها
عدوة الطائر ، فأجد لذكرها ريح المسك » .

[١] اقضى ديه وتعاصاه بمعنى . [٢] الأعد : الكحل ، والدياحة : الحد . [٣] مروعا .
[٤] المعاني جمع معى : وهو الغزل ، والعروب جمع عرب كشمس : وهو الدلو الطبية ، والسواني جمع
ساية : وهي الناقة يقي عليها ، والرب وأداته .

وقال أعرابي : « اُتَوَى هَوَانٌ ، ولكن غُلِطَ بِاسْمِهِ ، وإنما يعرف من يقول ، من أَبَكَّتْهُ الْمَنَازِلُ وَالطُّلُولُ » .

وذكر أعرابي امرأة فقال : « إن لسانِي لَدِكْهَا لَدَلُولٌ ، وإن جِبَّهَا لِقَلْبِي لَقَتُولٌ ، وإن قَصِيرَ اللَّيْلِ بِهَا لَيَطُولُ » .

ووصف أعرابي نساء بيلاعة وجمال فقال : « كَلَامُهُنَّ أَقْتَلُ مِنَ النَّبْلِ ، وَأَوْقَعُ بِالْقَلْبِ مِنَ الْوَبْلِ بِالْمَحَلِّ ، فَرَوْعُهُنَّ أَحْسَنُ مِنْ فُرُوعِ النَّخْلِ » .

(القمد العريد ٢ : ٩٣ - ٩٥)

وقال أعرابي : « دخلت البصرة ، فرأيت أعيناً دُجَّجاً ^(١) ، وَحَوَاجِبَ زُجَّجاً ، يَسْتَحِبُّنَ التِّيَابَ ، وَيَسْلُبُنَ الْأَلْبَابَ » (القمد العريد ٢ : ٩٣ ، وزهر الآداب ٣ : ١٧)

وذكر أعرابي نساء فقال : « ظَلَمْتُ ^(٢) فِي سَوَافِهِنَّ طُولُ ، غَيْرِ قِيَعَاتِ الْعُطُولِ ^(٣) ، إِذَا مَشَيْتِ أَسْبَلُنَ الذُّيُولَ ، وَإِنْ رَكِبْتِ أَثْقَلُنَ الْحُمُولَ ^(٤) » .

(زهر الآداب ٣ : ١٧)

وقال أعرابي : « لَقَدْ رَأَيْتِ بِالْبَصْرَةِ بُرُوداً كَأَنَّهَا صُبَّتْ بِأَنْوَارِ الرَّيْعِ ، فَهِيَ تَرُوعُ ^(٥) ، وَاللَّابِسُ لَهَا أُرُوعٌ » .

(القمد العريد ٢ : ٩٦)

[١] دجج جمع دججاء ، وصف من أذبح التحريك : وهو سواد العين مع سحبا . ورد جمع رده من الرشح والتحريك أيضاً : وهو دقة الحاجبين و طول .

[٢] ظلمات جمع ظلمة : و ظلمية و الأصل وصف المرأة في مودعها ثم سميت بهذا الاسم وإن كانت في بيتها لأنها تميز بضعفها ، وهي صفة عمو معروفة لأن روحها يخلص بها ، والسؤال جمع سألعة : وهي ناحية مقدم الحق من ذن ماضي القمط إلى فترة الترقوة . [٣] عطلت ترقوة كمرح عطلا بالتحريك وعضولا إذا لم يكن عليها حلى . [٤] حمول : الحوادث ، أو الإبل عليها الحوادث جمع حمل بالكسر ويفتح . [٥] ترعج .

ن : وقال أعرابي : « شَيْعَنَا الْحَيَّ وَفِيهِمْ أَدْوِيَةُ السَّقَامِ ^(١) ، فَقَرَأَنَّ بِالْحَدَقِ
السَّلَامَ ، وَخَرِسَتْ الْأَلْسُنُ عَنِ الْكَلَامِ » .
(الأمال ٢ : ٥٠)

وستلت أعرابية عن الهوى فقالت : « لَا مُنْعَ الْهَوَى بِمَلَكِهِ ، وَلَا مُلَى ^(٢)
بِسُلْطَانِهِ ، وَقَبَضَ اللَّهُ يَدَهُ ، وَأَوْهَنَ عَضْدَهُ ، فَإِنَّه جَائِرٌ لَا يُنْصَفُ فِي حَكْمٍ ، أَعْمَى
لَا يَنْطِقُ بِمَدَلٍ ، وَلَا يُقَصِّرُ فِي ظَلَمٍ ، وَلَا يَرْعَى لَدَنِّمْ ، وَلَا يَنْقَادُ لِحَقٍّ ، وَلَا يُنْقِي
عَلَى عَقْلٍ وَفَهْمٍ ، لَوْ مَلَكَ الْهَوَى وَأَطْلَعَ ، لَرَدَّ الْأُمُورَ عَلَى أَدْبَارِهَا ، وَالْدُنْيَا عَلَى أَعْقَابِهَا »

وستل أعرابي عن الهوى فقال : « هُوْدَاءُ تُدَاوِي بِهِ النُّفُوسَ الصَّخَّاحَ ،
وَتَسْلُ مِنْهُ الْأَرْوَاحَ ، وَهُوَ سَقَمٌ مُكْنَتَمٌ ، وَحَيْمٌ ^(٣) مُضْطَرِمٌ ، فَالْقُلُوبُ لَهُ
مُنْضَجَةٌ ، وَالْعِيُونُ سَاكِتَةٌ » .
(رهر الآداب ٣ : ١٨)

ووصف أعرابي امرأه يحبها فقال : « هِيَ زِينَةُ الْخُضُرِ ، وَبَابٌ مِنْ أَبْوَابِ
السَّرُورِ ، وَلَدِّ كُرْهَا فِي الْمَغِيبِ ، وَالْبَعْدِ عَنِ الرَّقِيبِ ، أُنْهَى إِلَيْنَا مِنْ كُلِّ وَلَدٍ
وَلَسِيْبٍ ، وَبِهَا عُرِفَ فَضْلُ الْخُورِ الْإِمِينِ ، وَاشْتَقَّ بِهَا إِلَيْنَا يَوْمَ الدِّينِ » .
(رهر الآداب ٣ : ٢٤٤)

ووصف أعرابي لسانه فقال :
« يَلْتَمِسُنَ عَلَى السَّبَائِكِ ^(٤) ، وَيَتَسَخَّنَ عَلَى النَّيَّازِكِ ^(٥) ، وَيَأْتُرِرُنَ

[١] أي الحيوانات الداوية للسقام .

[٢] ملاه الله حبه فقيه : دمه به وأطاشه معه طويلا . [٣] الحيم : الماء الحار . وفي الأصل :
« وحيم » وراه محرفا عن حيم ، وباسمه قوله - « والعيون ساكنة » .

[٤] على . . . ولانها على طرف الألب ، لمت المرأة ولدت ، والساكن ها الأسنان شهبها
لباصرام . . . [٥] ليبارك جمع يرك جمع . وهو الزنج القصير .

على العوانك^(١)، وَيَرْتَقِنَ على الأرائك^(٢)، ويتهاذى على الدرائك^(٣)،
ابتسامهن وميض، عن وليح كاذغريض^(٤)، وهن إلى الصبا صور، وعن
الحنا نور^(٥) . (الأمال : ١ : ٤٤، وررر الأداب : ٢ : ١٨)

قوالهم في الوصف

٦٥ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سئل أعرابي عن مطر فقال :

« استقل سُدُمع انتشار الطعل^(١)، قَسَمَا وَاحْرَا^(٢)، ثم اكْفَهَرَتْ
أَرْجَاؤُهُ، وَانْحَوَمَتْ أَرْحَاؤُهُ، وَابْدَعَتْ فَوَارِقُهُ^(٣)، وَفَضَّاحَكَتْ بَوَارِقُهُ،
وَاسْتَطَارَ وَادِقُهُ، وَأَرْتَقَتْ جَوْبُهُ . وَرَتَقْنَ هَيْدَبُهُ^(٤) . وَحَسَكَتْ أَخْلَافُهُ،
وَاسْتَقَلَّتْ أَرْدَافُهُ، وَانْتَشَرَتْ أَكْثَافُهُ^(٥) . فَارْعَدَ مَرْجَبُجِسٌ، وَالْبَرْقُ مُخْتَلِسٌ،

[١] السُدُمع جمع فاك . وهو دوس مطعد يقي فيه لشعر لا يدور على السمر .

[٢] الأرائك جمع ركة وهي حُرُر أو عُرُش ، ارتفق . رَفَعَتْ عَنِّي مِرْمِي يَدِهِ ، أُرْطَى عِدَّة .

[٣] يتهاذى : يتشبه مشبه مفعول ، والذرك : حديد جمع ذرير كالمعمر ، وذو كركر .

[٤] لوميس : المهادن الحُر ، وديع : حُر ، كانه بعد البؤس في شدة حره . هـ شمر صف
شمرأه : وتسم عن بركاويح ، والاعريض : شع حديد يشق منه كهوده ، ورد (تبرك ارا) .

[٥] صور : موال ، وهه قبل الجبال . حق أصور ، وحر : حديد من أربعة جمع بواركعلاء .

[٦] استقل : ارتفع ، ولند : السحاب الذي يد لأفقي ، وهه : حديد من حديد العرب .

[٧] شدا اربع ، واحرأه منه . راء : السحاب من حبل : الذي يركب منه حصه ،
وأرحؤه : نواحيه جمع رحكعلاء ، واحومت : سودت ، وأرحؤه : أمدحه جمع رحكعلاء ، واسعت
نرتق : واسوارق جمع فرق ، وهو السحاب الذي يقطع من معه السحاب ، وشله في الليل ، ينال
نقة فرق : وهي التي تدعى الإبل عند داحها .

[٨] استطار : امدح ، وادوق الذي يكون فيه ورق (كشمس) وهو لمض لمض مطر ، وارتقت
الأمات ، وجوبه : مرجه ، وارتقى : استرجى ، والمهيب : الذي تتدل ويهول من كرمش من مطرة .

[٩] حكت : امدحت ، وأحلاف جمع حبل كحل ، وهو سفة كالفرع لعمرة ، أردمه : ما تحيره
والأكسف : اوسى .

والماء مُنْبِغِسٌ ^(١) ، فَاتَرَعَ الْغُدُرُ ، وَانْتَبَتَ الْوُجُرُ ^(٢) ، وَخَلَطَ الْأَوْعَالَ
بِالْأَجَالِ ، وَقَرَنَ الصِّرَانَ بِالرِّتَالِ ^(٣) ، فَلَأَوْدِيَةَ هَدِيرٍ ، وَلِلشَّرَاحِ خَرِيرٍ ، وَلِلتَّلَاعِ
زَفِيرٍ ^(٤) ، وَحَطَّ النَّبْعُ وَالْمُنَمُّ ، مِنَ الْقُلُلِ الشَّمِّ ، إِلَى الْقِيَمَانِ الصَّخْمِ ^(٥) ، فَلَمْ
يَبْقَ فِي الْقُلُلِ إِلَّا مُنْصِمٌ مُتَجَرِّمٌ ، أَوْ دَاحِضٌ مُتَجَرِّمٌ ^(٦) ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ
الْعَالَمِينَ ، عَلَى عِبَادِهِ الْمُذْنِبِينَ . (الأمل : ١ : ١٧٣)

٦٦ — أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال: سمعت أعرابيا من غنيّ يذكر مطرا أصاب ^(٧) بلادهم في
غيبٍ جذب فقال :

« تَدَارَكَ رَبُّكَ خَلْقَهُ ، وَقَدْ كَلَيْتِ الْأَنْحَالَ ، وَتَقَاصَرَتِ الْآمَالُ ، وَعَكَفَ
الْيَاسُ ، وَكَطِطَتِ الْأَنْفَاسُ ، وَأَصْبَحَ الْمَاشِيُّ مُضَرِّمًا ^(٨) ، وَالتَّرْبُ مُعْدِمًا ،

[١] مرتجس : مصوّت من الرّس كمثل وهو الصوت ، محتلّس : كأنه يحنّس البصر لشدة إمانه ،
متنجس : معبر .

[٢] أنزع : ملأ والعذر جمع عدير ، والوجر جمع وجار ككتاب وسحاب وهو حجر الضع والثعلب ،
وانبت : أخرج سيقنها وهو تراب الثّر والقبر ، أي أنه لشدة هدم الوحر حتى أخرج ما دأخلها من التراب .
[٣] الأوعال جمع وعل ، (كنس وكنت ودثل) : التيس الحلي ، والآجال جمع أجل كمثل وهو
القطيع من البقر أي أنه لشدة جمع بين الوحول — وهي تسكن الحبال — وبين البقر — وهي تسكن القيعان
والرمال ، والصيران جمع صوار كضفادع ، وصيار ككتاب وهو القفاجين من البقر ، والرتال جمع رالك كشمس
فرخ النعام ، فالرتال تسكن الحلد (مالتريك وهي الأرض الصلبة المستوية اللينة) والصيران تسكن الرمال
والقيعان ، فقرن بينهما .

[٤] هدير : أي صوت كهدير الابل ، الشرح جمع شرح كشمس وهو يبل الماء من المرة إلى السيل
والتلّاع : مسابيل الماء من الجبال حتى ينصب في الوادي . [٥] السح : شجر يتحد منه القسي يمتد في
الحبال ، والتمم : الزيتون الحلي كقفل وعق ، والقلل : أغالي الجبال جمع قلة كمرسة ، والدم : الرععة
جمع شهاب ، والقيعان جمع قاع : وهي أرض سهلة مطشاة قد أدرجت عنها الحبال والآكام ، والصخم : التي تعالوها
حرة جمع أمخم . [٦] المنصم : الذي قد تسك بالحلل وامتنع فيها (ويقال للرجل الذي يسلك برف فرسه
حرف القنوط : معصم) محرم : متقبص ، الداحض : الذي يهضم رجليه عند الموت ، والمجرم : للصرور .
[٧] صاب : حاد ، وكلت : اشتدت ، والأنحال جمع محل كشمس وهو القطع ، وعكف : أقام .
[٨] الماشي : صاحب الماشية ، مشى الرجل وأمشى : كثرت ماشيته ، والصرم : القارب المال للقل ،

وَجَفِيَتْ الْحَلَالِلُ ، وَأَمْثَلَتْ الْقَائِلُ ، فَأَنْشَأَ سَجَابِرُ كَأَمْ^(١) ، كَنْهَوْرًا سَجَامًا ،
بُرُوقَهُ مَنَاقِقَ ، وَرُعُودَهُ مُتَقَعِّمَةً ، فَسَجَّ سَاجِيًا^(٢) رَاكِدًا ، ثَلَاثًا غَيْرَ ذِي قُرَاقٍ ،
ثُمَّ أَمَرَ رَبُّكَ الشَّمَالَ ، فَطَلَحَتْ^(٣) رُكَامَهُ ، وَفَرَّقَتْ جَهَامَهُ ، فَاتَّقَشَعَ مَحْمُودًا ،
وَقَدْ أَحْيَا وَأَغْنَى ، وَجَادَ فَأَرْوَى ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُسَكَّتْ نِعْمَتُهُ ، وَلَا تُنْقَدُ
قِسْمَتُهُ ، وَلَا يُخَيَّبُ سَائِلُهُ ، وَلَا يَنْزُرُ^(٤) نَائِلُهُ . (الأمالي : ١ : ١٧٦)

٦٧ - أعرابي يصف مطرا

عن الأصمعي قال : « سألت أعرابيا من بني عامر بن صعصعة عن مطر
صَابَ بِلَادِهِمْ فقال :

« نَشَأَ عَارِضًا^(١) ، فَطَلَعَ نَاهِضًا ، ثُمَّ ابْتَسَمَ وَامِضًا ، فَأَعَسَ فِي الْأَنْطَارِ
فَأَسْجَاهَا ، وَامْتَدَّ فِي الْآفَاقِ فَمَطَّأَهَا ، ثُمَّ ارْتَجَزَ^(٢) فَهَمَّهَمْ ، ثُمَّ دَوَّى فَأَظْلَمَ ،

وانترب الغنى لدى له الدل من التراب كثرة ، يقال : أثرب الرجل إذا كثرت ماله (وقل أيضا . ضد)
وترب كعرج إذا انتفركأه لصق بالتراب ، وانتهت : استندمت واعتصمت ، والقائل جمع عقبة ، وأشا
أحدث ، والشمس . السحاب أول ما يخرج .

[١] الرزم : التراكم ، والكهفور من السحاب قطع كأشها الحال ، أو التراكم منه ، واحده كتهورة ،
وسحاب : صباب ، ومثاقمة : لامة ، ومتقعة : مصوغة .

[٢] سج : صب ، ساجي : ساكنا . راكدا : ثابتا ، واء وافي : أل يصب صبة ثم يسكن ، ثم يصب
أخرى ثم يسكن ، أحود من عراق الساق وهو ما بين الحنينين ، كأه يجلب حلة ثم يسكن ، ثم يجلب أخرى
ثم يسكن . [٣] طلحت : أددت وأعست ، والمهام . السحاب الذي قد هراق مائه ، نكت : نغصص .
[٤] يزر : يجل ، ومه قيل : امرأة برور : إذا كانت قليلة الولد .

[٥] الطارس : السحاب المتحرك في الأفق ، ويوصف برق كوعده : لمع حميم ، ولم أند في كثرته
« أعس » وإت الذي فيها « عس » السحاب : داس الأرض « وأسها » عطاها ، وفي لأصل « أسها »
نادا ، وهو تصحيف . [٦] ارتجز الرعد : صلت ، وارتجز السحاب : تحرك بعثت كثرة مائه ،
رهمهم رعد : إذا سمعت له دوا ، ولهممة . كل صوت معه نجح ، وأرتج : في ريد ، مع راء ويكسر
وهو المنظر القليل أو هو موق الدث ، ولدت « متج » الغمر الضيف ، والامعة ناتج . « الغرة الضيعة
وقد حثت السماء كبح ، والاحتش » نشر حميف وهو موق الزداد ، طشت الله كسبر وصرب

فَأَرْكَ وَدَثْ ، وَبَعَثَ وَطَشْ ، ثُمَّ قَطَّقَطْ ^(١) فَأَفْرَطْ ، ثُمَّ دَيْمَ فَأَنْعَمَطْ ، ثُمَّ رَكَدْ
فَأَنْجَمَ ، ثُمَّ وَبَلَ فَسَجَمَ ، وَجَادَ فَأَنعَمَ ، فَقَمَسَ الرُّبَا ^(٢) ، وَأَفْرَطَ الزُّبَى ، سَبَعَا
تَبَاعَا ، مَا يَرِيدُ انْتِشَاعَا ، حَتَّى إِذَا ارْتَوَتْ الْحُزُونُ ^(٣) ، وَتَضَحَّضَتْ الْمُتُونُ ،
سَاقَهُ رَبُّكَ إِلَى حَيْثُ شَاءَ ، كَمَا جَلَبَهُ مِنْ حَيْثُ شَاءَ . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٤٩)

٦٨ - ثلاثة غلبة من الأعراب يصفون مطرا

عن الأصمعي قال : مررت بِنِفْلَةٍ مِنَ الْأَعْرَابِ يَتِمَّاقُونَ ^(١) فِي غَدِيرٍ ، فَقُلْتُ
لَهُمْ : أَيُّكُمْ يَصِفُ لِي الْغَيْثَ وَأَعْطِيهِ دِرْهَمًا ؟ فَخَرَجُوا إِلَى قَعَالُوا : كُلُّنَا ، وَهُمْ ثَلَاثَةٌ ،
فَقُلْتُ لَهُمْ : صِفُوا ، فَأَيُّكُمْ ارْتَضَيْتَ وَصْفَهُ أَعْطَيْتَهُ الدِّرْهَمَ ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ :
« عَنْ لَنَا عَارِضٌ قَصْرًا ^(٢) ، تَسْوِقُهُ الصَّبَا ، وَتَحْدُوهُ الْجَنُوبُ ، يَحْبُو حَبُوبُ
الْمُتَنِيكِ ^(٣) ، حَتَّى إِذَا ارْلَأَمَتْ ^(٤) صُدُورُهُ ، وَاتَّحَلَّتْ خُصُورُهُ ، وَرَجَعَ
هَدِيرُهُ ، وَصَعَقَ زَبِيرُهُ ، وَاسْتَقَلَّ نَشَاصُهُ ^(٥) ، وَتَلَامَّ خَصَاصُهُ ، وَارْتَجَعَ

[١] العطف بالكسر : المطر التائب المطيم القطر ، وقد قططت السماء ، والذبة بالكسر : مطر
يدوم في سكون ملازم وبرق ، أو يدوم أياما ، وقد ديمت السماء ، أعطط : دام ولازم ، وأنحمت
السماء : أسرع مطرها ودام ، والويل : المطر الشديد الضخم القطر ، وقد ولت السماء كوعده : أمطرت ،
وسم كدخل : سال وانصب . [٢] قس الزبا : كسر وصر : عوصها ، وأرطها : ملأها
حتى فاست ، والزبا جمع ربة كمرصة ، وهي الزاية لا يملؤها الماء ، وحررة تمر لصيد الأسد (وهو
الراد هنا) سميت بذلك لأنها كانوا يحرقونها في موضع طاق .

[٣] المروون جمع حرن ككس وهو المبط من الأرض ، والتون جمع ، منه كشس : وهو ما صلب من
الأرض وارتفع ، والضمض والضمض : الماء القليل ، وقيل هو ما لا يرق فيه ، وقيل هو
الماء إلى الكمين أو إلى أصاب السوق - وفي لغة هذيل الكثير - وقد تصبض الماء ، والتضضض
أيضا جرى السراب ، تضضض إذا تفرق .

[٤] يماطون في الماء . [٥] عن : حرس ، والقصر : العنق ، والصا : ربح تهب من مطلع الشمس إذا
استوى الليل والهار . [٦] عك الرمل كسر : تهدد وارتفع فلم يكن فيه طريق ، وردة عاك : فيها
تهدد لا يقدر السير على الشيء إلا أن نحو ، واعتك المير واستك : حيا في النالك فلم يقدر على السير
وقد روية : أوديت إذ لم تحب حيو العتك .

[٧] ارلأمت : ارتفعت ، والحصور جمع خصر : وهو وسط الإنسان ، والرجيع : ترديد الصوت في
الحلق . [٨] النشاس ككتاب وسحاب : السحاب للرفع ، أو الرتمع بعضه فوق سمن وحصاصه :

ارتصاصه ، وأوقدت سِقَابَهُ ^(١) ، وامتدت أطنابُه ، تدارك وَدُثُه ، وتأتى بَرَقَه ،
وَحَفَزَت تَوَالِيَه ^(٢) ، وَأَنْسَفَت عَزَالِيَه ، فنادر التَّزَى عَمْدًا ^(٣) ، وَالْعَزَازُ نَمْدًا ،
وَالْحُثَّ غَيْدًا ^(٤) ، وَالضَّحَاصِصَ مَتَوَاصِيَه ، وَالشَّعَابَ مَتَدَاعِيَه .

وقال الآخر : « تَرَاءَتِ الْمَخَايِلُ ^(٥) مِنَ الْأَفْطَارِ ، تَحْنُ حَيْنَ الْعِشَارِ ،
وَتَرَامِي بِشُهْبِ النَّارِ ، قَوَاعِدُهَا مِتْلَاحِكَةٌ ^(٦) ، وَبَوَاسِقُهَا مِتْضَاحِكَةٌ ، وَأَرْجَاؤُهَا
مِتْقَاضِفَةٌ ، وَأَعْجَازُهَا مِتْرَاضِفَةٌ ، وَأَرْجَاؤُهَا مِتْرَاضِفَةٌ ، فَوَصَلَتِ الْغَرْبَ بِالشَّرْقِ ،
وَالْوَبْلَ بِالْوَدْقِ ، سَحَّادَرًا كَأَنَّ ^(٧) ، مِتَابِعًا لَكَاكًا ، فَضَخَصَتِ الْجَفَافُجُ ^(٨) ،
وَأَنْهَرَتِ الصَّفَافِصِفَ ، وَخَوَّضَتِ الْأَصَالِفَ ، ثُمَّ أَقْلَمَتِ مَحْمُودَةَ الْآثَارِ ،
مَوْثُوقَةَ الْخِيَارِ .

فرحه ، وأصله الفرج بين الأُتَى والتمن الصبر وكل حلال أوجرق في حب ومنجل وبرق ونحوه ، وارتفع :
ارتعد ، وارتطمى : تفلَّى واضطى ، وارتطمى الريح : اشتد اغتراره .

[١] أوهنت : أفرقت ، والسقاب جمع سق كشم وهو عمود الحاء ، والأطاب جمع طب كطب وهو
جبل طويل يشد به الوتر . [٢] حمرة كغمره : دفعه من خلفه ، والتوالى : الأعجاز والملاحير ، والمرامى
كسر اللام وفتحها جمع هراء : وهي مصب الماء من الزاوية ونحوها ، واسفحت : أهدت ، من سفح الدم
أراقه . [٣] عهد التزى كمر : لله المنار حتى إذا قصت عليه تنقر لدوته ، والمرامى : الأرض المسية
مكأن ثد : تد من الشاد بالتحريك وهو الذي . [٤] الحث : الياس الحث من الزمن ، وعرة ككف
وحل منقعة من الرمل وتراكم ، والضخص كحفر والضخصاح : الله اليسير ، متوامة : متواصل ، وشعاب
جمع شعبة كغمره : وهي المسيل في الرمل ، ومعظم من سواقي الأودية ، وصنع في الحبل يأوي به المغر .
[٥] محال جمع عيلة : ضم للميم وكسر الحاء ، راحيلة وراحيلة : تشديد الياء المكسورة « السحرة »
التي تحبسها ماطر ، والمشار جمع هراء كهراء : وهي العلة التي يرمى بها عرة أشبر : زنادية ،
أو هي كالصاء من الصاء ، والغيب جمع شهاب ككتاب : وهو شدة من نار سافهة .

[٦] قواعدها : أسافلها ، وأصله من قواعد البيت : أي أساسه ، متلاخكة : أي قد اشتدت شملها ،
والتلاخكة : الدقة الشديدة الخلق ، وبواسطها : أظالمها جمع نسقة ، من سق : شيطان وروع ، وضاحكة :
أي يصحك فيها ريقها ، متقادة : أي يقذف بعضها بعضا ، فطر : وأرجوعا : أوسدها ، متروسة : متراكمة
قد رصب بعضها فوق بعض . [٧] أي صبا متناه ، وكذا : تترامى بسكك ككتاب وهو رجم .
[٨] الجحف جمع حنك كحفر : وهي الأرض المربعة ليس بالديقة ، وحصبها : حصبها بمصبوح ،
والضفاف جمع مصف كحفر : وهو للتوى من الأرض ، وأبر الله : أفسده ، والأصناف : عده :
ما صاب من الأرض ، وجمع أماد ، وحوست حطت في حياصا .

فقال الثالث : وأقْبَهُ مَا حَلَّتْهُ بَلَغَ مُخْسَاً ، فقال : هَلَمْ الدَّرْهُمُ أَصِفُهُ لَكَ ، فقلت : لا ، أَوْ تَقُولُ كَمَا قَالَا ، قال : لَا بُدَّ لِي مِنْهُمَا ^(١) وَصَفَا ، وَلَا وَفَّقْتُهُمَا رَضَفَا ، فقلت : هَاتِ لِي أَبُوكَ ، فقال : « بَيْنَمَا الْحَاضِرُ بَيْنَ الْبَاسِ وَالْإِبْلَاسِ ، قَدْ غَمَّرَ الْإِشْفَاقُ ، رَهْبَةً الْإِمْلَاقِ ، وَقَدْ جَفَّتِ الْأَنْوَاءُ ^(٢) ، وَرَفَرَفَ الْبَلَاءُ ، وَاسْتَوَى الْقَنْوُطُ عَلَى الْقُلُوبِ ، وَكَثُرَ الْاسْتِغْفَارُ مِنَ الذُّنُوبِ ، ارْتَاحَ رَبُّكَ لِعِبَادِهِ ، فَأَنْشَأَ سَحَابًا مُسْتَجِيرًا ^(٣) كَسَتْهُوَراً مُعْنَوْنِكَا مُخْلَوْلِكَا ، ثُمَّ اسْتَقَلَّ وَأَخْزَأَلَ ، فَصَارَ كَالْمَاءِ دُونَ السَّمَاءِ ، وَكَالْأَرْضِ الْمَذْخُوءَةُ ^(٤) فِي لُوحِ الْمُهْوَاءِ ، فَأَحْسَبَ الشُّهُولَ ، وَأَتَانَقَ الْمُجُجُولَ ، وَأَحْيَا الرِّجَاءَ ، وَأَمَاتَ الصَّرَاءَ ، وَذَلِكَ مِنْ فَضْلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ » .
قال : فَلَا وَاللَّهِ يَفِغُّ صَدْرِي ، فَأَعْطَيْتُ كُلَّ وَاحِدٍ دِرْهَمًا ، وَكَتَبْتُ كَلَامَهُمْ .
(دُرُوحُ الْأَرْب : ٣ : ٢٥٢)

٦٩ - أَعْرَابِي يَصِفُ مَطَرًا

عَنِ الْأَصْمَعِيِّ قَالَ : سَأَلْتُ أَعْرَابِيًّا عَنْ مَطَرٍ صَاحَهُمْ بَعْدَ جَذْبٍ فَقَالَ :
« ارْتَاحَ لَنَا رَبُّكَ بَعْدَ مَا اسْتَوَى عَلَى الظَّنُونِ ، وَحَامَرَ الْقَلْبَ الْقَنْوُطُ ، فَأَنْشَأَ بَنُوهُ الْجَبْهَةَ ^(٥) قَرْعَةً كَالْفَرْصِ مِنْ قِبَلِ الْعَيْنِ ، فَاحْزَأَلَتْ عِنْدَ تَرْجُلِ النَّهَارِ ،

[١] دَهْ : فَاتَهُ وَغَلَّه ، وَالْحَاضِرُ : سَاكِنُ الْمَقَرِّ ، وَالْبَاسُ : الْعِدَابُ وَالشَّدَّةُ ، وَالْإِبْلَاسُ : الْبَحِيرُ وَالْيَاسُ ، وَالْإِشْفَاقُ : الْحُوفُ ، وَالْإِمْلَاقُ : الْعَاقَةُ . [٢] الْأَنْوَاءُ : جَمْعُ نَوْدٍ : وَهُوَ فِي الْأَصْلِ سَقُوطُ النَّيْمِ فِي الْعَرَبِ مَعَ الْغَرِّ وَطُلُوعِ آخِرِ يَقَاطِئِهِ فِي سَاعَتِهِ مِنَ الْمَشْرِقِ ، وَكَانَتْ الْعَرَبُ تَقْصِفُ الْأَمْطَارَ وَالرِّيحَ وَالْمُرُورَ بِالدَّرِّ إِلَيْهَا . [٣] مُسْتَجِيرًا : لَمْ أَحْدِثْ هَذِهِ الْكَلِمَةَ فِي كِتَابِ الْقَلَمَةِ ، وَرَبَّمَا كَانَ الْأَصْلُ : « مُسْتَهْرًا » مِنْ اسْتَهَرَ النَّفْسَ إِذَا اتَّعَسَ ، وَالْمُخْلَوْلَاكَ : الشَّدِيدَ السَّوَادِ ، وَقَدْ تَلَمَّحَ مَعِيَ اعْتِكَافُكَ وَاسْتَمْسَكَ ، وَاعْبُوكَ أَعْمَلُ مِنْ هَذِهِ الْمَادَّةِ ، وَلَمْ أَحْدِثْ فِي كِتَابِ الْقَلَمَةِ . [٤] الْيَسُودَةُ ، وَاللُّوحُ : الْمُهْوَاءُ وَأَحْسَبُهَا : أَرَوَاهَا ، مِنْ أَحْسَبَ إِذَا أَمْلَسَهُ وَسَفَاهَ حَتَّى نَسِيَ وَرَوَى ، وَأَتَانَقَ : مَلَأَ ، وَالْمُجُجُولُ : جَمْعُ هَيْجَلٍ كَشَمْسٍ : وَهُوَ الْمَطْفُوعُ مِنَ الْأَرْضِ ، وَالْبَيْعُ وَالْيَابَعُ : الشَّابُّ .
[٥] الْجَبْهَةُ : دُرُلٌ لِقَمَرٍ : ثَرَعَةٌ : قِطْعَةٌ مِنَ الْحَبَابِ ، وَالْعَرَصُ : اِتْرَسَ ، وَالْعَيْنُ : الْكَلْبَةُ ، وَتَرْجُلُ النَّهَارِ : ارْتَفَعَ .

لَا زَمِيمَ السِّرَارِ^(١) ، حَتَّى إِذَا نَهَمَّتْ فِي الْأَفْقِ طَالَعَةٌ ، أَمَرَ مَسْغَرَهَا الْجَنُوبُ
فَتَنَسَّمَتْ لَهَا ، فَانْتَشَرَتْ أَحْصَانُهَا ، وَأَتَحَمَّوَتْ أَرْكَانُهَا ، وَبَسَقَ غَنَانُهَا^(٢) ،
وَكَفَهَرَتْ رَحَاهَا ، وَانْبَجَتْ كَلَاهَا ، وَذَنَرَتْ أَخْرَاهَا أَوْلَاهَا ، ثُمَّ امْتَطَارَتْ
عَقَائِقُهَا ، وَتَقَعَّقَعَتْ صَوَاعِقُهَا ، ثُمَّ ارْتَعَنَتْ^(٣) جَوَانِبُهَا ، وَتَدَاعَتْ سَوَاكِبُهَا ،
وَذَرَّتْ حَوَالِيَهَا ، فَكَانَتْ الْأَرْضُ طَبَقًا^(٤) ، سَحَّ فَهَضَبَ ، وَعَمَّ فَأَحْسَبَ ،
فَعَلَّ الْقَيْمَانَ ، وَضَحَضَعَ الْفَيْطَانَ ، وَجَوَّحَ الْأَضْوَاغَ^(٥) ، وَأَتَرَعَ الشَّرَاجَ ،
فَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَ كَيْفَاءَ إِسَاءَتِنَا إِحْسَانًا ، وَجَزَاءَ ظُلْمِنَا غُفْرَانًا .

(بولغ الأرب ٣ : ٢٥٣)

٧٠ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا من بني عامر بن لؤي بن
صمصة يصف مطرا فقال :

« نَشَأَ عِنْدَ الْقَصْرِ ، بِنُوءِ الْفَقْرِ^(١) ، حَبِيبًا قَارِصًا ، ضَاكِحًا وَامِضًا ،
فَكَلَّالًا وَلَا^(٢) ، مَا كَانَ ، حَتَّى شَحِيتَ بِهِ أَقْطَارُ الْهَوَاءِ . وَاحْتَجَبَتْ بِهِ السَّمَاءُ ،

[١] الأرميم : ليلة من ليالي إلقاء - وإلقاء منسقة : ثلاث ليال من آخر الشهر ، وأبرار : آخر ليلة من الشهر ، وأحصانها جمع حصن كمن : وهو حجاب الشيء ونحيته ، وأهومت : استودت .

[٢] بسق : ارتفع ، والمان : السحاب ، رحاها : وسعها ، واسعت : أشتت ، والسكبة من السحاب : أسفله - ومن الرعدة رعدة مستديرة تحور عليها تحت العروة ، وذرعت : حصت - وتدام : التدام على المثال ، عفاقها : بروقها المشبهة للعقاقير .

[٣] ارتعن للطر : ثقت وحده . [٤] حيث طلق : هام واسع يفضي للأرض ، وهعب كقربت : مطر . [٥] جَوَّحَ النيل الوادي : إذا كسر حديه وأقطع أثره ، وفي الأصل « جوح » ومزجيب والأصواع جمع صوح كشمس : وهو مطعب لواءه ، وأترع جمع مترح كشمس : وهو مزين الماء من الخفة (منج الماء) إلى السهل .

[٦] الأحمر : الغنى ، والامر : منزل للقرى ، والحق : السحاب يعرف من الأضيق على الأرض ، أو يبنى بهمه فوق بعض . [٧] قال في اللسان : « والمرب إذا أرادوا تقبل مدة عمل أو ظهور شيء حتى قالوا : كان منه كلا ، وربما كرروا فقالوا كلا ولا ، قال الشاعر يكون برون الخدم فيها كزلا . ، والشعا : ما اعترض في الخلق من عظم ونحوه ، وتند شعي به كرمي .

ثم أشرق^(١) فاكفهر^(٢)، وتراكم فأذلهم^(٣)، وبسق فازلأم^(٤)، ثم حدث به الريح،
فخن^(٥)، فالبرق مريع^(٦)، والرعد متبجح^(٧)، والخروج متبجح^(٨)، فأنجم ثلاثاً،
متجبراً هنكاً^(٩)، أخلافة حاشكة^(١٠)، ودفعه متواشكة^(١١)، وسوامه متعاركة^(١٢)، ثم
ودع منجماً^(١٣)، وألق مئتما^(١٤)، محمود البلاء^(١٥)، مثرع النهاء^(١٦)، مشكور النعماء^(١٧)،
بطول^(١٨) ذي الكبرياء^(١٩). (لوح الأرب ٢ : ٢٥٤)

٧١ - أعرابي يصف مطراً

عن أبي عبيدة قال : خرج النعمان في بعض أيامه في عقب سماء^(١)، فلقى
أعرابياً على ناقة، فأمر فأتى به، قال : كيف تركت الأرض وراءك، فقال :
« فيح رحاب^(٢) »، منها السهول ومنها الصعاب^(٣)، منشوطة يجبالها^(٤)، حاملة
لأنفالها^(٥)، قال : إنما سألتك عن السماء ! قال :
« مطة^(٦) مستقلة^(٧)، على غير سحاب ولا أطناب^(٨)، يختلف عصرها^(٩)،
ويتعاقب سراجها^(١٠)، قال : ليس عن هذا أسألك ! قال : فسل ما بدا لك، قال :
هل صاب الأرض عيث^(١١)؟ قال :
« نعم : أنعمت^(١٢) السماء في أرضنا ثلاثاً رهوا^(١٣)، فثرت وأزغرت^(١٤)،

[١] هو من أشرق الإبل : تبع بعضها بعضاً ، وادلم : اسود .

[٢] التوَّج : الصياح ، والمرح : السحاب أول ما يثأ ، متبح : متدفق .

[٣] المئتما : البرق ، حاشكة : كثير الماء ، متواشكة : يسارع بعضها بعضاً ، والسوام : الإبل الرامية .

[٤] أنجم المطر وغيره ألق ، ومنهما : أى ساروا بحوتهمة ، والهاء جمع هى بالكسر والفتح وهو الدبر .

[٥] أى هصل وقدرته .

[٦] فيح جمع فيحاء - واسعة ، وكذا رحاب ، منشوطة : مشدودة ، من شط الحبل كسر عقده

(وأشطه حله) . [٧] مطة : مرتفعة ، وكذا مستقلة ، والسحاب جمع سقب كتمس : وهو عمود الحباء ،

والمعصران : الإبل والهار ، وسراجها : الشمس والهمر . [٨] أى دامت ولازمت ، والرهو : السكون

والثرة . البرق كالنمرارة ، وقد ثرت هى ، والزرعة بالتحريك : الوحل ، وأزرع المطر الأرض

طياً ولم تزل ، ووسع المر : كثر وثرى الأرض حتى تلع بد الحافر عه إلى أرساعه .

وَرَسَنْتُ ، ثم خرجتُ من أرض قوى أقرؤها ^(١) ، فإذا هي مُوَاصِيَةٌ ،
لا خَطِيطَةً بينها ، حتى هبطتُ بِعِشَارٍ ، فتداعى السحابُ من الأفطار ، فجاءنا
بالسيل الخرّار ، فعفا ^(٢) الآثَارَ ، وملاً الجِفَارَ ، وَقَوَّرَ عَالِي الأشجار ، فأَجَحَرَ
الحُصَارَ ، ومنع السُّفَارَ ، ثم أَقْلَعَ عن نفع وإضرار ، فلما اتَّلاَّ بَت ^(٣) لى التَّيْمَانَ ،
ووضعتُ السُّبُلَ فى النِّيطَانِ ، وفات العَنَانُ ، من أفطار الأعنان ، فلم أجد
وَرَرًا إلا النِّيرَانَ ، فقات وجار الضُّيْعَ ، فنادتُ السهول كالبحار ، تتلاطم
بالتَّيَّارِ ، والحُرُونُ متلَفَعَةٌ بالْمُشَاءِ ^(٤) ، والوحوشُ مقدوفةٌ على الأرجاء ، فازلت
أطال السماء ، وأغوض الماء ، حتى وَطِئْتُ أرضكم . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٧)

٧٢ - أعرابى يصف مطرا

عن أبى عبيدة قال : وقف أعرابى على قوم من الحاجّ فقال :
« يا قوى بدا شانى ، والذى أُنْفَجَتِ ^(١) إلى مسألتكم ، إن الفيث كان قد
قوى عنا ، ثم تَكَرَّرَ فَا السحابُ ، وشَصَا الرَّبَابُ ، وأَذْهَمَ سَيْقَهُ ^(٢) ، فارتجس
رَبْقَهُ ، وقلنا : هذا عامٌ باكرُ الوُثْمِي ^(٣) ، محمود السَّيِّى ، ثم هَبَّتْ له الشَّمالُ ،
فَأَخْزَأَتْ طَخَارِيْرُهُ ^(٤) ، وتَفَرَّعَ كَرِفَتُهُ متباشراً ، ثم تتابع لَمَعَانُ البرق ، حيث

-
- [١] أنذمتها ، والمخططة : الأرض لم تنظر بين بمطورتين ، أو التى مطر حضا ، وعشار : موضع .
[٢] عاما وطلسها ، والمغار جمع جعر كخمس : الشئ الذى لم تطو ، وقورها : قطع من وسطها حرة
مستديرا ، وأحمر ، من أحمر الضب : أى أذهى فى حجره ، والمغار جمع حاصر وهو القبح فى الخبر ،
والمغار جمع سائر وهو المسار لاصل له . [٣] استقامت ، وانضات : السحاب ، والأعدن من النبتة :
نواحيها ، ولوزر اللحاء ، والنيران جمع نار : وهو الكهف فى الحبل ، والوچار باكرس والفتح : حجر
الضيق وعبرها . [٤] الفناء : الدالى من ورق الصخر انخالف لورد السيل .
[٥] الجأى ، وقوى المطر : اجتنس ، وتكرما : تراكم ، وشصا : ارتفع ، ولزبات : النبتة الأيسر .
[٦] أذهم : أسود ، والسيق : السحاب لأماء فيه ، والريق : تردد الماء على وجه الأرض .
[٧] الوسمى : مطر الربيع الأول ، سبى بذلك لأنه يسر الأرض بالسنة ، والسمى جمع سم : وهو المنقر
أو المطرة الجيدة . [٨] الطخاير جمع طحور كصهور طحاء والطاء : الملقح من أسحاب ، ونسكرو :
السحاب المرتفع التراكم ، وغرغ : تهرق وانفتح ، وشام البرق : نظر إليه ابن يقطين .

تَشِيْمُهُ الْأَبْصَارُ ، وَتَجْدُهُ النَّظَارُ ، وَتَرَّتِ ^(١) الْجُنُوبُ مَاءَهُ ، فَقَوَّضَ الْحَيُّ مُزَلِّمَيْنِ
نَحْوَهُ ، فَسَرَحْنَا الْمَالَ فِيهِ وَكَانَ وَجْهًا وَخِيًّا ، فَاسَافَ الْمَالَ ، وَأَضَفَ الْحَالَ ، فَرَحِمَ
اللَّهُ أَمْرًا جَادَ بِخَيْرٍ ، أَوْدَلَ عَلَى خَيْرٍ . (بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٨)

٧٣ - أعرابي يصف مطرا

عن عبد الرحمن عن عمه قال :

قال أبو حبيب - وكان أعرابيا من بني ربيعة بن مالك - : « لقد رأيتنا في
أرضٍ عَجْفَاءٍ ^(٢) ، وزمانٍ عَجَفٍ ، وشجرٍ أَعْمَمٍ ، في قُبٍّ عَليظٍ ، فبينما نحن
كذلك ، إِذْ أَنْشَأَ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ السَّمَاءِ غَيْثًا مُسْتَكِيمًا ^(٣) نَشْوُهُ ، مُسَبِّلَةً عَنِ إِلَهِهِ ،
ضِحَامًا قَطَرُهُ ، جَوْدًا صَوْبُهُ زَاكِيًّا ، أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى رِزْقًا لَنَا ، فَمَدَّشَ بِهِ أَمْوَالَنَا ،
وَوَصَّلَ بِهِ طَرَفَنَا ، وَأَصَابَنَا وَإِنَّا لَبِنُوطَةٌ ^(٤) بِمِידَةِ الْأَرْجَاءِ ، فَاهْرَمَعَ مَطَرُهَا ،
حَتَّى رَأَيْنَا وَمَا نَرَى غَيْرَ السَّمَاءِ وَالْمَاءِ ، وَصَهَوَاتِ الطَّلَحِ ^(٥) ، وَضَرَبَ السَّيْلُ
النَّجَافَ ، وَمَلَأَ الْأَوْدِيَةَ فَرَعَبَهَا ، مَا لَبَدْنَا إِلَّا عَشْرًا ، حَتَّى رَأَيْتَهَا رَوْضَةً تَنْدَى .

(بلوغ الأرب ٣ : ٢٥٩)

[١] هو من مري اللافة كرمي : مسح صرعها لتندز ، مرتين : ماضين مرتين إلى ، وأساف المال :
أهلكه ، والسواف بكذا : وشجاع : الموت في الناس والمال ، ساف سوما أي هلك ، وأسافه الله : ويقال
أيضا أساف الرجل : وقع في ماله السواف أي الموت ، وأصب من الضعف كسب وهو الضيق والشدة ،
أصابهم من اليبس ضعف أي شدة .

[٢] ليس بها نبات ، وأصله من المحب بالتحريك وهو الهرال ، وأععم : يابس ، وأصله من العمم
بالتحريك وهو يس في معصل الزرع تروح منه اليد والقدم ، والقب : ما علط من الأرض وارتفع ، لم
يبلغ أن يكون حلا ، وأنشأ الله السحاب : رفعه . [٣] مستكما : مستقرا كالكة ، (والككة
الكسر ويضم كل مستقر) ، وصوبه : مطره . [٤] البوطة : الأرض يكثر بها الطلح (والطلح :
شجر عظام) وللرصع المرتفع عن الماء ، أو ليس بواد ولا تلة بل بين ذلك ، واهرمع : كثر وأسرع .
[٥] الصهوة : ركة الماء ، والنجاف جمع نجف بالتحريك ونجاء : مكان لا يملوه الماء ، أو هي أرض
مستدرة مشرفة على ما حولها ، وزعبها : ملأها .

٧٤ - أعرابي يصف مطرا

ودخل أعرابي على سليمان بن عبد الملك فقال :

« أصابتك سماء في وجهك يا أعرابي » ؟ قال : « نعم يا أمير المؤمنين ، غير أنها سحابة طعنا ، وطفاء ^(١) ، كأن هوائها اللآء ، من جنة النواحي ، ووصولة بالآكام ، تكاد تنس هام الرجال ، كثير زجائها ^(٢) ، قاصفت رعداها ، خاطف ^(٣) برقها ، حديث ودقها ، بطيء سيرها ، منمنج قطرُها ، مظلم نوؤها ، قد لجئت الوحش إلى أوطانها ، تبعث عن أصولها بأظلافها ، متجمعة بعد شتاتها ، فلولا اعتصامنا يا أمير المؤمنين بمضاهي الشجر ، وتعلقنا بفتن الجبال ، لكانا جفأ ^(٤) في بعض الأودية ، ولقم الطريق ، فأطال الله للأمة بقاءك ، ونسألها في أجلك بركتك ، وعاد الله بك على رعيتك ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد .

فقال سليمان : « لعمري أيك لئن كانت بديهة لقد أحسنت ، وإن كانت مخبرة لقد أجدت » ، قال : بل مخبرة مهدورة يا أمير المؤمنين ، قال : « يا غلام أعطه ، فوالله لصدقه أعجب إلينا من صفته » . (الغد الفريد ٢ : ٩٦)

٧٥ - أعرابية تصف مطرا

عن الأصمعي قال : « كان شيخ من الأعراب في خيائه ، وابنة له بالفناء ^(٥) ، إذ سمع رعدا فقال : ما ترين يا بنية ؟ قالت : أراها حواء قرعاه ^(٦) ، كأنها أقزاب

[١] سحابة وطاء : مسترخية لكثرة ماها ، أو هي القائمة السح الخفيفة ، وواديها : أولها ومقاديرها ، مرجعة : تخيلة مبردة . [٢] ازحل : الخلية وروح الصوت ، مشعر : سائل مذهب ، وشد إليه كعب وروح ، وأطراف جمع طلف بالكسر وهو الفترة والشدة والطلي وشبهها كقولهم لنا ، ونحن جمع فتة ، وهي فتة الجبل . [٣] زدت هذه الكلمة كي يستقيم بها الكلام والظاهر أنها سعت من الأصل في الطبع . [٤] الجفاء : الربد ، وهم الطريق : مظهره أو وسطه ، وفي الأصل : « ندم » وهو تحريف .

[٥] الفناء : ما نزع آدم النار . [٦] حواء : وصف من الحوة تهم وهي حرة إلى السواد

أَتَانِ قَرَاءَ ، ثم سمع راعدة أخرى فقال : كيف ترينها ؟ قالت : أراها جَـة
الترجاف^(١) ، متساقطة الأكناف ، تتألق بالبرق الولاف ، قال : هلمني المِغْرِفَة ،
إِنْتَهَى^(٢) نُؤْيَا . (بلوع الأرب ٣ : ٢٥١)

٧٦ - أعرابية تصف مطراً

عن الأصمعي قال : كَانَ أعرابي ضريّر تقوده ابنته ، وهي ترعى غَنِيَّات لها ،
فَرَأَتْ سحَاباً فقالت : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السماء ، فقال : كيف ترينها ، قالت :
كَأَنُّهَا فَرَسٌ دَهْمَاءُ^(٣) تَجُرُّ جِلَالَهَا ، قال : ارعني غنيّاتك ، فرعت مليّاً ، ثم قالت :
يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السماء ، قال : كيف ترينها ؟ قالت : كَأَنُّهَا عَيْنٌ جَلَّ طَرِيفُ^(٤) ،
قال : ارعني غَنِيَّاتِكَ ، فرعت مليّاً ، ثم قالت : يَا أَبْتَ جَاءَتْكَ السماء ، قال : كيف
ترينها ؟ قالت : سَطِطَحَتْ وَابِضَّتْ ، قال : أَدْخِلِي غَنِيَّاتِكَ ، قال : لَجَاءَتْ السَّمَاءُ
بشَيْءٍ شَطَّاءٍ^(٥) لَهُ الزَّرْعُ وَابْنَعُ ، وَخَضِرَ وَنَضِرُ . (بلوع الأرب ٣ : ٢٦٠)

٧٧ - أعرابي يصف أرضاً

ووصف أعرابي أرضاً أحمدها فقال :

« خَلَعَ شَيْخُهَا ، وَأَبْقَلَ رِمْنُهَا ، وَخَضَبَ عَرَفُجُهَا^(١) ، وَأَنْسَقَ نَبْثُهَا ،
وَاخْضَرَّتْ قُرْهَ يَأْتِهَا ، وَأَخْوَصَتْ نُطْنَانُهَا^(٢) ، وَأَحْلَسَتْ أَكْجَاهُهَا ، وَاعْتَمَّ

والفرحة بالهم : في وجه الفرس دون البرّة ، وانوصف منه أفرح وفرحاء ، والأقرباء جمع قرب كقفل
وهنق : وهو الحاصرة ، والقمرة بالهم : لباس فيه كبدرة ، حمار أقر ، وأتان قراء .

[١] كثيرة الاضطراب ، الزلاف : المتتابع ، من ولب البرق كوعد ولماً وولاً بالكسر : تتابع .

[٢] الوؤى : الخفير حول الحباء يجمع السيل ، وأقأته عمله

[٣] صوفاء ، والحلال جمع حل بالهم والفتح : ما تلبسه الدابة لتصان به .

[٤] الحمل ينتقل من مرعى إلى مرعى . [٥] شطاً الزرع : أخرج شطاً ، أي دراهه .

[٦] حلق الشيع : أوردق (والمالح من المضاعف الذي لا يسقط ورده أبدأ ، والمضاعف كتاب : كل شعر
له شوك) والامت : مرعى للزبل ، وشعر يشبه المضاعف والفرع : شعر سهلي ، وخضب الشعر كصرب
وسمع وعى : احصر . [٧] القريان : يحارى الماء من الربو إلى الرباس جمع ترى كمنى ، وأحوص

بَنَتْ جَرَانِمَهَا^(١) ، وَأَجْرَتْ بَقْلَتَهَا وَذَرَقَتَهَا وَخَبَّازَتَهَا^(٢) ، وَأَحْوَرَّتْ خَوَاصِرَ
إِلَيْهَا ، وَشَكَرَتْ حَلَوْبَتَهَا ، وَسَمِنَتْ قَتُوبَهَا^(٣) ، وَعَمِدَتْ تَنَاهِيَهَا ،
وَأَمَاهَتْ تَمَارُهَا ، وَوَقَّيْقَ النَّاسِ بِصَارَتِهَا^(٤) . (البيان والتبيين ٢ : ٧٧)

٧٨ - رائد يصف أرضاً جذبة

قال أبو الجحيب : وصف رائدُ أرضاً جذبة فقال :

« أَغْبَرَّتْ جَادَّتُهَا^(٥) ، وَذَرَّعَ مَرَّتَمَهَا ، وَقَفَّيْمَ شَجَرُهَا ، وَزَقَّتْ كَرِشَهَا ،
وَوَخَّوَرَ عَظْمَهَا ، وَالتَّقَى سَرَّحَاها^(٦) ، وَتَمَيَّزَ^(٧) أَهْلُهَا ، وَدَخَلَ قُلُوبَهُمُ الْوَهْلُ ،
وَأُمَوَّاهُمُ الْهَزْلُ^(٨) . (البيان والتبيين ٢ : ٧٧)

الدرج : نفل بوري ، وأحوصت السحلة : أحرحت الحوس ، والبطان جمع طائل وهو الناموس من الأرض
أى المملش منها . [١] أحلس انت : عطى الأرض مكثته ، وأحلست الأرض هي عمالة : صار
البيات عليها كالحس كثرة - الحس كحل كداء على طهر المير - والحرائيم جمع حرثومة بالضم ، وجرثومة
الضم : أصله ، واعنم : أى كأه لئس عمالة . [٢] أحررت البقلة : صارت لها حراء - وحراء كككتاب
جمع حرو مائث وهو صير كل شيء - والدرقة واحدة الفرق وهو نبات مثل الشكرات الجلي الدقى فى
رأسه حى حلو يؤكل رطاً نحه الرطاة يؤتى به أهلهم ، والحارة والخبارى : شئت المعروف .

[٣] أحوررت . ايضت وذلك من الشد على حواصرها لئلا تحبط (والحبط : الحريك : انماخ عنها من
مرعى ترعاه) والحلوة : الحلوة ، وشكرت الناقة : ابتأى صرعها ، والغاية : سميت ، والتمتوة : لابل
التي تحتها (وأقت الناقة : شد عليها التث (والحريك) وهو إكاف صير على قدر سنام النعير) .

[٤] عمد الثرى : بله المطر حتى إذا قضت عليه تفقد لدعوتة ، والتشاهى جمع تشية : وهى مستقر أسيل
حيث ينتهى الماء من اوداى ، وعقدت تناهيا : أى عمّر السيل مقبلاً حتى إذا انتهى انتهى متناهى دار دأخج
حتى يلتقى طرفا السيل ، وأمَاهت تَمَارُهَا : أى كثر ماؤها ، والصائرة : المطر والكلا : .

[٥] الحاد : الطريق إلى الماء ، ودرع اللرع : نهد من الماء ، وقسم شجرها : تكسر ، يقال :
سيف قسم كمرح أى طال عليه اندهر فتكسر حده ، وقسم الس : اصبره وتلم ، وإذا لم يكن يبعد
مرحى إلا الفجر وحده رقت أكراشه . [٦] ينى أه : أى أكل كل سائر مايليه ، انغيا عد : . . .
[٧] فترتوا فى طلب الكلا ، والوجل . الصرع ، والفرل موت مواشى الرجل .

٧٩ - رائد يصف أرضاً

عن محمد بن كنانة قال : أخبرني بعض فصحاء أعراب طي قال :
 « بعث قوم رائداً ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : عُشْبٌ وَتَعَاشِيبٌ ^(١) ، وَكَمَاةٌ
 متفرقة شيبٌ ، تقلعها بأخفافها النَّيْبُ ^(٢) » ، قالوا : لم تصنع شيئاً ، هذا
 كذب ! فأرسلوا آخر ، فقالوا : ما وراءك ؟ قال : « عُشْبٌ تَأْدُمُ مَادُّ ، مَوْئِي ^(٣)
 وعَهْدٌ ، متدارك جَعْدٌ ^(٤) ، كَأَنفَازٍ نَسَاءُ بَنِي سَعْدِ ، تَشْبَعُ مِنْهُ النَّيْبُ وَهِيَ تُعَدُّ ^(٥) » .
 (البيان والندب ٢ : ٧٩)

٨٠ - رائد يصف أرضاً

وبعث رجل أولاده يرتادون في خِصْبٍ ، فقال أحدهم : « رَأَيْتُ بَقْلاً ،
 وماءً غَيْلاً ^(١) ، يسيل سَيْلاً ، وخَوْصُه تَمِيلُ مَيْلاً ، يحسبها الرائد ليلاً » ، وقال
 الثاني : « رَأَيْتُ دَيْعَةً عَلَى دَيْعَةٍ ، فِي عَهْدِهَا غَيْرُ قَدِيمَةٍ ، وَكَلَّا تَشْبَعُ مِنْهُ النَّابُ
 قَبْلَ الْقَطِيمَةِ » . (البيان والندب ٢ : ٧٩)

✽

وروى هذا الوصف عن ابن الكلبي بصورة أخرى قال :
 « خطب هند بنه الحُسَّ الأياديَّة ثلاثاً نَفَرَ مِنْ قَوْمِهَا ، وَارْتَضَتْ أَنْسَابَهُمْ

[١] العشب : الكلأ الرطب ، والتعاشيب : القطع المتفرقة منه . [٢] الب جمع باب : وهو
 الدابة اللينة . [٣] ماء في لسان : « قال الأصمعي : قيل لعمى العرب : أصب لنا موضعاً أي اطلب
 فقال رائدكم : وجدت مكاناً مثلاً مثلاً (متج كسر) وقال ريد بن كثوة : مثوا رائداً ماءً ، وقال : عشب
 تأد مَاد (متج مسكون) كأنه أسوق بي سعد » وثبتت الدت كعرج : هدى فهو تَد ، وه أد كنغ اهتر
 وتروى وحري وبه الماء وتتم ولان ، والمأد : الناعم من كل شيء ، والمؤي . الذي أصابه الولي
 (والولي : المطر الذي يأتي بعد المطر) ، والعهد : أول مطر الوسمي (والوسمي : أول مطر الربيع) .

[٤] من قوهم : ريد جعد : أي متراكب محتجزة صار بعضه فوق بعض .

[٥] يعني أن العشب قد طاف وتم ، والب تشبع منه وهي تمد ، لأنها تتناوله وهي قائمة لا يبرح مكانها
 ولا تظلم رأسها . [٦] الليل : الماء الذي يجري بين الشعر .

وجاهلهم ، وأرادت أن تسبر عقولهم ، فقالت لهم : « إني أريد أن ترادوا لي مرعى ، فلما أتوها قالت لأحدهم : ما رأيت ؟ قال : رأيت بقلاً وبقلاً ، وما غداً^(١) متيلاً ، يحسبه الجاهل ليلاً ، قالت : أمرعت^(٢) ، قال الآخر : رأيت ريمة بعد ديمة ، على عهد غير قديمة ، فالناب تشيع قبل القطيبة ، قال الثالث : رأيت غيثاً تمدداً معدداً^(٣) ، متراً كما جعدداً ، كأغذا نساء بنى سعد ، تشيع منه الثيب وهي تعدد^(٤) . (بلوغ الأرب ٢ : ٢٥٦)

٨١ - أعرابي يصف أرضه وماله

عن أبي عمرو بن العلاء قال : لقيت أعرابياً بمكة فقلت له ، ممن أنت ؟ قال : أسدي ، قلت : ومن أيهم ؟ قال : نهدي ، قلت : من أي البلاد ؟ قال : من ثمان ، قلت : فأتى لك هذه الفصاحة ؟ قال : « إنا مسكننا قطراً لا نسقم فيه ناجة التيار^(١) » ، قلت : صف لي أرضك ، قال : « سيف أقيح ، وقصاء حصص ، وجبل صردح ، وزمل أصبح^(٢) » ، قلت : فما مالك ؟ قال : النخل ، قلت : فأين أنت من الإبل ؟ قال : « إن النخل نخلها غداء . وسقمها^(٣) ضياء ، وجذعها بناء ، وكربها صلاء ، وليفها رشاء ، وخوصها وعاء . وقروها إزاء . (دلى الأمن ص ١٧)

[١] الفدق : الماء الكثير . [٢] أمره : أساه مريضاً تخفيف وزه ومعى .

[٣] القيث : اللط والكلاء ، وقيل : الأصل للطر ثم سمي ما يثبه عيثاً ، والمراد ما اثنى ، وش

ثمد معد : معنى رطب رخص .

[٤] الناحية : الصوت ، والتيار : للوح . [٥] السيف : ساحل البحر ، وساحل اودى ، و لكل ساحل سيف ، أو إنما يقال ذلك لريب عمان ، وأقيح : واسع ، والحصص : ما يستوى من الأرض ، والصدوح : الصلب ، والأصبح : الذى يلو يابسه حمرة . [٦] أسقم : حريه احي أو ورة ، والكرب : أصول السقم الغلاظ العراس ، والرشاء : الحبل ، ونمرو : أسمل أسعة يقر عيشه فيه . أى يصعد فيه اليد .

٨٢ - أعرابي يصف بلدا

وذكر أعرابي بلدا فقال: « بلد كالثرس، ماعشى فيه الرياح إلا عابرات سبيل، ولا يمر فيه السفر إلا بأبدل دليل » .
(القد العريد ٢ : ٨٠)

وقال أعرابي : « مررت ببلد ألقى به الصيف ^(١) بقاعه ، فأظهر غديراً يقصر الطرف عن أربائه ، وقد نقت الرياح القذى عن مائه ، فكأنه سلاسل ديزع ذات فضول ^(٢) » .
(القد العريد ٢ : ٩٦)

وسئل أعرابي عن مسافة ما بين بلدين فقال : « عُمر ليلة ، وأديم ^(٣) يوم » .
وقال آخر : « سواد ليلة ، أو يياض يوم » .

(السال والتين ٢ : ٥١ والمقد العريد ٢ : ٩٧)

وقال آخر : « إن المسافر ومتاعه لعلّى قلت ^(٤) إلا ما وقى الله » .

(القد العريد ٢ : ٥٢)

٨٣ - أعرابي يصف أشد البرد

سئل أعرابي فقيل له : ما أشد البرد ؟ قال : « ريح جرياء ، في ظلّ صماء ،

غيب سماء ^(٥) » .
(البان والتين ١ : ١٦٣)

٨٤ - أعرابي يصف إبلا

وقال : سمعت أعرابياً يصف إبلاً فقال :

« إنها لِعِظَامُ الحَنَاجِرِ ، سِبَاطُ المَسَاوِرِ ، كَوْمُ بَهَازِرِ ^(٦) ، نُكُذُّ خَنَاجِرِ ^(٧) ،

[١] المبيد كسيد ويحذف الطريحي في الصف أو بعد الريح كالصبي .

[٢] جمع فضول وهو الزيادة . [٣] أديم البار : طامته أو ناصه . [٤] اقلت : الهلاك .

[٥] الحرياء : ريح الشمال اللدة ، أو ريح بين الجنوب والصلبا ، والسماء : السحاب المرتفع ، أو

الكثيف ، أو المطر ، في عقب سماء أي عقب مطر . [٦] الحجرة والحجور كصفور : الحاقوم ،

وحجمه حاجر ، والمتاجر جمع مشعر كمر : وهو حاجر كالشفة للإنسان ، والكوم : الدظام الأسنمة جمع أكوام

وكوماء ، والبهازر جمع بهرة : كنفقة وهي العطية من الوق .

[٧] الذك : العيررات التي من الإبل (والتي لا لب لها أيضا صد) ، والحاجر : العيررات التي

أجوافها رِغَابٌ^(١) ، وأعطائها رِغَابٌ ، تُنْتَع من أُنْهَم^(٢) ، وتُبْذَل للجَمَم .
(الأمال ١ : ٥٧)

٨٥ - أعرابي يصف ناقة

ووصف أعرابي ناقة فقال : « إذا الحَالَّت غَيْثُهَا ، وَاللَّت^(٣) أَذْنُهَا ،
وَسَجَّح^(٤) خَدُّهَا ، وَهَدِلَ^(٥) مِشْقَرُهَا ، وَاسْتَدَارَتْ جُمُجُمَتُهَا ، فَهِيَ الْكَرِيمَةُ .
(الأمال ١ : ٢١٧)

٨٦ - أعرابي يصف خيلا

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يقول : « خرجت علينا خيلٌ مُسْتَطِيرَةٌ
الْتَفَع^(٦) ، كَأَنَّ هَوَادِيَهَا^(٧) أَعْلَام ، وَأَذَانُهَا أَطْرَافُ أَقْلَام ، وَفُرْسَانُهَا أُسُودُ
آجَام^(٨) .

٨٧ - أعرابي يصف خيلا

وذَكَرَ أعرابي خيلا فقال : « وَاللَّهِ مَا أَمَحَدَرْتُ فِي وَادٍ إِلَّا مَلَأَتْ بَطْنَتَهُ ،
وَلَا رَكِبْتُ بَطْنَ جَبَلٍ إِلَّا أَسْهَلَتْ حَزَنَتَهُ^(٩) . (القد الفريد ٢ : ٩٥)

٨٨ - أعرابي يصف خيلا

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يصف خيلا فقال : « سِبَاطُ
الْخَصَالِ^(١٠) ، ظِلْمَاءُ الْمَفَاصِلِ ، شِدَادُ الْأَنْجَالِ^(١١) ، قُبُ الْأَيَاطِلِ ، كِرَامُ
النَّوْاجِلِ^(١٢) » . (الأمال ١ : ٥٢)

جمع خيول كخمر وبناء وخنوعرة بالهمز . [١] رعب : واسعة ، وأعطائها : ماركها عدلها . جمع
عطين كعبل . [٢] الهم جمع هبة كهمزة . وهو الشراع الذي لا يدرى من أين يوقى من شدة
الريح ، والجمع جمع حة كقصة ، وهم القوم يسألون في الدنيا .

[٣] أَلَّ سعى : صب أدنيه وحدهما . [٤] سَجَّح : سبى وحس . [٥] هَدِلَ : سترجى .
[٦] أَلَّ : أدر . [٧] أَوْتَلَهَا [٨] الخصائل جمع حصاة : وهي كل قطعة من الحجر مستطيلة أو
مجنمة ، وقيل : هي ما تعجز من الحمار منه من وسط جمع سبى كعطف وشمس ، ورجل
يسبى الحمار إذا كان حسن القدر والاستواء ، وطاء : مشر . [٩] الأنجال جمع أنجل : وهو عرق
غليظ في الرجل أو اليد ، يريد أنها شدة انقوائهم . [١٠] الأيطل جمع أيطل : وهو الحاصرة ،

٨٩ - أعرابي يصف فرسا

ووصف بعض الأعراب فرساً فقال : « قد انتهى صنوره ، وذنبك فريره ^(١) ،
وظهر حصيره ^(٢) ، وتفلقت عروره ^(٣) ، واسترخت ساكِلته ^(٤) ، يُقبل بزور
الأسد ، ويُذبر بِمَجْزِ الذئب » . (البيان والبيان ٣ : ٢٣٣ ، والأمال ٢ : ٢٥٦)

٩٠ - أعرابي يصف خاتماً

وقال أعرابي يصف خاتماً : « شَفَّ ^(٥) تقديرُ حَلَقته ، ودُورُ كرمى فضته ،
وأحكم تركيبه ، وأتقن تدبيره ، فبه يتم الملك ، وينفذ الأمر ، ويكرّم الكتاب ،
ويشرف المكتوب إليه » . (اللطائف ٢ : ٩٧)

٩١ - أعرابي يصف أطيب الطعام

وقال عبد الملك لأعرابي : « ما أطيبُ الطعام ؟ » ، فقال : « بَكْرَةٌ
سَنِمَةٌ ^(٦) ، مُتَبَطَّاةٌ غيرَ صَنِئَةٍ ، في قُدُورٍ رَذِيْمَةٍ ^(٧) ، بِشِفَارٍ خَدِيْمَةٍ ^(٨) ، في غداة
شَمِيْمَةٍ ^(٩) » ، فقال عبد الملك : « وأيّك لقد أطبِيت ^(١٠) » .
(البيان والبيان ١ : ١٦٣)

فـ جمع آف ، وصف من القاب كسب وهو دنة الحفر وصبور الطن ، والواحد سم ناحلة ، من
حلته : أي ولته . [١] الفرر : موضع الحقة من معرفة الدرس .
[٢] الحصير : عرق تمتد معترساً على حسب الحاجة إلى ناحية نظماً ، أو لمعة كدالك .
[٣] العرور : الضوضاء التي في حلقه ، واحدها عرّ بالفتح . [٤] الناكلة من العرس : الحلد بين
عرس الحاضرة والدة - والدة كفرحة : الزكة - . [٥] رقّ .
[٦] الكرة : الفتية من الإبل ، والسمة . العطية السام ، ومله كمرح ، عط الدبحة كعرب
واعتبها : نحرها من عبرة وهي سمية دية ، والسمة : الرمة والثلاثة في حيدها من الامة كعربة
وهي المرس . [٧] ردمت الصفة كمرح وهي ردة وروم كصور : ابتلات وتصدت حوايها .
[٨] شعار جمع شجرة « بالفتح » . وهي السكين المطم ، وحده كعربة . قطعه ، وسيف حدم
ككعب وصبور ومطم : قاطع [٩] النداء : الكرة « نالم » أو ما بين صلاة الفجر وطلوع
الشمس ، وشبهة : باردة ، وصلها كمرح . [١٠] أطاب الشيء وأطبه : وحده طيباً .

٩٢ - أعرابي يصف السويق

وعاب رجل السَّوَيْقِ ^(١) بِحَضْرَةِ أَعْرَابِي، فَقَالَ: «لَا تَعْنِي، فَإِنَّهُ عُدَّةُ الْمَسَافِرِ، وَطَعَامُ الْمَجْلَانِ، وَغِذَاءُ الْمُبَكَّرِ، وَبُلْفَةُ ^(٢) الْمَرِيضِ، وَيَسْرُو ^(٣) فَوَادَ الْحَزِينِ، وَبِرْدٌ مِنْ نَفْسِ الْمَحْدُودِ ^(٤)، وَجَيْدٌ فِي التَّسْمِينِ، وَمَنْعُوتٌ فِي الطَّبِّ، وَقَفَّارُهُ ^(٥) يَجْلُو الْبَاقِمَ، وَمَلْتَوَتُهُ يُصْنَى الدَّمُ، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ شَرَابًا، وَإِنْ شَتَّتَ كَانَ طَعَامًا، وَإِنْ شَتَّتَ قَشْرِيْدًا، وَإِنْ شَتَّتَ نَخِيصًا ^(٦)». (الأمالي ٢ : ١٩٧)

٩٣ - أعرابي يصف الجمال

وَقِيلَ لِأَعْرَابِي مَا الْجَمَالُ؟ قَالَ: «طُولُ الْقَامَةِ، وَصَخْمٌ ^(٧) الْهَامَةِ، وَرُحْبٌ ^(٨) الشَّدَقِ، وَبُعْدُ الصَّوْتِ»، وَسُئِلَ آخَرُ: مَا الْجَمَالُ؟ قَالَ: «غُثُورُ الْعَيْنَيْنِ، وَإِثْرُافُ الْحَاجِبَيْنِ، وَرُحْبُ الشَّدَقَيْنِ» (البيان والتبيين ١ : ٦٧)

٩٤ - أبو المخش يصف ابنه

وَسَأَلَ جَعْفَرُ بْنُ سَيِّدَانَ أَبَا الْمَخْشِ عَنْ ابْنِهِ الْمَخْشِ ^(٩) - وَكَانَ جَزَعٌ عَلَيْهِ جَزَعًا شَدِيدًا - قَالَ: صَفِّ لِي الْمَخْشَ، فَقَالَ: «كَانَ أَشَدُّ حُرْمَةً نَايَا ^(١٠)، سَادَّةً أُمَامَةً، كَأَنَّمَا يَنْظُرُ مِنْ قَتْنَيْنِ ^(١١)، كَأَن تَرْقُوتُهُ بُرُونٌ، أَوْ خَافِقَةٌ.

[١] السويق: ما يصل من الحقة والشمع. [٢] ما يشع به. [٣] يسرو: يكتف ما به. [٤] اهدود: الذي قد حدثت له قد صرب الحدة. [٥] اغار: الذي لم يلبث شيء من دمه، لا يرت ولا ين ولا لب. [٦] طعمه صر. [٧] الخبيص: في السلق يخلط بالصل. [٨] صمغ ككريم صمغاً وصحابة فهو صمغ. [٩] رحب ككريم وسبع رحباً بلحم ورحبة فهو رحب ما يتبع. [١٠] احش في الأصل: الحريء على النمل في القطن. [١١] أشرق: واسع الشدقين، حرطاً يائاً طويلاً. [١٢] عت: غرة في الخيل.

كَانَ مِنْكَ بِهِ كَرِيحَةٌ جَلِيَّةٌ تَقَالِ^(١) ، فَقَالَ اللَّهُ عَيْنِي إِنْ كُنْتَ رَأَيْتُ قَبْلَهُ أَوْ
يَعْدُهُ مِثْلَهُ . (البيان والتبيين ١ : ٦٧)

٩٥ - أعرابي يصف بنيه

عن عبد الرحمن عن عمه قال : قلت لأعرابي يَحْيَى الرَّبْدَةَ : أَلَاكَ بَنُونَ ؟
قال : نعم ، وَخَالِقِهِمْ لَمْ تَقُمْ عَنْ مِثْلِهِمْ مُنْجِبَةً^(٢) ، فقلت : صِفْهُمْ لِي ، فقال :
« جَهَنَّمُ أَوْ مَا جَهَنَّمُ ؟ يُنْفِضِي الْوَهْمَ ، وَيَصُدُّ الدَّهْمَ^(٣) ، وَيَفْرِى الصَّفُوفَ ،
وَيُمَلُّ السُّيُوفَ^(٤) » ، قلت : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : « غَشَمَشَمُ أَوْ مَا غَشَمَشَمُ ؟ مَالُهُ
مُقَسَّمٌ ، وَفِرْزُهُ مُجَرَّجَمٌ^(٥) ، جِذْلُ حِكَاكٍ^(٦) ، وَمِذْرَةُ لِكَكَ^(٧) » ، قلت : ثُمَّ
مَنْ ؟ قال : « عَشْرَبٌ أَوْ مَا عَشْرَبٌ ؟ لَيْتَ مُحَرَّبٌ ، وَسِتَامٌ مُقَشَّبٌ^(٨) ، ذِكْرُهُ
بَاهِرٌ ، وَخَصْمُهُ حَاثِرٌ ، وَفَنَاؤُهُ رُحَابٌ^(٩) ، وَذَاعِيهِ مُجَابٌ^(١٠) » ، قلت : صف لي
نفسك ، فقال : « لَيْتَ أَبُو زَيْبَابِلٍ^(١١) ، رَكَابٌ مَعَاصِلٌ ، عَسَافٌ^(١٢) تَجَاهِلٌ ،
تَحَالُ أَعْبَاءُ ، نَهَاضٌ بَزْلَاءُ^(١٣) » . (الأمل ١ : ٥٣)

-
- [١] الوان : عمود العباء ، والحالفة : عمود من أعمدة البيت في مؤخره ، والكركرة : رمي دور
البيجر ، وسير تقال : بطيء .
- [٢] يضي : يهرل ، والوهم : الضمخ العظيم من الإبل ، والدهم : العدد الكثير .
- [٣] يمرى : يثقي ، ويهل : أى يوردها النماء ثمانية ، مأخوذ من الطل في الثرب .
- [٤] المحرم : للصروع . [٥] الحذل : أصل الشجرة ، وذلك أن الإبل الحرب تحب أن به تجد
له لذة ، والمعنى أنه ممن يستشئ به في الأمور بحيلة ذلك الحذل الذى تستشئ به الإبل .
- [٦] المدرة : لسان اقوم ، والفكلم عتيم ، والدافع عنهم ، يقال : درهته عى ودرأته : أى دفعته ،
والللكاك : الرحام . [٧] الحرب : اللعيب الذى قد اشتد غضبه واحتد ، وحرب السكين : إذا
أحدهته ، ومقش : مخلوط . [٨] باهر : طاب ، ورحاب : متسع .
- [٩] زيبال جمع زيبال بالكسر يهر ولا يهر : وهو الأسد ، والمعازل : الدواى .
- [١٠] العساف : الذى يركب الطريق على غير هداية ، والأعواء : الأفتال .
- [١١] الغرلاء : الرأى الحيد الذى يركب (بهم الراى) عن الصواب : أى يثقي منه .

٩٦ - أعرابي يصف أخويه

عن النبيّ قال : أخبرني أعرابي عن إخوة ثلاثة ، قال : قلت لأحدهم : أخبرني عن أخيك زيد فقال : « أزيد إنّه ^(١) ؟ والله ما رأيتُ أحداً أسكَنَ قَوْراً ، ولا أبعدَ غوراً ، ولا آخذَ لَدَنبٍ حُجَّةً قد تقدّمَ رأسُها من زيد » ، قلت : أخبرني عن أخيك زائد ، قال : « كان والله شديداً المقدّة ، ليّن المطفّة ، ما يُرضيه أقلُّ مما يُسخطه » ، قلت : فأخبرني عن نفسك ، فقال : « والله إن أفضلَ ما فيّ لمرقتي بفضلهما ، وإنّي مع ذلك كغير منتشر ^(٢) الرأى ، ولا تحذول العزم » .

(الأمال ٢ : ١٤)

قولهم في الدعاء

٩٧ - دعاء أعرابي

قال أبو حاتم : أملى علينا أعرابيّ يقال له مرثد :
« اللهم اغفر لي ، وأجلدني بآرد ، والنفسُ زُطْبَةٌ ، واللسانُ منطق ، والصحفُ منشورة ، والأقلامُ جارية ، والتوبةُ مقبولة ، والأنفسُ مِرْبِجَةٌ ^(٣) ، والنصرُ مَرَجُوٌّ ، قبل أن يفرّق ، وحشك النفس ^(٤) ، وعَلَرِ الصدر ^(٥) ، وتَزِيلِ الأوصال ^(٦) ، وتُصَوِّلِ الشعر ، واحتياف ^(٧) التراب ، وقبل أن لا أقدر على استغفارك حين ينفى العمل ، ويحصر الأجل ، وينقطع الأمل .

[١] قال أبو عليّ القائل : « هذه الزيادة تلحق في الاستعظام في آخر الحكمة إذا أنكرت أن يكون رأى للتكلم على ما ذكر ، أو يكون على خلاف ما ذكر » انظر هذا البحث في الأمال ٢ : ١٥ .
[٢] أي مرفقة . [٣] مرج كعرج : أمر وطر وغط وحن وتعتز فهو مرج ومرجج .
[٤] الحشك : شدة العرج . [٥] العر : قتل وخفة وضع يحيط الترس والمحتصر .
[٦] تزيل وترايلت : تمرقت ، والأوصال : المعامل . [٧] الاحتياف : اجتماع من الخيف وهو الحور ، والمراد أكل تراب القبر الجثة ، والذي في كتب اللغة « التير » تعيمت الشيء : إذ نقصته من حالته .

أُعِنِّي عَلَى الْمَوْتِ وَكَرْبِهِ ، وَعَلَى الْقَبْرِ وَغَمِّهِ ^(١) ، وَعَلَى الْمِيزَانِ وَخِفَتِهِ ، وَعَلَى الصِّرَاطِ وَزَلَّتِهِ ، وَعَلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَرَوْعَتِهِ ، اغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً عَظِيمًا ، لَا تَعَادِرْ ذَنْبًا ، وَلَا تَدْعَ كَرْبًا ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا اقْتَرَصْتَ عَلَيَّ وَلَمْ أُؤَدِّهِ إِلَيْكَ ، اغْفِرْ لِي جَمِيعَ مَا ثَبَتُ إِلَيْكَ مِنْهُ ثُمَّ عُدْتُ فِيهِ .

يَا رَبِّ تَظَاهَرْتُ ^(٢) عَلَىٰ مِنْكَ النَّعْمُ ، وَتَدَارَكْتُ عِنْدَكَ مِنَ الذُّنُوبِ ، فَلَكَ الْحَمْدُ عَلَى النَّعْمِ الَّتِي تَظَاهَرْتُ ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِلذُّنُوبِ الَّتِي تَدَارَكْتُ ، وَأُمْسِيتَ عَنِ عَذَابِي غَنِيًّا ، وَأَصْبَحْتُ إِلَى رَحْمَتِكَ فَقِيرًا .

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ نَجَاحَ الْأَمَلِ ، عِنْدَ انْقِطَاعِ الْأَجَلِ ، اللَّهُمَّ اجْعَلْ خَيْرَ عَمَلِي مَا وَلِيَ أَجَلِي ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أُعْطِيَتْهُمْ شَكَرُوا ، وَإِذَا ابْتَلِيَتْهُمْ صَبَرُوا ، وَإِذَا أُذْكَرَتْهُمْ ذَكَرُوا ، وَاجْعَلْ لِي قَلْبًا تَوَّابًا أَوْابًا ، لَا فَاجِرًا وَلَا مُرْتَابًا ، اجْعَلْنِي مِنَ الَّذِينَ إِذَا أَحْسَنُوا زَادُوا ، وَإِذَا أَسَاءُوا اسْتَغْفَرُوا .

اللَّهُمَّ لَا تَحْقُقْ عَلَيَّ الْعَذَابَ ^(٣) ، وَلَا تَقْطَعْ بِي الْأَسْبَابَ ، وَاحْفَظْنِي فِي كُلِّ مَا حَاطَ بِهِ شَفَقَتِي ، وَتَأْتِي مِنْ وَرَائِهِ سَبْعَتِي ^(٤) ، وَتَعَجَّزْ عَنْهُ قُوَّتِي ، أَدْعُوكَ دَعَاءَ ضَعِيفٍ عَمَلُهُ ، مَتَظَاهِرَةٍ ذَنْبُهُ ، ضَعِيفٍ عَلَى نَفْسِهِ ، دَعَاءَ مَنْ بَدَنُهُ ضَعِيفٌ ، وَمُتَبَسِّئُهُ ^(٥) عَاجِزَةٌ ، قَدْ انْتَهَتْ عُذَّتُهُ ، وَخَلَقْتَ ^(٦) جِدَّتَهُ ، وَتَمَّ ظِلْمُوهُ ، اللَّهُمَّ

[١] فعلة من عمّ الميم : أى عظامه واسم ، أو هي « غنمه » بالهم : أى ملائه وكرب عذابه .

[٢] من تظاهروا إذا تعادوا : أى تناهت . [٣] يشير إلى قوله تعالى : « أَفَأَنْتَ حَقٌّ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنْفِذُ مِنْ فِي النَّارِ » . [٤] فعلة من السح : وهو التغلب والانتصار

في الأرض ، والإن مادي والسير ، والصرف في اللعاش . [٥] اللة : أهوة .

[٦] حاقى الثوب كعصر وكرم وجمع : طى ، والطمه : ما بين الشريطين والورديين .

لا تخيِّني وأنا أرجوك ، ولا تعذِّبني وأنا أدعوك ، والحمد لله على طول النسيئة ^(١) ،
وحسن التَّباعَة ^(٢) ، وتشجِّع العروق ، وإساقعة الريق ، وتأخر الشدايد ، والحمد
لله على حِلِّهِ بعد علمه ، وعلى عفوهِ بعد قدرته ، والحمد لله الذي لا يُودَى ^(٣)
قتيلُهُ ، ولا يخيبُ سؤلُهُ ، ولا يُردُّ رسولُهُ ، اللهم إني أعوذ بك من
الفقر إلَّا إليك ، ومن الذَّنْءِ إلَّا لك ، وأعوذ بك أن أقول زوراً ، أو أغشَى
جُوراً ، أو أكون بك منوراً ، وأعوذ بك من شامة الأعداء ، وعُضال الداء ،
وخِيبة الرجاء ، وزوال النعمة » . (الفداء لمرشد : ٧٧ ، والبايع والشيخ : ٣٢٤ : ١٣٧ - ١٣٨)

٩٨ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي وهو يطوف بالكعبة فقال :

« إلهي مَنْ أُوْلَى بالتقصير والزلل مني وأنت حلقتني ؟ وَمَنْ أُوْلَى بالمغو منك
عني وعلمك بي ماضٍ ، وقضاؤك بي مُحِيط ؟ أطمعت بقوتك والمِنَّة لك ، وعَصَيْتُكَ
بملكك ، فأسألك يا إلهي - بوجوب رحمتك وانقطاع حجتي ، وافترارِي إليك
وعِناكَ عني - أن تغفِرَ لي وترحمَني .

إلهي لم أَحْسِنْ حتى أعطيتَنِي ، فتجاوزَ عن الذنوب التي كتبتَ عليَّ ، اللهم
إنَّا أطمعناكَ في أَحَبِّ الأشياءِ إليك : شهادة أن لا إلهَ إلَّا أنت . وحدَّكَ لا شريكَ
لك ، ولم نَعْصِكَ في أبغضِ الأشياءِ إليك : الشُّركَ بِكَ ، فاعفِرْ لي ما بين ذلك .

[١] الإمهال والتأخير . [٢] انشاعة مثل النخلة بفتح فـ كـ . قوله الشاعر :

أكلت حيفة ربها رمن القمح واعصاه
لم يجدوا من ربه سوء العواقب وانشاعه

« لأنهم كانوا قد اتحدوا إليها من حبس صدقوه زماناً ، ثم أصابهم مجاعة فأكلوه » - والمحيس كـ شـس :
تمر يخلط بالسنن واللب المحيس يجمع شديداً ، ثم يدرمه بواه .

[٣] ودَى القتل كومي : أعطى دجيه ، والسول محف عن سؤل : وهو مدسنة .

اللهم إنك آنسُ المؤمنين لأوليائك ، وأحضرهم للمتوكلين عليك ، إلهي
أنت شاهدُهم وغائبُهم ، والمطلع على ضمائرهم ، وسِرِّي لك مكشوف ، وأنا
إليك ملهوف ، إذا أوحشتني الغربة آنستني ذِكْرُكَ ، وإذا أكتبْتُ عَلَى
القومُ ، لجأتُ إلى الاستجارة بك ، علماً بأن أزمة الأمور كلها بيدك ، ومصدرها
عن قضائك ، فأقِلْنِي ^(١) إليك مَقُوراً لى ، معصوماً بطاعتك بقية عمري ،
يا أرحم الراحمين .

٩٩ - دعاء أعرابي

وقال الأصمى : حَجَّجْتُ فَرَأَيْتُ أَعْرَابِيًّا يَطُوفُ بِالْكُعبَةِ وَيَقُولُ :
يا خَيْرَ مَوْفُودٍ سَعَى إِلَيْهِ الْوُفْدُ ^(٢) ، قَدْ ضَعُفَتْ قُوَّتِي ، وَذَهَبَتْ مُنْتَى ، وَأَتَيْتُ
إِلَيْكَ بِذُنُوبٍ لَا تَنْسِلُهَا الْأَنْهَارُ ، وَلَا تَحْمِلُهَا الْبَحَارُ ، أَسْتَجِيرُ بِرِضَاكَ مِنْ
مُخْطَاطِكَ ، وَبِعَفْوِكَ مِنْ عِقَابِكَ ، ثُمَّ التَفَتَ فَقَالَ : « أَيُّهَا الْمَشْفُقُونَ ، ارْحَمُوا
مَنْ شِئَلْتَهُ الْخَطَايَا ، وَتَغَمَّرَتْهُ الْبَلَايَا ، ارْحَمُوا مَنْ قَطَعَ الْبِلَادَ ، وَخَلَّفَ مَا مَلَكَ
مِنْ الثَّلَاثِ ، ارْحَمُوا مَنْ وَجَّعَتْهُ الذُّنُوبُ ، وَظَهَرَتْ مِنْهُ الْعُيُوبُ ، ارْحَمُوا أَسِيرَ ضُرٍّ ،
وَطَرِيدَ فَقْرٍ ، أَسْأَلُكُمْ بِالَّذِي أَعْمَلْتُمْ الرِّغْبَةَ إِلَيْهِ ، إِلَّا مَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ أَنْ يَنْبَغِيَ لِي
عَظِيمُ جُزْئِي » ، ثُمَّ وَضَعَ فِي حَلْقَةِ الْبَابِ خَدَّهُ وَقَالَ : ضَرَعَ خَدِّي لَكَ ، وَذَلِكَ
مَقَامِي بَيْنَ يَدَيْكَ ، ثُمَّ أَنْشَأَ يَقُولُ :

عَظِيمُ الذَّنْبِ مَكْرُوبٌ مِنْ الْخَلِيَرَاتِ مَسْلُوبٌ
وَقَدْ أَصْبَحْتُ ذَا فَقْرٍ وَمَا عِنْدَكَ مَطْلُوبٌ

[١] أَقْلَهُ : حَمَلَهُ . [٢] وَدَّ إِلَيْهِ وَعَلَيْهِ : قَسَمَ ، وَمَوْفُودٌ وَوَدَّ كَشَيْسٍ وَرَكَمٌ وَأَوْدَادٌ .

١٠٠ - دعاء أعرابي

وسمع أعرابي يعرفات عشيّة عرفّة وهو يقول :

« اللهم إن هذه عشيّةٌ من عشايا عَجَبْتُكَ ، وأحد أيام زُلْفَتِكَ ^(١) ، يأمل فيها من لَجَأَ إليك من خلقك أن لا يُشْرَكَ بك شيئاً ، بكل لسان فيها يُدْعَى ، ولكل خير فيها يُرْجَى ، أُنْتُكَ الْمُصَاةُ من البلد السَّحِيقِ ^(٢) ، ودعتك العُناةُ ^(٣) من شُعْبِ المَضِيقِ ، رجا ما لا خُلْفَ له من وعدك ، ولا انقطاعَ له من جزيل عطائك ، أُنَبِّئُكَ لك وجوهها المَصُونَةُ ، صابرةً على وَهَجِ السَّامِ ^(٤) ، وَبَرْدِ الليالي ، ترجو بذلك رضوانَكَ ، يا غَفَّارُ ، يا مُسْتَزَاداً من نِعَمِهِ ، وَمُسْتَعَاذاً من نِقَمِهِ ، ارحم صوتَ حزينٍ دعاكَ بزفيرٍ وشهيقٍ » .

ثم بسط كلنا يديه إلى السماء وقال : « اللهم إن كنت بسطت يدي إليك داعياً ، فظالما كَفَيْتَنِي ساهياً ، بنعمتك التي تظاهرت على عِنْدِ الغفلة ، فلا أياُسُ بهاعند التوبة ، لا تقطع رجائي منك لما قدّمت من اقرار ^(٥) آثامك ، وإن كنت لا أصل إليك إلا بك ، فهب لي ياربّ الصّلاح في الولد ، والأمن في البلد ، والمافية في الجسد ، وعافني من شرّ الحسد ، ومن شرّ الدهر التَّكْد ^(٦) » .

(المفرد الفريد ٢ : ٧٧ ، والأمل ٢ : ٣٢٣)

[١] الرلة : اقترية . [٢] للبيد . [٣] الماء جمع عان من عا : أي دلة وخمع ، وفي رواية الأمل : « أُنْتُكَ الصّوامر من الفع المنيق ، وحات إليك المارق من شعب المنيق » والصوامر الإبل المنزولة ، والمارق جمع مرق (هم اليم وضع الراء) : انصراء للساء .

[٤] السام جمع صوم كصور : وهي الريح الحارة تكون غالباً بالبار ، وفي رواية الأمل : « على نفع السام ، ورد ليل التمام » - ولب التمام (ككتاب) ولب تميمي : أطول ليل اشتاء - وفي رواية الأمل : « منك تظاهرها على عِدِ الغفلة ، فكيف أياُس منها عند الرحة » - وأصل الفعل (بالتحريك) : الرجوع من السفر ، ويطلق على الانتهاء في السفر كما هنا تفاؤلاً بالرجوع .

[٥] اقترى اللب : أتاه وصله .

[٦] يقال : رحل ككد ككتف وسبب وشمس وانكد : شؤم عمر .

١٠١ - دعاء أعرابي

ودعا أعرابي فقال : « يَا عِمَادَ مَنْ لَا عِمَادَ لَهُ ، وَيَا رُكْنَنْ مِنْ لَا رُكْنَنْ لَهُ ،
وَيَا مُجِيرَ الضَّعْفَى ^(١) ، وَيَا مُنْقِذَ الْهَلَكَى ، وَيَا عَظِيمَ الرَّجَاءِ ، أَنْتَ الَّذِي سَبَّحَ لَكَ
سَوَادُ اللَّيْلِ ، وَبَيَاضُ النَّهَارِ ، وَضَوْءُ الْقَمَرِ ، وَشُعَاعُ الشَّمْسِ ، وَخَفِيفُ الشَّجَرِ ،
وَدَوَى الْمَاءِ ^(٢) ، يَا مُحْسِنَ ، يَا مُجِيلَ ، يَا مُفْضِلَ ، لَا أَسْأَلُكَ الْخَيْرَ بِخَيْرِهِمْ عِنْدَكَ ،
وَلَكِنِّي أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ ، فَاجْعَلْ الْعَافِيَةَ لِي شِعَارًا وَدِيَارًا ^(٣) ، وَجَنَّةَ دُونَ كُلِّ بَلَاءٍ »

١٠٢ - دعاء أعرابي

وقال الأصمى : سمعت أعرابيا في فلاة من الأرض ، وهو يقول في دعائه :
« اللَّهُمَّ إِنْ اسْتَغْفَرِي إِيَّاكَ مَعَ كَثْرَةِ ذُنُوبِي لَلْوُثِ ، وَإِنْ تَرَكِي الْاسْتِغْفَارَ مَعَ
مَعْرِفِي بِسَمَةِ رَحْمَتِكَ لَعَجْزُ ، إِلَهِي كَمْ تَحَيَّيْتُ إِلَيْكَ بِعَمَّتِكَ ، وَأَنْتَ غَنِيٌّ عَنِّي ، وَكَمْ
أَتَبَخَّصُ إِلَيْكَ بِذُنُوبِي ، وَأَنَا فَقِيرٌ إِلَيْكَ ، سُبْحَانَ مَنْ إِذَا تَوَعَّدَ عَفَا ، وَإِذَا وَعَدَ وَفَّى »

١٠٣ - دعاء أعرابي

قال : وسمعت أعرابيا يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنْ ذُنُوبِي إِلَيْكَ لَا تَضُرُّكَ ،
وَإِنْ رَحْمَتُكَ إِيَّاي لَا تَنْقُصُكَ ، فَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَضُرُّكَ ، وَهَبْ لِي مَا لَا يَنْقُصُكَ » .

١٠٤ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابيا وهو يقول في دعائه : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ حَمَلَ
الْخَاطِئِينَ ، وَخَوْفَ الْعَامِلِينَ ، حَتَّى أَتَنَعَّمَ بِتَرَكِ النِّعَمِ ^(١) طَمَعًا فِيمَا وَعَدْتَ ،
وَخَوْفًا مِمَّا أَوْعَدْتَ ، اللَّهُمَّ أَعِزَّنِي مِنْ سَطَوَاتِكَ ، وَأَجِرْنِي مِنْ تَقَمَّاتِكَ ، سَبَقْتَ
لِي ذُنُوبَ ، وَأَنْتَ تَغْفِرُ لِمَنْ يَحُوبُ ^(٢) ، إِلَيْكَ بِكَ أَتَوَسَّلُ ، وَمَنْكَ إِلَيْكَ أَفِرُّ » .

[١] الضمى جمع صعيب . [٢] المني : أن هذه الكائنات تدمر للتأمل فيها إلى تسبيحه حل شأنه

[٣] الشعار : ما يلبس على شعر الحسد ، والفتنة . ما يلبس فوق الشعار ، والجنة : الوفاة .

[٤] أي في الدنيا . [٥] حب محبوب : أتم .

١٠٥ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول : « اللهم إن قوما آمنوا بك بالسنتهم ، ليَحْقِنُوا دماءهم ، فأدركوا ما أمَّلُوا ، وقد آمنَّا بك بقلوبنا ، لنُجِيرَا من عذابك ، فأدرك منا ما أمَّلناه . »

١٠٦ - دعاء أعرابي

قال : ورأيت أعرابياً متعلقاً بأستار الكعبة ، رافعاً يديه إلى السماء ، وهو يقول : « ربِّ أترك معذَّبنا ، وتوحيدك في قلوبنا ؟ وما إخالك تفعل ! ولئن فعلت لتَجْمَعُنَا مع قوم ظالمنا أبغضناهم لك . »

١٠٧ - دعاء أعرابي

وقال : سمعت أعرابياً يقول في صلاته : « الحمد لله حمداً لا يَبْلَى جديده ، ولا يُحْصَى عديده ^(١) ، ولا يُبْلَغُ حدوده ، اللهم اجعل الموت خير غائب تنتظره ، واجعل القبر خير بيت تُقَرُّهُ ، واجعل ما بعده خيراً لنا منه ، اللهم إن عني قد أغرورقتا دموعاً من خشيتك ، فاغفر الزلة ، وعُدْ بحلمك ، على جهل من لم يرجُ غيرك . »

١٠٨ - دعاء أعرابي

وقال : رأيت أعرابياً أخذ يحلقتني باب الكعبة وهو يقول : « سائرُك عند بابك ، ذهبت أيامُ ، وبقيت آثامُ ، واتقطعت شهُوته ، وبقيت تباغته ، فارضَ عنه ، وإن لم ترضَ عنه فاعفُ عنه غير راض . »

١٠٩ - دعاء أعرابي

قال : ودعا أعرابي عند الكعبة فقال : « اللهم إنه لا شرف إلا بفعل ، ولا فعال إلا بحال ، فأعطني ما أستعينُ به على شرف الدنيا والآخرة . »

١١٠ - دعاء أعرابي

عن طاووس قال : « بينا أنا بمكة إذ دَفَعْتُ إلى الحجاج بن يوسف ، فتَنَى لى وسَاداً فجلست ، فبينما نحن نتحدث إذ سمعتُ صوتَ أعرابي في الوادي رافعاً صوته بالتلبية ، فقال الحجاج : علىَّ بالمَلَبِّي ، فَأَتَى به فقال : مَنْ الرَّجُلُ ؟ قال : من أَفْنَاءِ الناسِ ^(١) ، قال : ليس عن هذا سألتُكَ ، قال : نَعَمْ سألتُني ، قال : من أى البُلْدَانِ أنت ؟ قال : من أهل اليمن ، قال له الحجاج : فكيف خلقتَ محمد ابن يوسف - يعنى أخاه ، وكانَ حامِله على اليمن - قال : خلقتُهُ عظيمًا جسيمًا ، خَرَّاجًا وَلَاجًا ، قال : ليس عن هذا سألتُكَ ، قال : نَعَمْ سألتُني ، قال : كيف خَلَقْتَ سيرته في الناس ؟ قال : خَلَقْتُهُ ظُلُومًا غَشُومًا ^(٢) ، عاصيًا للخالق ، مُطِيعًا للمخلوق ، فازور ^(٣) من ذلك الحجاج ، وقال : ما أَقْدَمَكَ لهذا ، وقد تعلم مكانته منى ! فقال له الأعرابي : أَقْرَاهُ بِمَكَانَةٍ مِنْكَ أَعَزُّ مِنِّي بِمَكَانَتِي مِنَ اللَّهِ تَبَارَكَ وتعالى ، وَأَنَا وَأَفْدِ يَتَهُ ، وقاضِي دَيْنَهُ ، ومصدِّق نبيهِ صلى الله عليه وسلم ؟ فَرَجَمَ ^(٤) لها الحجاج ، ولم يُجِرْ له جوابًا ^(٥) ، حتى خرج الرجل بلا إذن .

قال طاووس : فتبعته حتى أتى المُنْتَزِمَ فتعلَّقَ بِأَسْتَارِ الكعبة ، فقال : بك أَعُوذُ ، وإِلَيْكَ أَلُوذُ ، فاجعل لى في اللَهْفِ إلى جِوَارِكَ ، والرَّضَا بِضَمَانِكَ ، مندوحة ^(٦) ، عن منع الباخلين ، وَغَنَى عما في أيدي المُسْتَأَثِرِينَ ، اللهم عُدْ بِفِرَاجِكَ القريب ، ومعرُوفِكَ القديم ، وعادتك الحَسَنَةَ .

قال طاووس : ثم اختفى في الناس ، فألقينهُ بِمِرَفَاتٍ قائمًا على قدميه وهو

[١] يقال « هو من أماء الناس » إذا لم يعلم من هو ، واحده فوكحل أو ما كعما .

[٢] ظُلُومًا . [٣] أَزُورُ : أعرف ومال ، أى غضب منه . [٤] وهم : سكت على غيظ .

[٥] أى لم يردده . [٦] أى متعصا .

يقول : « اللهم إن كنتَ لم تقبلِ حَيِّي وَنَصِيَّ ^(١) وَتَعَبِي ، فلا تَحْرِمْني أَجْرَ المَصَابِ على مصيبتِهِ ، فلا أَعْلَمْ مُصِيبَةً أَعْظَمَ مِنْ وَدِّ حَوْضِكَ ، وانصرف محروماً من وجه رغبتك » .

١١١ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : رأيت أعرابياً يطوف بالكعبة وهو يقول :

« إلهي عَجَبْتُ ^(٢) إليك الأصواتُ ، بضروبٍ من اللغات ، يسألونك الحاجات ، وحاجتي إليك إلهي أن تذكرني على طول البكاء ، إذا نَسِيتني أهلُ الدنيا ، اللهم هب لي حَقَّكَ ، وأرضِ عني خَلْقَكَ ، اللهم لا تُعَيِّنِي في طلب ما لم تُقَدِّرْهُ لي ، وما قَدَّرْتَهُ لي فيسِّرْهُ لي » .

١١٢ - دعاء أعرابي

قال : ودعت أعرابية لابن لها وجهته إلى حاجة فقالت : « كَانَ اللهُ صَاحِبِي ٥ في أَمْرِكَ ، وخَلِيفَتِكَ في أَهْلِكَ ، وَوَلِيَّ نُجْحِ طَلِبَتِكَ ^(٣) ، امضِ مُصَاحِبًا مَكْلُوءًا ^(٤) ، لَا أَشْمِتُ اللهُ بِكَ عَدُوًّا ، وَلَا أَرَى مُجِيئَكَ فَيْكَ سَوْءًا » .

(النقد المريد ٢ : ٧٦ - ٧٩)

١١٣ - دعاء أعرابي

وقال الأصمعي : خرجت أعرابية إلى مِنَى فَقَطَّعَ بها الطريقُ فقالت : « يارب : أعطيت وأخذت ، وأنعمت وسلبت ، وكلُّ ذلك منك عَدْلٌ وَفَضْلٌ ، والذي عَظَّمْتَ على الخلائق أَمْرَكَ ، لَا يَسْتَطِيعُ لِسَانِي بِمَسْأَلَةِ أَحَدٍ عَيْبَكَ ، وَلَا بِذَلَّتْ رَغْبَتِي إِلَّا إِلَيْكَ ، يَا قُرَّةَ أَعْيُنِ السَّائِلِينَ : أَغْنِنِي بِجُودِكَ مِنْكَ أَنْتَجِجَ ^(٥) في

[١] في الأصل « وصى » وأراء محرّره عن « نصي » ، ونؤيده قوله بعد « ونصي » .

[٢] عَجَّ يَعْجُ بكسر الهمزة وتحتها : صلح وروح صوته .

[٣] الحج : الجاه ، والطلبية : ما طلبته . [٤] من كَلَّاهُ كَسَهُ : حرسه .

[٥] تَجِج : تمكن في اللقمة والخلول ، وتَجِج الدار : توسطها ، وأعرابيس جمع مردوس :

وهو الستار .

فَرَادِيسِ نِعْمَتِهِ ، وَأَتَقَلَّبَ فِي رُواقِ نَصْرَتِهِ ^(١) ، اِجْلَى مِنْ الرَّجُلَةِ ^(٢) ، وَأَغْنَى مِنْ الْعَيْلَةِ ، وَاسْدَلَّ عَلَى سِتْرِكَ الَّذِي لَا تَخْرِقُهُ الرِّيحُ ، وَلَا تُزِيلُهُ الرِّيحُ ، إِنَّكَ صَمِيعُ الدُّعَاءِ . (البيان والنبيع ٢ : ٧٨ ، والقصد الفريد ٣ : ١٣٨)

١١٤ - أدعية شتى

وَمَاتَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي وَهَبْتُ لَهُ مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ بَرٍّ ، فَهَبْ لِي مَا قَصَّرَ فِيهِ مِنْ طَاعَتِكَ ، فَإِنَّكَ أَجودُ وَأَكْرَمُ » .

(القصد الفريد ٢ : ٧٩ ، والبيان والنبيع ٣ : ١٣٨)



وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ فِي بَعْضِ الْمَوَاسِمِ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنَّ لَكَ عَلَيَّ حَقًّا فَتَصَدَّقْ بِهَا عَلَيَّ ، وَلِلنَّاسِ تَبِعَاتٌ قَبْلِي فَتَحْمِلْهَا عَنِّي ، وَقَدْ أُوجِبْتَ لِكُلِّ ضَيْفٍ قِرَى ^(٣) ، وَأَنَا ضَيْفُكَ اللَّيْلَةِ ، فَاجْعَلْ قِرَايَ فِيهَا الْجَنَّةَ » .

(القصد الفريد ٢ : ٧٨ ، والبيان والنبيع ٢ : ٤٨)



وَقَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ عَنِّيَّةَ عَرَفَةَ : « اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنِي خَيْرَ مَا عِنْدَكَ لِشَرِّ مَا عِنْدِي ، وَإِنْ لَمْ تَقْبَلْ تَعْبِي وَنَصَبِي ، فَلَا تَحْرِمْنِي أَجْرَ الْمُصَابِ عَلَى مَصِيبَتِهِ » . (دُرر الآداب ٣ : ١٦٣)



وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيًّا يَقُولُ لِرَجُلٍ : « أَطْعَمَكَ اللَّهُ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي ، فَقَدْ أَحْيَيْتَنِي بِقَتْلِ جَوْعِي ، وَدَفَعْتَ عَنِّي سُوءَ ظَنِّي ، فَحَفِظَكَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ جَنْبٍ ، وَفَرَّجَ عَنكَ كُلَّ كَرْبٍ ، وَغَفَرَ لَكَ كُلَّ ذَنْبٍ » (القصد الفريد ٢ : ٨٤)

[١] في الأصل « رواق » وهو الصماء ، وأراء غرداً عن « رواق » وهو السطاط ، والصرة : النسبة والى . [٢] رجل كدهج فهو راحل ورحلان : إذا لم يكن له طهر يركبه ، والرجلة نالفتح ويكسر : شدة للثني ، واليعة : الفرس .

[٣] قرى الضيف كرمى ، قرى - أحسن إليه ، والقرى أيضا : ما قرى به الضيف .

عن الأصمعي قال : رأيت أعرابيا يصلي وهو يقول : « أسألك النقيرة ^(١) ،
والنافاة النزيرة ، والشرف في العشيرة ، فإنها عليك يسيرة » . (الأماي ٢ : ٢٣)

عن عبد الرحمن عن عمه قال : سمعت أعرابيا يدعو لرجل فقال : « جَنِّبَكَ
الله الأترنين ^(٢) ، وكفالك شرَّ الأجوفين ^(٣) ، وأذاذك البرذنين ^(٤) » .
(الأماي ٢ : ٧٧ ، والبيان والتبيين ٣ : ١٣٧)

ودعا أعرابي فقال : « اللهم إني أسألك البقاء ، والنماء ، وطيب الإثناء ^(٥) ،
وَحَطَّ الأعداء ، ورفع الأولياء » . (البيان والتبيين ١ : ١٦٣)

وقال أعرابي : « اللهم لَا تُنْزِلْنِي ماء سَوَاء ، فَأَكُونَ امْرَأَ سَوَاء » وقال
أعرابي : « اللهم قِنِي عَثَرَاتِ الْكِرَام » . (البيان والتبيين ١ : ٢١٥)

ووهب رجل لأعرابي شيئا فقال : « جعل الله للمعروف إليك سييلا ،
وللغير عليك ذليلا ، وجعل عندك رفدا ^(٦) جريلا ، وأبقاك بقاء ضويلا ،
وأبلاك ^(٧) بكلاء جيلا » .

وقال الأصمعي : سمعت أعرابيا يدعو وهو يقول : « اللهم ارزقني ما لا
أُكْبِت ^(٨) به الأعداء ، وَبَيْنَ أَصُولَ بِهِم على الأقوياء » .
(البيان والتبيين ٣ : ٢٢٤)

[١] النقيرة : المعرة . [٢] الأتران : القتر والمهرم ، و الأجوف والخرى . [٣] الأتران :
العل والامرح . [٤] البردان : رد العين وبرد الضافية . [٥] الإثناء : ثناء ، أو أنت تشجرة
أثرا وإثناء : طلع ثمرها ، أو بدأ صلاحها ، أو كثر منها . [٦] الرفد : إغناء ونفقة .
[٧] الإبلاد : الإمام والإحسان ، أبلت عنده بلاء حسا ، وأبلاه الله بلاء حسا .
[٨] كبت : حصره وأدله ، ورد العتق يمتله .

✽

ودعت أعرابية على رجل فقالت : « أمكن الله منك عدوًّا حسودا ،
وَجَمْعَ بكَ صَدِيقًا وَدُودًا ، وَسَلَّطَ عَلَيْكَ هَمًّا يُضْنِيكَ ، وَجَارًا يُؤْذِيكَ » .

(المقد الفريد ٢ : ٩١)

✽

ودعا أعرابي فقال : « أعوذ بك من الفَوَاقِرِ ^(١) والبواقِر ، ومن جَارِ السَّوِّءِ ،
فِي دَارِ الْمَقَامَةِ وَالظُّلْمِ ، وَمِمَّا يَنْسَكُسُ رَأْسَ الْمَرْءِ ، وَيُعْرِى بِهِ لثَامَ النَّاسِ » .

✽

وقال أعرابي : « أعوذ بك من سَقَمٍ ، وعداوة ذِي رَحِمٍ وَدَعْوَاهُ ، ومن
فَاجِرٍ وَبَجْدَوَاهِ ^(٢) ، وعمل لا ترضاه » .

(البيان والتبيين ٣ : ١٣٦)

✽

ودعت أعرابية لرجل فقالت : « كَبَتَ اللَّهُ كُلَّ عَدُوِّكَ إِلَّا نَفْسَكَ » .
ودعا أعرابي فقال : « اللَّهُمَّ هَبْ لِي حَقَّكَ ، وَأَرْضَ عَنِّي خَلْقَكَ » .
وقال أعرابي : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَنَا أَنْ نَعْفُو عَنْ ظَلَمَتِنَا ، وَقَدْ ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا
فَاعْفُ عَنَّا » .

(البيان والتبيين ٣ : ١٣٧)

✽

وقال أعرابي : « مَنْحَكُمُ اللَّهُ مِنْحَهُ لَيْسَتْ بِمَجْدَاءَ ، وَلَا نَكْدَاءَ ، وَلَا
ذَاتَ دَاءٍ » .

وقال أعرابي : « اللَّهُمَّ إِنَّكَ حَبَسْتَ عَنَّا قَطَرَ السَّمَاءِ ، فَذَابَ الشَّجَمُ ،
وَذَهَبَ اللَّحْمُ ، وَزَقَّ الْعَظْمُ ، فَارْحَمِ أَيْنَ الْآئِنَةِ ، وَحَنِينَ الْحَائِنَةِ ، اللَّهُمَّ ارْحَمْ
تَحِيرَهَا فِي مَرَاتِعِهَا ، وَأَنْبِتَهَا فِي مَرَاتِعِهَا » .

[١] الفَوَاقِر جمع فاقرة : وهي العاهية ، والبواقِر جمع بقرة : وهي الصة الصاعدة للآلة الخافقة للمصا .

[٢] الجُدَى : العطية .

وَجَّحَ أَعْرَابِي فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ رِزْقِي فِي السَّمَاءِ فَأَنْزِلْهُ ، وَإِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ فَأَخْرِجْهُ ، وَإِنْ كَانَ نَائِثًا فَقَرِّبْهُ ، وَإِنْ كَانَ قَرِيبًا فَبَسِّرْهُ » .
(البيان والتبيين ٣ : ١٣٨)

وَمَاتَ وَلَدٌ لِرَجُلٍ مِنَ الْأَعْرَابِ فَصَلَّى عَلَيْهِ ، فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَرِيمُ الْجَدِّينَ ، سَهْلُ الْخَلْدَيْنِ ، فَاعْفِرْ لَهُ وَإِلَّا فَلَا » . (الأمل ١ : ٢٠٢)
وَقَالَتْ أَعْرَابِيَةٌ لِرَجُلٍ : « رَمَاكَ اللَّهُ بَلِيلَةً لَا أُخْتَ لَهَا » أَيْ لَا تَمِيشُ بَعْدَهَا . (الأمل ١ : ٢١٧)

وَدَعَا أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ ، أَوْ أَضِلَّ فِي هِدَاكَ ، أَوْ أَذِلَّ فِي عِزِّكَ ، أَوْ أَصْنَمَ فِي سُلْطَانِكَ ، أَوْ أَضْطَهَّدَ الْأَمْرُ إِلَيْكَ » . (زمر الآداب ٣ : ١٦٤)

وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ : سَمِعْتُ أَعْرَابِيَّةً تَقُولُ : « اللَّهُمَّ ارْزُقْنِي عَمَلِ الْخَائِفِينَ ، وَخَوْفِ الْعَامِلِينَ ، حَتَّى أَنْتَمَّ بِتَرْكِ التَّوَكُّلِ رَجَاءٌ لِمَا وَعَدْتَ ، وَخَوْفًا بِمَا أَوْعَدْتَ » .
وَقَالَ آخَرُ : « اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بَنَاءَ سَوْءٍ فَأُحِطْ بِهِ كَمَا حِطُّوا بِالْقَلَاثِدِ ، بِأَعْنَاقِ الْوَلَاثِدِ ^(١) ، وَأَرْسِنْهُ عَلَى هَامَتِهِ كَرَسُوخِ السَّجِيلِ ^(٢) ، عَلَى هَامِ أَصْحَابِ النَّهْمِ » .
(زهر الآداب ٣ : ٣٤٦)

[١] الولائد جمع وليدة : وهي الصبية . [٢] السجيل : طين مطوخ ، يشير إلى قوله تعالى : « وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ، تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ » وَأَبَابِيلُ أَيْ جَبَابِلُ .

١١٥ - نوادر وملح لبعض الأعراب

غزا أعرابي مع النبي صلى الله عليه وسلم فقبل له : ما رأيت مع رسول الله في غزائك هذه ؟ قال : وضع عنا نصف الصلاة ^(١) ، وأرجو في الغزاة الأخرى أن يضع النصف الباقي .



ودخل أعرابي المسجد ، والنبي صلى الله عليه وسلم جالس ، فقام يصلي ، فلما فرغ ، قال : اللهم ارحمني ومحمداً ، ولا ترحم معنا أحداً ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام : لقد تحجرت ^(٢) واسمياً يا أعرابي .



وخرج الحجاج متصيداً بالمدينة ، فوقف على أعرابي يرعى إبلأ له ، فقال له : يا أعرابي ، كيف رأيت سيرة أميركم الحجاج ؟ قال له الأعرابي : عَشُوم ظُلُوم ، لا حيأه الله ، فقال : فليَم لا شكوتموه إلى أمير المؤمنين عبد الملك ؟ قال : فَأَظْلَمُ وَأَغْثَمُ ! فبينما هو كذلك إذ أحاطت به الخيل ، فأوماً الحجاج إلى الأعرابي ، فأخذ ومِهل ، فلما صار معه ، قال : من هذا ؟ قالوا له : الحجاج ، فخرتك دابته حتى صار بالقرب منه ، ثم ناداه يا حجاج ، قال : ما تشاء يا أعرابي ؟ قال : السر الذي بيني وبينك أحب أن يكون مكتوماً ، فضحك الحجاج ، وأمر بتخليه سبيله .



وخرج أبو العباس السفاح متزهاً بالأنبار ، فأمن في نزهته ، واتبذ من

[١] يعني صلاة التيمم . [٢] أي سبقت ما وسه الله وجمعت به منك دون عرك .

أصحابه ، فوافى خبأه لأعرابي ، فقال له الأعرابي : ممن الرجل ؟ قال : من كنانة ، قال : من أى كنانة ؟ قال : من أبفض كنانة إلى كنانة ، قال : فأنت إذن من قريش ؟ قال : نعم ، قال : فمن أى قريش ؟ قال : من أبفض قريش إلى قريش ، قال : فأنت إذن من ولد عبد المطلب ؟ قال : نعم ، قال : فمن أى ولد عبد المطلب ؟ قال : من أبفض ولد عبد المطلب إلى ولد عبد المطلب ، قال : فأنت إذن أمير المؤمنين ، السلام عليك يا أمير المؤمنين ، ووثب إليه ، فاستحسن ما رأى منه ، وأمر له بجائزة .

✽

وولى يوسف بن عمر الثقفى صاحب العراق أعرابياً على عمل له ، فأصاب عليه حياة ففزله ، فلما قدم عليه ، قال له : يا عدو الله ، أكلت مال الله ، قال الأعرابي : فقال مَنْ آكلُ إذا لم آكلْ مالَ الله ؟ لقد راودتُ إبليس أن يُعطيني قلنساً واحداً فما فعل ، فضحك منه وخلق سبيله .

✽

وأخذ الحجاج أعرابياً لصاً بالمدينة فأمر بضربه ، فلما قرعه بسوط قال : يارب شكراً ، حتى ضربه سبعمائه سوط ، فلقية أشعب ، فقال له : نَدِرِى لِمَ ضربت الحجاج سبعمائة سوط ؟ قال : لماذا ؟ قال : لكثرة شكرى ، إن الله تعالى يقول : « لئن شكرتم لأزيدنكم » ، قال : وهذا فى القرآن ؟ قل : نعم . فقال الأعرابي :

يَا رَبِّ لَا شُكْرًا فَلَا تَزِدْنِي أَسَاتُفِي شُكْرِي فَاعْفُ عَنِّي

بَاعِدْ ثَوَابَ الشَّاكِرِينَ مِنِّي

✽

ونزل عبد الله بن جعفر إلى خيمة أعرابية ولها دجاجة ، وقد دجنت ^(١) عندها ، فذبحتها وجاءت بها إليه ، فقالت يا أبا جعفر : هذه دجاجة لي كنت أذجنها وأغلفها من قوتي ، وألئسها في آناء الليل ، فكأنما ألس بنتي زلت عن كبدي ، فنذرتُ لله أن أدفنها في أكرم بقعة تكون ، فلم أجد تلك البقعة المباركة إلا بطنك ، فأردت أن أدفنها فيه ، فضحك عبد الله بن جعفر ، وأمر لها بخمسة دراهم .

✽

وسُمع أعرابي وهو يقول في الطواف : « اللهم اغفر لأمي » ، فقيل له : مالك لا تذكر أباك ؟ قال : أبي رجل يحتال لنفسه ، وأما أمي فبالسة ضيفة .

✽

وقال أبو زيد : رأيت أعرابياً كأن أفع كوز ، من عظمه ، فرآنا فضحك منه ، فقال : ما يضحككم ؟ فوالله لقد كنت في قوم ، ما كنت فيهم إلا أطفَساً ! .

✽

وجيء بأعراب إلى السلطان ومعه كتاب قد كتب فيه قصته ، وهو يقول : « هاؤم أقرءوا كتابي » ، فقيل له يقال هذا يوم القيامة ، قال : « هذا والله شر من يوم القيامة ، إن يوم القيامة يؤتى بحسنات وسيئاتي ، وأنتم جثتم بسيئاتي وتركتم حسناتي » .

✽

واشترى أعرابي علماً فقيلاً للبائع : هل فيه من عيب ؟ قال : لا ، إلا أنه

[١] دس الحما والشاء وصيرهما كسر : ألت البيوت .

يبول في الفراش ، قال : هذا ليس بسبيب ، إن وجد فراشا فليَل فيه .

ومرّ أعرابي بقوم وهو يتشدد ابنا له ، فقالوا له : صفه ، قال : كأنه دُنَيْبِر ، قالوا : لم نره ، ثم لم يلبث القوم أن أقبل الأعرابي ، وعلى عنقه جَعَل ^(١) ، فقالوا : هذا الذي قلت فيه دُنَيْبِر ؟ قال : « الْقَرْنَي ^(٢) في عين أمها حسناء » .

وقيل لأعرابي : ما عنك أن تغزو ؟ قال : والله إنى لأُبْض الموت على فراشي ، فكيف أن أمضى إليه رَكُضًا ؟ .

وخرج أعرابي إلى الحج مع أصحاب له ، فلما كان يعض الطريق راجعا يريد أهله ، لقيه ابن عم له ، فسأله عن أهله ومنزله ، فقال : أعلم أنك لما خرجت ، وكانت لك ثلاثة أيام ، وقع في بيتك الحريق ، فرفع الأعرابي يديه إلى السماء . وقال : ما أحسنَ هذا يارب ! تأمرنا بعمارة بيتك أنت ، وتخرب بيوتنا ! .

وخرجت أعرابية إلى الحج ، فلما كانت في بعض الطريق عطبت راحتها ، فرفعت يديها إلى السماء ، وقالت : « يارب أخرجتني من بيتي إلى بيتك ، فلا بيتي ولا بيتك ! » .

وعُرضت السجون بعد هلاك الحجاج ، فوجدوا فيها ثلاثة وثلاثين ألفا ، لم يجب على واحد منهم قتل ولا صلب ، وفيهم أعرابي ، أخذ يبول في أصل مدينة واسط ، فكان فيمن أطلق ، فأنشأ يقول :

[١] الملج : الحراء .

[٢] القرني : دوبة من حشائش الأرض مرق المعاء إذا مسها أحد نعتت صارت مثل السكر .

إذا ما خرجنا من مدينة واسطٍ خَرَيْنَا وَبُلْنَا لَا نَخَافُ عِقَابَا

ونظر أعرابي إلى قوم يلمسون هلال شهر رمضان فقال : « وَاللَّهِ لئن آتَرْتُمُوهُ لَتُمْسِكُنَّ مِنْهُ بِذُنَابِي ^(١) عيش أغبر » .

ونظر أعرابي إلى رجل سمين فقال : « أرى عليك قَطِيفَةً مِنْ نَسِجٍ أَضْرَأْسُكَ » .

وقال أعرابي : « اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِئْتَةَ كَمِيَّةِ أَبِي خَارِجَةَ ، أَكُلَ بَدَجًا ^(٢) ، وَشَرِبَ مِشْعَلًا ^(٣) ، وَنَامَ فِي الشَّمْسِ ، فَاتَ دَقَّانَ شُبَعَانَ رِيَّانَ » .

وقيل لأبي المَخَشِ الأعرابي : أَيْسَرُّكَ أَنْتَ خَلِيفَةٌ ، وَأَنْ أَمَّتِكَ حُرَّةٌ ؟ قال : لا والله ما يسرني ، قيل له : ولم ؟ قال : « لَأَنْهَا كَانَتْ تَذْهَبُ الْأُمَّةَ ، وَتَضِيعُ الْأُمَّةَ » .

وحضر أعرابي سُفْرَةَ سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَجَعَلَ يَمُرُّ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، فَقَالَ : مَنْ أَجْدَبُ اتَّجَع ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَى سُلَيْمَانَ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : إِذَا خَرَجَ عَنَّا فَلَا يَعْذُ إِلَيْنَا .

وشهد بعد هذا سُفْرَتَهُ أَعْرَابِي آخَرَ ، فَرَّ إِلَى مَا بَيْنَ يَدَيْهِ أَيْضًا ، فَقَالَ لَهُ الْحَاجِبُ : مِمَّا يَلِيكَ فَكُلْ يَا أَعْرَابِي ، قَالَ : مَنْ أَخْصَبُ تَخَيَّرَ ، فَأَعْجَبَ ذَلِكَ سُلَيْمَانَ ، فَقَرَّبَهُ وَأَكْرَمَهُ وَقَضَى حَوَائِجَهُ .

[١] الدثاني : الدب . [٢] الدح : ولد السان .

[٣] وللشمل : فَي . من جلود له أربع فرائم يند فيه ، وشرب مشعلا أي شرب ما فيه .

وحضر أعرابي سفرة سليمان بن عبد الملك ، فلما أتى بالفألوذج ، جعل يُسرع فيه ، فقال سليمان : أتدري ما تأكل يا أعرابي ؟ فقال : بلى يا أمير المؤمنين إني لأجد ريقاً هنيئاً ، وَمُرْدَرَدًا^(١) لَيْتَنِي ، وأظنه الصراط المستقيم الذي ذكره الله في كتابه ، فضحك سليمان وقال : أزيدك منه يا أعرابي ؟ فإنهم يذكرون أنه يزيد في الدِّماغ ، قال : كَذَّبوك يا أمير المؤمنين ، لو كَانَ كَذَلِكَ لَكَانَ رَأْسُكَ مِثْلَ رَأْسِ الْبَغْلِ ! .

❦

وحضر سفرة سليمان أعرابي ، فنظر إلى شَعْرَةٍ في لُقْمَةِ الأعرابي ، فقال : أرى شعرة في لقمتك يا أعرابي ، قال : وإنك لَتُرَاعِيَنِي مُرَاعَاةً مِنْ يُبْصِرُ الشَّعْرَةَ فِي لِقْمَتِي ! وَاللَّهِ لَا وَكَلْتِكَ أَبَدًا ، فقال : استرها يا أعرابي ، فإنها زَلَّةٌ ، وَلَا أَعُودُ لِمِثْلِهَا .

❦

وقال الأصمعي : قلت لأعرابي : أَتَنْهَمِرُ^(٢) إِسْرَائِيلَ ؟ قال : إني إِذْنُ لِرَجُلٍ سِوَاهُ ، قلت له : أَتَنْجِرُ فِلَسْطِينَ ؟ قال : إني إِذَا لَقَوِيَّ .

❦

وسمع أعرابي إماماً يقرأ : « وَلَا تُشْكِرُوا^(٣) الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا » - قرأها بفتح التاء - فقال : وَلَا إِنْ آمَنُوا أَيْضًا لَمْ تَنْكِحْهُمْ ، فقيل له إنه يلحن وليس هكذا يقرأ ، فقال : « أَخْرُوه قَبْجَةَ اللَّهِ ! لَا تَجْعَلُوهُ إِمَامًا ، فَإِنَّهُ يُحِلِّلُ مَا حَرَّمَ اللَّهُ » . (الغد العريد ٣ : ١٠٠ - ١٠٥)

[١] ازدوده : ابتلعه . [٢] من معاني الهجر : المزم . [٣] أي تزوجوا .

✱

وخطب أعرابي فلما أعجبه بعضُ الأمر عن التصدير بالتحديد ، والاستفتاح بالتمجيد ، قال : « أما بعد ، بغير ملالٍ لذكر الله ، ولا إيتارٍ غيره عليه ، فإننا نقول كذا ، ونسأل كذا » فراراً من أن تكون خطبته بتراء وشَوْهاً ^(١) .

(البيان والبيان : ٢ ، ١٤٧ : ٢١٥)

✱

ودفعوا إلى أعرابية عِلْكَاً ^(٢) لتضعه ، فلم تفعل ، ف قيل لها في ذلك ، فقالت : « ما فيه إلا تعبُ الأضراس وخَيِّبةُ الخَنْجَرَةِ » . (البيان والبيان : ٢ : ٤٧)

✱

وقيل لأعرابي : عند مَنْ تحب أن يكون طعامك ؟ قال : « عند أم صبي راضع ، أو ابن سبيل شاسع ، أو كبير جائع ، أو ذى رحم قاطع » .

(البيان والبيان : ٢ : ٤٩)

✱

وقال أعرابي :

« لولا ثلاث هُنَّ عيشُ الدهر المَاء ، والنوم ، وأم تمهرو ، لما خَشِيتُ من مَضِيقِ القبر » .

(البيان والبيان : ٢ : ١٠١)

✱

وسمع أعرابي رجلاً يقرأ سورة براءة فقال : « ينبغي أن يكون هذا آخر القرآن » ، قيل له : ولم ؟ قال : « رأيت عهداً تُنْبَذُ » .

(البيان والبيان : ٢ : ١٦٩)

[١] وكأولوا يسمون الخطبة التي لم يبتدئ صاحبها بالتحديد ، ويستفتح كلامه بالتمجيد « البتراء » ويسمون

التي لم توشع بالقرآن وترين بالصلاة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم « الشوها » .

[٢] العلك : اللسان (بالصم) .



وسمع أعرابي رجلاً يقرأ : « وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوَاحِ وَذُمِّرَ ، تَجَرَّى
بِأَعْيُنِنَا جَزَاءَ لِمَنْ كَانَ كُفِرًا ^(١) » ، قالها بفتح الكاف ، فقال الأعرابي :
« لا يكون » ، فقرأها عليه بضم الكاف وكسر الفاء ، فقال الأعرابي : « يكون » .
(البيان والنبين ٢ : ١٧٤)



[١] ذات الألواح والدر : هي الدمية ، والدر ما تشدّ به الألواح من المسامير وغيرها جمع دسار
كسكتاب ، بأعينا : بمرأى منا أى محمولة ، وقد قرئ كسر بالاء ففعل ، أى للسكارين ، أعرقوا
عقابا لهم .

الباب الرابع

في

خطب النكاح

١ - خطبة قريش في الجاهلية

روى الجاحظ قال :

كانت خطبة قريش في الجاهلية - يعنى خطبة النساء :

« باسمك اللهم ، ذُكِرْتُ ^(١) فلانة ، وفلانٌ بها مشغوفٌ ، باسمك اللهم ،
لك ما سألت ولنا ما أعطيت » .

٢ - خطبة النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة

« الحمد لله المحمود بنعمته ، المعبود بقدرته ، المرهوب من عذابه ، المرغوب
فيما عنده ، النافذ أمره في سماءه وأرضه ، الذى خلق الخلق بقدرته ، وميزهم
بأحكامه ، وأعزهم بدينه ، وأكرمهم بنبيه محمد صلى الله عليه ، ثم إن الله تعالى

[١] ذكر ملان مائة ذكرا (جمع مكيون) : خطبها أو تمر من خطبتها .

جعل المصاهرة نسباً لاحقاً ، وأمرأاً مُفْتَرَصّاً ، وَوَشَّجَ ^(١) به الأرحامَ ، وألزمه الأنام ، قال تبارك اسمه ، وتعالى ذكره : « وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا جَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا » ، فَأَمَرُ الله يجرى إلى قضائه ، ولكل قضاء قَدَرٌ ، ولكل قَدَرٍ أَجَلٌ « يَمْحُو اللهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ » . ثم إن ربِّي أمرني أن أزوّج فاطمة من علي بن أبي طالب ، وقد زوّجتها إياه على أربعمائة مثقال فضّة ، إن رضى بذلك عليّ .

٣ - خطبة الإمام عليّ كرم الله وجهه

وخطب الإمام عليّ كرم الله وجهه حين تزوّج بالسيدة فاطمة رضى الله عنها فقال :

« الحمد لله الذي قَرَّبَ من حامديه ، ودنا من سائليه ، ووعد بالجنة من يتقيه ، وَقَطَعَ النار عدد من يعصيه ، أحمده بجميع محامده وأياديه ، وأشكره شكر من يعلم أنه خالقُه وباريه ، ومصورُه ومُنْشِئُه ، ومبتمه ومُحْيِئُه ، ومقرّبه ومنجيّه ، ومُثَبِّئُه ومجازيه ، وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة تلبّغه وترضيه ، وأن محمداً صلى الله عليه وسلم عبده ورسوله صلاحه تُزَلِّفه وتُذِنُه ، وتمزّه وتُعلِّيه ، وتشرّفه وتُجَيِّبُه .

أما بعد : فإن اجتماعنا مما قَدَره الله تعالى ورضيه ، والنكاح ما أمر الله به وأذن فيه ، وهذا محمد صلى الله عليه وسلم قد زوّجني فاطمة ابنته على صداق أربعمائة درهم وثمانين درهماً ، ورضيت به فأسألوه ، وكفى بالله شهيداً » .

[١] وشجت المروق والأغصان كعود : اشتكت والتعت وتداخت ، ورحم واشجة ووشجة : مشتبكة متصلة ، وقد وشحها الله توشيحاً ، وفي الأصل : « وشح به الأرحام » وأراه محرّفاً .

٤ - خطبة عتبة بن أبي سفيان

خطب عثمان بن عفّسة بن أبي سفيان إلى عُتْبَةَ بن أبي سفيان ابنته ، فأقّمده على نخله ، وكان حدّثًا فقال :

« أَقْرَبُ قَرِيبٍ ، خَطَبَ أَحَبَّ حَبِيبٍ ، لَا أُسْتَطِيعُ لَهُ رَدًّا ، وَلَا أُجِدُّ مِنْ إِسْعَافِهِ بَدًّا ، قَدْ زَوَّجْتُكُمَا وَأَنْتَ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْهَا ، وَهِيَ أَلْصَقُ بَقَلْبِي مِنْكَ ، فَأَسْكُرُنْهَا يَمُذِّبُ عَلَى لِسَانِي ذِكْرُكَ ، وَلَا تَهْنِئُهَا فَيَصْغُرَ عِنْدِي قَدْرُكَ ، وَقَدْ قَرَّبْتُكَ مَعَ قُرْبِكَ ، فَلَا تُبَمِّدْ قَلْبِي مِنْ قَلْبِكَ » .

٥ - خطبة شبيب بن شيبه

وقال العُتْبِيُّ : زَوَّجَ شَبِيبُ بن شَيْبَةَ ابْنَةَ بِنْتِ سِوَارٍ ^(١) الْقَاضِي ، فَقُلْنَا : الْيَوْمَ يَمُتُّ عُبَّابُهُ ^(٢) ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا تَكَلَّمُ فَقَالَ :

« الْحَمْدُ لِلَّهِ ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ، أَمَا بَعْدُ : فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ مِنَّا وَمَعَكُمْ ، بَنَّا وَبِكُمْ ^(٣) ، تَنْمَعْنَا مِنَ الْإِكْثَارِ ، وَإِنْ فَلَانَا ذَكَرَ فَلَانَةٌ » .

٦ - خطبة الحسن البصري

وَكَانَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ يَقُولُ فِي خُطْبَةِ النِّكَاحِ ، بَعْدَ الْحَمْدِ لِلَّهِ وَالتَّسْلِيَةِ عَلَيْهِ :

« أَمَا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ جَمَعَ بِهَذَا النِّكَاحِ الْأَرْحَامَ الْمُنْقَطِعَةَ ، وَالْأَنْسَابَ الْمُنْفَرِقَةَ ، وَجَعَلَ ذَلِكَ فِي سُنَّةٍ مِنْ دِينِهِ ، وَمَنْهَاجٍ وَاضِحٍ مِنْ أَمْرِهِ ، وَقَدْ خَطَبَ إِلَيْكُمْ فَلَانٌ ، وَعَلَيْهِ مِنَ اللَّهِ نِعْمَةٌ ، وَهُوَ يَبْذُلُ مِنَ الصَّدَاقِ كَذَا ، فَاسْتَحْيِرُوا اللَّهَ ، وَرُدُّوا خَيْرًا ، يَرْحِمَكُمُ اللَّهُ » .

[١] هو سوار بن عبد الله من قضاة الصرة وخطبائها - انظر البيان والنبير ١ : ١٦١ - وقرأ في أمال الجيد للارتقي ٤ : ٢٢ حديثاً عربياً للماحط عنه في نظره وصبطه من ماله وملاكم من حركته - [٢] لأنّ والى الروسين خطيان . [٣] أي المعرفة ما نكح ، والمعرفة ما نكح .

٧ - خطبة ابن الفقير

وقال المتبي : حضرت ابن الفقير خطب على نفسه امرأة من باهلة فقال :
« وما حسن أن يمدح المرء نفسه : ولكن أخلاقاً تَذُمُّ وَتُمدِّحُ
وإن فلانة ذُكِرَتْ لى » .

٨ - خطبة عمر بن عبد العزيز

وقال عبد الملك بن مروان لعمر بن عبد العزيز :
« قد رَوَّجَكَ أمير المؤمنين ابنته فاطمة » ، قال : « جزاك الله يا أمير المؤمنين
خيراً ، فقد أجزلت العطية ، وكفيت المسألة » .

٩ - خطبة أخرى له

وحدث محمد بن عبيد الله القرشي عن أبي المقدم قال :
كانت قريش تستحسن من الخاطب الإطالة ، ومن المخطوب إليه التقصير^(١) ،
فشهدت محمد بن الوليد بن عتبة بن أبي سفيان خطب إلى عمر بن عبد العزيز
أخته أم عمر بنت عبد العزيز ، فتكلم محمد بن الوليد بكلام جاز الحفظ ، فقال عمر :
« الحمد لله ذى الكبرياء ، وصلى الله على محمد خاتم الأنبياء ، أما بعد : فإن
الرغبة منك دَهَنَتْكِ إلينا ، والرغبة فيك أجاثَتْكِ منا ، وقد أحسن بك ضئلاً من
أودعك كريمته ، واحتارك ولم يَحْتَرِ عليك ، وقد زوجكهما على كتاب الله :
إِنْ سَأَلَكَ بِمَعْرُوفٍ أَوْ نَسْرِيحٍ بِإِحْسَانٍ » .

[١] وكذلك روى المحاط في البيان والبيان (١ : ٦٤) قال : « والسلة و حطة السكاح أن يطيل
الخطاب ، ويقصر الجيب » والحصري في زهر الآداب (٢ : ٣١) قال الأصمى : « كانوا يستحبون من
الخطاب إلى الرجل حرمة الإطالة ، لندلة على الرغبة ، ومن المخطوب إليه الإيجاز ليدل على الإحالة » .

١٠ - خطبة بلال

وخطب بلال إلى قوم من خَتَمَ لنفسه ولأخيه ، فحَمِدَ الله وأَمِنَى عليه ،
ثم قال :

« أنا بلال وهذا أخى ، كننا ضالَّين فهدانا الله ، عبَّدين فأعتقنا الله ،
فقيرين فأغنانا الله ، فإن تَزَوَّجُونَا فالحمد لله ، وإن تَرُدُّونَا فالمستعانُ اللهُ » .

١١ - خطبة خالد بن صفوان

وزَوَّجَ خالد بن صفوان مَوْلَاهُ من أَمَتِهِ ، فقال له العبد : لودعوتَ الناس
وَوَخَّطَبْتَ ! قال : أَدْعُهُمْ أَنْتَ ، فدعاهم العبد ، فلما اجتمعوا ، تكلم خالد بن
صفوان ، فقال :

« أما بعد : فإن الله أعظمُ وأجلُّ من أن يُذَكَّرَ في نكاحِ هذينِ الكلبيين ،
وأنا أشهدُكم أنى زَوَّجْتَ هذه الزانية من هذا ابنِ الزانية » .

١٢ - خطبة أعرابي

وخطب الفضل الرقاشي إلى قوم من بني تميم فخطب لنفسه ، فلما فرغ قام
أعرابي منهم فقال :

« تَوَسَّلْتَ بِحُرْمَةٍ ، وَأَوَلَيْتَ بِحَقٍّ ، وَاسْتَنْدَتَ إِلَى خَيْرٍ ، وَدَعَوْتَ إِلَى سُوءٍ ،
فَقَرَضْتُكَ مَقْبُولٌ ، وَمَا سَأَلْتَ مَبْذُولٌ ، وَحَاجَتُكَ مَقْضِيَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ تَعَالَى » .

قال الفضل : لو كَانَ الأعرابي حمد الله في أوَّلِ كلامه ، وصلى على النبي صلى الله
عليه وسلم لفضحتى يومئذ .

١٣ - خطبة المأمون

وقال يحيى بن أكرم: أراد المأمون أن يزوجه ابنته من علي بن موسى الرضا ، فقال : يا يحيى تكلم ، فأجلبته أن أقول : « أنكحت » ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أنت الحاكم الأكبر ، والإمام الأعظم ، وأنت أولى بالكلام ، فقال : « الحمد لله الذي تصاعرت الأمور بعشيقته ، ولا إله إلا هو إقراراً بربوبيته ، وصلى الله على محمد عند ذكره ، أما بعد : فإن الله قد جعل النكاح ديناً ، ورضيه حكماً ، وأنزله وحياً ، ليكون سبب المناسبة ، ألا وإنى قد زوجت ابنة المأمون من علي بن موسى ، وأمهرتها أربعمائة درهم ، اقتداءً بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وانتهاءً إلى ما درج إليه السلف ، والحمد لله رب العالمين » .

ﷺ

وخطب رجل إلى قوم ، فأقْبَلَ بمن يخطب له ، فاستفتح بحمد الله ، وأطال ، وصلى على النبي عليه الصلاة والسلام . وأطال ، ثم ذكر البدءَ وَخَلَقَ السموات والأرض ، واقتصرَ ذِكْرَ القرون ، حتى ضَجِرَ مَنْ حَضَرَ ، والتفت إلى الخاطب ، فقال : ما أَسْمُكُ أعزك الله ؟ فقال : والله قد أنسيتُ اسمي من طول خطبتك ، وهي طالِقٌ إن تزوجتها بهذه الخطبة ، فضحك القوم ، وعقدوا في مجلس آخر .

(مفتاح الأفكار ص ٦٢ ، ومواسم الأدب ٢ : ١٢٠ ، والمفيد الجديد ٢ : ١٦٣ ،

وسيرة عمر بن عبد العزيز لابن الجوزي ص ٢٨ ، والبيان والبيان ١ : ٢١٥ ، ٢١٧ -

٢ : ٥٠ : ١٣٠ - ٣ : ٢٢١ ، ورواه الآداب ٢ : ٣٠ ، ٣١)

البَابُ الْخَامِسُ

فِي

خُطْبٍ مِنْ أَرْتَجٍ عَلَيْهِمُ

وَنَوَادِرَ طَرِيقَةِ لِبَعْضِ الْخُطَبَاءِ

رَوَى الْجَاهِظُ قَالَ : صَعِدَ عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ الْمَذْبَرُ ، فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« إِنَّ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرُ كَانَا يُعِدَّانِ لِهَذَا الْمَقَامِ مَقَالًا ، وَأَنْتُمْ إِلَى إِمَامٍ عَادِلٍ ، أَحْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ » .

❦

وَرَوَى ابْنُ عَبْدِ رَبِّهِ قَالَ : أَوَّلُ خُطْبَةٍ خُطِبَهَا عَثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ أَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنْ أَوَّلَ كُلِّ مَرَكَبٍ صَعَبٌ ، وَإِنْ أَعَشَنَّا تَأْتِيَكُمْ الْخُطْبَةُ عَلَى وَجْهِهَا ، وَسَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُمْرٍ يُسْرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

❦

وَلَمَّا قَدِمَ يَزِيدُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ الشَّامَ وَالْيَاغْلِيهَا لِأَبِي بَكْرٍ ، خُطِبَ النَّاسَ فَأَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَعَادَ إِلَى الْحَمْدِ لِلَّهِ ، ثُمَّ أَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَعَادَ إِلَى الْحَمْدِ لِلَّهِ ، ثُمَّ أَرْتَجَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ :

« يَأْهَلُ الشَّامَ ، عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ مِنْ بَعْدِ عُسْرٍ يُسْرًا ، وَمِنْ بَعْدِ عَيٍّْ يَأْنًا ، وَأَتَمُّ إِلَى إِمَامٍ فَاعِلٍ ^(١) ، أَخْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ قَاتِلٍ ^(٢) » ، ثُمَّ نَزَلَ ، فَبَلَغَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْعَاصِ فَاسْتَحْسَنَهُ .

✽

وَكَانَ يَزِيدُ بْنُ الْمُهَلَّبِ وَثَّى ثَابِتٌ قُطْنَةٌ ^(٣) بِمِصْرَ قَرَى خُرَّاسَانَ ^(٤) ، فَلَمَّا صَعِدَ الْمَنْبِرَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ ، قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ ، ثُمَّ أَرْتَجَّ عَلَيْهِ ، فَنَزَلَ وَهُوَ يَقُولُ :
فَإِلَّا أَكُنْ فِيكُمْ خَطِيبًا فَإِنِّي بَسِيفٌ إِذَا جَدَّ الْوَعْيُ لَخَطِيبٌ
فَقِيلَ لَهُ : « لَوْ قَلَّتْهَا فَوْقَ الْمَنْبِرِ ، لَكُنْتَ أَخْطَبُ النَّاسِ » .

✽

وخطب معاوية بن أبي سفيان لما ولى ، فخصر فقال :
« أَيُّهَا النَّاسُ : إِنِّي كُنْتُ أَعَدَدْتُ مَقَالًا أَقُومُ بِهِ فِيكُمْ ، فَخَصِمْتُ عَنْهُ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُحَوِّلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، كَمَا قَالَ فِي كِتَابِهِ ^(٥) . وَأَتَمُّ إِلَى إِمَامٍ عَدْلٍ ، أَخْوَجُ مِنْكُمْ إِلَى إِمَامٍ خَطِيبٍ ، وَإِنِّي أَمُرُّكُمْ بِمَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ وَرَسُولُهُ ، وَأَنْهَاكُمْ عَمَّا نَهَاكُمْ اللَّهُ عَنْهُ وَرَسُولُهُ ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ » .

[١] فِي عِيُونِ الْأَحْبَارِ : « إِمَامٌ عَادِلٌ » . [٢] وَفِي أُمَالِ السَّيِّدِ الْمَرْبُوعِيِّ أَنَّ هَذَا الْقَوْلَ يَرَوِي لِسَانُ بْنُ عَمَّارٍ ، وَفِي رِوَايَتَيْنَا : « إِمَامٌ مَقَالٌ » وَ « إِمَامٌ قَوْلٌ » صِيغَةُ الْمُنَادَاةِ ، وَفِي الْأَخْفَى أَنَّهُ يَرَوِي ثَلَاثَ قِطْعَةٍ ، وَهِيَ : « أَمِيرٌ مَسَالٍ » وَ « أَمِيرٌ قَوْلٌ » .

[٣] هُوَ ثَابِتُ بْنُ كَثَبٍ ، وَلَقِبَ قُطْنَةً لِأَنَّهُ سَهَبَ أَصَابَهُ فِي إِحْدَى عَيْنَيْهِ ، وَدَفَعَهَا فِي يَمِينِ حُرُوفِ التَّرِكِ ، فَكَانَ يَجْعَلُ حُلِيَّةَ قُطْنَةٍ ، وَهُوَ شَاعِرٌ فَارِسِيٌّ شِعَارُ مَنَ شِعْرَاءِ الدَّوْلَةِ الْأُمَوِيَّةِ ، وَكَانَ فِي صَحَابَةِ يَزِيدَ بْنِ الْمُهَلَّبِ ، وَكَانَ يُولِيهِ أَعْمَالًا مِنْ أَعْمَالِ الثَّنَوْرِ ، وَجَدَّ فِيهَا مَكَانَهُ لِكُفَايَتِهِ وَشَجَاعَتِهِ ، وَقَدْ مَالَ إِلَى قَوْلِ الْمُرْجِيَّةِ ، وَلَهُ قَصِيدَةٌ فِي الْأَرْحَامِ ، انْطَرَجَتْ فِي الْأَخْفَى ج ١٣ ص ٤٧ .

[٤] فِي رِوَايَةٍ : أَنَّهُ خَطَبَ عَلَى مِيزَابِ سَجِسْتَانَ ، وَفِي رِوَايَةِ الطَّبْرِيِّ : « خَطَبَ النَّاسَ فَخَصِرَ فَقَالَ : « مَنْ يَطْلِعُ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ صُلِّ » وَأَرْتَجَّ عَلَيْهِ فَلَمْ يَطْلُقْ بِكَلِمَةٍ ، فَلَمَّا نَزَلَ عَنْ الْمِنْبَرِ قَالَ لِلرَّاكِدِينَ .

[٥] آيَةُ الْكَرْسِيِّ : « وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحَوِّلُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ ، وَأَنَّهُ إِلَيْنَا مُخْتَصِرُونَ »

وَصَعِدَ خَالِدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الْقَسْرِيُّ يَوْمَ الْمَنْبَرِ بِالْبَصْرَةِ لِيُخَاطِبَ فَأُتِيَ عَلَيْهِ ،
فَقَالَ : « أَيُّهَا النَّاسُ : أَمَا بَعْدَ ، فَإِنَّ هَذَا الْكَلَامَ يَحْيِي أحيانًا ، وَيَعْزُبُ أحيانًا ،
فَيَسِيحُ عِنْدَ حَيْثُ سَيِّئُهُ ^(١) ، وَيَعَزُّ عِنْدَ عَزْوِهِ طَلَبُهُ ، وَلَرَبَّمَا كُوبِرَ فَأُتِيَ ^(٢) ،
وَعُوجِلَ فَنَأَى ، فَالْتَأَتِي ^(٣) لِحَيْهِ ، خَيْرٌ مِنَ التَّعَاطَى لِأَيِّهِ ، وَتَرَكَهُ عِنْدَ تَنْكُرِهِ ،
أَفْضَلَ مِنْ طَلَبِهِ عِنْدَ تَعَذُّرِهِ ، وَقَدْ يَحْتَلِجُ ^(٤) مِنَ الْجَرَى جَنَانُهُ ، وَيَنْقُطِعُ مِنَ
الدَّرْبِ ^(٥) لِسَانُهُ ، فَلَا يُبْطِرُهُ ذَلِكَ وَلَا يَكْسِرُهُ ، وَسَأَعُودُ فَأَقُولُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » ،
ثُمَّ نَزَلَ ، فَمَا رُئِيَ حَصِرًا أَبْلَغَ مِنْهُ .

وَصَعِدَ أَبُو الْعَنْبَسِ مَنْبَرًا مِنْ مَنَابِرِ الطَّائِفِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَمْنَى عَلَيْهِ ، ثُمَّ قَالَ :
أَمَا بَعْدَ ، فَأُتِيَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ؟ قَالُوا : لَا ،
قَالَ : فَمَا يَنْفَعُنِي مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ، ثُمَّ نَزَلَ ؛ فَلَمَّا كَانَ فِي الْجُمُعَةِ الثَّانِيَةِ ،
وَصَعِدَ الْمَنْبَرِ وَقَالَ : أَمَا بَعْدَ ، أُتِيَ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ؟
قَالُوا : نَعَمْ ، قَالَ : فَمَا حَاجَتُكُمْ إِلَيَّ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ مَا عَلَيْكُمْ ؟ ثُمَّ نَزَلَ ؛ فَلَمَّا كَانَتْ
الْجُمُعَةُ الثَّالِثَةُ ، قَالَ : أَمَا بَعْدَ ، فَأُتِيَ عَلَيْهِ ، قَالَ : أَتَدْرُونَ مَا أُرِيدُ أَنْ أَقُولَ لَكُمْ ؟
قَالُوا : بَعْضُنَا يَدْرِي ، وَبَعْضُنَا لَا يَدْرِي ، قَالَ : فَلْيُخَيِّرِ الَّذِي يَدْرِي مِنْكُمْ الَّذِي
لَا يَدْرِي ، ثُمَّ نَزَلَ .

[١] الب : العطاء ، وفي رواية : « فيسب عد حيه سبه » .

[٢] وفي رواية : « صا » أي اشتد وصعب . [٣] تأتي له : ترفع ، وفي رواية :
« فالتأتى » مألوف . [٤] يضطرب .

[٥] الجاد اللسان ، وفي رواية : « ويرجع على المنع لسانه » ، وفي أخرى : « وقد يرجع على
اللسان لسانه ، ولا يطره القول إذا اتسع » ، ولا ييسر إذا امتنع ، ومن لم يتمكن له الخطوة ، فليق أن
تعد له الدعوة » وفي أخرى : « وقد يعضي على الدرب لسانه » ثم لا يكابر القول إذا امتنع ، ولا يرد
إذا اتسع ، وأولى الناس من عذر على البوة ، ولم يؤاخذ على الكبوة ، من عرف ميدانه ، اشتهر إحسانه
وسأعود وأقول » .

❦

وولى اليمامة رجل من بنى هاشم يعرف بالثندان ، فلما صعد المنبر ارتج عليه ، فقال :

« حَيَّاَ الله هذه الوجوه ، وجعلنى فِدَاها ، إني قد أمرت طَائِفِي بِاللَّيْلِ أَنْ لَا يَرَى أَحَدًا إِلَّا أَنَا نِي بِهِ ، وَإِنْ كُنْتُ أَنَا هُوَ » ، ثم نزل .

❦

وخطب عبد الله بن عامر ^(١) بالبصرة في يوم أُتْخِيَ ، فَأُرتج عليه ، فكثت ساعة ، ثم قال :

« وَاللَّهِ لَا أَجْمَعُ عَلَيْكُمْ عِيًّا وَلَوْ مَاءً ، مَنْ أَخَذَ شَاءَ مِنَ السُّوقِ فَهِيَ لَهُ ، وَتَمْنَاهَا عَلَى » .

❦

قال الجاحظ : ولما حَصِرَ عبد الله بن عامر على منبر البصرة ، شقَّ ذلك عليه ، فقال له زياد : « أَيُّهَا الْأَمِيرُ ، إِنَّكَ إِنْ أَقْبَعَ عَامَّةً مَنِ تَرَى ، أَصَابَهُ أَكْثَرُ مِمَّا أَصَابَكَ » .

❦

وكان سعيد بن جندل الكَلْبِيِّ عَلَى قَنْصَرَيْنِ ^(٢) ، فوثب عليه زُفَرُ بْنُ الْحَارِثِ ، فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا ، وَبَاعَ لِبْنِ الزُّبَيْرِ ^(٣) ، فلما قعد زفر على المنبر قال : « الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَقْعَدَنِي مَقْعِدَ الْغَادِرِ الْفَاجِرِ » ، وَحَصِرَ ، فَضَحِكَ النَّاسُ مِنْ قَوْلِهِ .

[١] انظر هامش الجزء الأول ص ١٨٠ . [٢] كورة التناهم . [٣] انظر هامش الجزء الثاني ص ١٣١ .

❦

وصعد عَدِيَّ بن أَرْطَاة^(١) المنبر، فلما رأى جماعة الناس حَصِرَ فقال : « الحمد لله الذي يُطْعِمُ هؤلاء وَيُسْقِيهِمْ » .

❦

وصعد رَوْح بن حاتم المنبر ، فلما رَأَى شَفَنُوا^(٢) أَبْصَارَهُمْ ، وفتحوا أَسْمَاعَهُمْ نحوه ، حَصِرَ فقال : « نَكُتُوا رءوسكم ، وَغَضُّوا أَبْصَارَكُمْ ، فَإِنَّ الْمُنْبِرَ مَرْكَبٌ صَعِبٌ ، وَإِذَا يَسَّرَ اللَّهُ فَتَحَ قُلُوبَ تَبَسَّرَ » .

❦

وكان عبد ربه اليَشْكُرِيُّ ماملاً لميمنة بن موسى^(٣) على المدائن ، فصعد المنبر، فحمد الله وأرثج عليه ، فسكت ثم قال : « والله إني لأكون في بيتي فتجبيء على لساني ألف كلمة ، فإذا قُتُّ على أعوادكم هذه جاء الشيطان فَحَاها من صدري ، ولقد كنتُ وما في الأيام يوم أَحَبُّ إليَّ من يوم الجمعة ، فصرتُ وما في الأيام يومٌ أَبْغَضُ إليَّ من يوم الجمعة ، وما ذلك إلا لخطبتكم هذه » .

❦

وأرثج على مَعْن بن زائدة ، فضرب المنبر برجله ، ثم قال : « فَتَى حُرُوبٌ ، لَا فَتَى مَنَابِرٍ » .

❦

وحدث عيسى بن عمر قال :

خطب أميرٌ مرةً فانتقطع نخجل ، فبعث إلى قوم من القبائل عابوا ذلك وَلَعَمَهُمْ^(٤) ، وفيهم يَزْبُعِيٌّ جَلْدٌ ، فقال : اخطبوا ، فقام واحد فرَّ في الخطبة ،

[١] كان حامل يزيد بن عبد الملك على الصرة .

[٢] شفه كصره وعلمه شعونا : بطر إليه بمؤخر عيبيه ، أو روع طرفة ناظرا إليه كالتهيب أو كالكاره .

[٣] هو عيسى بن موسى ابن أبي المصور وكان أمير السكونية . [٤] لعهم : جمهم .

حتى إذا بلغ «أما بعد» قال : أما بعد ، أما بعد ، ولم يدّر ما يقول ، ثم قال : فإن امرأتى طالق ثلاثاً ، لم أُرِدْ أَنْ أَتَجَمَّعَ^(١) اليوم فنمتنى ، وخطب آخر ، فلما بلغ «أما بعد» بقي ونظر ، فإذا إنسان ينظر إليه ، فقال : لعنك الله ! ترى ما أنا فيه ، وتلمحن ببصرك أيضاً ! وقال أحدهم : رأيت القَرَاقِرَ^(٢) من السفن تجري بيني وبين الناس ، وصعد اليربوعي فخطب فقال : «أما بعد» فوالله ما أدرى ما أقول ، ولا فيم أقتمونى ، أقول ماذا ؟ فقال بعضهم : قل في الزيت ، فقال : «الزيت مبارك»^(٣) ، فكلوا منه وادّهنوا .

قال : فهو قول الشُّطَّارِ^(٤) اليوم ، إذا قيل : لم فعلت ذا ؟ فقل في شأن الزيت ، وفي حال الزيت .



وروى الجاحظ أنه قيل لرجل من الوجوه : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما صعد حصّر وقال : «الحمد لله الذي يرزق هؤلاء» وبقي ساكناً فأنزلوه ، وصعد آخر ، فلما استوى قائماً ، وقابل بوجهه وجوه الناس ، وقمت عينه على صامعة^(٥) رجل فقال : «اللهم العن هذه الصلعة» .

[١] جمع الناس للتشديد : أى شهدوا الجمعة ، كما يقال : همّوا : أى شهدوا العيد .

[٢] القَرَاقِر جمع قرقر كصعور : وحى السمعة أو الطويلة أو الطيبة .

[٣] يشير إلى الآية الكريمة : «الله نور السموات والأرض ، مثل نور كيشكاة فيها مضباح ، للمضباح في زحاجة ، والزحاجة كأنها كوكب دري يوقد من شجرة مباركة ، زيتونة لا شرقية ولا غربية ، يسكاو ريتها يضيء ، ولو لم تمسسه نار ، نور على نور» .

[٤] الشُّطَّار جمع شاطر : وهو من أعيان أهل حيتاء ، والمراد به ها أهل الدعرة وأصحاب البوادر

والنكيت والمكاهات . [٥] الصامعة : موضع الصلح .

وقيل لوازع اليشكرى : قم فاصعد المنبر وتكلم ، فلما رأى جمع الناس قال : « لولا أن امرأتى لعننا الله سملتى على إتيان الجمعة اليوم ما جمعت ، وأنا أشهدكم أنها منى طالق ثلاثا » .

ودعى أيوب بن القرية لكلام ، فاحتبس القول عليه ، فقال : « قد طال السمر ، وسقط القمر ، واشتد المطر ، فإذا ينتظر ؟ » فأجابه فتى من عبد القيس فقال : « قد طال الأرق ، وسقط الشفق ، وكثر اللثق^(١) ، فلينطق من نطق »

وجاء فى أمالى السيد المرتضى :

روى أن بعض خلفاء بنى العباس - وأظنه الرشيد - صعد المنبر ليخطب ، فسقطت على وجهه ذبابة ، فطردها ، فرجعت ، فحصر وأرتج عليه ، فقال : أعود بالله السميع العليم « يَا أَيُّهَا النَّاسُ صُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ : إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ^(٢) مِنْهُ ، صَمَفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ » ثم نزل ، فاستحسن ذلك منه .

وروى أن رجلا صعد المنبر أيام يزيد بن معاوية ، وكان واليا على قوم فقال لهم : « أيها الناس : إني إن لم أكن فارسا طبيا^(٣) بهذا القرآن ، فإن معى من أشعار العرب ما أرجو أن يكون خلفا منه ، وما أساء القائل أخو البراجم حيث قال :

[١] لئلا يوما كمرح : ركبت ربحه وكثر نده . [٢] وكانوا يطلون أسماءهم بالطيب والزعفران ، ويحقون عليها الأوتار ، فيدخل الباب من الكوى فيأكله . [٣] ماهرا حذفا .

وما عاجلاتُ الطير يُدنين للفتى رشاداً ، ولا من ريشين ينجب^(١)
 ورُبَّ أمورٍ لا تُضيرك صيرةٌ وللقلب من مخشاكين وجيب^(٢)
 ولا خيرَ فيمن لا يُوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب
 وفي الشكِّ قريطٌ وفي الحزم قوةٌ ويخطي الفتى في حدسه ويصيب^(٣)
 فقال رجل من كلب : إن هذا المنبر لم يُنصب للشعر ، بل ليُحمد الله تعالى ،
 ويُصلى على النبي وآله عليهم الصلاة والسلام ، وللقرآن ، فقال : أما لو أنشدتكم
 شعر رجل من كلب لسرركم ، فكُتِبَ إلي يزيد بذلك فمزله ، وقال : قد كنت
 أراك جاهلاً أحمق ، ولم أحسب أن الحق يبلغ بك إلى هذا المبلغ ، فقال له :
 أحمق مني من ولاني !

وخطب عتّاب بن ورقاء^(٤) فحث على الجهاد فقال : هذا كما قال الله تعالى
 في كتابه :

كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقِتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الْغَانِيَاتِ جَزُؤُ الدِّيُولِ^(٥)

[١] كانت العرب تبيع الطائر السائح ، وهو ما ولاك مياسه ، وأن يمرّ من مياسك إلى مياسك ،
 وتتشاءم بالبارح ، وهو ما ولاك مياسره ، وأن يمرّ من ميامك إلى مياسرك ، وذلك لأنه لا يتكلم فيه إلا
 ما ن تعرف له ، وربما كان أحدم بهج الطائر ليطير ، فيندها ، وعاجلت الفير هي أن يخرج الإنسان من
 منزله إذا أراد أن يرحل الطير ، فامرته به أول ما يمر وهو طاعات الضير ، وإن أطأت عنه وانتظرها
 فقد رامت أي أطأت ، والأول عدم محمود ، والثاني مدهوم .

[٢] حشيه خشية ومخافة : حافه ، ووح القلق وحاً : حقيق ومطرب . [٣] أحمق : غفول
 والتضيق ، والأبيات لصانها بن الحارث الرحبي (انظر رهر الآداب : ٢ : ٨٨) .

[٤] انظر الجزء الثاني ص ٤٣٣ و ٤٤٥ [٥] البيت لعمرو بن أبي ربيعة ، وذلك أنه مصعب بن ابرير
 بعد أن قتل الحارث بن أبي عبد الفتى دعا امرأته - وهي بنت النعمان بن تميم - إلى البراءة من العنز ،
 فأبى فقتلها ، فقال في ذلك ابن أبي ربيعة :

إن من أعظم الكثر عدوى قتل حياء دعة عذبول
 قتل باطلا على عير دب إن فقه درها من قتل

وخطب يوما فقال : هذا كما قال الله تبارك وتعالى : « إنما يتفاضل الناس بأعمالهم ، وكل ما هو آت قريب » قالوا له : « إن هذا ليس من كتاب الله » قال : « ما ظننت إلا أنه من كتاب الله » .

وخطب وكيع بن أبي سؤد^(١) بخراسان فقال : « إن الله خلق السموات والأرض في ستة أشهر » ف قيل له : « إنها ستة أيام » فقال : « وأنيك لقد قلتها وإني لأستقلها ! » .

وصعد المنبر فقال : « إن ربيعة لم تزل غصبا على الله مذ بعث نبيه من مضر ، ألا وإن ربيعة قوم كُشف^(٢) ، فإذا رأيتهم فاطعنوا الخيل في منازعها ، فإن فرسا لم يظعن في منجره إلا كان أشد على فارسه من عدوه^(٣) » .

وضربت بنو مازن الحنات بن يزيد المجاشعي ، فجاءت جماعة منهم ، فيهم غالب أبو الفرزدق فقال : « يا قوم كونوا كما قال الله : لا يعجز القوم إذا تعاونوا » .

وخطب عدي بن زياد الإيادي ، فقال : « أقول لكم كما قال العبد الصالح لقومه : « مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى ، وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ^(٤) » ، قالوا

كتب القتل والعتل عليا وعلى البنايات حرّ الديول

« والطول كمصور : المرأة الغنية الحليّة المختلة الطويلة الصق » . [١] انظر الجزء الثاني ص ٢٩٧
[٢] كنف جمع أكشف : وهو من يهرم في الحرب ، ومن لا ترسمه في الحرب ، ومن لا يهيمه على رأسه . [٣] وروى الطبري أن عد الله بن حارم قال ذلك القول لأصحابه بخراسان ، قال لهم : « إذا لقيتم الخيل فاطمروها في منازعها ، فإنه لن يظعن فرس في نجرته إلا أدرأو رمى صاحبه » . (الطبري ٤٦ : ٧) . [٤] الآية السريفة : « قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى . . . »

له : « ليس هذا من قول عبد صالح ، إنما هو من قول فرعون » ، قال : « من قاله فقد أحسن » .

✽

وروى الطبري أن عبد الله بن الزبير كان ولي أخاه عُبيدة على المدينة ، ثم نزع عنها ، وكان سبب عزله إياه أنه خطب الناس ، فقال لهم : قد رأيتم ما صنَّع ^(١) يقوم في ناقة قيمتها ثمانمائة درهم ، فسمى مقوم الناقة ، وبلغ ذلك ابن الزبير فقال : إن هذا هو التكلف .

وروى الجاحظ وابن عبد ربه هذا الخبر فقالا : خطب والي اليمامة ^(٢) ، فقال : « إن الله لا يُقَارُ ^(٣) عباده على المعاصي ، وقد أهلك الله أمة عظيمة في ناقة ما كانت تساوي مائتي درهم » ، فسمى مقوم ناقة الله .

✽

وخطب قبيصة ، وهو خليفة أبيه ^(٤) على خراسان ، وأتاه كتابه ، فقال : « هذا كتاب الأمير ، وهو والله أهل لأن أطيعه ، وهو أبي وأكبر مني » .

✽

ودعى مُصعب بن حيان ليخطب في نكاح خَصِر فتال : لقنوا موناكم شهادة أن لا إله إلا الله ، فقالت أم الجارية : تجل الله موتك ، ألهذا دعوناك؟ .

✽

وخطب أمير المؤمنين الموالى - وهكذا لقبه - خطبة نكاح خَصِر ، فقال : « اللهم إنا نحمدك ونستعينك ولا نُشْرِكُ بك » .

[١] يشير إلى حمود قوم صالح عليه السلام - اظر هامش الجزء الثاني ص ٣٣٣ .

[٢] لعلها اللدبية . [٣] أى لا يُقَرَّبُ .

[٤] هو المهلب بن أبي صفرة ، وكان والياً على خراسان - اظر الجزء الثاني ص ٢٧٢ .

✽

وخطب قُتَيْبَةُ بْنُ مُسَيْلَمٍ عَلَى مِئْبَرِ خُرَّاسَانَ ، فَسَقَطَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِهِ ،
فَفَعَّلَ لَهُ عَدُوهُ بِالْبُشْرِ ، وَاعْتَمَّ صَدِيقُهُ ، فَعَرَفَ ذَلِكَ قُتَيْبَةُ ، فَأَخَذَهُ وَقَالَ :
« لَيْسَ الْأَمْرُ عَلَى مَا ظَنَّ الْعَدُو ، وَخَافَ الصَّدِيقُ ^(١) ، وَلَكِنَّهُ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ :
فَالْتَقَتْ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّ عَيْنًا بِالْأَيَّامِ الْمُسَافِرُ ^(٢) »

✽

وَتَكَلَّمَ صَعَصَعَةٌ عِنْدَ مَعَاوِيَةَ فَعَرِقَ ، فَقَالَ مَعَاوِيَةُ : بَهْرَكَ ^(٣) الْقَوْلُ ! فَقَالَ
صَعَصَعَةٌ : إِنْ الْجِيَادَ نَضَّاحَةٌ بِالْمَاءِ .

✽

وَشَخَّصَ يَزِيدُ بْنُ عُمَرَ بْنِ هُبَيْرَةَ إِلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَتَكَلَّمَ فَقَالَ هِشَامُ :
مَا مَاتَ مِنْ خَلْفٍ مِثْلَ هَذَا ! فَقَالَ الْأَبْرَشُ الْكَلْبِيُّ : لَيْسَ هُنَاكَ ، أَمَّا تَرَاهُ يَرْشَحُ
جِيْنُهُ لِيُضِيقَ صَدْرَهُ ! قَالَ يَزِيدُ : مَالِدَكَ رَشَحَ ، وَلَكِنْ لَجُلُوسِكَ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

✽

وَقَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ : « نِئِمَ الشَّيْءُ الْإِمَارَةُ ، لَوْلَا قَعْقَعَةُ الْبَرِيدِ ،
وَالْتَشْرِفُ لِلخُطْبِ » .

✽

وَقِيلَ لِعَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مَرْوَانَ : تَحْجِلْ عَلَيْكَ الْمَشِيبُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ :
كَيْفَ لَا يَتَحَجَّلُ عَلَيَّ ، وَأَنَا أَعْرِضُ عَقْلِي عَلَى النَّاسِ فِي كُلِّ جُمُعَةٍ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ؟
« أَوْ قَالَ : شَيْبَتِي صَعُودَ الْمُنَابِرِ وَالْخَوْفُ مِنَ اللَّحْنِ » .

(المقد البريد ٢ : ١٦٢ - ١٦٣ و ٣ : ٢٥٦ ، وعبون الأحبار ٢ : ص ٢٤٧ و ٢٥٦ و
٢٥٩ ، وأملأ اليد المرفقى ٤ : ١٩ - ٢٢ ، والأثافي ١٣ : ٤٧ ، ١٧ : ١١١ ، وتاريخ الطبري
ج ٧ : ص ٩٠ ، ج ٨ : ١٨٨ ، والبيان والتبيين ١ : ٧٤ ، ١٦٣ ، ١٨٦ ، ٢ - ١٢٢ ، ١٢٦ ،
١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، والأملأ ١ : ١١١ ، وتهذيب الكامل ١ : ١٧ ، وشرح البيهقي
ص ١٢٥ ، ٢٥٠ ، والصاغتص ص ٢١)

[١] وفي رواية : « كما ساء الصديق ، وسر العدو » . [٢] الوي : الغربة البعيدة .
[٣] أي علك .

بدء الخطب وختامها

قال ابن قتيبة في عيون الأخبار :

تنبعت خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فوجدت أوائل أكثرها :
« الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونؤمن به ، وتوكل عليه ، ونستغفره ونتوب إليه ،
ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل
له ، ومن يضل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له » ،
ووجدت في بعضها : « أوصيكم عباد الله بتقوى الله ، وأحكم على طاعته » ،
ووجدت كل خطبة مفتاحها الحمد ، إلا خطبة العيد ، فإن مفتاحها التكبير .
(عيون الأخبار م ٢ : ص ٢٣١)

وروى ابن عبد ربه في العقد قال :

وكان آخر كلام أبي بكر الذي إذا تكلم به عرف أنه قد فرغ من خطبته :
« اللهم اجعل خير زمانى آخره ، وخير عملى خواتمه ، وخير أيامى يوم ألقاك » .
وكان آخر كلام عمر الذي إذا تكلم به عرف أنه فرغ من خطبته : « اللهم
لا تدعنى فى غمرة ، ولا تأخذنى على غرة ، ولا تجعلنى من النافلين » .
وكان عبد الملك بن مروان يقول فى آخر خطبته . « اللهم إن ذنوبى ود
عظمت وجلت أن تحصى ، وهى صغيرة فى جنب عفوك فاعف عني » .

(العقد الجديد ٢ : ١٩٣٣ ، ١٤٢)



جدول الخطأ والصواب

الصواب	الخطأ	سطر	مجموع
ولئ	ولئ	١١	١٦٧
يقولون	يقولون	٤	١٧٩
البر	البر	١٥	١٩١
الموصل إلى المرغوب	الموصل المرغوب	٥	١٩٣
ولئ	ولئ	١٣	١٩٣
تتلى	تتلى	١١	٢٠١
الازدراء	الازدراء	١٨	٢٠٥
بضائعها	بضائعها	١٣	٢٠٨
شديد	شديد	١١	٢١١
يضيّف	يضيّف	١٥	٢٢٢
يداً	يداً	١٣	٢٣٥
غفلنا	غفلنا	٢٠	٢٦٤
أذابت	أذبت	١٠	٢٧٨
الرّدى	الرّدى	١٠	٢٨٧
شربك	شربك	١٤	٣١٣
وتسلّ	وتسلّ	١٠	٣١٨
صاب	أصاب	٧	٣٢٠
كالترس	كالترس	١	٣٣٤
التي	للى	٦	٣٤٠

صفحة	سطر	الخطأ	الصواب
٣٤١	٢	وتشج	وتشج
٣٤١	٥	الذل	الذل

تم الكتاب بحسن توفيقه وعونه تعالى

وسيتبعه إن شاء الله كتاب

جمهرة رسائل العرب

في عصور العربية الزاهرة

فهرس ذيل الجمهرة

الباب الأول

في خطب الأندلسيين والمغاربة

رقم الصفحة	الخطبة أو الوصية
١٦٦	خطبة عبد الرحمن الداخل يوم حربه مع يوسف الفهري
١٦٧	عبد الرحمن الداخل ورجل من جند قسرين
١٦٨	عبد الرحمن الداخل ورجل من حنده يهنته بفتح سرقسطة
١٦٨	تأديب عبد الرحمن الأوسط لابنه المنذر
١٧٠	عبد الرحمن الأوسط وابنه المنذر أيضاً
١٧١	يعقوب بن عبد الرحمن الأوسط وأحد خدامه
١٧٢	وفاء الوزير ابن عاتم لصديقه الوزير هاشم بن عبد العزيز
١٧٣	خطبة منذر بن سعيد البلوطي في الاحتفال بقدوم رسل ملك الروم
١٧٧	خطبة أخرى له
١٧٨	أحمد حصاد الرمادي الشاعر والنصور بن أبي عامر
١٨١	ابن اللبانة الشاعر وعزّ الدولة بن المعتصم بن صماح
١٨٣	دهاج ابن الفخار عن القاضي الوحيدى بمحضرة ابن تاشعين
١٨٤	موعظة ابن أبي رندة الطوطوشى للأفصل بن أمير الجيوش
١٨٥	خطبة ابن تومرت مؤسس دولة الموحدين
١٨٨	مقال لسان الدين بن الخطيب في الحضر على الجهاد
١٩٠	ما خاطب به لسان الدين تربة السلطان السكير أبي الحسن المريني
١٩٢	وصية لسان الدين لأولاده
٢٠٨	خطبة وعظية له

- ٢١٦ وصية موسى بن سعيد العنسى لابنه
٢٢٦ خطبة ابن الزيات المنزوعة الألف
٢٢٩ » القافى عياض التى ضمنها سور القرآن
٢٣١ » سعيد بن أحمد للقرى التى ضمنها سور القرآن
٢٣٤ » الكفعمى التى ضمنها سور القرآن أيضاً

الباب الثانى

فى خطب ووصايا مجهول عصرها أو قائلها

- ٢٣٦ خطبة أبى بكر بن عبد الله بالمدينة
٢٤١ وصية أعمى من الأرد لشاب يقوده
٢٤١ » رجل لآخر وقد أراد سراً
٢٤٢ » » لابنه وقد أراد الترويح
٢٤٢ » مضى العلماء لاشه
٢٤٢ » لمضى الحكماء
٢٤٣ » أخرى
٢٤٣ » »
٢٤٤ عظة لمضى الحكماء
٢٤٤ نصيحة » »
٢٤٤ كلمات شتى لمضى الحكماء
٢٤٦ رجل من العرب والحجاج
٢٤٦ أحد الوافدين على عمر بن عبد العزيز
٢٤٧ كاتب وأمير

٢٤٧ وصف الهلباجة

٢٤٩ بعض البلغاء يصف رجلاً

٢٤٩ خمس جوار من العرب يصفن خيل آتاهن

٢٥٢ رجل من العرب يصف مطراً

الباب الثالث

في نثر الأعراب

٢٥٣ قولهم في الوعظ والتوصية

٢٥٣ مقام أعرابي بين يدي سليمان بن عبد الملك

٢٥٤ أعرابي يسط هشام بن عبد الملك

٢٥٤ خطبة أعرابي

٢٥٥ » أخرى

٢٥٦ » »

٢٥٦ أعرابية توصي ابنها وقد أراد السفر

٢٥٧ أعرابية توصي ابنها

٢٥٧ أعرابي يوصي ابنه

٢٥٧ » ينصح لابنه

٢٥٨ » » »

٢٥٨ » » لأخيه

٢٥٨ » يسط أحاه

٢٥٩ » » صاحبه

٢٥٩ » » أحاه

٢٥٩ » » رجلاً

- ٢٦٠ أعرابي يمشي رجلاً
٢٦٠ أعرابي يمشي رجلاً
٢٦٠ كلام أعرابي لابن عمه
٢٦١ كلمات حكيم للأعراب
٢٦١ أجوبة الأعراب
٢٦٧ مجاوبة أعرابي للحجاج
٢٦٨ مسألة الحجاج أعرابياً فصيحاً
٢٦٨ محاوثة أعرابي لعبد الملك بن مروان
٢٦٩ مجاوبة أعرابي لحالد بن عبد الله القسري
٢٦٩ أحوثة شتى
٢٧٢ قوطهم في الاستمناح والاستجداء
٢٧٢ أعرابي يجتدي عتبة بن أبي سفيان
٢٧٣ أعرابي يجتدي عمر بن عبد العزيز
٢٧٣ خطبة أعرابي بين يدي هشام بن عبد الملك
٢٧٣ مقام أعرابي بين يدي هشام
٢٧٤ أعرابي يستجدي عبيد الله بن زياد
٢٧٥ أعرابي يستجدي عبد الله بن أبي بكر
٢٧٦ أعرابي يستجدي خالد بن عبد الله القسري
٢٧٧ » » معن بن رائدة
٢٧٧ حطة الأعرابي السائل في المسجد الحرام
٢٧٨ » » » » الجامع بالبصرة
٢٧٩ صورة أخرى

صورة أخرى	٢٧٩
أعرابي يستجدي	٢٨٠
» »	٢٨٠
» »	٢٨١
» »	٢٨١
أعرابية تستجدي	٢٨٣
أعرابي يستجدي	٢٨٢
» »	٢٨٣
» »	٢٨٣
» »	٢٨٣
أعرابية تستجدي	٢٨٤
أعرابي يستجدي	٢٨٤
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٥
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
» »	٢٨٦
يسأل رجلاً حاجة له	٢٨٦
قولهم في بكاء الموتى	٢٨٦
أعرابية تنكي ابنها	٢٨٧

٢٨٨ حديث امرأة سكنت البادية قرياً من قبور أهلها

٢٩٠ حديث امرأة مات عنها بين يديها

٢٩٠ قولهم في الشكوى

٢٩٠ أعرابي يشكو حاله

٢٩١ كانت سى و سكرى

٢٩٦ قولهم في العتاب والاعتذار

٢٩٧ قولهم في المرح

٣٠٧ قولهم في الذم

٣١٤ قولهم في الغزل

٣١٩ قولهم في الوصف

٣١٩ أعرابي يصف مطراً

٣٢٠ مضر

٣٢١ مضر

٣٢٣ ثلاثة عمة من لأعراب يصفون مضر

٣٢٤ أعرابي يصف مضر

٣٢٥

٣٢٦

٣٢٧

٣٢٨

٣٢٩

أعراني يصف مطراً	٣٢٩
» » »	٣٣٠
أرضاً » »	٣٣٠
رائد يصف أرضاً حديثة	٣٣١
» » »	٣٣٢
» » »	٣٣٢
أعراني يصف أرضه وماله	٣٣٣
» » »	٣٣٤
أشد البرد » »	٣٣٤
إبلا » »	٣٣٤
ناقة » »	٣٣٥
خيلا » »	٣٣٥
» » »	٣٣٥
» » »	٣٣٥
فرساً » »	٣٣٦
حائماً » »	٣٣٦
أطيب الطعام » »	٣٣٦
السويق » »	٣٣٧
الحمال » »	٣٣٧
أبو المختس يصف ابنه	٣٣٧
أعراني يصف بنيه	٣٣٨
أعراني يصف أخويه	٣٣٩

٣٣٩ قولهم في الدعاء

٣٣٩ دعاء أعرابي

» » ٣٤١

» » ٣٤٢

» » ٣٤٣

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٤

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٥

» » ٣٤٦

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

» » ٣٤٧

٣٤٨ أدعية شتى

٣٥٢ نوادر وملح لبعض الأعراب

الباب الرابع في خطب النكاح

حطة قرين في الجاهلية	٣٦٠
» النبي صلى الله عليه وسلم في زواج السيدة فاطمة	٣٦٠
» الامام على كرم الله وجهه	٣٦١
» عتبة بن أبي سفيان	٣٦٢
» شبيب بن شبة	٣٦٢
» الحسن البصري	٣٦٢
» ابن الفقير	٣٦٣
» عمر بن عبد العزيز	٣٦٣
» أخرى له	٣٦٣
» بلال	٣٦٤
» خالد بن صفوان	٣٦٤
» أعرابي	٣٦٤
» المأمون	٣٦٥

الباب الخامس

في خطب من أرتج عليهم ونوادير طريفة لبعض الخ	٣٦٦
---	-----

